

تم عمل المسح الضوئي (سكنر) لهذا الكتاب المهم (الموقع الجغرافي للعراق إبراهيم شريف) من قبلي ، واقدمه هديه الى كل محبي بلدي الحبيب ، وسنوافيكم بالجزء الثاني انشاء الله ..

خادم العلم والوطن (علي حسن حمزه جواد – العراق –كربلاء)

https://www.facebook.com/profile.php?id=100013131063440

مع الشكر الجزيل للاستاذ الدكتور رياض الجميلي استاذ الجغرافية في جامعة كربلاء على رفده لنا بهذا المصدر العلمي المهم

الموقع الجغرافي للعراق

وأثره في تاريخه العام حتى الفتح الاسلامى

الجـزء الاول

بحث مقدم من ابراهيم شريف للحصول على درجة الدكتوراه

مـن

كلية الآداب – جامعة الاسكندرية

تحت اشراف

الاستاذ الدكتور سليمان حزين

ساعدت وزارة المعارف على نشره

مطبعة شفيق – بغداد

مقدمــــة

اتجهت نحو العراق لآخذ من بين نواحيه الجغرافية موضوعا لدراستى لانه قطر عربي شقيق • وقد قويت أخيرا الصلات التى تربط بيننا وبينه ، وعلى الاخص فى النواحى الثقافية منها • ولقد كنت من بين المدرسين المصريين الذين انتدبوا فى سنة ١٩٤١ للتدريس بمدارسه، وكان ذلك عقب حصولى على درجة الماجستير وكنت مشجعا من بعض ذوى الفضل على ، على أن أدرس للدكتوراة ناحيــة من نواحيه الجغرافية • وانني ، وان كنت لم أوفق وقتئذ فى تحقيق ذلك ، الا أننى قد اكتسبت عن هذه النواحى بعض المعرفة • وقد استمرت الرغبة فى الدراسة عنه تراودنى حتى تهيأت لى فرصتها ثانيـة فى سنة ١٩٤٧ • وشجعنى على تحقيقها أساتذتى وزملائى بقسم الجغرافيا بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية •

والجغرافى اذا زار العراق (وقتئذ) وبحث فى مكتباته يلمس نقصا كبيرا فى الدراسات الجغرافية المتعلقة به• وأذكر أن الاستاذ الكبير الدكتور متى عقراوى ، يـوم تشرفت بمقابلته فى مكتبه بوزارة المعارف لالتمس نصحه وتوجيهه ، قد أبان لى بوضوح الصعوبات الجمة التى تكتنفنى من ناحية هذه الدراسة • الا أنه تفضل مع ذلك ووجهنى وجهتين سليمتين • احداهما أن أتصل بالسيد الفريق طه الهاشمى ، وهو أبو الجغرافيا فى العراق•وكنت سيء الحظ اذ لم يكن سيادته موجودا فى العراق أثناء وجودى فيه • ولكنني وجدت فى كتابه « مفصل جغرافية العراق » ما عوضنى بعض الشيء ، فهو يتضمن مادة تمكن من تكوين فكرة طيبة عن النواحى الجغرافية للعراق • أما الوجهة الثانية ، فهى أن ألتمس تأييدا لى من الجامعة أو من الحكومة المصرية عند الحكومة العراقية ، حتى يمكن أن تفتح لى أبواب المصالح الحكومية وأبواب الهيئات الاخرى • ولقد تفضل سيادة الاستاذ

الجليل الدكتور عبد الرزاق السنهوري وكان وزيرا للمعارف المصرية وقتئذ وزودني بخطاب توصية كان له أبعد الاثر في فتح أبواب كانت مغلقة أمامي من قبـل •

وفي سـبيل ذكر هذا الفضـل الكبير أبدي عجزي عن تقدير أمثاله للحكومة العراقية ومصالحها ولابناء الشعب العراقي الشقيق ، وهـم كرمـاء وذوو شهامة•ولكنني مع ذلك أشعر بوجوب الاشادة بذكر بعض الشخصيات الكريمة التي بفضل معاونتها لي من نواحي مختلفة ذللت أمامي صـعوبات كبيرة كانت جديرة بأن تحول بيني وبين اتمام هذا البحث • وأخص بالذكر السيد الاستاذ نجيب الراوي • وكان وقتئذ وزيرا للمعارف العراقيـة • وحسبي أن أقول أن بفضله عمم خطاب الى مصالح الحكومة وهيئاتها فـي المدن وفي الريف بتقديم كل المساعدات الممكنة لي • ولم أذهب الى منطقـة ما نائية في شمال العراق أو في جنوبه الا وجدت هذا الخطاب أمامي ، حتى في قلب البادية وجدته في مخفر صفوان •

كما أخص بالذكر الاسـاتذة جورجيس عواد والدكتور جميل سعيد والدكتور عبدالعزيز الدوري • فانهم قد فتحوا أمامي بآرائهم الناضـجة وتوجيهاتهم أبوابا واسعة للبحث في بعض النواحي • وقد ساعدني الاستاذ جورجيس كثيرا في مكتبة دار الآثار التي يديرها • وشـاركني الدكتـور جميل سعيد في القيام برحلة طويلة وشاقة في مناطق الأهوار الجنوبيـة ، بدأت من سوق الشيوخ في هور الحمار وانتهت بالشدة في هور الحويزه • كما تفضل الدكتور الدوري وأهداني أيضا كتابـه القيـم « تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري » •

ويقتضيني الاعتراف بالفضل أن أشـيد بزوجتي السـيدة م• بهجت الجنابي • كانت طالبة بكلية التجارة والاقتصاد وكنت مدرسا منتدبا بهـا • ولم تعثر على خـريطة للعراق أو عـلى كتاب عنه الا وأهدتني اياها واياه •

وكثيرا ما ساعدتني في أبحاثي من نواحي كثيرة أخرى استمرت حتى بعد أن غادرت العراق •

ويبدو عجزي عن تقدير الفضل أكثر وضوحا تجاه أستاذي الدكتور سليمان حزين • فقد تفضل وقبل وضع هذا البحث تحت اشرافه • وكابد المتاعب التي يكابدها الاساتذة الذين يشرفون على الابحاث ويبذلون جهودا خاصة في كل ناحية من نواحيها •

الى هذه الشخصيات الكريمة والى غيرهم الذين لا أستطيع حصرهـم أقدم شكري واحترامي وتقديري •

في العراق نواحي كثيرة جديرة بالابحاث الجغرافية • وقـد اخترت في باديء الامر عنه موضوع موقعه الجغرافي وأثره في تاريخه الحـديث • ثم اضطررت لتركه عندما اضطررت لمغادرة العراق قبل أن تتوفر لـدى الوثائق الكافية • واخترت الموضوع الذي أقدمه الآن عن موقعه الجغرافي وأثره في تاريخه القديم بعد عودتي الى مصر • لانـه موضـوع لا يرتبط بالعراق وحده ، وانما يرتبط أيضا بما يكتنفه من جهات في الشرق الاوسط ومن جهات أخرى تقع خارج محيط هـذا الشرق من العالم الـذي كان معروفا وقتئذ • والكتابات عن الشرق الاوسـط القديـم وعن تلك الجهات الاخرى كثيرة من الناحية التاريخية • وتتوفر للباحث في مـصر كما تتوفـر له في العراق • ومن حسن الحظ ، أنني خلال الوقت الذي قضيته في العراق كنت قد جمعت عنه كثيرا من المعلومات ومن الكتب التي تتناول عنه نواحي مختلفة•وقد ساعدتني على تكوين آراء خاصة في بعض نواحي هذا البحث• كما ساعدتني على مقابلة النقص في المصادر التي استطعت الحصـول عليها في مصر •

والموقع الجغرافي لاي اقليم يمكن التعبير عـنه بطـرق عـدة تختلف باختلاف اتجاهات الباحثين • ولعل أشملها هو أن يقال ، « انه مكانه عـلى

سطح الارض بين مايكتنفه من ظاهرات طبيعية ومن ظاهرات أخرى بشرية» . وتمثل هذه الظاهرات بنوعيها المقومات التي تقوم عليها احتمالاته أو خصائصه .

وتنبغي ملاحظة أننا نعيش في عالم غير ثابت ، متغير دائما وبصورة مستمرة . ومن المعروف أن العالم في تاريخه الطويل قد مر بتغيرات كبرى طبيعية غيرت من أشكال سطحه ومن العلاقات المكانية بين بعض أجزائه وبين البعض الآخر . كما مر أيضا بتغيرات كبرى بشرية تتمثل في العصور الحضارية المختلفة التي مر بها وفي تنقل مراكزها الرئيسية من جهة الى جهة أخرى فيه . ولهذا يمكن القول بأن مقومات الموقع الجغرافي وكذلك احتمالاته التي تنبني عليها ، متغيرة أيضا وبصورة مستمرة . الا أن درجة هذا التغير تختلف بين الظاهرات الطبيعية من المقومات وبين الظاهرات البشرية منها . فهي في الاولى تكون بطيئة في الغالب ولا تلمسها الاجيال المعاصرة . ولهذا تأخذ من الناحية النظرية صفة الثبات . أما الظاهرات البشرية فانها سريعة التغير . وقد يشهد أبناء جيل واحد أكثر من تغير واحد منها نحو القوة أحيانا ونحو الضعف أحيانا أخرى .

وتبعا لذلك ، ينبغي لتقدير احتمالات الموقع الجغرافي لاى اقليم بدرجة كبيرة من الصواب أن نتعرف عليها خلال أوقات مختلفة من تاريخه . ونحن في هذا البحث عن الموقع الجغرافي للعراق قد أخذنا فترة من الزمن تمتد نحو خمسة آلاف سنة مر فيها العراق والعالم الذي يكتنفه بتغيرات أساسية طبيعية وبشرية . وكان أخطرها ثلاث : ١ ـ حدوث تغير في أحوال المناخ ٢ ـ التحضر بحضارة الحصان ٣ ـ التحضر بحضارة الحديد واستخدام السيف في الحروب . وسوف نرى فيما بعد الآثار التاريخية الخطيرة التي ترتبت على كل منها .

والدراسات المتعلقة بالموقع الجغرافي حديثة، ولا يبدو أن أبحاثا واسعة قد وضعت عنها، وهي صعبة كذلك لسببين ، أحدهما ، أن الموقع الجغرافي شيء غير ملموس ، والثاني أنه أساس واحد من بين أسس أخرى عديدة تشترك في تقرير التاريخ العام لاى اقليم . وهي أشد صعوبة اذا كانت متعلقة بالماضي البعيد لقصر المعلومات عنه . والطريقة التي عالجت بها هذه الدراسة عن العراق هي طريقة تلمس الحقائق واستنتاجها من الربط بين ظروف المكان وبين حوادث الزمان . أى من الربط بين الظاهرات الجغرافية للمكان وبين الحوادث التاريخية التي مرت به . وقد بدأت في البابين الاول والثاني اللذين يتضمنهما « الجزء الاول من البحث » بدراسة الظاهرات الجغرافية ، موجها الجانب الاكبر من اهتمامي لدراسة سطح العراق والاقاليم التي تكتنفه في الشرق الاوسط ، ومراعيا في الوقت نفسه الظاهرات الجغرافية الاخرى المتعلقة بالمناخ وموارد المياه والحياة النباتية . وذلك بقصد التعرف على منافذ العراق الى العالم الخارجي عنه وعلى المسالك التي حملت الاتصالات بينه وبين جهات هذا العالم . ولقد وجدت في ذلك بعض صعوبات تتعلق بنقص الدراسات الجغرافية عن هذا الجزء من العالم ، وعلى الاخص النواحي الطبيعية منها . وقد استعنت على تذليل هذه الصعوبات بالاعتماد لحد كبير على الخرائط من مصادر مختلفة، وبالتوفيق بين مايوضحه بعضها من نواحي وبين ما يوضحه بعضها الآخر من نواحي أخرى، وكذلك بالتوفيق بين ما توضحه هذه الخرائط مجتمعة وبين ما ورد في الكتب الجغرافية وفي بعض كتب أخرى . ومن أهم الكتب التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة ، كتب الادميرالية البريطانية عن أرض ما بين النهرين وعن الجزيرة العربية وعن سوريا . وكذلك بعض كتب تشزني وأينسورث

وولنسون وتشارلس ورث وجرانت وموسيل وغيرها من بعض الكتب الاخرى والتقارير التى اهتمت بدراسة بنية بعض جهات الشرق الاوسط وموارد المياه فيها مع الاشارة الى بعض الظاهرات الجغرافية المرتبطة بها • وهذه الدراسة من مصادرها المختلفة قد مكنتنى من عمل خرائط تفصيلية بعض الشيء عن العراق وعن الجهات التى تكتنفه فى الشرق الاوسط •
وقد وجهت اهتمامي الى أن أوضح عليها مسالك الاتصالات على أساس طبيعى • ولم أجد الصعوبة كبيرة فى توضيح هذه المسالك فى المناطق الصحراوية والمناطق الجافة الاخرى • لان موارد المياه فيها ، سواء أكانت سطحية أم كانت باطنية هى التى تتحكم فى توجيه سير الاتصالات خلالها • وكذلك لم أجدها كبيرة فى المناطق الجبلية لان الوديان والممرات فيها هى التى تتحكم كذلك فى سير الاتصالات خلالها • ولا يبدو أن تغيرا كبيرا قد حدث فيها بين الماضى وبين الحاضر • وكانت الصعوبة الكبيرة التى واجهتها عندما أخذت فى وضع خريطة للسهل الفيضى توضح تطوره لغرض التعرف على مداخله من الاتجاهات المختلفة منذ بدأ تعميره بالسكان حول منتصف الالف الخامس قبل الميلاد • وقد استعنت على تذليلها بدراسة بعض الكتب التي تبحث فى تكوين السهول الفيضية وفى المؤثرات التى تؤثر فى هذا التكوين • والخريطة التى توصلت اليها من هذه الدراسة تمكن من تفسير بعض ظاهرات بشرية تبدو غامضة فى تاريخ سهل العراق •

أما الباب الثالث من هذه الدراسة الذى يتضمنه الجزء « الثانى » من البحث ، وهو دراسة أثر الموقع الجغرافى للعراق فى تعميره بالسكان وفى سير حوادثه التاريخية ، فقد واجهت فيه صعوبات أيضا • ويرجع بعض منها الى قصر المعلومات نفسها • بينما يرجع البعض الآخر الى اختلاف آراء

المؤرخين وتشعبها حول تفسير ناحية منها أحيانا وفى اجماعهم تقريبا حول تفسير ناحية أخرى أحيانا أخرى • وكنت فى بعض الحالات أعتنق من بين الآراء المختلفة ما يتفق منها مع الحقائق الجغرافية التى وصلت اليها • أما فى الحالات التى لم أقتنع فيها برأى منها فكنت أكون لنفسى رأيا خاصا وأعمل على تأييده مع الاشارة الى الآراء الاخرى فى الحاشية • وفى ختام البحث ذكرت النتائج الهامة التي توصلت اليها عن احتمالات الموقع الجغرافى للعراق أو خصائصه التى كان لها أثرا قويا فى سير حوادث تاريخه العام فى القسم القديم منه وتطورها فى أدواره التاريخية المختلفة من ناحية تعميره بالسكان ومن النواحى السلمية الاخرى والنواحى الحربية •

ثبت المواضيع

الجزء الاول

الجـــزء الثانى

الخـــرائط

قائمة الخرائط الملحقة بهذا البحث :

١ ـ الشرق الأوسط : منافذ اتصالات العراق باقاليم الشرق الاوســط وحافاته ٠
٢ ـ سهل العراق وحافاته : الاتجاهات الرئيسية لمداخل سهل العـراق الطبيعية ومخارجه ٠
٣ ـ أقاليم العراق ومنافـذها المحتملة ٠
٤ ـ سهل العراق وحافاته : الاماكن ذات الاثر المباشر فى تطور تاريخه السياسى القـديم ٠
٥ ـ خريطة جيولوجية لسهل العراق وحافاته ٠
٦ ـ انحدارات سطح السهل الفيضى ٠
٧ ـ أرض الجزيرة فى العـراق ٠
٨ ـ الهضبة الصحراوية فى غرب الفرات (البادية) : ظاهرات الســطح ومسالك الاتصالات خلالها ٠
٩ ـ منطقة الســهول المموجة ٠
١٠ ـ منطقة الهضـاب المموجة ٠
١١ ـ خريطة تتضمن ثلاث مناطق من اقليم الجبال والمقدمات الجبليـــة : (أ) منطقة السفوح الجبلية ٠ (ب) منطقة السهول الجبلية ٠ (ج) منطقة الجبـال ٠
١٢ ـ العالم السورى : مسالك اتصالات وادى الفرات مع العالم السورى ٠
١٣ ـ منافذ سهل العراق الى داخل الجزيرة العربية ٠
١٤ ـ هضبة أرمينيا وحافاتها : الظـاهرات الرئيسية للسـطح ومسـالك الاتصالات خلالها ٠
١٥ ـ خريطة تخطيطية توضح ظاهرات السطح فى أرمينية الصغرى واقليم القوقاز والقسم الشرقى من الاناضول ومسالك الاتصالات خلالها ٠
١٦ ـ هضبة الاناضول وحافاتها : الظاهرات الرئيسية للســطح ومسالك الاتصالات خلالها ٠

معالم السطح فى العراق

تمهيد عام لدراسة العلاقات المكانية

مقدمة فى البنية والتكوين الجيولوجى لسهل العراق وحافاته

يشغل العراق بين جهات الشرق الاوسط فى آسيا القســم الجنوبى الشرقى من حوض واسع ، يمتد محوره الطولى بين الشـمال الغربى وبين الجنوب الشرقى ، وينحـدر سـطحه انحدارا عاما مـع هذا الاتجـاه الاخير ٠ وهو مكون من صخور رسـوبية متنوعة ، تتدرج فى العمر بين أواخر الزمن الثاني وبين العصر الحديث ٠ ويبدو فيه توزيع هذه الصخور منتظما بدرجة كبيرة ٠ فانها تمثل نطاقات طولية ومتوازية لحد ما ، والحديث منها يتلوه القديم فالاقدم فيما بين قاع الحوض وبين حافتيه المرتفعتين مـن جهة الشمال الشرقى ومن جهة الجنوب الغربى ٠ وتتكون معظم صخـور هاتين الحافتين من التكوينات الكريتاسية ، اما القاع فانه مكون من الرواسب الفيضية الحديثة[1]٠ ويشبه حوض العراق حوض الكنج (في شمال الهند) بدرجة كبيرة ٠ فقد تكون كل منهما فى أثناء الحركات الالبية التى أثرت فى كثير من جهات العالم وأدت الى رفع نطاق السلاسل الجبلية الممتدة بين جبال البرانس وبين جبال بورما ٠ كما أن كلا منهما يقع بين جزء من هذا النطاق وبين كتلة من الصخور القديمة يراها بعض الباحثين جزاء من قارة جوند وانالاند[2] ٠ ولظروف البنية على جانبي العراق تأثير على سطحه ٠ فان الحركات الارضية التى كونت الحائط الجبلى الالتوائى فى جنوب هضاب ايران وأرمينيــة والاناضول ، والتى قاومتها الكتلة القديمة فى الجزيرة العربية ، قد أدت الى هبوط سطحه ، فامتد الخليج العربى نحو الشمال الغربى وغمر القســم

---

(١) راجع (١٢) و (٢٣) ٠ وانظر أيضا الخريطة رقم (٥) ٠

(٢) راجع (١١٤) صحائف ١ ـ ٤ ٠ و (٩٨) صحيفة ٢٧٥ ٠

الجنوبى منه . كما أدت الى تكوين منطقة الجبال والمقدمات الجبلية في شمال هذا الخليج وفى شماله الغربى ، وهى المنطقة التى تقع معظمها في شرق المجرى الاوسط لنهر دجلة . ولقد أوجد ارتفاعها ظروفا مناخية خاصة سقطت في أثناء وجودها الامطار بغزارة كما تراكمت الثلوج فوق بعض المرتفعات . وقد عملت الامطار الساقطة ومياه الثلوج الذائبة تعرية قوية على سفوح المرتفعات وجرت منها انهار جياشة وجداول ، كما جرت من داخل الهضاب أنهار كبيرة حملت معها فى أوقات فيضاناتها كميات كبيرة من الرواسب وأخذت تلقى بها عند مصباتها فى الخليج القديم مكونة خلال القرون أجزاء من السهل الفيضى الحالى .

ولا يرجع كل الفضل فى بناء هذا السهل الى الانهر والانهار والجداول المنحدرة اليه من داخل الهضاب الشمالية ومن حافاتها الجبلية فحسب ، بل ان لبعض وديان الجزيرة العربية ، ولما تنقله الرياح من على سطحها من مفتتات ناعمة بعض الفضل ايضا . فان الوديان الصحراوية التى ترى منحدرة نحو وادى الفرات من هضبة الجزيرة العربية كانت خلال العصور المطيرة (التى حدثت فى مناطق دوائر العرض شبه الحارة أثناء حدوث العصور الجليدية في مناطق دوائر العرض الباردة وشبه الباردة[٣]) أنهارا وجداول تجرى فيها المياه وتحمل فى اوقات فيضاناتها كميات من الرواسب اشتركت بها فى بناء قسم من هذا السهل الفيضى ، وعلى الاخص فى جانبه الغربى . ولا تزال آثار ذلك ترى فى بعض التكوينات الفيضية التى توجد في الصحراء فى غرب الفرات ، وتبدو فى شكل ثلاث درجات فى بعض المناطق[٤] .

ولقد سمى ديودور الصقلى الجبهة الملتوية فى جنوب هضبة ايران وجنوبها الغربى بأسم السلم الفارسى[٥] . وهى تسمية لا تبعد كثيرا عن

(٣) راجع فى الجزء الثانى موضوع (التطور التاريخى) .

(٤) راجع (٢٥٩) صحيفة ٢٣ .

(٥) راجع (٦١) صحائف ١ـ٢ ، ٢٩ . و (٦٤) صحيفة ٢٢٤ .

الحقيقة ، كما هو مشاهد فى القسم الواقع منها فى شمال العراق . فانها تتكون هناك من عدد من خطوط الالتواء ، تمتد بصورة عامة بين الجنوب الشرقى وبين الشمال الغربى موازيا البعض منها البعض الاخر . كما انها ترتفع بصورة عامة أيضا تدريجيا من مستوى حول ٢٠٠ متر عند جانب نهر دجلة الى اكثر من ثلاثة آلاف متر فى منطقة الحدود السياسية الحالية بين العراق من جهة وبين ايران وتركيا من جهة اخرى .

ومن المعروف ان نطاق سلاسل طوروس - زاجروس الذى تكون منطقة الحدود السياسية بعض أجزائه ، قد ارتفع بسبب الحركات الارضية التي رفعت أيضا سلاسل الالتواء الاخرى التى تمتد فى جنوب اوراسيا . وقد حدثت هذه الحركات فى الزمن الثالث وبلغت ذروة نشاطها فى عصر الميوسين ، ثم حدثت حركات اخرى فى عصر البلايوسين وأثرت فى مرتفعات شمال سهل العراق ، وكان اتجاهها من داخل هضبة ايران نحو جنوبها الغربى[٦] . وقد قاومت الكتلة القديمة فى بلاد العرب والتى تمتد حافتها مسافة ما تحت سطح العراق اتجاه هذه الحركات[٧] . وترتب على حدوث حركات أرضية من جانب ومقاومتها من جانب آخر حدوث التواءات فى التكوينات الرسوبية عند حافة هضبة ايران . كما ترتب عليه هبوط سطح العراق وطغيان الخليج العربي على القسم الجنوبى منه[٨] .

(٦) راجع (١٩٧) صحيفة ١١ . و ١٩١ صحائف ٦ـ٧ . وقارن - رأى دى مورجان الذى يقول بأن حركة الالتواء قد حدثت بالعكس ، أى من جهة الجنوب الغربى نحو جهة الشمال الشرقى . وقد اشير الى هذا الرأى فى (٦١) صحائف ٣١ ، ٦١ وما بعدها .

(٧) يحدد بعض الباحثين امتداد الكتلة القديمة التى تكون الجزيرة العربية بالبحر المتوسط والبحر الاحمر من جهة الغرب . وبالخليج العربى ونطاق مرتفعات بشتكوه وكردستان من جهة الشرق . راجع عن هذا فى (١٠٣) صحيفة ١٣ . وراجع ايضا ومقارنا (١١٠) صحائف ٩ وما بعدها وصحائف ٣٧١ وما بعدها .

(٨) راجع (٦١) صحائف ٣١ ، ٦١ . و (١١٤) صحائف ١ ، ٧ .

وقد ادى هبوط سطح العراق وما ترتب عليه من حدوث انكسار في بعض المناطق الى اختلاف بين الباحثين حول طبيعة هذا الهبوط وهل هو التوائي ام انكساري (٩) • فبعض منهم يرى أن منطقة الحدود الدولية معقدة ، وفيها دلائل كثيرة على الانكسار • كما يرى هذه الدلائل ايضا ظاهرة في بعض مناطق المقدمات الجبلية • ويعلل تدرج الارتفاع فيها بحدوث انكسار سلمى • على أن ظاهرات الانكسار تبدو فضلا عن ذلك في بعض نواحي اخرى (١٠) • ومنها ما يلاحظ من أن خط الالتواء الذى يتجاوز ارتفاعه ١٠٠٠ متر والذى يكون الحد الجنوبى لاقليم الجبال والسفوح الجبلية (١١) لا يمتد محوره على استقامة واحدة فيما بين جنوب شرق هذه المنطقة وبين شمالها الغربى ، وانما يكون ثلاث درجات يقع امتداد بعضها شمال امتداد البعض الاخر (١٢) • واذا تتبعنا هذا الخط من نهر دياله نجد ان قسمه الواقع بين هذا النهر وبين نهر الزاب الصغير يكون الدرجة الاولى • وهو يتكون من التواءات قرهداغ – سجرمه – مورتكه • ولا يقابل امتداد محوره على الجانب الايمن للزاب الصغير التواءات أخرى ، وانما يقابله القسم الشمالى من سهل أربيل • أما الدرجة الثانية فتقع شمال هذا السهل وتمتد بين الزاب الصغير وبين الزاب الكبير • وهى تتكون من التواءات كسروت – بيرمام داغ • ولا تقابلها كذلك التواءات اخرى على الجانب الايمن لنهر الزاب الكبير وانما يقابلها القسم الشمالى من سهل الخازر – الجومل • وتقع الدرجة الثالثة شمال هذا السهل الاخير • وتمتد بين الزاب الكبير وبين نهر دجلة فى منطقة الحدود العراقية – السورية – التركية • وتتكون من التواءات برات – عقره – بيخير • ومما هو جدير بالملاحظة أن عدم تقابل خطوط

(٩) راجع (٦١) صحائف ٦٢ وما بعدها •
(١٠) راجع (٦١) صحائف ٣١ وما بعدها •
(١١) راجع فيما يلى موضوع (منطقة السفوح الجبلية) •
(١٢) راجع الخريطتان (١٠) و (١١) •

الالتواءات على جوانب كل من الزاب الصغير والزاب الكبير قد سبب حدوث ثنية كبيرة فى مجرى كل منهما يتجه قاعها نحو الشرق بسبب تدخل الدرجة التى تقع الى الشمال فيها ، بينما يتجه ضلعها الجنوبى نحو الجنوب الغربى بسبب تدخل الدرجة التي تقع الى الجنوب لها • ولا شك فى أن لعدم تقابل خطوط الالتواءات على جانبى المجرى بعض الاثر فى تسهيل استخدام الوديان النهرية فى النقل والمواصلات وفي ايجاد بعض مداخل بين المناطق الجبلية وبين المناطق السهلية ، الا أن حدوث الثنيات الكبيرة قد أضعف بعض الشيء من أهمية هذه التسهيلات • ومن حسن الحظ فيما يتعلق بنواحى النقل والمواصلات ، ان ظاهرات الانكسار تبدو ايضا فى تقطع خطوط الالتواءات الى عدد من السلاسل وفى وجود ممرات تفصل بين بعض اجزائها وبين البعض الاخر • ولقد ترتب على ذلك ان مسالك الاتصالات عبر النطاقات الجبلية لا تتقيد دائما بامتدادات الوديان النهرية بقدر ما تتقيد بالممرات الجبلية (١٣) •

ويبدو ان ظاهرات الانكسار هناك قد نتجت من حدوث الحركة الارضية البلايوسينية ، وهى التى حدثت من داخل هضبة ايران وكان اتجاهها من الشمال الشرقى نحو الجنوب الغربى • فان هذه الحركة قد أثرت على خطوط الالتواءات الميوسينية ذات الاتجاه العام بين الشرق وبين الغرب • ولعل من أوضح ما يدل على تعرض منطقة الجبال والمقدمات الجبلية فى العراق لحركتين من حركات الالتواء فى زمنين مختلفين ، ما يلاحظ من وجود تكوينات المجمعات البلايوسينية (١٤) على قمم بعض المرتفعات وعلى سفوحها العليا مثل جبل بيخير وسلسلة أوانه داغ وسلسلة

(١٣) راجع الخريطة رقم (١١) •
(١٤) راجع (١١٤) صحيفة ٧ •

تلال حمرين وكذلك منطقة المرتفعات الواقعة في شرق ليلان (١٥) • والذى يبدو ، هو ان الحركة الميوسينية قد رفعت التكوينات الرسوبية القديمة مكونة سلاسل جبلية ، مما أدى الى نشاط كبير للتعرية المائية التى استطاعت أن تنقل من سفوح هذه السلاسل متفتتات صخرية خشنة وأن ترسبها فى المنخفضات حيث تماسكت أجزاؤها بما ترسب بينها من ذرات الغرين والصلصال الجيرى • اما الحركة البلايوسينية فقد ادت الى التواء بعض السطوح المنخفضة مما سبب ارتفاع تكوينات المجمعات الى قمم بعض المرتفعات والى سفوحها العليا • كما أدت أيضا الى حدوث انكسارات في بعض المناطق والتواءات مضاعفة فى بعض مناطق اخرى •

ويبدو أن نهر دجلة فى قسمه الاوسط يجرى فى وادى انكسارى • لانه يتضمن بعض ظاهرات تشير الى ذلك (١٦) • منها اختلاف التكوينات على جانبى بعض أجزائه • ففى منطقة الحدود العراقية – التركية – السورية يلاحظ أن على جانبه الايمن يوجد امتداد لحقل واسع من التكوينات البركانية يقابله على جانبه الايسر تكوينات الفارس العليا من الحجر الرملى (الميوسين الاعلى) وتكوينات البختيارى من المجمعات (البلايوسين) • كما يلاحظ ان أجراف نهر دجلة فى منطقة تل بطمان (شمال ثنية اسكى موصل) تتكون من جهة اليمين كما تتكون من جهة اليسار من تكوينات الحجر الجيرى النيموليتى (الايوسين) بينما تسود مباشرة وراء الاجراف اليسرى تكوينات الفارس السفلى من الحجر الجيرى والجبس (الميوسين الادنى) •

---

(١٥) راجع (١٧٣) صحائف ٤٨–٤٩ ، ١٦٨ • و (٦٤) صحيفة ٢٦٥ • و (١٩٧) صحائف ٩–١٠ • وراجع ايضا (٥٢) صحائف ٨ ، ١٨–١٩ ، ٣٣ ، ٣٨ •

(١٦) راجع (١٢ و٢٣) • وانظر ايضا الخريطة رقم (٥) • وراجع ايضا (٦١) صحائف ٢ ، ٦٣–٦٥ • و (١٩٧) صحيفة ٥ • و (١٩١) صحيفة ٢٣ • و (٨٦ – الجزء الاول) صحائف ٢٤–٢٥ • و (٦٤) صحائف ١١٠ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ • و (١١٤) صحائف ١٠–١٢ •

وكذلك يجرى نهر دجلة عند مدينة الموصل وجنوبها حتى بلدة السلمية بين تكوينات جيرية – جبسية من جهة اليمين وبين تكوينات من الحجر الرملى ومن المجمعات من جهة اليسار • اما عند منطقة القيارة فتقابل تكوينات الرواسب الحديثة من جهة اليسار تكوينات الحجر الجيرى والجبس من جهة اليمين • وتتكرر مثل هذه المقابلة مرة أخرى فيما بين قلعة شرقاط وبين شمال مصب الزاب الصغير في دجلة بقليل • وأما فيما بين قلعة شرقاط وبين القيارة فتقابل التكوينات الحديثة من جهة اليسار تكوينات الحجر الرملى والمجمعات من جهة اليمين (١٧) •

وعدا ظاهرة اختلاف التكوينات بين المناطق المتقابلة على جانبى نهر دجلة ، يلاحظ أيضا اختلاف فى مستويات سطح الاجزاء المتقابلة من ضفتيه ، فترتفع الضفة اليسرى عن الضفة اليمنى فى بعض الامتدادات وتنخفض عنها فى بعض آخر (١٨) • كما يلاحظ أن هذا النهر قد شق مجراه عبر عدد من الحافات المرتفعة تتمثل على جانبيه ، وقد خلفت بقاياها فى مجراه عددا من المساقط • ومن أوضح هذه الحافات نطاق تلال حمرين – مكحول ، فقد شق دجلة طريقه خلالها بخانق وعر واشتهر منفذه هناك باسم الفتحة (١٩) • ومما تجدر ملاحظته ان اتجاه محور التواء نطاق حمرين – مكحول يختلف بعض الاختلاف فى شرق الفتحة عنه فى غربها • فمن جهة الشرق يأخذ محور الالتواء اتجاها بين الجنوب الشرقي وبين الشمال الغربى ، بينما من جهة الغرب يأخذ اتجاها بين جنوب الجنوب الشرقى وبين شمال الشمال الغربى (٢٠) • وكذلك تجدر ملاحظة ان فى منطقة الفتحة وفى شمالها بقليل توجد بعض عيون من القار ومن الكبريت كما يخرج

---

(١٧) أنظر الخريطة رقم (٥) • وراجع ١٢ ، ٢٣ •

(١٨) راجع (٤٤) صحيفة ١٢٨ •

(١٩) راجع (١٠٤) صحيفة ١٥٠ • و (١١٤) صحيفة ٢ •

(٢٠) راجع (١٩٧) صحائف ٥–٦ •

النفط من قاع النهر في بعض المناطق وترى آثاره فى بقع من الزيت الاسود طافية على سطح الماء(٢١) • وبجانب ما تقدم توجد بعض مناطق أخرى فى قاع النهر وعلى جانبيه تتفجر عندها نافورات حارة وعيون من القار ومن الزيت ويرى مثل ذلك فى منطقة القيارة وكذلك فى منطقة حمام على التى تقع على الضفة اليمنى لنهر دجلة جنوب الموصل بقليل(٢٢) •

ويبدو أن هبوط سطح حوض العراق من جانب هضبة الجزيرة العربية انكسارى ايضا • اذ يوضح قطاع بلانكنهورن حافة الهضبة العربية بخط مستقيم او منحن قليلا فيما بين شرق حلب وبين الخليج العربى • كما توضح القطاعات التي عملتها بعثة جوزيف سرنك(٢٣) : J. Cernik (١٨٧٢ – ١٨٧٣) فى بعض المناطق ، أن الهضبة تشرف على رواسب الفرات بأجراف عالية وشديدة الانحدار نسبيا كما أنها ذات تكوينات أفقية ومنتظمة • ومع ذلك تنبغى الاشارة الى أن هناك أيضا بعض مناطق فى الصحراء غرب الفرات تتمثل فيها ظاهرات الالتواء(٢٤) •

ويرى بعض الباحثين أن تكوينات الحجر الجيرى الكريتاسى التى تكون الحافات الخارجية العليا لحوض العراق هى أقدم تكويناته الرسوبية وعليها ترتكز تكويناته الاخرى(٢٥) • وأنه فى العصر الكريتاسى تقدم البحر نحو الشمال وشمل جهات واسعة فى الشرق الاوسط وكان العراق من بينها • وقد ترسبت فى قاع هذا البحر تكوينات كريتاسية سميكة(٢٦) •

---

(٢١) راجع (٣٣ – الجزء الثانى) صحيفة ٥٢٢ وحاشيتها • (٨٦ – الجزء الاول) صحيفة ٢٥ •

(٢٢) راجع (١٩١) صحيفة ٢٣ •

(٢٣) انظر الاشارة الى هذين الرجعين فى (٦١) صحائف ٦٢ ، ٦٥ •

(٢٤) راجع فيما يلى موضوع (الهضبة الصحراوية فى غرب الفرات او البادية) •

(٢٥) راجع (١٩١) صحيفة ٧ • (٦١) صحائف ٥٩ وما بعدها •

(٢٦) راجع ايضا عن التاريخ الجيولوجى للعراق (٤٤) صحائف ٨–١٨ •

وفى أواخر هذا العصر أخذ البحر ينحسر تدريجيا وتكونت فى مستنقعاته عروق الفحم فى العراق(٢٧) • وفى بعض جهات أخرى تكتنفه • وتقدم البحر ثانية فى الايوسين الاوسط فترسبت فوق التكوينات الكريتاسية تكوينات الحجر الجيرى النيموليتى • وترى الصخور الايوسينية بيضاء وظاهرة على السطح فى بعض المناطق • ولم يخلف عصر الاليجوسين آثارا كثيرة • ولم يعثر على تكويناته بصورة مؤكدة ، فى رأى بعض الباحثين ، الا فى منطقة واحدة هى منطقة مرتفعات قره شوق(٢٨) • وذلك لان خلاله كانت احوال اليابس هى السائدة ، كما كانت عوامل التعرية أكثر نشاطا من عوامل الارساب • اما فى الميوسين الادنى والاوسط فقد تقدم البحر كثيرا وغمر ارض العراق وترسبت فى اثناءه تكوينات من الحجر الجيرى تعرف فى العراق باسم الحجر الجيرى الفراتى وغطت سطح تكويناته القديمة • وعندما اخذت أحوال اليابس تسود فى أواخر الميوسين الاوسط ترسبت فى المستنقعات المتخلفة تكوينات الفارس السفلى من الجبس والانهيدريت والملح كما ترسبت تكوينات الفارس العليا من الصلصال الجيرى ومن الحجر الرملى(٢٩) • ثم حدثت فى الميوسين الاعلى الحركات الارضية المشهورة بالالبية والتى تأثرت بها جهات كثيرة من سطح الارض • وقد كان من تأثيرها تكوين خطوط المرتفعات فى شمال سهل العراق وفى شماله الغربى وكذلك ارتفاع سطح أرض الجزيرة • أما القسم الجنوبى الذى يشغله السهل الفيضى فى الوقت الحاضر فقد كان لا يزال يكون جزءا من بحر يغمر السواحل الجنوبية لهضبة ايران • وقد أدى ارتفاع سطح الارض وتكوين الجبال الى سقوط الامطار بغزارة والى تراكم الثلوج • فحدثت تعرية مائية قوية على

---

(٢٧) لمعرفة مناطق التكوينات الفحمية فى العراق ، راجع (٤٢) صحائف ١٠١–١٠٢ • و (٦١) صحيفة ٦٧ •

(٢٨) راجع (١٩١) صحائف ٧–٨ • وقارن (١٢) •

(٢٩) راجع (٦١) صحيفة ٦١ • و (١٩١) صحيفة ٨ •

سفوح المرتفعات ونقلت الانهر والانهار والجداول متفتتات صخرية خشنة كما نقلت الرمال وذرات الغرين وارسبتها فى الاحواض المنخفضة مكونة فى عصر البلايوسين تكوينات البختيارى (المجمعات)[٣٠] • وقد حدث خلال هذا العصر ذبذبات بين اليابس وبين الماء ، كما حدثت حركة أرضية من جانب هضبة ايران • وقد ترتب على هذه الحركة تغيير فى وضع التكوينات وحدوث انكسار فى بعض الاماكن والتواء فى بعض آخر • كما ارتفعت قيعان بعض الاحواض مما ادى الى حدوث ظاهرة وجود المجمعات فوق قمم بعض المرتفعات او على سفوحها العليا • ثم تلى ذلك حدوث العصور الجليدية فى أواخر البلايوسين أو في اوائل البلايستوسين والتى صاحبها حدوث عصور مطيرة فى مناطق العروض الوسطى السفلى • وفى اثناء هذه العصور التى تأثرت بها معظم جهات الشرق الاوسط الاسيوى كما تأثرت بها مصر والقسم الشمالى من افريقية ، اشتركت خطوط المياه المتجهة نحو حوض العراق سواء من الهضاب الشمالية العليا فى الشرق الاوسط أم من سهوله وهضابه المتوسطة الارتفاع فى الغرب ، فىحمل كميات كبيرة من الرواسب بنت بها السهل الفيضى • وترى آثار تلك التعرية المائية القوية فى وجود سطوح من المتفتتات الخشنة حول رأس الخليج القديم وعلى الاخص فى المناطق التى كانت تقع عندها مصبات دجلة والفرات • كما ترى ايضا غرب وادى الفرات عند المصبات القديمة للانهر والجداول التى كانت تنحدر من جانب الهضبة العربية • اما فى العصر الحديث حيث اخذت الاحوال المناخية تسير نحو الظروف الحالية فقد اصبح معظم ما تحمله الانهار والجداول الى سهل العراق ، من الرواسب الغرينية •

وهكذا تعرض الوضع الطبقى لتكوينات العراق لحركات ارضية فى الميوسين وفى البلايوسين شوهت انتظامه • ولما كانت الحركة البلايوسينية قد حدثت من جانب الشرق فان التغير الذى حدث فى وضع الطبقات يكبر

---

(٣٠) راجع (٦١) صحيفة ٦٢ • و (١٩١) صحيفة ٩ •

مع هذا الاتجاه بينما يضعف تدريجيا نحو الغرب • ففى جهة الشرق تبدو خطوط الالتواء شاهقة كما انها معقدة ، وقد ازالت عوامل التعرية التكوينات الهشة من فوق قممها واظهرت على السطح فى بعض المناطق تكوينات قديمة بللورية ومتحولة[٣١] ، بينما لا يبدو مثل ذلك كلما اتجهنا نحو الغرب • ومع ذلك تنبغى الاشارة الى انه بالرغم من ان ظاهرة الالتواءات البسيطة هى السائدة مع هذا الاتجاه الاخير فانه توجد بعض مناطق هناك تتضمن ظاهرات انكسار والتواء مضاعف • وفيما عدا اقليم الجبال والمقدمات الجبلية[٣٢] ، لا تبدو ظاهرات التواء بارزة على سطح ارض الجزرة • كما انها لا تبدو كذلك على سطح الهضبة الصحراوية فى غرب الفرات • وذلك بسبب بعد هذه الجهات نسبيا عن مركز الحركة الارضية • ويقدر بعض الباحثين مقدار ما تأثر به الاقليم الواقع فى غرب الفرات من هذه الحركة بنحو ٢٪ مما تأثر به الاقليم الجبلى الواقع فى شرق نهر دجلة[٣٣] • ومما تجدر ملاحظته ، أن التكوينات التى تبدو ظاهرة على السطح فى القسم الغربى من حوض العراق وفي حافته الغربية تختفى تدريجيا نحو الشرق تحت تكوينات أحدث منها • كما أن تعمقها يزداد كذلك تدريجيا تحت سطح الحوض ونحو هذا الاتجاه[٣٤] ثم تظهر ثانية على قمم بعض المرتفعات فى شرق نهر دجلة وعلى سفوحها •

---

(٣١) راجع (١١٤) صحيفة ٢ •

(٣٢) انظر الخريطة رقم (١١) •

(٣٣) راجع (٦١) صحيفة ٦٥ •

(٣٤) وجد مثلا ان تكوينات الحجر الجيرى الفراتى التى تظهر على جانبى نهر الفرات فى امتداده الواقع تقريبا بين عنه وبين هيت ، تختفى فى القسم الشرقى من أرض الجزيرة تحت تكوينات احدث منها • وتتعمق تحت السطح فى منطقة الحضر بنحو ٦٠ مترا ، ويصل هذا العمق فى منطقة سامراء على دجلة الى نحو ٩٠ متر ويتجاوز هذا القدر فى شرق هذا النهر • راجع (١٩١) صحائف ١٦ـ١٧ ، ٢٢ •

ويمكن على أساس هذا التكوين الفيزيوغرافي أن نقسم سطح العراق الى الاقسام الاربعة الاتية[٣٥] :-

١ - السهل الفيضى •
٢ - الهضبة الصحراوية فى غرب نهر الفرات • أو (البادية) •
٣ - أرض الجزيرة •
٤ - اقليم الجبال والمقدمات الجبلية فى شمال سهل العراق وفى شماله الغربى •

(٣٥) انظر الخريطة رقم (٣) •

١ - السهل الفيضى

هو أهم اجزاء سطح العراق من الناحية البشرية • كما أنه احدثها تكوينا • ولا تزال أجزاء صغيرة تضاف اليه سنويا عند رأس الخليج العربى ، تكونها الرواسب التى تحملها مياه الفيضانات الجارية فى شط العرب • ويقدر ما يضاف اليه سنويا على حساب هذا الخليج بنحو ٢١ او ٢٢ مترا (٧٢ قدما) فى الوقت الحاضر • وتميل بعض المصادر الى الاعتقاد بأن هذه الاضافة كانت فى بدأ العصور التاريخية أكبر مما هى الآن • وأنها كانت بمعدل يبلغ نحو ٥٤ مترا فى السنة [١] • ومع ان هذا التقدير الاخير قائم على ناحية نظرية ، الا ان فيه على ما يبدو ، جانبا من الحقيقة • ذلك لان الملاحظ فى الوقت الحاضر ان معظم الرواسب التى تحملها مياه دجلة والفرات في وقت الفيضان تترسب فى مناطق الاهوار (البرك والمستنقعات) التى تجتازها • ولا يصل منها الى الخليج العربى الا نسبة صغيرة تقدر بنحو ١٠٪[٢] •

ويكون سهل العراق امتدادا طبيعيا لارض الجزيرة (ارض ما بين النهرين) التىتقع فى شماله الغربى•الا انه يتضمن ايضا اراضى أخرى وراء النهرين ، يقع القسم الاكبر منها فى شرق نهر دجلة ويقع الباقى فى غرب نهر الفرات • وتحدده من جهة الشرق مقدمات مرتفعات هضبة ايران التى تشرف عليه من ارتفاع شاهق نسبيا • اما من جهة الغرب فتحدده مقدمات هضبة بلاد العرب • ويبدو الانتقال بينهما تدريجى الا فى بعض المناطق ،

(١) راجع (١١٤) صحيفة ٩ • و(٢٠٧ - الجزء الاول) صحيفة ٤ • وراجع ايضا ومقارنا (٢٣٤) صحيفة ٢٥ • وراجع (٥٢) صحائف ٧ ، ٥٠ • و (٤٤) صحيفة ١٥٨ • و (٣٥) صحائف ١٧٤ - ١٧٥ • ويلاحظ أن هذا الكاتب يرى أن تقدم دلتا شط العرب يعادل ستة اضعاف تقدم دلتا النيل •

(٢) راجع (١٥٩) صحائف ٤ ، ١٨ •

وعلى الاخص فى القسم الشمالى حيث تشرف عليه بعض الارتفاع • وهى تبدو هناك كهضيبات ترتفع قليلا عنه • ولكنها متقطعة ، تفصل ثغرات بين بعض اجزائها وبين البعض الاخر وتكون ممرات طبيعية تسلكها الاتصالات المارة بين داخل البادية وبين وادى الفرات •

ويختلف الباحثون حول بدأ التكوينات الفيضية الحديثة فى وادى دجلة وفي وادى الفرات ، ويتسع مدى هذا الاختلاف ويتضمن فيما يتعلق بنهر دجلة منطقة تمتد بين تكريت وبين بلد • اما فيما يتعلق بنهر الفرات فأن هذا الاختلاف يتضمن منطقة تمتد بين هيت وبين الفلوجة • ويرتبط بهذا الاختلاف اختلافات اخرى ، يتعلق بعض منها بأبعاد السهل الفيضى ويتعلق البعض الاخر بمساحته • ويمكن القول ان طوله فى خط مستقيم بين منطقة بغداد وبين مصب شط العرب يبلغ نحو ٥٦٥ كيلو مترا (٣٥٠ ميلا) • وان متوسط اتساعه بين غرب الفرات وبين شرق دجلة يبلغ نحو ١٣٠ كيلو مترا[٣] • اما مساحته فتبلغ نحو ٩٣ ألف كيلو متر مربع ، أى نحو خمس المساحة الكلية للعراق الحديث[٤] •

وليس السهل الفيضى فى العراق كالسهل الفيضى فى مصر هدية نهر واحد • كما انه ليس هدية نهرية الكبيرين ، دجلة والفرات ، فقط ، وانما اشترك فى بنائه بجانبهما أنهار اخرى وجداول من الاراضى المرتفعة التى تكتنفه • ولما كان البعض من هذه المجارى المائية يختلف عن البعض الاخر فى كمية الرواسب التى تحملها مياه فيضاناتها ، فأنه يبدو أن بناء هذا السهل لم يكن منتظما ، كما يبدو أنه كان يتضمن خطوط صرف محلية بجانب الخط الرئيسى لتصريف المياه والذى يتبع الانحدار العام للسطح من جهة ارض الجزيرة الى جهة الخليج العربى • ولا تزال آثار خطوط الصرف

(٣) راجع (٦٣ ـ الجزء الاول) صحيفة ٩ • و (٦١) صحيفة ١١ • (٢٠٧) صحيفة ٢٤٥ • و (١٦٠) ٣٥٧ •

(٤) راجع (٥٢) صحائف ٦ ، ٤٥ •

المحلية القديمة ممثلة فى الوقت الحاضر فى نطاقات من الاهوار (البرك والمستنقعات) • على ان ما تقدم ليس وحده السبب الذى يرجع اليه وجود هذه الاهوار التى ترى فى جهات كثيرة من سطح سهل العراق • بل توجد أيضا أسباب اخرى • يرجع بعض منها الى نظام الفيضان لنهر دجلة ولنهر الفرات ، ويرجع البعض الاخر الى تأثيرات قديمة لحركات المد والجزر • ويمكن أن نضيف الى ما تقدم عاملا اخر ، وهو الاختلاف فى مقدار انحدار سطحه من اتجاهات الاراضى التى تكتنفه • وفى الواقع ان سهل العراق من هذه الناحية الاخيرة يقسم نفسه بين جهات اليابس الذى يكتنفه • فبينما يلاحظ أن انحداره العام يتبع الانحدار العام لحوض أرض ما بين النهرين نحو الخليج العربى ، وهو انحدار بطىء يقدر بنحو ١/١٨٠٠٠ ، يلاحظ ان ان انحداره الجانبى سريع من جهة هضبة ايران ومن جهة هضبة بلاد العرب ، ويقدر فى المتوسط بنحو ١/١٠٠٠ • وهى نسبة عالية ، اذ تبلغ نحو خمسة أمثال نسبة الانحدار المماثل فى وادى النيل[٥] • ويشتد الانحدار من جانب هضبة ايران عنه من جانب هضبة بلاد العرب[٦] • ولهذه الانحدارات الجانبية السريعة خطورتها عند ما تنكسر ضفاف احد الانهار • اذ سرعان ما تكون المياه لنفسها مجرى آخر يبتعد كثيرا أحيانا عن المجرى القديم ويترتب عليه خسارة عدم الاستفادة من منشآت الرى على المجرى الاول واضمحلال الاراضى ومناطق العمران التى كانت تعتمد عليه •

ومن هذه الصورة العامة لسطح سهل العراق ، يمكن ابداء اعتراض على وصف بعض الكتاب له بأنه سهل ميت او صامت Dead Plain • وسواء أقصد بذلك الاشارة الى أن سطحه كبير الاستواء ، أو الى ما يخفيه فى باطنه من أسرار الحضارات الماضية ، أم الى أن النشاط البشرى فيه قد همد بعد ان كان مركزا لثورة حضارية ، فان هذا الوصف وما يتضمنه من هذه النواحى

(٥) راجع (٢٥٧) صحيفة XIII .

(٦) راجع (٤٤) صحيفة ٣٦١ •

يعتبر فى الوقت الحاضر من قبيل المبالغة • وفى الواقع ، انه من ناحية ظاهرات سطحه يبدو أكثر تضرسا من وادى النيل ودلتاه • وتتمثل ظاهرات التضرس فيه فى مناطق يرتفع مستوى بعضها قليلا عن المستوى العام للسطح وينخفض مستوى البعض الاخر قليلا عنه • كما تتمثل فى اختلاف المستويات بين الاجزاء المتقابلة من وادى الفرات ومن وادى دجلة •

اما مناطق المرتفعات فتتمثل فى أكوام* عديدة لبعضها حجم كبير نسبيا • وهى آثار لمراكز عمران قديمة • ومما تجدر ملاحظته ان هذه الاكوام يكاد وجودها أن يقتصر على نصفه الغربى • كما انها تبدو متركزة فى القسم الشمالى من هذا النصف وكذلك فى القسم الجنوبى منه دون القسم الاوسط[7] • وتتمثل المرتفعات كذلك فى خطوط عديدة تعلو فوق مستوى سطح الاراضى التى تكتنفها بضعة أمتار ، وهى آثار لضفاف مجارى مائية قديمة • ومما تجدر ملاحظته أيضا أن هذه الخطوط وان بدت فى انحاء كثيرة من السهل وعلى الاخص فيما بين الرافدين منه ، الا انها تبدو أكثر تركزا فى القسم الشمالى • كما يلاحظ كذلك ، أنها فى بعض أجزاء السهل تأخذ اتجاها يختلف عن اتجاهها فى بعضه الاخر • فهي مثلا فى القسم الشمالى تأخذ اتجاها بين الغرب وبين الشرق ، وتأخذ فى القسم الاوسط اتجاها بين الشمال الغربى وبين الجنوب الشرقى ، أما فى القسم الجنوبى فانها تأخذ اتجاها عاما بين الشمال وبين الجنوب[8] • ويرجع ذلك الى اختلاف مستويات السطح فى الاجزاء المتقابلة من وادى دجلة ومن وادى الفرات • وهذه المجارى المائية كانت تستخدم لاغراض الزراعة • كما يبدو ان بعضا منها كان يستخدم أيضا فى النقل المائى • على انه مهما تكن الاغراض التى استخدمت لها كل قناة فلا شك ان جسور كل منها كانت مسالك انتقلت عليها الاتصالات بين بعض جهات السهل الفيضى وبين البعض الاخر •

---

(٧) انظر الخريطة رقم ٢ •

(٨) انظر الخريطتان رقم ٢ ، ٦ •

ومع ذلك يلاحظ ان اختلاف اتجاهات المجارى المائية فى جهات هذا السهل ، يوجد بعض الصعوبات أمام الاتصالات التى تريد اجتيازه فى طريقها بين الخليج العربي وبين البحر المتوسط • وتبدو من هذه الناحية ضفاف دجلة والفرات أكثر صلاحية منها ، الا انها تتضمن أيضا بعض صعوبات اخرى • ولتحاشى مثل هذه الصعوبات ، يبدو أن أفضل المسالك للانتقال بين الاتجاهين هو أن تتبع حافة الصحراء على الجانب الغربى لوادى الفرات[9] • ويبدو أن هذه الصعوبات التى تتضمنها المجارى المائية امام سير الاتصالات بين القسم الجنوبى من السهل الفيضى وبين القسم الشمالى منه ، كانت من بين الاسباب التى أدت الى ضعف الصلات بينهما فى الادوار الاولى للتاريخ وجعلت كلا منهما يعيش فى شبه عزلة عن الاخر • كما جعلته يتجه اتجاها يختلف لحد ما عن اتجاه الاخر • فقد لوحظ ان السومريين الذين سكنوا فى القسم الجنوبى من سهل العراق كان اتجاههم يميل على الاكثر نحو علام ونحو بعض اتجاهات الخليج العربى ، بينما كان اتجاه الاكاديين الذين سكنوا فى القسم الشمالى منه على العكس من ذلك ، يميل نحو الصحراء السورية وما يكتنفها من بعض الاتجاهات • ولقد ترتب على ذلك ظاهرة اخرى ، وهى انه بينما بدت الصبغة السامية متغلبة فى القسم الشمالى منذ بدأ ظهور الحضارة فيه ، فان القسم الجنوبى استمر عدة قرون في بدء التاريخ تغلب عليه صبغة غير سامية • أما ما ترتب على تغلب استخدام الجانب الغربى لوادى الفرات كطريق لسير الاتصالات بين جنوب السهل الفيضى وبين شماله ، فقد كان زيادة فى نمو العمران فى هذا الوادى وظهور عدد من المدن الكبيرة فيه ، وكان بعض منها يؤدى وظيفة الثغور الصحراوية • ومما هو جدير بالملاحظة ان هذا النمو العمرانى لم يلاحظ منه شىء فى وادى دجلة خلال الادوار الاولى للتاريخ • ومع ذلك فانه مهما تكن الصعوبات

---

(٩) راجع فيما يلى موضوع (الهضبة الصحراوية فى غرب الفرات) •

التى كانت تعترض سير الاتصالات برا عن طريق ضفاف المجارى النهرية ، فلا شك ان هذه المجارى نفسها كانت تقوم بحمل بعض الاتصالات بواسطة القوارب • وفى هذا يلاحظ ايضا أن الدلائل التاريخية تشير الى ان مجرى الفرات كان هو الاكثر استخداما • ومما تقدم نستنتج الحقيقة التاريخية الكبرى وهى ان وادى الفرات ، وليس وادى دجلة ، كان مركز نشاط الحضارات الوطنية التى قامت فى سهل العراق قبل الفتح الفارسى (الاخمينى) فى النصف الثاني من القرن السادس قبل الميلاد • وفى الواقع ان بعض النواحى القديمة لجغرافية سهل العراق تؤيد الدلائل التاريخية فى ان وادى دجلة بصورة عامـــة ، لم يكن صالحا لان يكون مركزا هاما من مراكز العمران • ذلك لانه كان ، وكما تدل ظاهرات السطح فى الوقت الحاضر ، يشغل أخفض اجزاء السهل الفيضى وعلى الاخص فى نصفه الشمالى • اذ يلاحظ ان الارض تنحدر نحوه من جانب هضبة ايران من جهة ، ومن جانب وادى الفرات من جهة اخرى • ومعنى هذا انه كان فى وقت ما يمثل فى السهل الفيضى مصرفا للمياه من جانب هضبة ايران ومن جانب نهر الفرات • واذا اضفنا الى هذه المياه المنصرفة اليه من الجوانب ، الميـــاه التى يحملها النهر نفسه ، فانه يمكن القول بأن وادى دجلة وعلى الاخص فى النصف الشمالى من السهل الفيضى كانت تشغله سطوح واسعة من المستنقعات • ومما هـــو جدير بالملاحظة ان مجرى نهر دجلة فوق مدينة الكوت لم تحدث فيـــه تحولات بمثل ما حدث فى القسم المقابل مـــن مجرى نهر الفرات • وذلك بالرغم مما هو معروف من ان تيار مياهه اسرع من تيار نهر الفرات • وكذلك من ان فيضاناته أعنف وتحمل كميات اكبر من المياه ومن الرواســـب ايضا[10] • والخلاصة انه بسبب بعض ظاهرات خاصة فى الجغرافيـــة القديمة لسطح سهل العراق ، كان وادى الفرات اكثر صلاحية من وادى دجلة لنشأة الحضارة فى هذا السهل ولنمو النشاط العمرانى فيه •

---

(١٠) راجع (٣٥) صحائف ١٢٢ ـ ١٢٣ ، ١٦١ •

ومن الظاهرات الاخرى للارتفاع على سطح السهل الفيضى وجـــود روابى تعلو قليلا عن مستواه • وبعض منها خصب بينمـــا البعض الاخر ماحل • أما الروابي الخصبة فتقع فى شرق السهل الفيضى ، على مقربة من سفوح مرتفعات ايران • وهى عبارة عن المراوح الفيضية التى كونتها أخوار منحدرة من هذه السفوح ، وعجزت عن الوصول بمياهها الى نهر دجلة[11] • وقد قامت على هذه المراوح بعض مراكز هامة للعمران ، مثـــل بدره التى تكون عاصمة قضاء (مركز) من اقضية لواء (مديرية) الكوت • ومما تجدر ملاحظته ان سكان هذه المراوح الغرينية خليط من العناصر العربية ومـــن العناصر الكردية الفارسية • وهناك تستعمل اللغة العربية كما تـــستعمل اللغة الكردية ايضا • ويبدو ان وديان هذه الاخوار بالرغم من وعورتهـــا ، اتخذت مسالك تسللت خلالها بعض العناصر الكردية نحو ســـهل العراق • كما يبدو انها ربطت بوشائج طيبة بين الجماعات التى تسكن عند مصباتها فى السهل الفيضى وبين الجماعات التى تسكن عند منابعها فى مرتفعات هضبـــة ايران • وقد ساعدتها الاحوال المناخية على تقوية هذه الوشائج • فكميـــة الامطار الساقطة هناك تتراوح بين ٢٠ الى ٣٠ سنتيمتر • وتسمح بزراعـــة بعض الغلات الشتوية فى بعض المناطق كما تسمح بقيام حياة رعوية غنيـــة فى فصل الشتاء وفي فصل الربيــــع • الا انه بالرغم من ان كمية الامطار الساقطة على المرتفعات وعلى سفوحها السفلى متشابهة بدرجـــــة كبيرة كما تتشابه ايضا الحياة الرعوية التى تقوم عليها ، فانه يلاحظ ان هـــذه المرتفعات تواجه الشمس كما تواجهها سفوحها السفلى • وهـــذا يسبب ســـرعة ذبول المراعى رجفافها فى اوائل الصيف • ويتدرج هـــذا الذبول من الســـفوح السفلى نحو السفوح العليا • ولذلك يضطر رعاة السهول ان يصعدوا فى فصل الصيف وراء المراعى المتقهقرة نحو قمم المرتفعات • ولابد لسكان تلك القمم

---

(١١) راجع (١٧٣) صحيفة ١٢ • وراجع ايضا (٥٢) صحائف ٤٩ ـ ٥٠ ، ٥٨ ـ ٦٠ •

ان يسمحوا لهم بذلك • لانهم بدورهم مضطرون الى النزول نحو السفوح السفلى عند ما يشتد البرد وتتراكم الثلوج فى فصل الشتاء • ولا تقتصر هذه الوشائج فى الوقت الحاضر على السكان بين مصبات الاخوار وبين منابعها بل انها امتدت الى ما وراء ذلك ، وعلى الاخص نحو وادى دجلة حيث توجد جاليات كردية كبيرة فى كثير من قرى هذا الوادى ومدنه ، كمدينة الكوت مثلا • وكذلك لا يقتصر وجود هذه الوشـــائج على الوقت الحاضر بل نجدها ايضا ممثلة فى التاريخ القديم(١٢) •

اما الروابى القاحلة فتوجد فى وادى الفرات • وهى ترى في بعض المناطق مشرفة على ضفته اليمنى مباشـرة كما ترى فى بعض مناطق اخرى مشرفة على ضفته اليسرى فى ارض ما بين النهرين وعلى الاخص فى القسم الشمالى من السهل الفيضى(١٣) ، وذلك مثل منطقة الفلوجة وامتدادها على طول الطريق نحو بغداد الى خان نقطة • وكذلك مثل منطقة ظهر المجسة بين قناة اللطيفية وبين قناة الاسكندرية • وهذه الروابى مـــن التكوينات الميوسينية اى من الحجر الرملى المختلط بالجبس(١٤) • وهى تعلو فوق مستوى الاراضى الفيضية التى تكتنفها بنحو ستة أمتار الى عشـر • وبسبب هذا الارتفاع لا تصل اليها مياه نهر الفرات • وهى لذلك تبدو قاحلة الا من بعض الحشائش والاعشاب الشـــوكية التى تنمو على الرطوبة الباطنية • ويلاحظ ان تكوينات هذه الروابى من نوع التكوينات التي تقابلها على الضفة اليمنى لنهر الفرات • ولهذا فمن المحتمل انها كانت تمثل الاجزاء المرتفعة فى السنة امتدت منها نحو داخل الخليج القديم ، اى انها ربما كانت تمثل جزءا فوق سطحه واستمرت كذلك بعد ان تكون الســـهل الفيضى وغطت

(١٢) راجع فى (الجزء الثانى ، موضوع الغزو الحيثى والفتح الكاشى) •
(١٣) انظر الخريطتان ٣ ، ٦ •
(١٤) راجع (٥٢) صحائف ٧ ، ٤٦ ، ٥٢ ــ ٥٣ • وراجـــع ايضا (٦١) ص١٨ • و (٦٤) صحائف ١١٢ ــ ١١٣ ، ١٤٣ • و (١٨٤) صحيفة ٢٥٨ •

روابيه الامتدادات المنخفضة من هذه الالسنة • ويؤيد ذلك ما لوحظ من ان بعض الابار التى حفرت فى السهل الفيضى بين الرافدين ، قد اعطت فى بعض المناطق مثل منطقة المحمودية ، مياها مرة وغنية بالجبس عند عمق نحو ١٠ أمتار(١٥) • ومما تجدر ملاحظته ان هذه الروابى ، سواء على الضفـــة اليمنى لنهر الفرات ام على ضفته اليسرى ، ليســت متصلة وتتضمـــن على الضفة الاخيرة ثغرة واسعة تفصل بين رابية الفلوجة وبين رابية المجسه • كما توجد ثغرة اخرى تفصل بين الرابية الاولى وبين تكوينات ارض الجزيرة• وهذه الثغرات تمثل المناطق الاكثر احتمالا من غيرها لان يغير عندها نهر الفرات مجراه ، كما تكون المناطق التى تجتازها القنوات التى تخرج مـن نهـــر الفـــرات نحو نهـــر دجلة • ويمكن القول بنـــاء على ذلك انهـــا تكون من جهة ممرا للاتصالات بـــين وادى دجلـــة وبين وادى الفرات ، كما تكون من جهة اخرى مداخل الى داخل سهل العراق مـــن جانب البادية العربية • ومن هذه الاهمية الكبيرة يمكننا ان نستنتج ان بعض مدن هامة قد قامت عند رؤوس هذه الثغرات او على جوانبها •

وفيما عدا ظاهرات الارتفاع التي اشـــرنا اليها ، توجد بعض مناطـــق تعلوها كثبان رملية(١٦) • ومنها خط ضخم يمتد من جنوب النجف وعـــلى مسافة عدة كيلومترات منها ، ويحازى الجانب الايمن لبحر الشنافية حتي السماوة ثم يبتعد عن مجرى الفرات تدريجيا • وتوجد الكثبان الرملية ايضا فى بعض المناطق فى ارض ما بين النهرين مثل منطقة الهاشمية وكذلك فى جنوب الحلة • وهذه الكثبان ذات قواعد ثابتة ولكن قممها متحركة وتشكل منها الرياح اشكالا بحسب اتجاهاتها • وليس ثبات قواعد الكثبان دليلا قاطعا على انها ضاربة فى القدم ، لانه من الممكن ارجاع ذلك الى الرطوبة الارضية

(١٥) راجع (١٩١) صحائف ٢٦ـ٢٧ •
(١٦) راجع (٦٤) صحائف ١١٣ ، ١١٧ ، ١٢٤ • و(٦٣ الجزء الثانى) صحيفة ١٥ • و (٥٢) صحائف ٦١ ، ٧١ •

وما ينمو عليها من نباتات زاحفة وعقدية ٠

وفيما سبق اشرنا الى ظاهرات الارتفاع على سطح السهل الفيضى ، اما مناطق المنخفضات فيه فيمكن ان نميز منها فى الوقت الحاضر ثلاثة انواع[١٧] ٠ (أ) مناطق تغمرها مياه دائمة ٠ (ب) مناطق تغمرها فصلية ٠ (ج) مناطق جافة ولكنها بسبب انخفاضها عن مستوى الاراضى التى تكتنفها ، معرضة لان تتكون فيها اهوار اذا اصابتها المياه من جوانبها ، ومثالها منخفض عقرقوف فى شمال غرب بغداد وعلى مقربة منها[١٨] ٠ ومما هو جدير بالملاحظة ان مناطق الاهوار تنتشر على سطح السهل الفيضى بصورة ، ربما لا يوجد لها نظير بين الكثير من السهول الفيضية الاخرى فى العالم ٠ اذ انها توجد فى كل اتجاهاته دون استثناء ، فتوجد فى قسمه الشمالى كما توجد فى قسمه الجنوبى ، وتوجد فى ارض ما بين النهرين كما توجد في شرق دجلة وفى غرب الفرات ، الا ان اتساعها وكذلك انتشارها يزداد بصورة عامة من الشمال نحو الجنوب ٠

ومن الصعب ارجاع تكوين هذه المنخفضات الى سبب واحد واضح ٠ ويبدو انها تكونت بسبب عدة عوامل اشتركت بنسب متباينة في تكوينها ٠ وبالرغم من تعقد توزيع مناطق هذه المنخفضات ، فانه يمكن ملاحظة ظاهرتين عامتين وواضحتين بعض الوضوح حول هذا التوزيع ٠ اما الظاهرة الاولى فتتمثل فى وجود ثلاثة نطاقات طولية منها ، وتمتد متوازية على طول امتداد السهل الفيضى ٠ واما الظاهرة الاخرى فانها تتمثل ايضا فى ثلاثة نطاقات عرضية تمتد كذلك متوازية ، بين سفوح مرتفعات هضبة ايران وبين مقدمات الهضبة الصحراوية فى غرب الفرات ٠ ومما تنبغى الاشارة اليه ان هذه النطاقات ، سواء كانت طولية أم كانت عرضية ، تمتد غير متصلة فى كثير من الحالات ٠ ويبدو انها كانت كذلك فى الماضى ٠ وترجع بعض الاسباب العامة فى تكوين النطاقات

(١٧) انظر الخريطة رقم ٣ ٠

(١٨) راجع (٣٥) صحائف ٥ وما بعدها ٠

الطولية للمنخفضات الى ان الارساب العرضى للانهار والجداول من جهة هضبة ايران ومن جهة هضبة بلاد العرب غير متكافىء مع الارساب الطولى لنهر دجلة ولنهر الفرات ٠ كما يرجع البعض الاخر من هذه الاسباب الى ان الارساب الطولى قد حدث من نهرين كبيرين (دجلة والفرات) لكل منهما كيان مستقل عن الاخر ومتميز عنه ٠ اما الاسباب العامة فى تكوين النطاقات العرضية فيغلب ارجاعها الى تأثير حركات المد والجزر فى خليج يخلو من التيارات الساحلية او انه شبه خال منها[١٩] ٠ وأما ما يلاحظ من بعض التعقيد فى توزيع هاتين الظاهرتين فيرجع الى تأثير الفيضانات والى التغيرات التى حدثت فى المجارى المائية خلال ادوار التاريخ ٠

ويتمثل النطاق الاول من النطاقات الطويلة للمنخفضات[٢٠] ، في قسمه الاعلى بمنخفض بحيرة الشارع وفى قسمه الاوسط بمنخفض هور الشويكة ٠ اما فى قسمه الادنى فيتمثل فى نطاق اهوار السنية ، وينتهى امتداد هذا النطاق بالقسم الادنى من المجرى القديم لنهر الفرات ، بين الجبايش وبين القرنة ٠ ومما هو جدير بالملاحظة ان امتدادات هذا النطاق تقع على ابعاد متساوية تقريبا من سفوح مرتفعات هضبة ايران ٠ الا ان المشاهد ان القسم الاعلى منه وكذلك القسم الاوسط يقعان وراء الضفة اليسرى لنهر دجلة ، بينما يقع القسم الادني وراء الضفة اليمنى له ٠ وغنى عن البيان ان هذا التباين فى الموقع بالنسبة لمجرى نهر دجلة صورى ٠ ذلك لان المعروف ان هذا النهر قد غير مجراه عند الكوت عدة مرات ٠ فأحيانا كان يجرى نحو العمارة كما يجرى فى الوقت الحاضر ، وأحيانا اخرى كان يأخذ اتجاه مجرى شط الحى (او شط الغراف الحالى) الى الناصرية ٠ وكان يتبع هذا الاتجاه الاخير فى بدأ العصر التاريخى ، كما كان يتبعه فى العصور

(١٩) راجع (٢٥٩) صحيفة ٦ ٠ وراجع مقارنا (٦٤) صحيفة ١٤١ ٠

(٢٠) انظر الخريطة رقم ٣ ٠

الوسطى[٢١] • فاذا اعتبرنا مجرى نهر دجلة بأخذ اتجاه شط الحي ، كانت اهوار القسم الادنى من هذا النطاق تقع وراء ضفته اليسرى كما تقع اهوار القسمين الاوسط والاعلى • ويبدو ان هذا النطاق قد تكون فى الاماكن التى نالت اقل نصيب من الرواسب الفيضية من نهر دجلة من جهة ومن الانهر والاخوار المنحدرة من سفوح مرتفعات هضبة ايران من جهة اخرى • ومن المحتمل ان مهندسى الفرس او غيرهم قد لاحظوا ظاهرة هذا النطاق فشقوا على امتداده من رأس السهل الفيضى قناة كبيرة ، اشتهرت باسم القاطول الكسروى كما اشتهرت باسم النهروان ، واستخدموها فى صرف قسم من مياه نهر دجلة لتخفيف غوائل الفيضان عن منطقة سلوكيا - طيسفون • كما استخدموها فى صرف مستنقعات هذا النطاق وتحويل اراضيه الى الزراعة[٢٢] • وتبدو فى الوقت الحاضر اجزاء هذا النطاق منفصلة كما انها محدودة الاتساع • واذا اعتبرنا انها كانت عند بدأ تعمير سهل العراق بالسكان اكبر اتساعا مما هى الان واكثر اتصالا ، امكن القول انها كانت تقف بدرجة كبيرة حاجزا يضعف من تأثير هضبة ايران فى تعمير هذا السهل ، ويركز مؤثراتها وكذلك مؤثرات دلتا نهر كارون في الاقليم الواقع بين هذا النطاق المائى وبين سفوح المرتفعات الايرانية •

اما النطاق الطولى الثانى فيقع فى ارض ما بين النهرين[٢٣] • وهو يتمثل فى قسمه الشمالى فى منخفض عقرقوف ومنطقة بغداد ويمتد منها بعض الامتداد وراء الضفة اليمنى لنهر دجلة وقريبا منها • ويتمثل هذا النطاق فى قسمه الاوسط فى اهوار دلماج وفى منخفض عفك • اما فى القسم الادنى فيتمثل فى اهوار « ابو » عجول والعبده • وينتهي امتداده

(٢١) راجع (١٦٢) صحائف ٢٦ ، ٢٨ . و (١٥٦) صحيفة ٨ • و (٥٢) صحيفة ٦٤ •

(٢٢) راجع مقارنا (٢٥٧) صحيفة XV .

(٢٣) انظر الخريطة رقم ٢ •

عند منطقة الحمار والشيخ شبيب في القسم الشمالى الغربى من منخفض هور الحمار • وقد تكون هذا النطاق فى الاماكن التى نالت اقل نصيب من رواسب فيضانات نهر دجلة من جهة ومن رواسب فيضانات نهر الفرات من جهة اخرى • اما ما يلاحظ من ظاهرة اقتراب هذا النطاق فى قسمه الاعلى من مجرى دجلة وابتعاده عنه فى قسمه الاوسط ثم اقترابه من نهر الفرات فى قسمه الادنى ، فان لذلك اسباب سنشير اليها بعد قليل ، عند الكلام على اختلاف المستويات فى الاجزاء المتقابلة من وادى دجلة ومن وادى الفرات •

ويمثل هذا النطاق خط دفاع اخر • كما يضاعف من تأثير النطاق الاول فى عزل ارض ما بين النهرين عن هضبة ايران • ويفسر وجوده ظاهرتين فى التاريخ القديم لسهل العراق • الظاهرة الاولى هى عدم قيام مراكز حضارية هامة فى وادى دجلة قبل العصر الاغريقى • اما الظاهرة الاخرى ، فهى ان القسم الشرقي من سهل العراق الذى يقع بين الضفة اليسرى لنهر دجلة وبين سفوح هضبة ايران ، لم يكن خلال اقدم ادوار هذا التاريخ قسما اساسيا فى رقعة الممالك التى قامت فى ارض ما بين النهرين ، وانما كان ميدانا يتصارع فيه نفوذها مع نفوذ مملكة علام • وكذلك مع نفوذ بعض القبائل التى كانت تسيطر على سفوح مرتفعات هضبة ايران المشرفة عليه[٢٤] •

واما النطاق الطولى الثالث ، فيقع فى غرب نهر الفرات • ولكنه ليس واضح المعالم كالنطاقين السابقين • وذلك بسبب ان نهر الفرات لم يتخذ لنفسه خلال ادوار التاريخ مجرى ثابتا • وانما اتخذ عدة مجارى ، جاور البعض منها حافة الصحراء وابتعد البعض الاخر عنها نحو الشرق كثيرا تارة وقليلا تارة اخرى • ويبدو ان المجرى المتطرف لنهر الفرات نحو الغرب قريبا من حافة الصحراء (يمثله بدرجة كبيرة مجرى شط الهندية الحالى وامتداده فى بحر الشنافية وفى شط العطشان)[٢٥] ، كان موضع هذا النطاق

(٢٤) راجع (٢٠٧ - الجزء الثانى) صحيفة ٤٣٥ • و (١٥٦) صحائف ٦-٧ •

(٢٥) راجع (٥٢) صحيفة ٦٣ •

الثالث • وهو على هذاالاساس لا يكون اقدم المجارى التى اتخذها نهر الفرات لنفسه وان كان اقدمها من الناحية التاريخية • اما اقدمها على وجه الاطلاق فيبدو انه كان يقع على مسافة كبيرة نحو الشرق(٢٦) • وربما يمثله المجرى الذى تحول اليه الفرات فى القرون الاولى من العصر التاريخى ، والذى يمثل مجرى شط النيل الحالى وكذلك مجرى شط الكار اجزاء منه(٢٧) •

ولا شك فى ان اتخاذ نهر الفرات لمجراه الحالى عند حافة الصحراء وبالرغم مما هو مشاهد من ان الانحدار العام للسطح يتجه منها نحو داخل السهل الفيضى ، يعتبر ظاهرة غير طبيعية ، ولابد لها من سبب • وليس ببعيد الاحتمال ان يكون هذا السبب هو ان المجرى الحالى يقع فى المنطقة التي نالت اقل نصيب من الرواسب من فيضانات المجرى الاقدم لنهر الفرات من جهة الشرق ومن فيضانات الانهر والجداول القديمة من جهة هضبة بلاد العرب من جهة الغرب •

وفيما سبق ، اشرنا الى ان اقدم المجارى التاريخية لنهر الفرات كان يتبع بدرجة كبيرة المجرى المتطرف نحو الغرب عند حافة الصحراء وهو الذى يمثله مجرى شط الهندية الحالى • ومعنى ذلك انه عند ما بدأ تعمير سهل العراق بأصحاب اقدم حضاراته (حضارة العبيد) لم يكن يوجد من اراضى السهل الفيضى فى غرب نهر الفرات الا نطاق ضيق كما انه غير متصل • اى أن الفرصة لم تكن كبيرة لتعمير سهل العراق ببعض العناصر المتحضرة بحضارة الاستقرار من الشعوب السامية التى تسكن فى بعض جهات شبه الجزيرة العربية • ويتفق هذا مع ما هو معروف من ان اصحاب حضارات عصر ما قبل التاريخ فى سهل العراق قد جاءوا اليه من جانب الهضاب الشمالية • وسنتعرف بعد قليل على المداخل التى جاءوا منها(٢٨) • اما عندما

---

(٢٦) راجع (٣٥) صحائف ١٦٢ وما بعدها وعلى الاخص ١٦٥ •
(٢٧) راجع (١٥٦) صحائف ٨ وما بعدها •
(٢٨) راجع فى الجزء الثانى موضوع « التطور التاريخى » •

بدأ العصر التاريخى او بعد بدئه بقليل فان نهر الفرات قد تحول من المجرى المتطرف نحو الغرب الى المجرى المتطرف نحو الشرق (اى الذى يمثل شط النيل وشط الكار بعض اجزائه) • وباضمحلال المجرى الغربي ، اصبح قسم كبير من داخل سهل العراق يتصل اتصالا مباشرا بارض الجزيرة العربية • وبهذا توفرت الفرصة لتعمير هذا القسم ببعض الشعوب السامية من الجزيرة العربية • وتنبغى الاشارة الى ان هذه الفرصة كانت متوفرة فى القسم الشمالى الغربى من السهل الفيضى ،كماكانت متوفرة ايضا فىالقسم الجنوبى الغربى منه • ومع ذلك فقد اضحى معروفا ان شعوبا سامية عرفت باسم الاكايين كانت تتركز فى القسم الشمالى الغربى ، بينما تركزت شعوب اخرى غير سامية عرفت باسم السومريين فى القسم الجنوبى الغربى •

وسنشير الى بعض اسباب ذلك عند الكلام على النطاقات العرضية للمنخفضات • كما سنشير الى بعضها الاخر عند الكلام على اختلاف المستويات فى الاجزاء المتقابلة من وادى دجلة ومن وادى الفرات •

واما فيما يتعلق بالنطاقات الثلاثة العرضية للمنخفضات ، فان اولها يقع عند رأس السهل الفيضى ويقع ثانيهما حول منتصفه بينما يقع الثالث فى جنوبه • ويتمثل النطاق الاول فى منخفض بحيرة الشارع فى شرق نهر دجلة ، وفى منخفض عقرقوف فى ارض ما بين النهرين ، وفى منخفض بحيرة الحبانية فى غرب نهر الفرات • ويحتمل تكوين هذه المنخفضات اكثر من احتمال واحد • فاذا لاحظنا ان هذه المنخفضات تقع عند حافة التكوينات القديمة نسبيا فانه يمكن القول بأنها أحواض تكتونية ، أو بأنها احواض تعرية حدثت بفعل الرياح فى تكوينات هشة او بفعل المياه الباطنية فى تكوينات جيرية قابلة للاذابة • ويبدو تكوين بحيرة الحبانية بواحد من هذين الاحتمالين اكثر قبولا ، وذلك بسبب موقعها فى داخل تلك لتكوينات • اما المنخفضان الاخران فانهما يقبلان احتمالا ثالثا • وهو ان يكون كل منهما منطقة متخلفة عن الارساب • ذلك لانه يلاحظ ان منخفض بحيرة

الشارع فى داخل حوض مثلث الشكل يكون الجانب الايسر لنهر دجلة ضلعه من جهة الغرب ويكون الجانب الايمن لشط العظيم ضلعه من جهة الشرق ، اما قاعدته فتقع فى جهة الشمال ويكونها امتداد نطاق سلسلة تلال حمرين ، بين شط العظيم وبين نهر دجلة • ويلاحظ ان سلسلة تلال حمرين تحجز تصريف المياه من جهة الشمال نحو هذا المنخفض وتحولها عند سفوحها الشمالية نحو شط العظيم وكذلك نحو نهر ديالى عن طريق رافده – نارين تشاى (٢٩) •

اما فيما يتعلق بمنخفض عقرقوف (٣٠) فيلاحظ ان فى مقابله يتحول اتجاه نهر دجلة من جهة جنوب الجنوب الغربى الى جهة الجنوب الشرقي ، كما يتحول فى مقابله ايضا اتجاه نهر الفرات من جهة جنوب الجنوب الشرقى قليلا الى جهة الجنوب • ويبدو ان اسباب هذا التحول ترجع الى تدخل بروزات من التكوينات القديمة فى ارض الجزيرة نحو وادى دجلة من جهة ونحو وادى الفرات من جهة اخرى. • ومهما يكن السبب الحقيقى فى تكوين هذه المنخفضات ، فيبدو انها كانت فى الماضى اعظم اتساعا مما هى الان • وبالنظر الى وقوعها عند رأس السهل الفيضى وتكتنف اتجاهاته نحو الصحراء السورية ونحو داخل ارض الجزيرة وكذلك نحو اقليم الجبال والمقدمات الجبلية فى شرق المجرى الاوسط لنهر دجلة ، فان خطوط المواصلات التى تربط بين سهل العراق من جهة وبين هذه الاتجاهات من جهة اخرى ، لابد انها كانت محددة بدرجة كبيرة على ضفاف نهر الفرات وعلى النطاق الصحراوى الذى يكتنفه من جهة الغرب ، وكذلك على ضفاف نهر دجلة وعلى ضفاف رافديه شط العظيم ونهر دياله • اما النطاق الثانى

---

(٢٩) انظر الخريطة رقم ٩ •

(٣٠) تقدر مساحة المنخفض بنحو ٦٠٠ كم مربع عند مستوى ٣٤ مترا ، ويعلو هذا المستوى عن مستوى القاع بنحو ٣ أمتار • راجع (٣٥) صحائف ٥–٦ •

من النطاقات العرضية للمنخفضات فانه يمتد فى القسم الاوسط من سهل العراق بين مقدمات سفوح مرتفعات هضبة ايران وبين مقدمات هضبة بلاد العرب • ويتمثل في هور الشويكة فى شرق نهر دجلة ، وفى هور دلماج ومنخفض عفك فى ارض ما بين النهرين ، وفى منخفضات الشامية بين الكفل وبين السماوة او كما تسمى باهوار الفرات الاوسط (٣١) ، فيما بين شط الحلة وبين حافة الصحراء • ويبدو ان هذا النطاق من المنخفضات كان متصلا فيما بين شرق دجلة وبين غرب شط الحلة • وانه كان يمثل فى بدأ العصر التاريخى مستنقعا كبيرا يفصل بين ارض سومر فى جنوبه وبين ارض أكاد شماله (٣٢) • وهو الذى اشتهر باسم الاهوار البابلية • ومما هو جدير بالملاحظة ان الخريطة الاركيولوجية لا تشير الى قيام مراكز هامة للعمران فى موقع هذا المستنقع فيما عدا اثار مدينة نيبور – Nippur (نفر) ، عند حافة منخفض عفك الحالى • وسنرى فيما بعد ان وجود هذا المستنقع سيفسر لنا بعض ظاهرات اخرى غير طبيعية فى التاريخ القديم لسهل العراق • اما تكوين هذا المستنقع فيبدو انه قد حدث بتأثير حركات المد والجزر (٣٣) •

وتحدث حركات المد والجزر فى كل بحار العالم ، ولكن قوتها وما يرتبط بها من تأثير تختلف باختلاف البحار واشكالها • فتكون ضعيفة فى وسط المحيطات ، كما هو المشاهد عند سواحل الجزر هناك • وتكون ضعيفة أيضافى البحار المغلقة كبحر البلطيق وكالبحر المتوسط كماهو المشاهد عندالسواحل المصرية الواقعة عليه • ولا تمنع الحركات الضعيفة للمد والجزر الانهار من

---

(٣١) انظر الخريطة رقم « ٣ » •

(٣٢) راجع مقارنا (١٥٦) صحيفة ١٢ •

(٣٣) راجع عن حركات المد والجزر وتأثيراتها ، (١٤٩) صحائف ٤٠٤ – ٤١٣ • و (١٥٧) صحائف١٣٨–١٥٦ • و (٢١٦) صحائف ٧٣٥–٧٤٨ • و (٢١٧) صحائف ٥٠٦–٥١٣ • و (١٥٤) صحائف ١١٧ وما بعدها • و (١٤٤) صحائف ٢٧٩ وما بعدها • و (٧٠) صحائف ١٧٧–١٨٩ • و (٢٢٠) صحائف ١٢٤–١٢٥ ، ٢٢٢–٢٢٩ و (١٥١) صحائف ١٠٩–١٢٨ •

تكوين دلتاوات عند مصباتها ، وذلك اذا لم تتدخل تيارات ساحلية قوية تكتسح الرواسب امامها • اما الحركات القوية للمد والجزر فترى عند المضايق وفى الاذرع المائية مثل الخلجان الطويلة والضيقة كالخليج العربى ، ومثل المصباب الواسعة لبعض الانهار كنهر التيمس • وعند ما تكون حركات المد والجزر قوية لا تستطيع الانهار ان تكون لها دلتاوات عند مصباتها • وذلك لان حركات المد القوية تثير الرواسب امام تلك المصبات وتنقلها حركات الجزر معها نحو الاعماق • وعلى الاخص اذا ساعدتها مياه مندفعة بقوة من مصبات الانهار ، كما يحدث من مصب شط العرب فى وقت الفيضان فى فصل الشتاء وفى فصل الربيع • على ان الاندفاع القوى لمياه الفيضان المحملة بالرواسب يضعفه تدريجيا عامود الماء فى الخليج • كما تضعفه أيضا مقاومة موجه المد • وتنبغى ملاحظة انه بدوره يضعف كذلك من قوة هذه المقاومة • وعند المنطقة التى تتعادل عندها قوة تيار مياه النهر من جهة مع قوة عامود الماء وحركة المد من جهة اخرى يكون الماء ساكنا او ضعيف الحركة • وعندها يترسب مقدار كبير من الرواسب التى يحملها تيار النهر • وتكون هذه الرواسب بمرور الزمن شطوطا تعلو تدريجيا حتى تصبح خطرة على الملاحة ، كما هو الحال فى الوقت الحاضر امام مصب شط العرب • ومن الطبيعى ان نتوقع ارتفاع هذه الشطوط على سطح الماء وتكوين جزء جديد من اليابس •

ولا يقتصر تكوين الشطوط عند هذه المنطقة التى اشرنا اليها ، بل تتكون ايضا فى منطقتين اخريين • وتوجد كل منهما حيث تسكن المياه او تضعف حركتها بسبب تعادل قوة المد مع قوة موجة الجزر • فانه بالرغم من ان حركة المد وحركة الجزر تتلو الواحدة منهما الاخرى فى دورة ولكل منهما زمن

خاص يبلغ نحو ست ساعات وبعض الساعة ، الا ان كلا منهما ايضا ليست مستقلة عن الاخرى تمام الاستقلال • وذلك بسبب ان القوة الطردية لموجة كل منهما لا تقف عند نهاية زمن حركتها ، بل تأخذ بعض الوقت من زمن الحركة التالية لها • فمثلا عند ما ينتهى زمن حركة المد ويبدأ زمن حركة الجزر لا تكون موجة المد قد توقفت فعلا ، بل ان قوتها في المياه العميقة تستمر صاعدة نحو الساحل فى الوقت الذى تكون فيه موجة الجزر متقدمة من الساحل نحو الاعماق • ويحدث مثل ذلك عند ما ينتهي زمن الجزر ويبدأ زمن حركة المد • فان موجة الجزر لا تكون قد توقفت فعلا ، بل انها تستمر نازلة نحو الاعماق بقوتها التى بدأت بها عند الساحل فى الوقت الذى تكون فيه موجة المد متقدمة من الاعماق نحو الساحل • ومعنى ذلك انه توجد منطقتان تتعادل عند كل منهما قوة موجة المد مع قوة موجة الجزر ، وعند كل منهما تسكن حركة الماء او تهدأ فيزداد الارساب • واحدى هاتين المنطقتين تكون على مقربة من الساحل بينما تكون الاخرى بعيدة عنه •

ومن المنتظر ان تكون تكوينات المنطقة الاولى (القريبة من الساحل) من الرواسب الخشنة فى بادىء الامر وتتلوها تكوينات من الرواسب الدقيقة ثم من الرواسب الناعمة ، وهى التى تغطى قمتها عند ظهورها فوق سطح الماء • اما تكوينات المنطقة الاخرى (البعيدة عن الساحل) فتكون من الرواسب الدقيقة والناعمة • ومن الطبيعى ان يرتفع بمرور القرون مستوى الرواسب حتى تظهر فوق سطح الماء ، الا ان المتوقع ان يبدأ ظهور المنطقة القريبة من الساحل اولا ، بسبب قربها من مصدر الارساب ، وبسبب كونها ايضا منطقة تكوين الشطوط الرملية حيث تتعادل قوة تيار النهر من جهة مع قوة عامود الماء وحركة المد من جهة اخرى • وعند ما تظهر على سطح الماء فى الاذرع المائية المحددة كالخيج العربى فانها تحصر بينها وبين الساحل بحيرة مالحة

مقتطعة من هذا الخليج [٣٤] لا تلبث ان تتحول تدريجيا الى ناحية العذوبة بما ينصب فيها من مياه الانهار • كما انها فى بادىء الامر تأخذ في الامتلاء سريعا بالرواسب مما ينصب فيها مع مياه الفيضانات • ولكن المياه العذبة بعد ان تتصفى فيها بعض التصفية تكون سريعة وتزداد قوتها على النحت • ولهذا لا تلبث ان توسع منافذها خلال الارض الجديدة ، حديثة التكوين ، فاتحة بذلك بابا او ابوابا لوصول تأثيرات حركات المد والجزر اليها مما يضعف حركة الارساب فيها • ولهذا تبقى مثل هذه البحيرة مدة طويلة دون ان تمتلىء بالرواسب حتى تنفصل عن البحر تماما بظهور رواسب المنطقة الثانية على سطح الماء وتحل محلها فى التأثر بحركات المد والجزر بحيرة اخرى متخلفة • وهكذا تتكرر الدورة •

وهناك احتمال كبير فى ان يكون سهل العراق قد تكون فى الخليج البلايوسيني بهذه الطريقة • اذ تتوفر الاسباب المؤيدة اليه • وذلك اذا اعتبرنا ان الظروف القديمة فى هذا الخليج تشبه الظروف الممثلة حاليا فى الخليج العربى • فان هذا الخليج الذى يمثل الجزء الباقى من الخليج البلايوسيني ضيق وضحل [٣٥] كما ان حركات المد والجزر فيه متوسطة القوة • اذ ترتفع موجة المد عند الساحل الى اكثر بقليل من ثلاثة امتار (يلاحظ ان ارتفاع

---

(٣٤) يذكر الدكتور احمد سوسه فى معرض حديثه عن تكوين منطقة البصرة انه قبل الالف الاول قبل الميلاد كانت انهر كارون ودجلة والفرات تصب رأسا فى البحر ، فهذه الانهار ونهر كرخه ونهر الجراحى فى بلاد ايران ووادى البطن فى جزيرة العرب كانت تأتى بكميات كبيرة من الطمى والاتربة الى البحر فيدفعها المد الى الوراء ويضطرها الى الترسب فى قعر البحر بالقرب من مصب تلك الانهار • وهكذا اخذت الجزر تتكون فى البحر بالقرب من الساحل وبينها الخلجان والبحيرات فانسحب البحر الى الجنوب ٠٠٠٠ راجع هذا فى كتابه (٣٥) صحيفة ١٢٢ ؛ وراجع ايضا فى نفس المرجع الرسم رقم « ٥ » مقابل صحيفة ١٧٤ •

(٣٥) راجع فيما يلى موضوع « منافذ العراق نحو عالم الخليج العربى وما وراءه » •

موجة المد فى البحر المتوسط لا تتجاوز بضع بوصات) ويمتد تأثيرها مسافة ما أعلى بلدة القرنة [٣٦] • وفضلا عن ذلك فان الخليج العربى يخلو من التيارات [٣٧] التي تساعد حركة الجزر فى جرف ما يتجمع من الرواسب امام السواحل • وليس هناك ما يدعو الى عدم قبول هذا الاحتمال • وعلى الاخص لان بعض ظواهر دورة التكوين ملموسة فى الوقت الحاضر • فامام مصب شط العرب وعلى مسافة بضع كيلو مترات من الساحل ارتفعت الرواسب وكونت حاجزا ضخما يعرف باسم حاجز الفاو (نسبة الى ثغر صغير للعراق يقع عند مصب شط العرب) • ولا ينخفض سطح هذا الحاجز عن مستوى سطح الماء فى وقت الجزر بأكثر من نحو ثلاثة أمتار • ولهذا كانت السفن التى يتجاوز غاطسها هذا القدر لا تستطيع الصعود الى شط العرب او النزول منه الا مع موجة المد • وذلك قبل ان تشق فى هذا الحاجز قناة ملاحية ، تعرف باسم قناة روكا وتتولى تطهيرها وقيادة السفن خلالها ادارة ميناء البصرة • وفيما بين هذا الحاجز وبين الساحل يوجد نطاق من الخليج اكثر عمقا • وسوف يكون بحيرة متخلفة عندما يعلو سطح هذا الحاجز فوق الماء [٣٨] •

واذا صح ان سهل العراق قد تكون بهذه الطريقة [٣٩] ، يمكن القول ان القسم الواقع منه بين الفلوجه وبين الحلة فى وادى الفرات وبين جنوب بغداد

---

(٣٦) يمتد تأثير المد فى نهر دجلة الى قرية عبدالله بن على التى تقع على مسافة تبلغ نحو ٢٨٠ كم ٠ من مصب شط العرب ٠ ويمتد فى نهر الفرات خلال هور الحمار مسافة تبلغ نحو ٢٩٨ كم ٠ منه ٠ راجع (٣٤) صحائف ٣٤_٤٣ ٠ وراجع ايضا (٢٣٤) صحيفة ٣٥ ٠

(٣٧) راجع (٢٥٩) صحيفة ٦ ٠

(٣٨) راجع (٧٨) صحائف ٢٠ ، ٥٥ _ ٦٠ ، ٦٧ ، ٧٢ ٠ و (٧٥) صحائف ١٢٠_١٢١ ٠ و (١٧٤) صحائف _ ٢٠٠ ٠ و (٦٣ الجزء الاول) صحائف ١٩_٢٠ ٠

(٣٩) راجع (٦٤) صحائف ١٤٣_١٤٥ ٠

وبين العزيزية فى وادى دجلة ، كان اول ارض من سهل العراق ظهرت فى الخليج القديم ، ويمكن تسميتها مع بعض التجاوز باسم ارض أكاد .
وهى تمثل المنطقة الاولى القريبة من الساحل التى تكونت فيها شطوط رملية ، والتى ازداد عندها الارساب بسبب تعادل القوة الطاردة لموجة المد مع موجة الجزر . اما المنطقـــة الثانية البعيدة عن الســـاحل والتى ازداد الارساب فيها لســـبب تقابل القـــوة الطاردة لموجة الجزر مع موجـــة المد ، فقد ظهرت بعدها وكونت فى القسم الجنوبي من سهل العراق ، نطاق اليابس الذى ظهرت فيه الحضارة السومرية . وفيما بين ارض اكاد وبـين اليابس القديم حول رأس هذا الخليج القديم (الخليج البلايوســـينى) ، تخلفت بحيرة اخذت تمتلاء بالرواسب تدريجيا ، ولا تزال آثارها ممثلة فى منخفض بحيرة الشارع فى شرق نهر دجلة وفى منخفض عقرقوف فيمـــا بين هذا النهر وبين نهر الفرات . ومما هو جدير بالملاحظة ان اقـــدم آثار العمران عثر عليها فى موضع هذه البحيرة القديمة ، هى خرائب مدينـــــة دور ـ كوريجالزو ـ Dur - Kurigalzu . وتدل نسبتها الى العصر الكاشى (١٧٤٦ – ١١٧٠ ق.م) على ان منطقتهـا قد اســـتمرت مـدة طويلـــة غير صالحة لان تجارى الحضارات الراقية التى قامت فى ارض سومر وفى ارض اكاد . اما فيما بين ارض اكاد وبين ارض سومر فقد تكونت بحيرة ، تمثل الجزء المنخفض بين المنطقة الاولى التى ازداد الارساب فيها بالقرب من الساحل وبين المنطقة الثانية التى ازداد الارساب فيها بعيدا عنه . وقد عرفت هذه البحيرة في التاريخ القديم باسم الاهوار البابلية ، وسماها كتاب الاغريق بالودس بابلونيا[٤٠] ـ Paludes Babyloniae . ومما تجدر ملاحظته ان موضع هذه البحيرة الذى يمثل القسم الاوسط من سهل العراق فيما بين

---

(٤٠) راجع (٦٤) صحائف ١٢١ – ١٢٣ ، ١٧٦ – ١٧٧

مراكز الحضارة السومرية فى جنوبه وبين مراكز الحضارة الاكاديـــة فى شماله ، لا يتضمن آثار لمدن قديمة هامة عدا آثار مدينة نيبور (نفر الحالية) .

ويلاحظ فى تاريخ هذه المدينة طابع خاص . ذلك لانها بالرغم من شهرتها المدوية فى التاريخ القديم لم تكن مثل غيرها من المدن الاخرى ، ذات مطامع اقليمية . كما أن فيها لم تقم اسر ملكية بالرغم من أن الهها انليل ـ Enlil كان فى نفس الوقت الها عالميا فى سهل العراق ، يعترف به سكان قسمه الشمالى كما يعترف به سكان قسمه الجنوبى[٤١] .

ويقع النطاق الثالث من النطاقات العرضية للمنخفضات فى جنوب ارض سومر . وهو لا يزال يكون فى الوقت الحاضر منخفضا واسعا تشغل بعض اجزائه برك وتشغل الاخرى مستنقعات . وتزداد مســـاحته كثيرا فى وقت الفيضان ويكون بحيرة كبيرة ، ويشتهر حاليا باسم هور الحمار[٤٢] . أما فى التاريخ القديم ، فكان يعرف باسم الاهوار الكلدانية . ويتصل هذا المنخفض بمنخفض آخر يشبهه في ظواهره ، ويقع فى شرق نهر دجلة وكذلك فى شرق القسم الاعلى من شط العرب . ويشتهر حاليا باسم هو الحويزه ، ولكنه كان فى التاريخ القديم يعرف باسم اهوار سوسيانا[٤٣] ـ (نسبة الى سوسة حاضرة علام) .

ويمثل هذا النطاق البحيرة الاولى التى تخلفت عند الســـاحل[٤٤] (عند بدأ تكوين دورة جديدة) . كما يمثل نطاق اليابس الواقع فى جنوبـه

---

(٤١) راجع فى الجزء الثانى صحائف ٢٦ – ٢٧ .

(٤٢) تطلق كلمة هور بصفة عامة على المنخفض الذى تشغله مستنقعات ، الا ان المناطق الاكثر عمقا منه تتميز بتسمية بركة .

(٤٣) راجع (٢٤٦) صحيفة ٤٩٢ . و (٢٤٧) صحيفـــة ٤٩٦ . و (٦٤) صحيفة ١٨١ .

(٤٤) راجع مقارنا (٥٢) صحيفة ٥٤ .

وعلى جانبي شط العرب المنطقة الاولى القريبة من الساحل والتي ازداد الارساب فيها بسبب تعادل موجة الجزر عندها مع القوة الطاردة لموجة المد • وعند ما يظهر على سطح الخليج نطاق حاجز الفاو يكون قد كمل تكوين دورة ثانية ، تشبه الدورة الاولى التي كمل بها تكوين سهل العراق القديم او سهل بابل ، وهو الذي كان يتضمن ارض أكاد وارض سومر فقط •

ويميل بعض الباحثين الى ارجاع سبب ظهور الارض الحديثة على جانبي شط العرب الى الرواسب التي حملها نهر كارون من جهة هضبة ايران ، والى الرواسب التي حملها وادي البطن من جهة الجزيرة العربية[٤٥] • الا ان هذا الرأى تبدو به بعض المبالغة ، ذلك لان المعروف ان نهر كارون لم يكن يتجه دائما نحو شط العرب ، وانما كان في في بعض الاحيان يتجه مباشرة نحو الخليج العربي ويصب فيه رأسا ، في رأس خليج موسى[٤٦] ، وان المجرى الحالي نحو شط العرب حديث يرجع الى منتصف القرن الثامن عشر ولا يزال يعرف باسم الحفار[٤٧] • ومن المعروف ايضا ان وادي البطن ينبع من منطقة تقع جنوب خط عرض ٢٥ درجة شمالا تقريبا ، اى في المنطقة الانتقالية بين الصحراء وبين المنطقة التي كانت تسقط فيها امطار غزيرة نسبيا اثناء العصور المطيرة • ومع ذلك فانه لا يمكن انكار تأثير رواسب نهر كارون ووادي البطن في عرقلة التصريف الحر لرواسب فيضانات نهر دجلة ونهر الفرات • وكذلك في مساعدة حركات المد والجزر على الاسراع في رفع هذه الارض الجديدة فوق سطح الخليج العربي •

ولا يمكن الجزم بالوقت الذي ظهرت فيه هذه الارض على سطح

---

(٤٥) راجع (٢٦٢) صحيفة ٥١١ • وراجع أيضا (٥٢) صحائف ٤٨–٤٩، (٣٥) صحائف ١٧٣–١٧٤ •

(٤٦) انظر الخريطة رقم « ٣ » •

(٤٧) راجع (٥٢) صحيفة ٥١ • و (٥٠) صحيفة ١٤٧ • و (٨٦ الجزء الاول) صحيفة ١٩٩ •

الماء ، ولكن المعروف انها كانت في اوائل الالف الثاني قبل الميلاد مقرا لشعب عرف في التاريخ القديم باسم شعب القطر البحري[٤٨] ، استمر شوكة في جنب الدول والحكومات التي قامت في سهل العراق حتى تمكن من السيطرة عليه في اواخر القرن السابع قبل الميلاد وظهر على مسرح التاريخ باسم الكلدان •

والخلاصة انه عند ما بدأ تعمير سهل العراق بالسكان كان القسم الشمالي منه يتضمن منطقتين • تكون المنطقة الشمالية منه بقايا بحيرة آخذة في الامتلاء ، وتكون المنطقة الجنوبية منه سهلا فيضيا خصبا ظهرت فيه الحضارة الاكادية • اما القسم الاوسط من سهل العراق فكان يشغله مستنقع كبير اخذت بعض اجزاؤه تمتلىء بالرواسب تدريجيا ، وعلى الاخص بعد ان تحول نهر الفرات في بدء العصر التاريخي من مجراه المتطرف نحو الغرب الى مجرى آخر متطرف نحو الشرق (الذي يكون مجرى شط النيل ومجرى شط الكار بعض أجزائه) • واما القسم الجنوبي فكان يكون نطاقا سهليا خصبا ظهرت فيه الحضارة السومرية • وفي جنوبه كانت تمتد بحيرة عظيمة الاتساع ، بين مقدمات مرتفعات هضبة ايران من جهة وبين مقدمات هضبة بلاد العرب من جهة اخرى ، وتفصل بينه وبين ارض حديثة التكوين على جانبي شط العرب •

---

(٤٨) قارن الدكتور احمد سوسه الذي يذكر ان المعلومات التاريخية تدل على ان ساحل البحر كان في اوائل الالف الاول قبل الميلاد يسير شرقي الحويزة وقلعة صالح ثم يمتد في موازاة الجبال في الاتجاه الشمالي الغربي ، وبعد ذلك ينعطف الساحل البحري نحو الجنوب الغربي فيقطع شط الغراف في جنوب الشطرة ويمتد الى شرق الناصرية تاركا مدينتي اور واريدو في الجهة الغربية ثم يغير اتجاهه فيسير نحو الجنوب ويستمر في اتجاهه هذا حتى يصل منتهى خليج الكويت ، وهذا يدل على ان بلاد خوزستان ولواء البصرة جميعه وقسما من لواء المنتفك (اعنى قضاء سوق الشيوخ وقضاء الجبايش) كانت في تلك الازمنة تحت الماء راجع كتابه (٣٥) صحيفة ١٧٢ • وراجع أيضا الخريطة رقم « ٣ » •

ويبدو مما تقدم ، انه عند ما بدأ تعمير سهل العراق بالسكان كان يتضمن حواجز طبيعية تتمثل فى منخفضات يشغل بعضها بحيرات ويشغل بعضها الاخر مستنقعات • وتفصل هذه الحواجز بين بعض اجزائه وبين البعض الاخر ، كما تفصل من بعض الاتجاهات بينه وبين العالم الخارجى • فمثلا اذا اخذنا النطاق الشمالى من اليابس الذى ظهرت فيه الحضارة الاكادية ونظرنا الى اتجاهاته ، نجده يتصل من جهة الغرب بالجزيرة العربية كما يتصل بالصحراء السورية ولا يفصل بينه وبينها الا مجرى الفرات • وعند ما تحول الفرات من مجراه المتطرف نحو الغرب الى مجراه المتطرف نحو الشرق فى اوائل العصر التاريخى اصبح القسم الغربى من سهل العراق يتصل اتصالا مباشرا بالجزيرة العربية وبالصحراء السورية • وقد نتج عن ذلك ، كما سنرى فى الفصل الثالث ، ان جاء تعميره من قبل العناصر السامية وتركز فى القسم الغربى منه المراكز القديمة للعمران السامى • اما من جهة الشمال الغربى ومن جهة الشمال فان منخفض عقرقوف يعرقل السير المباشر للاتصالات بينه وبين داخل أرض الجزيرة ، كما يعرقل منخفض بحيرة الشارع سير هذه الاتصالات بينه وبين منطقة الجبال والمقدمات الجبلية فى شرق المجرى الاوسط لنهر دجلة • وبسبب ذلك يتحول سير الاتصالات نحو داخل أرض الجزيرة الى النطاقات الجافة التى تكتنف هور عقرقوف والتى يمثلها من جهة الغرب الجانب الايسر لنهر الفرات ، ويمثلها من جهة لشرق الجانب الايمن لنهر دجلة • ويتحول كذلك سير الاتصالات نحو منطقة الجبال والمقدمات الجبلية الى النطاقات الجافة التى تكتنف منخفض بحيرة الشارع والتى يمثلها من جهة الغرب الجانب الايسر لنهر دجلة ويمثلها من جهة الشرق الجانب الايمن لشط العظيم • وأما من جهة الشرق ، فلا يوجد من الناحية النظرية ، ما يمنع الاتصال الحر بينه وبين هضبة ايران عن طريق بوابة زاجروس ووادى نهر ديالى • الا أن موقع وادى دجلة فى هذا النطاق حيث ينحدر السطح نحوه سريعا من جانب وادى الفرات من

جهة ومن جانب هضبة ايران من جهة أخرى ، يدعو الى الشك فى صلاحيته لان تسير الاتصالات عبره بين الشرق وبين والغرب • ومن الملاحظ أن منطقة بغداد لا تزال معرضة للغرق حتى الوقت الحاضر سواء من جهة وادى الفرات أم من جهة وادى دياله • وهى كذلك معرضة للغرق من جهة نهر دجلة فى امتداده الذى يقع فوقها (قبل أن ينفذ مشروع الثرثار أخيرا) • ومع ذلك تجدر الاشارة الى أن مجرى نهر دجلة وكذلك مجرى نهر الفرات (المجرى المتطرف نحو الشرق) ، كان كل منهما يكون فى حد ذاته حاجزا يقف في وجه هجرات الشعوب الجبلية من هضبة ايران وما جاورها نحو القسم المعمور من سهل آكاد ، وهو القسم الشمالى الغربى منه • بينما تكون الضفة اليسرى من نهر دجلة ، ما لم تتقطع خلال منطقة الاهوار الوسطى (الاهوار البابلية) ، طريقا طبيعيا ينتهى بهذه الهجرات الى أرض سومر •

وفيما يتعلق بالاتصالات بين أرض آكاد وبين أرض سومر (أى بين نطاق اليابس الشمالى لسهل العراق وبين نطاق اليابس الجنوبى منه) فيبدو أن هذه الاتصالات قد جرت على حافة الصحراء ، ثم استخدمت مجارى الانهار ومناطق المستنقعات بعد أن عرفت صناعة القوارب • وأخيرا استخدمت ضفاف الانهار بعد أن تحددت خلال مناطق المستنقعات • ويمكن أن نستنتج من موقع نيبور على الفرات وفى وسط المستنقعات الوسطى (الاهوار البابلية) ومن تاريخها ذى الطابع الخاص ، بأنها كانت تسيطر على حركة الاتصالات التى كانت تجرى خلال هذه المستنقعات بين الاكاديين من جهة وبين السومريين من جهة أخرى (٤٩) • والخلاصة أن ظاهرات السطح التى اكتنفت سهل آكاد عند بدء تعميره بالسكان كانت توجه معظم اتصالاته نحو عالم الجزيرة العربية وكذلك نحو العالم السورى •

---

(٤٩) راجع فيما يلى فى « الجزء الثانى » صحائف ٢٦-٧ •

أما اذا أخذنا نطاق اليابس الجنوبي الذي ظهرت فيه الحضارة السومرية ونظرنا الى اتجاهاته ، فاننا نلاحظ أن ظروف اتصالاته مع الجزيرة العربية ومع العالم السوري تختلف بعض الاختلاف عن سهل أكاد بهما • فيلاحظ من جهة أن نهر الفرات في أرض سومر يميل الى أن يأخذ لنفسه مجرى قريبا من حافة الصحراء لسبب أن مستوى سطح السهل الفيضي في هذا الجزء ينحدر من الشرق نحو الغرب • ويلاحظ من جهة أخرى أن سهل أكاد، لموقعه نحو الشمال ، يسبق سهل سومر في استقبال الهجرات الآتية عن طريق الوادي الاوسط لنهر الفرات ، من العالم السوري • وهذه الهجرات ، وان كان لا يمكن الجزم بأنها كلها من العناصر السامية الا أن أغلبها كان منها على ما يبدو • ولهذا تفوقت الصبغة السامية في سهل اكاد عنها في سهل سومر • وسنرى فيما بعد بعض أدلة تؤيد أيضا حدوث اتصالات بين العناصر السامية في الجزيرة العربية وبين العناصر السومرية في سهل سومر ، منذ فجر التاريخ ، وعلى الاخص في مدن هذا السهل التي تشرف على الصحراء مثل أور والعبيد • الا أنه بالرغم من امكان حدوث بعض الاتصال بين سهل سومر وبين الجزيرة العربية فان المعروف أن معظم سكان هذا السهل لم يكونوا من العناصر السامية بل كانوا من عناصر أخرى هاجرت اليه من جهة الهضاب الشمالية •

وليس بغريب أن يكون تعمير سهل سومر بمعظم سكانه قد حدث من جانب الهضاب الشمالية • لاننا اذا اعتبرنا أن نهر دجلة كان يصب في منطقة الناصرية في بدء العصر التاريخي ، نجد أن الفرصة كانت متوفرة أمام بعض شعوب هضبة ايران وكذلك بعض شعوب منطقة الجبال والمقدمات الجبلية في شمال سهل العراق ، للوصول الى سهل سومر • وذلك اذا سلكت الجانب الشرقي من وادي هذا النهر • وكذلك كانت تتوفر مثل هذه الفرصة أمام الشعوب التي تسكن في منطقة سهل نهر كارون عند سفوح مرتفعات هضبة ايران • وذلك لان نطاق اليابس الجنوبي ، والذي يكون سهل سومر

جزءا منه ، يمتد نحو الشرق دون عائق ويصل بين هذا السهل وبين المناطق التي تسكنها هذه الشعوب • وفضلا عن ذلك فان المياه الهادئة في البحيرة الجنوبية (التي تتضمن الاهوار الكلدانية وأهوار سوسيانا) تكون حلقة أخرى للاتصالات بين سهل سومر وبين سهل سوسه (سهل نهر كارون)• وأما اتصالات سهل سومر مع الارض حديثة التكوين حول شط العرب ، فيمكن أن تحدث خلال الاهوار الكلدانية كما يمكن أن تحدث على حافة الصحراء • والخلاصة أنه ليس هناك ما يمنع من حدوث اتصالات بين سهل سومر وبين الجزيرة العربية ، الا أن أسهل اتصالات هذا السهل تتجه نحو الشرق ، أي نحو السفوح الجنوبية للهضاب الشمالية في الشرق الاوسط •

وأما عن ظاهرة اختلاف المستويات بين الاجزاء المتقابلة من وادي الفرات ومن وادي دجلة ، فانه يلاحظ أن مستوى امتداد وادي الفرات الواقع بين الفلوجه وبين الديوانية يعلو عن مستوى القسم المقابل له من وادي دجلة ، والواقع بين بغداد وبين الكوت • اذ بينما يبلغ الارتفاع عند الفلوجة حول ٤٠ مترا يبلغ عند بغداد حول ٣٤ مترا فقط • وبينما يبلغ الارتفاع عند الديوانية ١٩ مترا يبلغ عند الكوت حول ١٧ مترا • أما القسم الباقي من سهل العراق فانه يحدث العكس ، أي أن مستوى وادي دجلة يعلو عن مستوى القسم المقابل له من وادي الفرات ، فاذا اعتبرنا ارقام الكوت ، وهي المكان الذي يبدأ عنده تفرع نهر دجلة في اتجاه شط الحي (شط الغراف حاليا) بأرقام الناصرية التي ينتهي عندها هذا التفرع نجد أن الفارق كبير ، اذ لا يتجاوز مستوى الناصرية حول ٥ر٤ مترا فقط[٥٠] •

ويبدو أن ارتفاع مستوى وادي الفرات عن مستوى وادي دجلة في

(٥٠) راجع (٤٤) صحائف ١٤٧ ، ١٦٥ • و (٣٥) صحائف ٣ـ٤ • وراجع أيضا مقارنا (٢٥٧) صحيفة XIII .

القسم الشمالى من سهل العراق يرجع الى أن النهر الاول قد شق طريقه فى تكوينات قديمة كانت تعلو قليلا عن مستوى مياه الخليج القديم • وعند ما ارتفعت التكوينات الفيضية على السطح استمرت هذه المنطقة من وادى الفرات محتفظة بارتفاعها النسبى بسبب ما ترسب عليها من رواسب الفيضانات • وتبدو آثار هذه التكوينات القديمة على الضفة اليسرى لنهر الفرات فى الروابى القاحلة ، التى سبقت الاشارة اليها • وقد دلت بعض الابحاث على أن نهر الفرات أسفل مدينة هيت يجرى في مجرى واسع وكثير التعرجات ، ثم يضيق اتساعه نحو الفلوجه ويتضمن كثيرا من الجزر القاحلة ، وتبدو مياهه كما لو كانت تجرى فوق شلالات طبيعية[٥١] •

ويستنتج من ظاهرة ارتفاع وادى الفرات عن وادى دجلة فى القسم الشمالى من سهل العراق ، أن وادى الفرات كان أكثر صلاحية للسكنى ، لا لان تكوينه بسبب ارتفاعه قد سبق تكوين وادى دجلة فحسب ، وانما لان وادى دجلة بسبب انخفاضه كان مصرفا للمياه الزائدة من وادى الفرات • ولارتفاع مستوى وادى الفرات عن مستوى وادى دجلة بعض آثار • منها كثرة تعرض نهر الفرات لان يغير اتجاه مجراه من جهة الجنوب (اتجاه الانحدار العام لحوض العراق) الى جهة الشرق (اتجاه الانحدار من وادى الفرات الى وادى دجلة) • ومن المحتمل أن نهر الفرات قد استطاع فى أزمنة سابقة على العصر التاريخى أن يشق لنفسه طريقا خلال نقطة ضعف فى التكوينات القديمة التى تقع على جانبه الايسر ، وأن مياهه كانت تلتقى بمياه نهر دجلة فى منطقة بغداد أو فى جنوبها • وتبدو نقاط الضعف ، فى الوقت الحاضر فى مناطق واسعة تقع بين الروابي القاحلة ، كما هو الحال بين رابية الفلوجة وبين رابية ظهر المجسه ، وكذلك بين الرابية الاولى وبين التكوينات القديمة فى أرض الجزيرة • وخلال مناطق الضعف هذه ، تخرج فى الوقت الحاضر قنوات من نهر الفرات وتتجه نحو نهر دجلة ، ويعتمد

(٥١) راجع (٨٦) صحيفة ٥٤ • و (٢٥٧) صحيفة XX.

عليها القسم الشمالى من سهل العراق فى رى أراضيه ، وكذلك يعتمد عليها قسمه الاوسط • ومثل هذه القنوات كانت موجودة فى العصور الوسطى ، وكذلك كان مثلها موجودا فى العصور القديمة[٥٢] • ويرى بعض الباحثين أن مجارى بعض قنوات الرى الحديثة تتبع بدرجة كبيرة مجارى بعض قنوات العصور الوسطى ، وكذلك مجارى بعض قنوات العصور القديمة • ومن أهم القنوات التى يبدو أنهما اشتركت فى أدوار التاريخ الثلاثة قناتان • وتعرف احداهما باسم قناة الصقلاوية • ويرى سير وليام ويلكوكس أنها نهر حداقل الذى ورد ذكره فى التوراة على أنه أحد الافرع الاربعة للنهر الذى يسقى جنة عدن • ويذكر أن عرضه نحو ٧٦ مترا (٢٥٠ قدما) وعمقه نحو ٧٫٥ مترا (٢٥ قدما) وأنه كان باستطاعته أن يحمل الى نهر دجلة كميات من المياه تزيد عن نصف ما يستوعبه نهر الفرات[٥٣] • وقد عرف مجرى هذا النهر فى العصور الوسطي باسم نهر عيسى كما عرف باسم الصقلاوية فى العصور الحديثة • وقناة الصقلاوية تخرج من نهر الفرات وتتجه نحو نهر دجلة ، وتجتاز الثغرة الشمالية فى التكوينات القديمة على الجانب الايسر لنهر الفرات ، بين أرض الجزيرة وبين رابية الفلوجة ، ثم تمر فى منخفض عقرقوف وكانت تصب فى نهر دجلة جنوب مدينة بغداد بقليل[٥٤] • ويرتبط بهذه القناة بعض ظاهرات نجدر ملاحظتها :-

(٥٢) انظر بحثا مفصلا عن هذه القنوات فى (٣٥) صحائف ١-١١٠ • و(١٨٤) صحائف ٢٨٥ وما بعدها • و(٦٤) صحائف ١٦٢ ومابعدها • و (٨٦) صحائف ٥٤ وما بعدها •

(٥٣) راجع (٥٧) صحيفة ٢٢ • و (٣٥) صحائف ٥ ، ٢٧ وما بعدها •

(٥٤) كانت قناة الصقلاوية تصب فى نهر دجلة شمال بغداد حتى حول داود باشا مصبها جنوب هذه المدينة لتخفيف ضغط مياه فيضان هذا النهر عنها • راجع (٨٦) صحائف ٥٤ وما بعدها • و (٦٣ الجزء الثالث) صحيفة ٩٧ •

أ – اذا اعتبرنا أن هذه القناة تجتاز نقطة ضعف فى التكوينات القديمة على الجانب الايسر لنهر الفرات ، واعتبرنا كذلك ما سبقت الاشارة اليه عن انحدار السطح هناك من جانب وادى الفرات الى جانب وادى دجلة ، نجد احتمالا كبيرا فى أن تكون هذه القناة مجرى طبيعيا لنهر قديم وعلى الاخص اذا راعينا أيضا ما ذكره ويلكوكس عن اتساعها وعن عمقها وعن قدرتها على حمل أكثر من نصف مياه الفرات •

ب – اذا راعينا الاعتبار السابق ، ولاحظنا أن هذه القناة تجتاز الاجزاء الشمالية القصوى من السهل الفيضى فى كامل اتساعه ، ولاحظنا أيضا أنها تمر بمنخفض عقرقوف الذى كانت المياه لا تزال تغمره فى أوائل القرن العشرين ، استطعنا أن نجد وجها لتفسير بعض حوادث تاريخية معينة تتضارب الاخبار بشأنها كما تتضارب الآراء حول تفسيرها • وأعنى بها الحائط الميدى الذى أقامه بختنصر الكلدانى ، وكذلك البحيرة التي ينسب وجودها اليه بقصد حماية بابل[55] • وسنرى فى الفصل الثالث أن بختنصر كان متزوجا من ابنة ملك ميديا ، وان العلاقات بينهما كانت ودية ، ولم يكن فى الجغرافية السياسية للشرق الاوسط فى ذلك الوقت ما يدعو الى الخوف من الميديين او من غيرهم[56] حتى تقام مثل هذه التحصينات لحماية سهل بابل من جهة ارض الجزيرة • ونستطيع اذن ان نقول ان البحيرة هي منخفض عقرقوف ، وقد احاله بختنصر بحيرة ، كما يبدو لاول وهلة امام المؤرخ القديم ، او الى خزان بالنسبة الى الغرض منه ، تخزن فيه قسم مياه فيضان الفرات ، عن طريق قناة الصقلاوية ، لاستخدامها فى رى الزروع الصيفية • ولما كان هذا

---

(٥٥) راجع فى الجزء الثانى موضوع « الكلدان » • وراجع (٣٥) صحائف ١١–٢٧ • وراجع أيضا مقارنا (١٨٤) صحائف ٢٥٨ وما بعدها •

(٥٦) راجع فى الجزء الثانى موضوع « الكلدان » •

الخزان يقع فى الاجزاء الشمالية والمرتفعة نسبيا من السهل الفيضى وتسلط مياهه عليه ، كان من الطبيعى ان تقوى جسور قناة الصقلاوية لانها تمثل خط الدفاع الذى يحمى اراضى السهل الفيضى من طغيان المياه المخزونة ، عليها • ويلاحظ ان هذه المنشآت ،كما تخدم الاغراض المتعلقة بالرى والزراعة ، تخدم فى الوقت نفسه اغراض الدفاع والحماية عن سهل كلديا ايضا •

(ج) واذا راعينا ايضا الاعتبار الاول (آ) ، واضفنا اليه انه مقابل الصقلاوية، على الجانب الايمن لنهر الفرات يتحدد بين هذا الجانب وبين هضبة بوسينية ، تحدد وادى هذا النهر من جهة الصحراء العربية ، ممر ضيق ينبغى على الاتصالات ان تسلكه سواء اكان مقصدها نحو البحر المتوسط ام كان الخليج العربى[57] ، نستطيع ان نستنتج ان قناة الصقلاوية كانت قناة ملاحية عظيمة الاهمية[58] ، كما ان جسورها كانت صالحة لسير الاتصالات • وكذلك نستطيع ان نستنتج ان عند مأخذها من نهر الفرات او فى مقابله تتوفر عوامل لقيام مدينة تجارية هامة •

اما القناة الثانية فتعرف فى التاريخ باسم نهر ملكا[59] – Nahrmalcha. وعرفها بعض كتاب الاغريق باسم فلومن رجيوم – : Flumen Regium. وسماها كتاب العرب باسم نهر الملك • وتخرج هذه القناة من نهر الفرات وتجتاز القسم الشمالى من الثغرة الواسعة التى تفصل بين رابية الفلوجة وبين رابية ظهر المجسة ، وتتصل بنهر دجلة الى الجنوب بقليل من منطقة سلوكيا – طيسفون • ويتبع امتدادها فى الوقت الحاضر القسم الاعلى من قناة الرضوانية وكذلك القسمان الاوسط والادنى

---

(٥٧) انظر الخريطتين رقم ٣ ، ٦ •

(٥٨) راجع (٨٦) صحيفة ٣٣ •

(٥٩) راجع (٣٥) صحائف ٧٨–٨٨ •

من قناة اليوسفية • وتتضارب الاراء بشأن هذه القناة ، وهل مجراها طبيعى او صناعى • اما اذا اعتبرنا طبوغرافية السطح فليس هناك ما يدعو الى التردد في القول باحتمال كونها نهرا طبيعيا • وربما كانت فى وقت مـــا مجرى رئيسيا للفرات • ويبدو انها كانت كذلك فى العصر الاغريقى • اذ يصفهـا بعض كتاب هذا العصر بأنها كالفرات فى اتساعها • بينما يصف آخرون نهر الفرات بأن مياهه راكدة[٦٠] • واذا صح ذلك امكننا ان نجد ســـببا معقولا لنقل السلوكيين مركز حكمهم فى سهل العراق من بابل على نهـر الفرات الى سلوكيا على نهر دجلة • ويستدل من كتاب ذلك العصر وكذلك من كتاب العصر الرومانى بأن مجرى نهر الملك كان ملاحيا تصعد فيه سفن التجارة وتنزل• كما أن بعض اباطرة الرومان قداتخذوه طريقا لنقل اساطيلهم الحربية من مجرى الفرات لفتح سـلوكيا ـ طيفسـون • ويســتنتج مما تقدم بأن هذا العصر وكذلك من كتاب العصر الرومانى بأن مجرى نهر الملك كان ملاحيا تصعد فيه سفن التجارة وتنزل ، كما اتخذه بعض اباطرة الرومان طريقا لنقل اساطيلهم الحربية من مجرى الفرات لفتح سلوكيا ـ طيسفون • ويستنتج مما تقدم ، أن هذا النهر قد لعب خـلال بعض ادوار التاريخ القديم للعراق ، دورا هاما فى الناحيتين الاقتصادية والسياســية • ومن المحتمل ان يكون قد قام عند مأخذه من نهر الفرات او فى مقابله مدينة هامة كما قامت سلوكيا عند مصبه فى نهر دجلة[٦١] •

والخلاصة ، انه بسبب ارتفاع مستوى وادى الفرات عن مستوى وادى دجلة فى القسم الشمالى من سهل العراق ، تتوفر العوامل التى تساعد نهر الفرات على تغيير مجراه من جهة الجنوب الى جهة الشرق والجنوب الشرقى • كما تساعد السكان على شق قنوات نحو هذين الاتجاهين ايضا • وتخدم هذه

---

(٦٠) راجع (٦٤) صحائف ١٦٣ـ١٦٤ • و (٨٦) صحيفة ٥٦ •

(٦١) راجع (١٨٤) صحائف ٢٧٢ـ٢٧٣ •

القنوات اغراض الرى والزراعة كما تخدم اغراض المواصلات والتجارة • وذلك فضلا عن ادائها وظيفة خطوط الدفاع والحماية •

اما ظاهرة ارتفاع وادى دجلة فى القسم الجنوبي من ســهل العراق عن القسم المقابل له من وادى الفرات ، فيبدو ان من بين اسبابها ان نهـر دجلة يحمل فى وقت الفيضان من رواسبه الخاصة ومن بعض رواســب نهر الفرات كميات كبيرة ينوء بحملها فى منطقة الكوت[٦٢] بسبب توقف الدفع المستمر لمياهه من مياه القنوات التى تحمل اليه قســما من مياه نهر الفرات فى القسم الشمالى من السهل الفيضى • ومن الطبيعى ان تؤدى زيادة الارساب فى منطقة الكوت الى ارتفاع قاع النهر وانتشار بعض مياه فيضاناته على جوانبه مما أدى بمرور الزمن الى ارتفاع مستوى الوادى هنــاك • وقد ترتب على ارتفاع قاع المجرى فى منطقة الكوت ، وجود فرص لان يغير نهر دجلة مجراه هناك • ولا يمكن القول بأنه كان يجرى تارة فى اتجاه شط الحى (شط الغراف) واخرى فى اتجاه مجراه الحالى فحسب ، بل ان هناك ايضا احتمالا كبيرا فى انه كان يأخذ اتجاها ثالثا ووسطا بين هــذين الاتجاهين • وهناك آثار لمجرى كبير وتتبع قناة الدجيل امتداده الى حد ما ، وربما كان مجرى قديما لنهر دجلة او لفرع كبير من منه •

ولتحولات مجرى نهر دجلة في القسم الجنوبى من السهل الفيضى

---

(٦٢) يفوق نهر دجلة نهر الفرات فى كمية الرواسب التى يحملها فى وقت الفيضان • ويقدر معدل ما تحمله مياهه عند بغداد فى شهر ابريل ، الذى تحمل فيه اكبر نسبة من الرواسب ، بنحو ٢٣٠ جرام فى كل ١٠٠ الف سم٣ • اما معدل ما تحمله مياه الفرات عند الرمادى فـى شهر مايو الذى تحمل فيه أكبر نسبة من الرواسب فيقدر بنحو ١٨٠ جرام فقط فى كل ١٠٠ الف سم٣ • ويرى الباحثين ان كمية المواد العالقة فى مياه فيضان نهر دجلة تبلغ فى بعض الاوقات ٧٥٠ جزءا فى ١٠٠ الف جزء من الماء ، وتفوق هذه الكمية خمسة امثال ما تحمله مياه نهر النيل فى أعظم أوقاتها حملا للرواسب • راجع (٣٥) صحائف ١٢١ـ١٢٢ • وراجع أيضا (٢٥٧) صحائف XII, X XI, 20, 66 .

تأثير على تعمير سهل سومر بالسكان من بعض الاتجاهات ، وكذلك على توجيه الاقتصادى وعلى بعض الحوادث التاريخية فيه • فعند ما يأخذ اتجاه مجرى شط الحى (الغراف) مجتازا سهل سومر فانه يكون مدخلا طبيعيا الى قلب هذا السهل من جهة الهضاب الشمالية ومقدماتها الجبلية • اما عندما يأخذ اتجاه المجرى الحالى نحو القرنة فانه يقف حاجزا فى وجه هذه الاتصالات كما يكون خط حماية ودفاع ضد هجرات شعوب تلك الجهات وضد غزواتها •

اما اسباب انخفاض مستوى وادى الفرات تحت مدينة السماوة عن القسم المقابل له من وادى دجلة ، فترجع الى أن مياه هذا النهر تخرج من منطقة الاهوار البابلية (تسمى بقاياها فى الوقت الحاضر باسم اهوار الفرات الاوسط) شبه صافية(٦٣) • ولهذا لا تتوفر الاسباب لارساب كبير على جانبى المجرى • وفضلا عن ذلك فان صفاء المياه وتجمعها فى مجرى محدد بعد خروجها من منطقة الاهوار ، يزيدان فى سرعتها ويقويان عامل النحت فيها على عامل الارساب • فيزداد تبعا لذلك عمق المجرى كما تقل فرص طغيان مياه الفيضان على جوانبه • ومن الظواهر الطريفة انه بينما تعلو الشكوى فى باقى جهات سهل العراق من سرعة ارتفاع قيعان المجارى المائية ، تعلو الشكوى هنا من تعميق نهر الفرات لمجراه • والذين يجأرون بهذه الشكوى هم زراع الشلب (الارز) فى مناطق الاهوار ، لان هذا التعميق يهددهم بتقليل مساحة هذه الاهوار تدريجيا ويصرف مياهها • وذلك لان نهر الفرات عند خروجه من الاهوار يعمق مجراه وراءها للاسباب التى اشرنا اليها ، وتنحدر المياه من مستوى الاهوار الى قاع المجرى

---

(٦٣) تقدر نسبة الرواسب التى تحملها مياه فيضان الفرات عند دخولها الى السهل بنحو ١ الى ٨٠ من حجم الماء ، وقد وجد انها بعد خروجها من مستنقعات لملوم او لملون (كانت هذه المستنقعات تقع على شط الحلة وقد جفت الان) فتهبط الى نسبة ١ـ٢٠٠ • راجع (٦٤) صحيفة ٠٠٠ •
(٦١) صحيفة ١٤ •

فى شبه شلالات يطلق عليها اسم « نجارات » • وكما يتراجع الشلال تتراجع النجارات ايضا • اى ان نهر الفرات يتراجع معمقا مجراه خلال مناطق الاهوار(٦٤) •

ويتكون سهل العراق بمعناه الدقيق من المناطق التى اشرنا اليها ، وهي التى اشترك نهر الفرات ونهر دجلة فى بنائها بالنصيب الاكبر ، والتى عرفت فى التاريخ باسم ارض سومر وارض اكاد ثم اشتهرت باسم بابل(٦٥) • اما القسم الواقع على جانبى شط العرب ، والذى اشترك فى بنائه بجانب الفرات ودجلة ، مجموعة نهر كارون من جهة هضبة ايران ووادى البطن من جهة الجزيرة العربية ، فهو أحدث جزء فى ارض العراق • وقد عرف فى التاريخ القديم باسم القطر البحرى ، وذلك منذ اواخر عهد حمورابى (٢١٢٣ – ٢٠٨٠ ق • م) • ثم عرف باسم كلديا قبل ان يتقدم سكانه من الكلدان ويحكموا فى بابل (٦٢٦ – ٥٣٩ ق • م) ويطلقوا تسمية كلديا على كل سهل العراق بجانب منطقة شط العرب • ولقد حملت هذه المنطقة بعد ذلك بعض تسميات اخرى ، منها شراكين ومسين او ميسان ، وقد استمرت تحمل التسمية الاخيرة بعض الوقت فى صدر العصر العربى حتي تغلبت عليها تسمية البصرة • وبالرغم من تعدد التسميات لهذه المنطقة فاننا فى الواقع نجهل الكثير عنها • فنحن مثلا نجهل مواقع مراكز العمران القديم فيها ، ولا يقتصر ذلك على اقدم العصور بل على العصور المتوسطة ايضا ، فموقع الابله غير معروف(٦٦) ، وكذلك الموقع القديم للبصرة مشكوك فيه • ويبدو ان من بين اسباب عدم معرفة المواقع التاريخية ، ان عملية النحت فى الجانب الايمن لشط العرب قوية بينما

---

(٦٤) راجع (٥٢) صحائف ٥٦ـ٥٧ •
(٦٥) راجع (٦٤) صحائف ١٨١ وما بعدها • و (٩٦) صحيفة ١١ •
(٦٦) يضع موزيل الابله على مسافة نحو ٢٠كم• الى الشرق من مدينة البصرة الحالية • راجع (١٨٤) صحيفة ٢٥٨ •

الارساب كبير فى الجانب الايسر • ولا يرجع سبب ذلك الى ان الانهار فى نصف الارض الشمالى تميل الى ان تنحت فى جانبها الايمن اكثر من جانبها الايسر فحسب ، بل يرجع ايضا الى ان اعتراض مياه نهر كارون لمياه دجلة والفرات الجارية فى شط العرب ، يدعو الى زيـادة النحت فى الجانب الايمن والى زيادة الارساب فى الجانب الايسر • ويلاحظ اثر ذلك فـى وجود نطاق من الجزر المستطيلة تمتد فى مجرى شط العرب قريبة مـن الساحل الايسر ، كما يلاحظ فيما يكابده سكان الجانب الايمن من اقامة حواجز صخرية لمقاومة التعرية فى بساتين نخيلهم ، بينما فى وقت الجزر ترى الرواسب متراكمة على طول الجانب الايسر • ولهذا لا يبعد ان تكون الابله ونحوها من بعض مراكز العمران التى قامت عـلى الجانب الايمن لشط العرب في العصور القديمة والمتوسطة ، قد عرتها المياه وضيعت آثارها• ولعل الابحاث الاركيولوجية تعطى فى المستقبل بعض المعلومات عن هـذه المنطقة ، يمكن بمساعدتها تفسير بعض ظاهرات جغرافيتها القديمة •

ولعل اهم ما يوجد من نصوص تتعلق بشـعب القطر البحرى او الكلدان ، وهم السكان الاول لهذه المنطقة من الناحية التاريخية ، هو ما يشير الى انهم كانوا قراصنة ، وأن الاشوريين لم يستطيعوا التغلب عليهم الا بعد ان بنى سنحريب (٧٠٥ – ٦٨١ ق٠ م) اسطولا من القوارب نزل به فى وادى الفرات اليهم (٦٧) • ويمكن ان يستنتج من هذا ، ان منطقة شـط العرب لم تكن حتى اوائل القرن السابع قبل الميلاد تكون ارضا واسعة ، وربما كانت تتكون من عدد من الجزر تكتنفها منخفضات وتجرى فيها مصبات لمياه نهر دجـلة ونهر الفرات المتجمعة فى الاهوار الكلدانية • ولعل مصب الفرات كـان اهمها ، كما يستدل من بعض المصادر التى تقـول ان بختنصر الكلدانى (٦٠٥ – ٥٦٢ ق٠ م) قد بنى عند هذا المصب ميناء تريدون – Teredon . وموقع هذا الميناء غير معروف ولهذا تتضارب بشـأنه الآراء • واذا صحت

---

(٦٧) راجع فى الجزء الثانى موضوع « الاشوريون » •

ابحاث السير وليام ويلكوكس التى تجعل مصب الفرات عند رأس خـور عبدالله (٦٨) ، جاز القول باحتمال ان تكون مدينة الزبير الحالية قد قامت فى موضع تريدون القديم • والواقع ان موقع العراق كممر بين شرق العالم القديم وبين غربه يستلزم ان تقوم له فى كل ادوار التاريخ ميناء عند رأس الخليج العربى لتبادل التجارة التي تحملها السفن القادمة من الشرق بطريق الماء مع التجارة التي تحملها القوافل القادمة من الغرب والشمال الغربى بطريق البر ، او بين التجارة التى تحملها السفن البحريـة الكبيرة وبين التجارة التى تحملها القوارب النهرية الصغيرة •

ويصلح موقع الزبير ان يكون ميناء على مصب الفرات فى خـور عبدالله • اذ يتجه نحوها من رأس هذا الخور ذراع من الماء يعرف باسـم خور الزبير ، ويبدو انه كان جزءا من مصب الفرات ولم تطمره الرواسب بسبب تأثير حركات المد والجزر فيه • وكذلك تبـدو الزبير كما لو كانت قائمة فى وادى نهر قديم واسـع وعلى جانبيه • ويـلاحظ الباحث فى طريقه من البصرة الى هذه المدينة بعض ظاهرات جديرة بالاعتبار • فيجد فى فصل الربيع حيث تتعرض الاراضى المنخفضة لطغيان المياه عليهـا سواء من جانب هور الحمار ام من جانب الخليج العربى ، ان النطـاق المرتفع فوق مستوى الفيضانات العادية ، على الجانب الايمن لشـط العرب يهبط مستواه تدريجيا الى نطاق تغمره مياه الفيضان • فاذا اجتاز هـذا النطاق لاحظ ان مستواه يرتفع تدريجيا ثانية حتى يصل الى نطاق ثالث يعلو فوق مستوى الفيضان وتشرف ذروته باجراف حادة الانحدار على المنخفض الذى تقع فيه مدينة الزبير • وبالطبع لا يمكن ان يتخذ هذا دليلا على ان الزبير تقع فى وادى نهر قديم فعلا ، ما لم تدرس امتدادات هذا المنخفض • فانه قد يكون مجرد حوض كحوض بحر النجف وكبعض احواض اخرى

---

(٦٨) راجع (٢٥٧) صحيفة ٣٤ • (٣٥) صحائف ١٨٧–١٨٨ • و (٥٢) صحيفة ٥١ •

وقد ترتب على ذلك أن كان وادى دجلة هناك اقليما سىء الصرف وقليل الصلاحية للعمران ولسير الاتصالات • كما أنه كان لحد ما حاجزا أضعف من تبادل المؤثرات بين هذا القسم من أرض ما بين النهرين وبين الهضاب الشمالية وحافاتها الجبلية• وذلك بعكس وادى الفرات الذى امتاز بمميزات أخرى جعلته صالحا للنشاط البشرى • ويتصل وادى الفرات اتصالا مباشرا بالصحراء السورية وبما يتصل بها من اتجاهات فى العالم السامى • ولهذا تغلبت الصبغة السامية على سكان هذا القسم منذ أقدم عصور التاريخ • أما البيئة الاخرى وهى التى تتضمن القسم الجنوبى من أرض ما بين النهرين فان سطحها ينحدر من جانب نهر دجلة نحو نهر الفرات • ويتبع هذا الانحدار أيضا تصريف قسم كبير من مياه نهر دجلة • ولقد ترتب على ذلك أن كان وادى الفرات هناك اقليما سىء الصرف وقليل الصلاحية للعمران ولسير الاتصالات بعكس الجزء المقابل من وادى دجلة • الا أنه بالرغم من هذه الظروف الطبيعية ومن النتائج التى كان من المنتظر أن تترتب عليها ، فان حوادث التاريخ قد سارت على غير اتجاهها • ذلك لان الذى حدث ، هو أن وادى الفرات وليس وادى دجلة ، كان الميدان الرئيسى للنشاط البشرى • كما أن هذا النشاط لم يقم به شعب من شعوب العالم السامى الذى يجاور وادى الفرات ، وانما قام به شعب آخر جاء من اتجاه الهضاب الشمالية فى الشرق الاوسط • وليس هذا الذى حدث فى التاريخ أمرا غير متوقع بل ويبدو طبيعيا اذا لاحظنا من جهة أن هذا الجزء من وادى الفرات وهو كما أشرنا اقليم سىء الصرف ويتضمن بعض البرك والمستنقعات، لا يجتذب اليه العناصر السامية من سكان الصحراء العربية • ولاحظنا من جهة أخرى أنه يعتبر نهاية المطاف للشعوب المدفوعة اليه من سفوح هضبة ايران خلال الممر المحدد له بين الاهوار الجنوبية (أهوار سوسيانا والاهوار الكلدانية) وبين الاهوار الوسطى (الاهوار البابلية) •

وما البيئة الثالثة من هذه البيئات الكبيرة ، فهى عبارة عن نطاق ضيق نسبيا

يمتد فى غرب الفرات ويفصل بينه وبين الصحراء العربية • وهذا النطاق يكون من جهة مركزا تلتقى فيه مؤثرات السهل الفيضى بمؤثرات الصحراء• كما أنه يكون من جهة أخرى مركزا لوثوب بعض العناصر المهاجرة من مراكز العمران فى داخل هذه الصحراء وعند بعض حافاتها الى داخل سهل العراق •

وعدا هذه البيئات الاصلية التى كانت يتضمنها السهل الفيضى فى بدء تعميره بالسكان ، توجد بيئة أخرى ولكنها حديثة التكوين نسبيا • وهى جزء من الاراضى الحالية التى تكتنف شط العرب • وتتصل هذه البيئة اتصالا مباشرا بالبيئات البحرية على سواحل الخليج العربى وكذلك بالبدو من سكان البادية • كما تتصل بداخل الجزيرة العربية بمسلك محدد، وهو وادى البطن • وبعبارة أخرى أن تعمير هذه البيئة يبدو وأنه حدث فى بادىء الامر ، على الاغلب من قبل الشعوب السامية التى تسود فى الجزيرة العربية • ويفصل فى الوقت الحاضر بين هذه البيئة وبين باقى سهل العراق مستنقع واسع يعرف باسم هور الحمار • وتجرى الاتصالات بينهما بواسطة القوارب والسفن خلال هذا الهور وفى الجدال المائية التي تكتنفه • كما أنها تجرى أيضا بوسائل النقل البرى عند حافة الصحراء • أما فى الماضى فقد كان هذا الهور بحيرة واسعة ، وهى وان اعتبرت حاجزا جغرافيا الا أنها لا تمنع قيام الاتصالات بين جانبيها سواء أكان ذلك بوسائل النقل البرى عند حافتها الجنوبية من جهة الصحراء ، أم كان بوسائل النقل المائى فى داخلها •

ومما تقدم يلاحظ أن القسم الواقع من السهل الفيضى فى شرق نهر دجلة كان وثيق الاتصال بالهضاب الشمالية وسفوحها الجبلية • ويشبهه بدرجة كبيرة فى هذه الناحية ، القسم الجنوبى من أرض ما بين النهرين ، وهو الذى عرف باسم أرض سومر • أما القسم الشمالى من أرض ما بين

النهرين ، وهو الذى عرف باسم أرض آكاد ، فانه كان وثيق الاتصال بالصحراء السورية وبالعالم السامى الذى يكتنفها • وأما الاراضى الجديدة التى قامت فى منطقة شط العرب فانها أيضا كانت وثيقة الاتصال بالعالم السامى • ومن الممكن أن تقوم اتصالات بينها وبين أرض سومر خلال الاهوار الكلدانية التي تفصل بينهما أو على طول حافتها من جانب الصحراء العربية • ومن الممكن أيضا أن تقوم اتصالات بينها وبين أرض اكاد على طول هذه الحافة •

٢ ـ الهضبة الصحراوية فى غرب الفرات او «البادية»

تبلغ مساحتها فى داخل حدود العراق حول ١٩٠ ألف كم٢ (٧٣ ألف ميل٢) وتمتد بين الشمال وبين الجنوب مسافة نحو ٨٠٠ كم ، ويبلغ أقصى اتساعها بين الشرق وبين الغرب حول ٣٠٠كم[١] • وهى جزء من بادية الشام التى تمتد على طول الجانب الايمن لوادى الفرات بين شرق حلب وبين الخليج العربى • وتعرف باسم بادية السماوه أو بادية العراق أو الشامية كما أنها تعرف فى الوقت الحاضر فى الدوائر الرسمية العراقية باسم البادية • ويتصل العراق عبرها بسوريا من جهة الشمال وبشرق الاردن من جهة الشمال الغربى وبالمملكة العربية السعودية من جهةالغرب وبعالم الخليج العربى من جهة الجنوب •

وخط الحدود بينها وبين امتداد السهل الفيضى فى غرب الفرات ، غير واضح المعالم فى بعض أجزائه • وذلك حيث يكون التدرج فى الارتفاع من جانب الفرات نحوها بطيئا وغير محسوس • وهو كذلك خط غير ثابت بسبب التغيرات التى حدثت فى مجرى الفرات، وبحسب مدى قدرةالانسان فى أدوار التاريخ على مقاومة الصحراء ورعاتها من البدو • فالصحراء تتقدم على حساب الشريط الاخضر اذا أهمل الزراع زراعة أراضيهم ومد زروعها بالمياه اللازمة • كما أن الكفاح بين الزراع وبين الرعاة قديم • فالزراع يهمهم تقوية جسور الانهار وصيانة أراضيهم من طغيان المياه عليها ، بينما البدو يهمهم أن تتكسر الجسور لتنسكب بعض المياه الى الصحراء حتى يخضر نبتها لحيواناتهم • ولقد مر العراق فى تاريخه ببعض أدوار لم توجه فيها عناية كافية الى مرافقه • وتقول بعض المصادر أن أنهار العراق قد عادت الى حالتها البدائية فى العصر التركى[٢] • ويوجد وراء وادى الفرات نحو الصحراء نطاق غير متصل الاجزاء من الارض السبخة المشبعة

(١) راجع (١٧٣) صحيفة ٩٩ •
(٢) راجع (١٦٦) صحائف ٢ـ٣ •

بالملح ، يصعب السير فيه ويعرف باسم الرحاب[٣] • ولا يعرف ان كان هذا النطاق قد تكون من رشح مياه الفرات خلال التكوينات ، أو من كسرات فى جسوره أحدثتها مياه الفيضانات العنيفة أو أحدثها الرعاة ، أم أنه حدث من صرف الزراع للمياه الزائدة عن حاجة الزروع فى أراضيهم • وكذلك لا يعرف ان كان تكوين الرحاب قديم العهد أم حديثه • وهو على كل حال يكون لحد ما عقبة أمام سير الاتصالات بين وادى الفرات من جهة الشرق وبين داخل الجزيرة العربية من جهة الغرب ، الا حيث ينقطع امتداده أو يضعف فان مسالك الاتصالات بين الاتجاهين تتحدد هناك • وكذلك يتحاشاه سير الاتصالات بين الشمال وبين الجنوب ، ويتحدد مسلكها بين هذين الاتجاهين ، اما على جانبه الشرقى أى على طول وادى الفرات ، واما على جانبه الغربى أى على طول خط العيون •

ويتكون سطح الهضبة الصحراوية (البادية) من تكوينات مختلفة[٤] • ويلاحظ أن أحدث تكويناتها تجاور وادى الفرات ثم تتدرج فى القدم بالابتعاد عنه • وأحدث التكوينات هى من المجمعات والحجر الرملى التى ترجع الى البلايوسين والى الميوسين الاعلى • وتمتد هذه التكوينات فى منطقتين في غرب الفرات • وتقع الاولى منهما بين هيت وبين جنوب الكوفة بقليل ، وتقع الثانية بين السماوه وبين الطرف الجنوبى الغربى لهور الحمار • ويمتد فيما بين كل من هاتين المنطقتين وبين وادى الفرات نطاق ضيق ومختلف الاتساع من التكوينات الفيضية • ويتضمن القسم الشمالى من هذا النطاق الفيضى بساتين كربلا ، بينما يتضمن القسم الجنوبى منه خرائب أور واريدو والعبيد وهى مدن من أقدم مدن العراق ومن أهمها فى التاريخ القديم • وفى غرب تكوينات المجمعات والحجر الرملى وكذلك

(٣) راجع (٤٧) صحيفة ٣ •

(٤) انظر الخريطة رقم « ٥ » • وراجع (١٢ ، ٢٣) • و (١٧٣) صحائف ١٠٢-١٠٣ •

فيما بين قسمها الشمالى وبين قسمها الجنوبى تمتد تكوينات من الحجر الجيرى والجبس وهى تكوينات ترجع الى الميوسين الادنى • ولقد شق نهر الفرات مجراه فوق هيت خلال هذه التكوينات حيث ترى على جانبه المقابل فى أرض الجزيرة كما ترى على جانبه الآخر من جهة الهضبة الصحراوية • وكذلك ترى على هذا الجانب الاخير بين جنوب الكوفة بقليل وبين السماوه • ومما تجدر ملاحظته ان مجرى الفرات ينبعج كثيرا نحو الغرب فى هذا الامتداد الاخير كما أنه يتضمن منطقة من أكبر مناطق المستنقعات التى يمر بها مجراه ، وتشتهر هذه المنطقة حاليا باسم أهوار الشامية ، ومن أوسع أجزائها بحر الشنافية وهور ابن نجم • ويلاحظ كذلك أن منخفض بحر النجف قريب من هذه المنخفضات • ويقع هذا البحر عند حافة تكوينات الحجر الجيرى والجبس من جهة وعند الطرف الجنوبى الاقصى لتكوينات المجمعات والحجر الرملى من جهة أخرى • واذا لاحظنا أيضا أن منطقة منخفضات بحر الملح وهور أبى دبس في غرب كربلا وفى شمالها الغربى وكذلك منخفض بحيرة الحبانية فى جنوب الرمادى[٥] ، تقع كلها فى منطقة الانتقال بين هذين النوعين من التكوينات ، جاز القول باحتمال أن تكون منخفضات الشامية وكذلك المنخفضات الاخرى ، قد تكونت بسبب حدوث تعرية باطنية فى التكوينات الجيرية ، بفعل مياه تسربت بالرشح من نهر الفرات مباشرة أو من المياه المختزنة فى تكوينات المجمعات والحجر الرملى • ويلى تكوينات الحجر الجيرى الميوسينى تكوينات أخرى من الحجر الجيرى النيموليتى الذى تكون فى عصر الايوسين •

وحتى هنا يلاحظ تعاقب التكوينات بصورة منتظمة ، أما بعد ذلك فتبدو بعض ظاهرات التعقيد • اذ يتدخل بين التكوينات الايوسينية نطاق ضخم من التكوينات الكريتاسية ، وعند الطرف الشمالى الغربى لهذا النطاق تتدخل بينه وبين التكوينات الايوسينية منطقة مكونة من صخور أقدم وذات

(٥) راجع (١٢ ، ٢٣) وانظر الخريطة رقم ٥ •

أعمار مختلفة ، يرجع بعض منها الى الزمن الثانى كما يرجع بعض آخر الى الزمن الاول[٦] ، وتعرف بعض أجزاء هذه المنطقة باسم الجعارة ، وتمثل تضاريسها فى الوقت الحاضر حوضا تنصرف اليه المياه من حافات عالية نسبيا وتشرف عليه من ارتفاع حول ٦٠ مترا . ويبدو أن منطقة الجعارة كانت في الاصل التواء محدبا[٧] ، أكلت عوامل التعرية قسمه الاوسط المكون من صخور قليلة المقاومة بينما بقيت جوانبه المكونة من صخور أكثر مقاومة مرتفعة . وليست منطقة الجعارة هى المنطقة الوحيدة فى البادية التى تظهر فيها آثار الحركات الارضية ، اذ توجد مناطق أخرى تبدو على سطح بعضها التواءات محدبة بسيطة فى شكل قباب قليلة الارتفاع وتجاورها ثنيات مقعرة ، ويرى مثل ذلك فى منطقة السلمان . بينما تبدو على سطح البعض الآخر ظاهرات الانكسار ، كما يرى فى منطقة الشبيكة[٨] ، ومن أبرز ظاهرات القباب فى البادية جبل سنام . ويقع هذا الجبل وسط تكوينات المجمعات الحجر الرملى ، كما يقع فى أقصى جنوب البادية . ويبعد عن البصرة مسافة نحو ٤٠–٤٥ كم . وهو يبدو كالقبة المستديرة وترتفع ذروته فوق مستوى الاراضى السهلة التى تكتنفه بنحو ٩٠ مترا . وقد قطعته عوامل التعرية وعرته مياه الامطار تعرية أخدودية وقسمته بذلك الى سبع قمم أو ثمانية ، وتفصل بين بعضها وبين البعض الآخر أخاديد ووهدات[٩] . وصخور هذا الجبل متنوعة وذات أعمار مختلفة ، وتتضارب حول تكوينه آراء بعض الباحثين[١٠] . ومهما يكن الصحيح من هذه الآراء فان لهذا

(٦) راجع (١٢ ، ٢٣) وانظر الخريطة رقم ٥ .
(٧) راجع (٥٢) صحائف ٧ ، ٦٩ . و (١٧٣) صحيفة ١٠١ .
(٨) راجع (٥٢) صحائف ٧ ، ٦٩ . و (١٧٣) صحائف ١٠١ ، ٢٠٢ .
(٩) زار كاتب هذا البحث منطقة الجبل وصعد الى بعض قممه ولاحظ الظاهرات المشار اليها فى المتن .
(١٠) انظر بعض هذه الاراء فى (٢٣١) صحيفة ١٤٢ . و (١١٩) صحائف ٦٢–٦٣ ، ٦٦ . و (١٧٣) صحيفة ١٠٣ . و (٨٦ – الجزء الاول) . و (٦٤) صحائف ١٧٩ ، ١٨٨ وما بعدها . و (٤٧) صحيفة ١٧ .

الجبل أهمية كبرى من وجهة نظر المواصلات . اذ أنه يبدو فى وسط الصحراء كالمنارة تهتدى به الاتصالات فى سيرها نحو الاتجاهات التى التى تربط جنوب سهل العراق (منطقة شط العرب) وبين الساحل العربى للخليج العربى .

وليست اثار الحركات الارضية هى كل ما يتمثل من ظاهرات التضاريس على سطح الهضبة الصحراوية[١١] . وهى وان كانت من ابرزها الا ان هناك ظاهرات اخرى عديدة ومتنوعة ، وترجع بعض اسبابها الى اختلاف التكوينات وكذلك الى اختلاف قابليتها للتأثر بعوامل التعرية[١٢] . ومن المعروف ان خلو سطح الصحراء من النبات فى القسم الاكبر من السنة ، وظاهرات التطرف فى مناخها ، وكذلك اختلاف معامل التمدد لتكويناتها المختلفة ، هى عوامل تنشط التعرية الصحراوية وتؤدى الى تعرية سريعة فى بعض الصخور . وهذا يترتب عليه تضرس السطح ، بتكوين احواض منخفضة وسهول تكتنفها تلال قليلة الارتفاع وهضيبات . وتزيد التعرية المائية كذلك سواء اكانت سطحية ام باطنية ، فى تنوع اشكال السطح . فالامطار فى الصحراء وان كانت قليلة الا انها تسقط بعنف عادة[١٣] . وتأخذ المياه الساقطة اتجاه انحدار السطح نحو وادى الفرات فى شكل سيول جارفة وذات قابلية كبيرة للتعرية ، وتنقل معها نحو هذا الوادى حصى الصخور وجلمودها . وقد شكلت هذه السيول فى بعض الحالات وديانا على جانب كبير من الاتساع ومن العمق[١٤] . وقطعت سطح البادية الى نطاقات تبدو من قيعان بعض الوديان كالحوائط المرتفعة . وهذا التأثير للامطار واضح فى القسم الشمالى من البادية العراقية وفى القسم الجنوبى

(١١) راجع (٥٢) صحائف ٦٥–٧٤ .
(١٢) راجع (١٧٣) صحيفة ١٠١ .
(١٣) راجع (١٤٠) صحيفة ٦ .
(١٤) راجع (١٠٩) صحيفة ١٨ .

اكبر وضوحا فى القسم الاول • وذلك لكثرة امطاره نسبيا بسبب قربه من مؤثرات البحر المتوسط من جهة ، ومن جهة اخرى لان اليه ينصرف قسم من مياه هضبة جبل عنيزه التى تكون منطقة من اهم مناطق تقسيم المياه فى الصحراء السورية[١٥] •

لقد لاحظ البدو ظاهرات السطح الخاصة بهذا القسم الشمالى واطلقوا عليها تسميات تميزها عن ظاهرات القسم الجنوبى • فأطلقوا على بعض اجزائه اسم الوديان لكثرة وديانه الواسعة والعميقة ولانها تمثل على الاغلب ابرز الظواهر الطبوغرافية على السطح • كما اطلقوا على بعضه الاخر اسم الحجارة او الحجرة ، وذلك لما يبدو على سطحه من كثرة البروزات الصخرية ولما ينتشر عليه من الجلاميد[١٦] • ويطلق اسم الوديان بصفة عامة على المنطقة الواقعة بين الحدود السورية وبين وادى الخر ، اما اسم الحجارة فيطلق على المنطقة الواقعة بين هذا الوادى وبين وادى السدير[١٧] • ومن المعروف ان الوديان في الصحراء تكون اهم مسالك للاتصالات • وذلك بسبب كونها خطوطا واضحة المعالم ، وبسبب كونها أكبر اجزاء الصحراء احتمالا لوجود المراعى ولبعض موارد الماء سطحية كانت أم باطنية • الا أن وديان القسم الشمالى من البادية ، وان كونت مسالك جيدة للاتصالات بين واحات الجوف وبعض مراكز العمران الاخرى فى اقليم الحماد من جهة وبين وادى الفرات من جهة اخرى ، الا انها تقدم فى الواقع بعض صعوبات امام سير الاتصالات التى تجتازها بين الخليج العربى وبين البحر المتوسط • وذلك بسبب النزول الى قيعانها من جهة ثم الصعود على ظهورها من جهة اخرى[١٨] • وتتمثل هذه الصعوبات أيضا فى القسم الجنوبى من البادية

---

(١٥) انظر الخريطة رقم ١٢ •

(١٦) راجع (٤٧) ص ٥ـ٦ • ، (٥٢) ص ٦٧ـ٦٨ ، ٧٠ وما بعدها • ، (١٧٣) ص ١٠١ •

(١٧) انظر الخريطة رقم ٨ •

(١٨) راجع (١١٨) ص ١٣ ، ١٩٩ •

ولكن بصورة اقل • وبسببها ، تضطر وسائل الاتصالات خلال البادية ، وعلى الاخص فى القسم الشمالى منها الى الاقتراب من وادى الفرات • وذلك لان سطح هذا القسم لا يتضمن فقط مثل هذه الصعوبات وانما يكابد أيضا من شدة الجفاف بسبب تكونه من صخور جيرية كبيرة المسامية[١٩] •

أما القسم الجنوبى من البادية فانه اقل تضرسا • ونظرا لقلة امطاره نسبيا كانت وديانه صغيرة ، ولم تستطع ان تحمل معها الجلاميد او الرجم (الرضم كما يسميها البدو) ، وانما حملت حصى الصخر ورماله • وقد لاحظ البد هذا ايضا فاطلقوا على جهات هذا القسم تسميات تميزها عن جهات القسم الشمالى • وتطلق تسمية الدبدبة فيه على الجهات المكونة من الحصى والرمال المتماسكة • كما تطلق تسمية الرمال على المناطق ذات الرمال غير المتماسكة[٢٠] • والسير على سطوح الدبدبة سهل على الانسان والحيوان وكذلك بالنسبة للسيارات • اما السير على الرمال فانه صعب وعلى الاخص اذا شكل كثبانا • ويتضمن هذا القسم من البادية نطاقا ضخما من الكثبان يتراوح اتساعه بين ١٠ – ١٥ كم ، كما يتراوح ارتفاعه بين ١٥ – ٣٠ مترا • ويمتد قريبا من ضفة الفرات بين جنوب منطقة النجف وبين السماوة • ثم يأخذ فى الابتعاد عنه تدريجيا بعد ذلك ضاربا فى الصحراء نحو الامتداد الادنى لوادى البطن[٢١] • ويبدو ان سير الاتصالات قد تأثر بوجود هذه الكثبان • اذ يلاحظ ان الطرق التى تربط بين البصرة وبين بغداد ، تتبع من البصرة الجانب الايمن لنهر الفرات حتى السماوة ثم تتركه وتتبع جانب شط الحلة • وكذلك يفعل خط سكة الحديد ، وذلك بالرغم مما هو معروف من أن هذا الخط قد مد

---

(١٩) راجع (١٧٣) ص ١٢٨ وما بعدها •

(٢٠) راجع (٤٧) ص ٦ـ٧ • و (٥٢) ص ٧٠ – ٧١ • و (١٩١) ص ١٤ • و (١٧٣) ص ١٠١ ، ١٠٣ •

(٢١) راجع (١٧٣) ص ١٠١ •

فى بادىء الامر لخدمة الاغراض العسكرية ، وليس لخدمة الاغراض المدنية ، وانه قد روعى فى خطه أن يبتعد عن مراكز العمران بقدر الامكان • ويعلل وجود هذه الكثبان ظاهرة أخرى هامة • وهى عجز بعض المدن الكبيرة فى وادى الفرات مثل السماوة والناصرية وسوق الشيوخ ، عن أن تكون ثغورا على الصحراء أكبر مما هى الان • وأن تنافس النجف وتتفوق عليها ، كمحطات لقوافل التجارة والحج بين سهل العراق وبين داخل الجزيرة العربية • فبالرغم مما هو ملاحظ من أن كل مدينة من هذه المدن الثلاث تقع من حايل أهم مدينة فى جبل شمر ، أو من بريده وعنيزه أهم مدن القصيم أو من الرياض عاصمة نجد ، على مسافة اقصر مما تقع النجف منها ، الا ان النجف مع ذلك تكون فى الوقت الحاضر الثغر الرئيسى لوادى الفرات عند حافة الصحراء ، كما تكون المحطة الرئيسية لقوافل الحج والتجارة نحو داخل الجزيرة العربية •

ويبدو أن هذا النطاق من الكثبان حديث التكوين نسبيا • اذ المعروف أن فيما بينه وبين الفرات عند الناصرية توجد أرض فيضية ، وقد قامت فيها مدن عراقية هامة مثل أور وأريدو ، كما سبقت الاشارة • وقد ظهرت هذه المدن منذ عصر ما قبل التاريخ واستمرت فى العصر التاريخى وتميزت من بينها أور بانهاكانت ، اكثر من مرة ، مركزا من مراكز الحكم فى سهل العراق • وقد اكتسبت جانباكبيرا من اهميتها لقيامهاكثغور تخدم اتصالات أرض سومر مع عالم الجزيرة العربية • أما بعد أن تكون هذا النطاق بتأثير تزايد الجفاف فقد كون صعوبة أمام استمرار سير هذه الاتصالات • وحملها على أن تحول اتجاهها نحو منطقة النجف حيث يضعف امتداد نطاق الكثبان هناك ثم يتلاشى فى جنوب بحر النجف وفى جنوبه الغربى[٢٢] • ولعل الظاهرة المتعلقة بتكوين هذا الكثيب وامتداده كانت من بين الاسباب الرئيسية التى اعطت لمنطقة النجف وما حولها أهمية كبيرة فى بعض أدوار

(٢٢) انظر الخريطة رقم ٨ •

التاريخ • ومما تجدر ملاحظته انه فيما بين منطقة النجف وبين منطقة سلوكيا ـ طيسفون (على نهر دجلة وجنوب بغداد بقليل) تقع منطقة مدينة بابل • أى أن هذه المدينة التاريخية العظيمة تقع على منفذ طبيعى للاتصالات بين البادية وبين داخل سهل العراق • ولعل هذا كان من بين الاسباب التى حفظت لمنطقة بابل مجدها ، حتى بعد أن هجرتها السلطة منذ العصر الاغريقى • اذ يلاحظ أنه قد قامت فى نفس المنطقة مدينة الحلة وهى مركز لواء (محافظة) • كما انها تعتبر واحدة من أكبر المدن فى داخل سهل العراق •

وللمياه الباطنية أيضا تأثير فى تشكيل تضاريس سطح البادية • الا ان مدى هذا التأثير يختلف باختلاف التكوينات • فالتكوينات الرملية تتأثر بالتعرية المائية السطحية اكثر مما تتأثر بالتعرية المائية الباطنية • أما التكوينات الجيرية فأنها تتأثر بكليهما معا تأثرا كبيرا • وذلك لان الجير قابل للتحلل بالماء • ولهذا تتكون فيها كهوف ومغارات ، كما تتكون أيضا أحيانا مجارى مائية باطنية ، بمثل ما هو مشاهد فى بعض المناطق من جبل لبنان أو فى اقاليم الكارست Karst المشهورة في العالم • وعند ما تهبط سقوف هذه التكوينات الكارستية تتكون على السطح منخفضات عميقة نسبيا تنصرف نحوها المياه من السطوح المرتفعة التى تكتنفها[٢٣] • ويطلق البدو على مثل هذه المنخفضات التى تنصرف نحوها المياه فى الصحراء تسميات تختلف بحسب اتساعها وبحسب كمية المياه التى تحتوى عليها[٢٤] • ويختلف مقدار المياه فى المنخفضات بحسب الكميات المنصرفة اليها • أما أمد بقائها فيها فانه يختلف باختلاف تكوينات قيعانها • فاذا كان القاع مكونا من الحصى والرمال كسطوح الدبدبة ، أو كان من الحجر الجيرى المسامى ، فان المياه لا تلبث أن تنصرف بعد وقت قصير • اما اذا كانت تكويناته من الغرين الدقيق فانها

(٢٣) راجع (٥٢) ص ٧٠ • ، (١٧٣) ص ١٢٨ •
(٢٤) راجع (٤٧) ص ٢٢ ـ ٢٣ •

تستمر مدة طويلة • وتبقى المياه فى المنخفضات أطول مدة اذا كانت قيعانها من تكوينات الصلصال [٢٥] • ولما كان الماء هو اول ما يتحكم فى السير خلال الصحراء ، لذلك يبدو طبيعيا ان يتعرج السير فيها نحو خبرة (بركة كبيرة) أو نحو غدير تارة ونحو بئر تارة أخرى •

ومهما طال امد المياه فى المنخفضات فانها لا تلبث تحت تأثير حرارة الشمس ان تجف فى فصل الصيف • ويصبح بسبب ذلك الانتقال خلال البادية صعبا • وقد لاحظت ذلك السيدة زبيدة (زوجة هارون الرشيد) فعملت على تأمين مطالب قوافل الحج والتجارة بين سهل العراق وبين المدينتين المقدستين فى الحجاز ، فأقامت حول بعض المنخفضات أبنية وسقفتها لتضعف تبخر المياه المتجمعة فيها • كما انها حفرت ابارا عميقة فى المراحل التي لا تتوفر فيها المنخفضات الصالحة لخزن المياه [٢٦] • وبذلك مكنت هذه السيدة المصلحة ، سير الاتصالات بين سهل العراق وبين داخل الجزيرة العربية فى كل فصول السنة وعلى الأخص بالنسبة الى قوافل الحج ، سواء اجاء وقته فى فصل الشتاء ام جاء فى فصل الصيف • ويبدو ان عمل هذه السيدة قد حدد فى الصحراء دربا أصبح السير عليه

---

(٢٥) راجع (١٧٣) ص ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٦ – ١٠٧ •

ويقسم مكفيدين موارد المياه فى الصحراء الجنوبية (البادية) الى اربعة انواع :ـ

(أ) موارد دائمة فى خط العيون •

(ب) موارد سطحية • وهى مؤقتة وتوجد فى البرك والغدران •

(جـ) موارد من آبار ضحلة او من كهوف والبعض منها دائم والبعض الاخر مؤقت •

(د) موارد من آبار عميقة وهى دائمة فى الغالب •

(٢٦) انظر وصف هذه المصانع المائية كما يسميها كتاب العرب فى رحلة ابن جبير ، نشر نعمان الاعظمى ، بغداد ، ١٩٣٧ ، ص ١٦٢ – ٦٦ • وراجع ايضا : (١١٨) ص ٤٤ • ، (١٧٣) ص ١٠٧ – ١٠٨ • ١١٣ – ١١٤ •

تقليدا ، لاننا نجد السيارات التى تحمل الحجاج فى الوقت الحاضر تتبعه كما كانت تتبعه من قبل قوافل الابل • على أنه قبل أن تقوم السيدة زبيدة بتوفر المياه على هذا الدرب لابد أن كان البدو واصحاب القوافل قد دبرو أمرهم بحفر بعض الابار •

وتتفوق من ناحية حفر الابار ، أهمية التكوينات الرملية (تمتد على الجانب الايمن لنهر الفرات بين هيت وبين جنوب منطقة الكوفة والنجف ، وكذلك بين جنوب السماوة وبين جنوب غرب هور الحمار) كما تتفوق أيضا تكوينات الدبدبة التى تكون سطوحا تغطى قسما كبيرا من التكوينات الجيرية فى القسم الجنوبى من البادية جنوب وادى السدير • اذ تكون التكوينات الرملية وسطوح الدبدبة خزانات للمياه الباطنية [٢٧] يمكن الحصول عليها بحفر آبار الى أعماق قليلة • ويعطى توفر المياه الباطنية فى القسم الجنوبى من البادية أهمية اكبر لهذا القسم عن القسم الشمالى منها • ومع ذلك فأن هذه الاهمية تبدو محدودة • لان الابحاث التى عملت قد دلت على انه لا يوجد مستوى حقيقي للمياه الباطنية وانما توجد مستويات محلية [٢٨] • ومعنى ذلك ان موارد المياه فى الابار محدودة ويرتبط امد بقائها بكثرة الاستعمال وبقلته •

ومما تقدم نرى أن موارد المياه تتوفر فى بعض جهات البادية فى فصل الشتاء وفى فصل الربيع ، ثم يقل وجودها فى فصل الصيف • واذا قارنا بين القسم الجنوبى منها وبين القسم الشمالى من وجهة نظر المواصلات ، نجد ان القسم الاول منهما أفضل • وذلك لان سطحه أقل تضرسا كما أن تكويناته اكثر صلاحية للسير عليها • وفضلا عن ذلك ، يتوفر الماء فى آباره كلها او بعضها ، طول السنة أو فى قسم كبير منها • ويمكن للجماعات الصغيرة ،

---

(٢٧) يضعف اتساع المسام حركة تصاعد الماء الباطنى بالجاذبية الشعرية عن الوصول الى سطح الارض • وبذلك يضعف تأثير قوة التبخر عليه •

(٢٨) راجع (١٧٣) ص ١٠٩ وما بعدها •

تبعا لذلك ، أن تسير فيه فى معظم فصول السنة بين الشرق وبين الغرب كما يمكنها أيضا ان تسير فيه بين الشمال وبين الجنوب دون تقيد كبير بالسير على ضفاف نهر الفرات .

وللسير على الضفة اليمنى لنهر الفرات اعتبارات هامة . وذلك لان به تضمن القوافل المتجهة بين الخليج العربى وبين البحر المتوسط ، توفر حاجياتها من الماء فى النهر ومن المواد الغذائية للانسان والحيوان ومن الخدمات الاخرى فى العديد من المدن والقرى . كما تتوفر أيضا أعشاب وحشائش على جانب المجرى . ومع ذلك ، توجد هناك أيضا بعض صعوبات تعترض هذا السير . وعلى الاخص الصعوبات التى تكونهافتحات الجداول وقنوات الرى أو طغيان الماء فى أوقات فيضانه[٢٩] .

ولقد هيأت الطبيعة فى غرب وادى الفرات ، عند الحافة الشرقية للبادية ، ظروفا حسنة لطريق آخر لنقل الاتصالات بين الخليج العربى وبين البحر المتوسط . ويعتبر هذا الطريق منافسا خطرا لطريق جانب نهر الفرات[٣٠] . وذلك ، لانه يخلو من معظم الصعوبات التى تلابس الطريق الاخير . وبالاضافة ، يتميز عنه بكونه أقصر . اذ يجنب القوافل السائرة عليه تعرجات مجرى الفرات . ولا تعرف لهذا الطريق تسمية خاصة . على أن من الممكن أن تطلق عليه تسمية طريق خط العيون . اذ يتفجر عدد من العيون هناك، على طول منطقة الانتقال بين تكوينات الفارس العليا من الحجر الرملى والمجمعات من جهة وبين تكوينات الفارس السفلى

---

(٢٩) راجع (١١٨) ص ٢٦ ـ ٢٧ ، ٤٢ ـ ٤٣ ، ١٩٩ .

(٣٠) تذكر كريستينا جرانت أن القوافل كانت تسلك فى الصحراء طريقا يبتعد عن نهر الفرات بمسافة تتراوح بين ٢٥ ـ ٥٠ كم الا فى حالات نادرة يقل فى بعض منها عن هذا المتوسط ويتجاوزه فى البعض الاخر. فمثلا تقترب من وادى الفرات الى مسافة نحو ٨ كم لتجد لنفسها مكانا ملائما لعبور وادى حوران ، بينما تبتعد عنه فى مقابل ما بين الفلوجة وبين كربلاء بنحو ٨٠ كم . راجع (١١٨) ص ٤٤ ، ١٩٣ ـ ٢٠٥ .

من الحجر الجيرى الفراتى والجبس من جهة أخرى[٣١] . ويمتد خط العيون فى رأى بعض الباحثين مسافة نحو ٤٨٨ كم ، بين عين حمود (على مسافة نحو ٦٠كم) جنوب غرب الناصرية وبينعيون حقلان (قرب حديثة على الفرات) ومارا بعيون كبيسة فى غرب هيت وعلى مسافة نحو ٢٠ كم منها . الا أن عبدالجبار الراوى ، وهو خبير بشئون البادية ، يذكر أن هذا الخط لا يبدأ عند عين حمود ، وانما يبدأ من منطقة الزبير وربما ورائها نحو الكويت . كما يذكر أنه لا ينتهى عند حديثة ، وانما ، عند البوكمال في منطقة الحدود العراقية ـ السورية[٣٢] . وتقع بعض العيون على مسافات قصيرة من البعض الآخر ، وتعطى جميعها موارد مياه دائمة ، وتفيض من بعضها المياه فى جداول صغيرة . وقد أخذت الحكومة العراقية فى الوقت الحاضر تهتم ببعض العيون واستخدمت مياهها فى زراعة بعض مساحات من الصحراء ، كما هو الحال فى منطقة عين حمود وفى منطقة عين صيد . ويبدو أن مناطق العيون كانت فى الماضى أكثر عمرانا مما هى الآن . اذ كانت تسمية مناطق القصور مرادفة لتسمية مناطق العيون عند بعض المؤرخين[٣٣] . ورغم الاهمال الطويل الذى

---

(٣١) راجع عن خط العيون (٤٧) ص ٣ ، ٧١ ـ ٧٢ ، ٧٨ ـ ٩ ، (١٧٣) ص ٩٩ ، ١٠٣ ـ ١٠٤ ، (١٩١) ص ٨ ، ١٤ ، ٢٢ .

(٣٢) راجع (٤٧) ص ٣ .

(٣٣) يقول الاستاذ الشيخ على الشرقى ، وهو من كتاب العراق المعروفين ، فى تقديمه لكتاب البادية لمؤلفه عبدالجبار الراوى (٤٧) ص « ز » « وكانت الرحاب ، وهى البادية المتاخمة للعراق زاهية بالزرع والضرع منجمة بالقصور الفارهة تلك القصور المارة من بادية السماوه الى بادية الشام تجرى من تحتها وبين يديها العيون الفوارة وتزينها الديارات الخاشعة لجلال رب البادية وجمال البادية الأمر الذى جعل شعار تلك الرحاب عند المؤرخين بلاد العيون أو بلاد القصور . أما اليوم فانها خرائب مهجورة لا ترى فيها العين الا بقايا المدر والحجر » . ويقول فى صحيفة « ج » ، « يرى المتجول فى بلاد الطفوف والرحاب آثار

حدث ، لا تزال بعض العيون تعطى كميات وافرة من الماء وتقوم عليها في بعض الاماكن واحات كبيرة مثل واحتى شفاثة والرحالية[٣٤] •

والخلاصة أن البادية نطاق من الصحراء يقع في غرب وادى الفرات وينحدر سطحه اليه من جهة هضبة بلاد العرب • ومع هذا الانحدار تسير وديان صحراوية ، تبدو أكثر ضخامة فى القسم الشمالى من البادية عنها فى القسم الجنوبى منها • وفى هذه الوديان يتوفر الماء بعض الوقت عقب سقوط الامطار فى فصل الشتاء وفى فصل الربيع • وكما يتوفر فيها الماء فى هذين الفصلين يتوفر أيضا بعض المراعى • ولهذا فانها تمثل خلال هذه الفترة من السنة أصلح المسالك لسير الاتصالات بين الشرق وبين الغرب ، أى بين وادى الفرات من جهة وبين بعض مراكز العمران فى داخل هضبة بلاد العرب من جهة أخرى • أما فى الفترة الباقية من السنة وهى فترة جافة ، فان قيعان هذه الوديان تكون أيضا لحد ما ، أكثر احتمالا من غيرها من بعض جهات البادية فى توفر الماء من الموارد الباطنية • الا أنه ، باعتبار هذه الناحية ، تنبغي مراعاة نوع التكوينات التى توجد فيها الوديان • ومن المعروف أن وديان القسم الشمالى من البادية توجد فى تكوينات جيرية مسامية ترشح خلالها المياه السطحية بسرعة وتنصرف فى أعماقها • أما وديان القسم الجنوبى فانها توجد فى تكوينات الدبدبة من

عمران زراعى مدهشة ، عريقة فى القدم قد طمستها الرمال وأضاعها الاهمال من نهران مبلطة بين حافتين تردان الساقى ، وبين سواقى كساها الزفت والشعر لتتصلب ولا يمتص المجرى الماء الذى يحرص عليه الفلاح كل الحرص ، ومن حياض مكلسة بنيت حول العين الناضخة ، ومن تنظيم مدهش للرى ، ومن مصانع للمياه بذلت لها العناية والجهود ، ومن طرق وسكك واضحة للسالكين • كل ذلك قبل التاريخ الاسلامى وبعده بقرون • فقد ذكر الرواد والرحالون فى القرن الثامن للهجرة مصانع لمياه الفرات ومجارى لمياه العيون فى الرحاب •

(٣٤) راجع (١٩١) • ، (١٧٣) ص ١٠٣ • ، (٦٥) ص ٥٢ ـ ٥٣ •

الحصى والرمال • وهى وان كانت مسامية أيضا الا أنها تحتفظ بالماء الذى يترشح فيها •

ويستنتج مما تقدم أن وديان القسم الشمالى من البادية تصلح لسير الاتصالات خلالها فى فصول المطر ولكنها غالبا لا تصلح لذلك فى الفصول الجافة • بينما تصلح وديان القسم الجنوبى منها لسير هذه الاتصالات فى الفصول الممطرة كما تصلح غالبا لذلك أيضا فى الفصول الجافة •

وكما يبدو كبير الاحتمال ، امكان الحصول على الماء من الموارد الباطنية • والبادية تكون أيضا ممرا للاتصالات بين الشمال وبين الجنوب أى ممكنا أيضا من قيعان الاحواض المنخفضة في بعض جهات أخرى في البادية • ولهذا فان سير الاتصالات أثناء هذه الفصول بين وادى الفرات وبين داخل هضبة بلاد العرب يبدو متعرجا بين المناطق التى تتوفر فيها المياه من الموارد الباطنية • والبادية تكون أيضا ممرا للاتصالات بين الشمال والجنوب أى بين البحر المتوسط والخليج العربى • ومسلك الاتصالات بين هذين الاتجاهين محدد فى خط العيون • وفيما بين بعض مواقع هذا الخط وبين بعض مراكز العمران فى وادى الفرات توجد مسالك تنتقل خلالها الاتصالات بينهما •

٣ ـ أرض الجزيرة

تكون أرض الجزيرة القسم الشمالى الغربى من حوض العراق • وترجع تكويناتها السطحية الى عصرى الميوسين والبلايوسين • والانتقال بين السهل الفيضى وبينها تدريجى ولا يبدو محسوسا فى بعض المناطق • ولكنه يدرك فى فصل الشتاء ، عقب سقوط المطر ، حيث يكون الفارق محسوسا بين التكوينات الطينية التى يصعب السير عليها فى أراضى السهل الفيضى ، وبين التكوينات الحصوية ـ الرملية التى يسهل السير عليها فى أرض الجزيرة • ويرجع التكوين الفزيوغرافى لارض الجزيرة ، كما يرجع تكوين كل أرض ما بين النهرين فى العراق وفى سوريا ، الى تأثير الحركات الارضية الميوسينية ـ البلايوسينية • وهى الحركات التى رفعت النطاق الجبلى طوروس ـ زاجروس ، والتى قاومت كتلة الهضبة القديمة فى بلاد العرب امتداد تأثيرها نحو الغرب • ولهذا نجد أرض الجزيرة ، كما رأينا سهل العراق ، تقسم نفسها من ناحية التكوين بين الاراضى التى تكتنفها من الجانبين • ويبدو هذا واضحا فى ظاهرات سطحها أيضا • اذ يلاحظ أن قسمها الشمالى وكذلك قسمها الشرقى ، بسبب موقعهما عند أطراف مقدمات قوس طوروس ـ زاجروس كانا أكثر ارتفاعا من باقى جهاتها الاخرى • ويمكن أن نعتبر نطاق سنجار ـ العطشانة نهاية مقدمات مرتفعات طوروس ، كما يمكن أن نعتبر نطاق مكحول ـ القياره الذى يقع وراء الضفة اليمنى لنهر دجلة ، نهاية مقدمات مرتفعات زاجروس [١] • ومن الطبيعى أن يترتب على ارتفاع أرض الجزيرة من جهة الشمال ، أن يكون انحدار سطحها نحو الجنوب • وهذا هو الواقع ، وهو يمثل الانحدار العام لسطح أرض ما بين النهرين فى داخل حدود العراق • ومن الطبيعى أيضا أن يكون لها انحدار آخر نحو الغرب ، بسبب ارتفاع السطح من

(١) راجع (٩٨) ص ٢٨١ •

جهة الشرق • وهذا صحيح أيضا لحد ما ، الا أن كتلة بلاد العرب القديمة بمقاومتها حركة الالتواء الاتية من جهة الشرق قد قاومت أيضا امتداد انحدار السطح من جهة الشرق الى جهة الغرب بل وحولته الى العكس • ومن المعروف أن ميل الطبقات فى هضبة بلاد العرب يتجه نحو الشرق أو نحو الشمال الشرقى • وقد أشرنا فيما سبق الى أن تكوينات الحجر الجيرى الفراتى التى تبدو ظاهرة على سطح الارض فى غرب نهر الفرات وفى شرقه مباشرة أعلى هيت ، تتعمق فى داخل أرض الجزيرة وتزداد عمقا بالاتجاه نحو الشرق •

ويستخلص مما تقدم أن لسطح أرض الجزيرة ثلاثة انحدارات • أولهما وهو الانحدار العام ، يتجه من الشمال نحو الجنوب ، والثانى يتجه من الشرق نحو الغرب ، أما الثالث فانه يتجه ، بالعكس ، من الغرب نحو الشرق • وبعبارة أخرى ، ان سطح أرض الجزيرة يمثل حوضا ضحلا له انحدار عام نحو الجنوب ، كما أن له انحدارات جانبية من جهة الشرق ومن جهة الغرب• وقد أدى تقابل الانحدارات الجانبية من هذين الاتجاهين مع الانحدار العام للسطح من جهة الشمال الى جهة الجنوب ، الى بعض التحريف فى اتجاهات انحدارات سطحها • فمن جهة ، أخذ اتجاه الانحدار من الشرق نحو الغرب اتجاها من الشمال الشرقى نحو الجنوب الغربى • ومن جهة أخرى ، أخذ اتجاه الانحدار من الغرب نحو الشرق اتجاها من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقى • ولهذا التدقيق فى تحديد اتجاهات انحدارات سطح أرض الجزيرة أهمية خاصة • وذلك لان به ترتبط اتجاهات خطوط تصريف المياه • ومن المعروف أن الوديان فى الصحارى هى المسالك التى وضعتها الطبيعة لسير الاتصالات • وتحدد اتجاهاتها بدرجة كبيرة اتجاهات سير الاتصالات أيضا • ويعتبر وادى الثرثار المصرف الرئيسى لمياه أرض الجزيرة • وتأتى منابعه الرئيسية من النطاقات المرتفعة التى تكتنف أرض الجزيرة فى العراق من جهة الشمال

ومن جهة الشرق • ويلاحظ أنه فى مجراه الأوسط وفى مجراه الأدنى يقترب كثيرا من وادى دجلة عنه من وادى الفرات • ولهذا أهمية كبيرة من الناحية البشرية • ذلك لانه يجعل مجرى الحوادث التاريخية فىأرض الجزيرة أكثر ارتباطا بوادى دجلة منها بوادى الفرات • وسنرى فيما بعد بعض أدلة على ذلك وعلى الاخص فى العصر الفارسى – الرومانى •

ويفيض وادى الثرثار بالمياه[٢] فى فصل سقوط الامطار فى الشتاء وفي أوائل الربيع ، ثم يجف فى فصل الصيف • الا أنه يتضمن فى بعض امتداداته مناطق تتوفر فيها المياه فى كل فصول السنة ، وذلك حيث توجد بعض عيون تنصرف مياهها اليه[٣] • وتعجز فى الوقت الحاضر موارد المياه فى وادى الثرثار عن الوصول الى أراضى السهل الفيضى • الا أنه بسبب قرب المنطقة التى يصب فيها من رأس الخليج القديم ، فليس بعيد الاحتمال أنه كان يصب فى هذا الخليج أثناء العصور المطيرة ، وانه اشترك برواسبه أيضا فى بناء قسم من السهل الفيضى • واذا صح ذلك، جازالقول بأن وادى الثرثار كان أحد الطرق المباشرة التى سلكتها هجرات بعض الشعوب لتعمير سهل العراق •

ولوادى الثرثار ثلاثة منابع رئيسية ، هى وادى الثرثار ووادى ابرة ووادى الثريثير[٤] • ويغذى هذه المنابع عدد كبير من المسايل تأتى اليها من نطاق المرتفعات الشمالية فى أرض الجزيرة • وتكون سلسلة تلال سنجار فى هذا النطاق خط تقسيم للمياه بين منبع وادى الثرثار وبين بعض منابع نهر جغجغة (هرماس القديم) رافد الخابور • كما أنها تتضمن بعض ممرات • وهى لهذا لا تعتبر حاجزا أمام سير الاتصالات • بالرغم من أنها تمتد بين الشرق وبين الغرب مسافة نحو ٧٠ كم ، كما تتسع بين الشمال

(٢) راجع (٨٦ ، الجزء الاول) ص ٥١ •
(٣) راجع (١٩١) ص ٨ ، ١٦ ، ١٧ •
(٤) انظر الخريطة رقم ٧ •

وبين الجنوب نحو ١٤ كم• وكذلك بالرغم من أن ذراها ترتفع الى نحو ١٤٠٠ مترا[٥] • وبهذا يمكن القول بأن طريق وادى الثرثار – وخلال تلال سنجار – وادى جغجغه ، يمكن أن يستخدم فى نقل الاتصالات بين سهل العراق من جهة وبين دلتا الخابور والعالم السورى من جهة أخرى•
أما باقي أجزاء النطاق المرتفع فى شرق تلال سنجار فانه أقل ارتفاعا ، كما أن اتساع الثغرات التى تفصل بين أجزائه أكبر • وهو يكون أيضا خطا لتقسيم المياه ، بين ما ينصرف نحو الشمال الى وادى المر الذى يتصل بنهر دجلة شمال الموصل بقليل وبين ما ينصرف نحو الجنوب الى المنابع الاخرى لوادى الثرثار • وتأتى بعض منابع وادى المر ، من السفوح الجنوبية لمرتفعات طور عابدين • وبهذا يمكن القول بأن عن طريق بعض المنابع الشرقية لوادى الثرثار وخلال بعض الممرات فى القسم الشرقى من نطاق المرتفعات الشمالية ، ثم خلال بعض منابع وادى المر ، يمكن أن تنتقل الاتصالات بين سهل العراق وبين منطقة نصيبين فى القسم الشمالى أو الاوسط من نطاق الهلال الخصيب • وليس بعيد الاحتمال أن يكون قد قام فى الماضى ، عند مشارف الممرات فى نطاق المرتفعات الشمالية بعضمدن أو قلاع لتسيطر على سير الاتصالاتالمارة خلالها بين الشمال وبينالجنوب• ولقد تكرر ذكر حصن سنجار فى أوقات الصراع بين الفرس والرومان، وكانت تلعفر حصنا آخر فى العهد الآشورى ، كما توجد بعض آثار أخرى لعمران قديم فى بعض المناطق مثل منطقة تل ابراهيم[٦] • ولا تزال بلدة سنجار محتفظة ببعض أهميتها • أما منطقة تلعفر التى تمتاز ببعض مزايا طبيعية وبشرية فانها لا تزال ، وكما يبدو أنها كانت كذلك فى بعض أدوار التاريخ القديم ، بؤرة تخرج منها الاتصالات خلال مسالك طبيعية • فخلال الممر الذى تشرف عليه ، وهو الذى يقع بين جبل سنبار من جهة الشرق

(٥) راجع (١٧٣) ص ٦٩ •
(٦) انظر الخريطة رقم ٢ أو الخريطة رقم ٧ •

وبين جبل ساسان من جهة الغرب ، يمتد مسلك يتجه نحو الشمال خلال بعض منابع وادى المر الى منطقة نصيبين • كما يتجه مسلك آخر نحـــو الشمال الغربى ، على طول خط الواحات الموجودة عند السفوح الشمالية لتلال سنجار ، الى وادى الخابور • وكذلك يتجه منها مسلك ثالث مـــع المنابع الشرقية لوادى الثرثار الى منطقة الحضر • اما فيما بين الشرق وبين الغرب فيمتد مسلك بين الموصل على دجلة وبين عنه على الفرات ، وذلك على طول خط الواحات عند السفوح الجنوبية لنطاق المرتفعات الشمالية(٧) •

أما المنابع الثانوية الاخرى لوادى الثرثار فتأتى اليه مـن نطاق التلال الشرقية التي تمتد على الجانب الايمن لمجرى نهر دجلة • وليست أجزاء هذا النطاق متصلة ، كما أنها لا تبدو كلها أجزاء من خط التواء واحـد • ويجد بعض الباحثين علاقات بين بعض هذه الاجزاء وبين بعض خطـوط الالتواءات على الجانب الايسر لنهر دجلة ، وذلك مثل ما بين التواء قرةشوق وبين التواء القيارة(٨) • وتتمثل أوضح العلاقات بين خطـوط الالتواء فى شرق المجرى الاوسط لنهر دجلة وبين خطوط الالتواء فى غربه ، فـى نطاق حمرين – مكحول • ومما تجدر ملاحظته أن خطوط المرتفعات فى غرب نهر دجلة تأخذ ، كخطوط المرتفعات فى شرقه ، اتجاها عاما بـين الشمال الغربى وبين الجنوب الشرقى • كما توجد أيضا أحواض منخفضة أو وديان تفصل بين البعض منها وبين البعض الاخر • وينحدر سطح هذه الاحواض نحو وادى دجلة وتجرى فيها وديان تصرف بعض مياه المرتفعات التى تكتنفها • وتنبع من الحافة الغربية لهذه المرتفعات وديان أخرى تكون روافد لوادى الثرثار • وقد ساعد هذا على ايجاد فرص لسير الاتصالات بين بعض المناطق على وادى الثرثار وبين بعض المناطق على وادى دجلة • ومن بين الوديان الهامة التى تتجه نحو نهر دجلة ، وادى ام الشبابيط •

(٧) انظر الخريطة رقم ٧ •
(٨) راجع (٥٢) ص ٢٥ ، ٣٣ •

وتأتى بعض منابع هذا الوادى من تلال مكيحل • وهى امتداد قليل الارتفاع لسلسلة تلال مكحول ، ومنها تنبع ايضا بعض وديان تتجـــه الى وادى الثرثار • ومما هو جدير بالملاحظة انه عند التقاء بعض هذه الوديان بوادى الثرثار ، قامت مدينة الحضر ، وقد كانت عاصمة لمملكة ولعبت دورا هاما فى تاريخ العلاقات الاقتصادية والسياسية بين الفرس الفرثيين وبين الرومان ، وذلك قبل أن يقضى عليها فى أوائل العصر الساساني(٩) • وكذلك قامت مدينة اشور (موضع قلعة شرقاط الحالية) أيضـــا عند مصب وادى أم الشبابيط فى نهر دجلة • ومن المعروف أن مدينة اشور كانت أولى عواصم الاشوريين • واذا راعينا أنه فيما بين منطقة الحضر على الثرثار وبين منطقة آشور على دجلة يقترب الواديان كثيرا من بعضهما ، وراعينا كذلك الدور الهام الذى تلعبه تلال مكيحل أمام سير الاتصالات سواء اكانت بين الشرق وبين الغرب ام كانت بين الشمال وبين الجنوب(١٠) ، يمكن أن نستنتج وجود صلات بين أسباب العظمة التى تمتعت بها منطقة آشور من جهة ومنطقـــة الحضر من جهة اخرى • وليس ببعيد الاحتمال ، أن يجد الاركيولوجيون تحت الاثار الفارسية فى منطقة الحضر آثارا آشورية ، ذلك لان هـــذه المدينة تقع على أقصر طريق يربط بين عاصمتهم (آشور) من جهـــة وبين سوريا الجنوبية ومصر من جهة اخرى •

ويكون نطاق مكحول فى غرب نهر دجلة ونطاق حمرين فى شرقه نهاية منطقة الجبال والمقدمات الجبلية ، نحو باقى أرض الجزيرة مـــن جهة ونحو سهل العراق من جهة اخرى • وبهذا تتفتح فى جنوب هذين النطاقين سبل الاتصالات بين هاتين الجهتين من الاراضى السهلة ، ولا يحدد اتجاه المسالك بينهما الا موارد المياه ، والا ما يراعى من تفضيل السير فى

(٩) راجع فى الجزء الثانى موضوعى (الفارثيون والساســانيون ، ص ٢٢٧ – ٢٨١) •
(١٠) انظر الخريطة رقم ٧ •

بعض المناطق على البعض الاخر بسبب أشكال السطح التى يسهل السير على بعضها ويصعب على البعض الاخر • ومن المحتمل أن يكون قد قام فى بعض أدوار التاريخ القديم ، على الجزء الواقع من نهر دجلة تحت نطاق حمرين – مكحول مباشرة ، مدن ارتبطت بعض اهميتها بطريق وادى الثرثار ، وذلك مثل موقع بلدة بيجى ومثل موقع مدينة تكريت • وتعطى ظاهرات السطح أهمية كبيرة لموقع بيجى • اذ يلاحظ أن عندها يقترب وادى الثرثار من نهر دجلة أكثر مما هو فى المنطقة الواقعة بين الحضر وبين قلعة شرقاط (آشور القديمة) • • كما يلاحظ انه بسبب اعتراض سلسلة مكحول لسير الاتصالات الصاعدة على الضفة اليمنى لنهر دجلة ، فان عند هذه البلدة يتحدد مسلك سير هذه الاتصالات على طول السفوح الجنوبية الغربية لهذه السلسلة حتى تلتقى فى نطاق مكيحل بمسلك الاتصالات بين الحضر وبين قلعة شرقاط[11] • وبعبارة اخرى انه عند بيجى تلتقى الاتصالات الصاعدة على الضفة اليمنى لنهر دجلة مع الاتصالات النازلة عليها وكذلك تلتقى بعض الاتصالات القادمة فى وادى الثرثار •

وليس لموقع تكريت فى علاقته بوادى الثرثار أهمية كبيرة تماثل أهمية موقع بيجى • ويهمنا أن نشير الى أن ما يرويه بعض المؤرخين من أن وادى الثرثار كان يتصل بنهر دجلة فى منطقة تكريت[12] لا تؤيده الظاهرات الحالية للسطح[13] • وذلك لان هناك نطاقا مرتفعا نسبيا ، ويعرف باسم قارة القاصة ، ويمتد قريبا من نهر دجلة ، حيث يبدأ بالقرب من بيجى • ثم يأخذ اتجاها معاكسا لاتجاه سلسلة مكحول • أى أنه يأخذ اتجاها بين الشمال الشرقى وبين الجنوب الغربى •

---

(١١) انظر الخريطة رقم ٧ •

(١٢) راجع (٣٣) ص ٥٢١ – ٥٢٦ مع الحواشى • ، (١٦٢) ص ٨٧ ، ٩٨ • ، (٨٦) ص ٥٠ • ، (٢٥٧) ص ١٦ – ١٧ •

(١٣) انظر الخريطة رق ٧ •

ويبدو أن بتأثير هذا النطاق انبعج مجرى وادى الثرثار نحو الغرب ، حتى بلغ أقصى بعد يفصل بينه وبين مجرى نهر دجلة فى منطقة تكريت أو فى جنوبها بقليل • وليست قارة القاصة مرتفعة مثل تلال مكحول او تلال مكيحل • كما انها لا تكون عقبة فى طريق الاتصالات بين تكريت وبين وادى الثرثار ، ولكنها مع ذلك مرتفعة بالقدر الذى يجعلها تكون خطا واضحا لتصريف المياه بين ما يتجه منها نحو نهر دجلة وبين ما يتجه نحو وادى الثرثار •

وفى جنوب قارة القاصة توجد حافات اخرى قليلة الارتفاع وتوازيها فى اتجاهها[14] • مثل حافة مرقب الطيور وحافة الشنانات • وينتهى امتداد هاتين الحافتين فى داخل ارض الجزيرة ، جنوب شرق منخفض أم الرحل الذى يصب فيه وادى الثرثار • ولا يعرف ان كان لهاتين الحافتين أو لغيرهما من الحافات الاخرى ، قليلة الارتفاع ، التى تمتد فى جنوب غربى المنخفض وجنوبه ، مثل حافة طار المزابد أثر فى عرقلة امتداد جريان وادى الثرثار نحو سهل العراق فى الماضى أم لا • والملاحظ ان منخفض أم الرحل ينخفض كثيرا فى الوقت الحاضر عن مستوى سطح ارض الجزيرة • اذ يقع تحت مستوى سطح البحر بنحو ثلاث أمتار أو اربعة • وتختلف أراء الباحثين فى سبب تكوينه • فمنهم من يراه تكتونيا ، تكون بفعل الحركات الارضية • ومنهم من يراه حوض تعرية ، تكون بفعل التعرية الجوية[15] •

ومهما يكن تكوين منخفض الثرثار ، فانه بسبب انخفاضه عن الاراضى التى تكتنفه فى القسم الجنوبى من ارض الجزيرة ، وبسبب ما يتضمنه من مستنقعات ومن سطوح ملحية هشة ، يكون عقبة فى سبيل استمرار سير الاتصالات بين منطقة الحضر وبين القسم الشمالى من السهل الفيضى • ويزيد فى صعوبات هذه العقبة فى الوقت الحاضر وجود نطاق ضخم من الكثبان

---

(١٤) انظر الخريطة رقم (٧) •

(١٥) راجع (١٤٠) ص ١ وما بعدها •

الرملية فى جنوب هذا المنخفض [١٦] • واذا كانت هذه الصعوبات موجودة فى أدوار التاريخ القديم ، فانها تكون قد أدت الى تقوية الصلات بين القسم الاوسط من وادى الثرثار وبين القســــم المقابل له من وادى دجلة • وبعبارة اخرى تكون المنطقة الواقعة من وادى دجلة بين قلعة شرقاط وبين تكريت معبرا رئيسيا للاتصالات بين سهل العراق وبين أرض الجزيرة •

ويتضمن سطح ارض الجزيرة ظاهرات اخرى • وهى تتمثل ايضا فى وديان ومنخفضات اخرى تكتنفها نطاقات من التلال أكثر ارتفاعا وهضبيات • وتعتبر كل ظاهرة لحد كبير صورة مصغرة لظاهرة وادى الثرثار • وتوجد بعض وديان أخرى تنبع من تلال سنجار وتتبع انحدار السطح نحـــو الجنوب الشرقي ونحو الجنوب وتنتهى الى منخفض يشغل قاعة مستنقع ملحى • ومن أكبر هذه الوديان وادى الشيكاستى الذى يصب فى منخفض أم الجابة ، ووادى قران الذى ينتهى الى منخفض سيســـلة • وفيما عدا الوديان ، توجد أيضا منخفضات أخرى تتجمع فيها الماء بعد سقوط الامطار وتكون مســـــتنقعات تغطيها طبقة من الاملاح فى فصل الجفاف ، مثل مستنقع سنيسلة ومستنقع أشقر • ويشغل كل من هاتين السبختين جزءا من منخفض كبير يقع فى غرب الحضر ويعرف باسم نقرة أم الذئاب • وتشرف عليه من جهة الشمال حافة من ارتفاع نحو ٣٠ مترا [١٧] • ولقد ساعدت أيضا امتدادات بعض الوديان على ايجاد بعض مسالك للاتصالات تربط بين عنه على الفرات وبين الموصل وكذلك بينها وبين تلال ســـنجار [١٨] • ولعل امكان قيام اتصالات ايضا بين عنه وبين هذين الاتجاهين اللـذين يمكن ان ينتقل خلالهما مؤثرات بعض مناطق الهضاب الشـــمالية ، كان من بين الاسباب التى ساعدتها على الاحتفاظ بأهميتها خلال معظم أدوار التاريخ •

(١٦) راجع (٦٤) ص ١١٧ • ، (١٤٠) ص ٩ • ، (١٩١) ص ١٦ ـ ١٧ •
(١٧) انظر الخريطة رقم ٧ • وراجع أيضا (١٩١) ص ١٦ • ، (١٧٣) ص ٦٩ •
(١٨) انظر الخريطة رقم ٧ •

٤ ـ اقليم الجبال والمقدمات الجبلية [١]

يقع هذا الاقليم فى شمال السهل الفيضى وفى شرق ارض الجزيرة • وتقدر مساحته بنحو ٥٧٠٠٠ كم٢ ، أو ما يعادل نحو $\frac{1}{8}$ مساحة العراق [٢] ، ويتضمن من كتل المرتفعات ما يشغل مساحة قدرها نحو ٢٣٫٣٧٠ كم٢ [٣] • وتمتد حدوده الخارجية مع خط الحدود السياسية بين العراق من جهـــة وبين ايران وتركيا وســوريا من جهة اخـــرى • اما حدوده الـداخلية فتكونها ، فى شرق نهر دجلة ســـلسلة تلال حمرين التى تعتبر أوضح حد يفصل بين الاقاليم الفيزيوغرافية فى العراق • وأما مع أرض الجزيرة فيكونها قوس يتجه انبعاجه فى غرب نهر دجلة نحو منطقـــة الموصل • ويتضمن مرتفعات مكحول ، خانوقه ، القيارة ، العطشـــانه ، ابراهيم ، سنبار ، ساسان ، اشقافت ، ثم سلسلة تلال سنجار [٤] • وفيما بين الحدود الداخلية لهذا الاقليم وبين حدوده الخارجية ، يرتفع السطح تدريجيـا • تعلوه خطوط التواءات تمتد متوازيـــة ، الا أن اتجاهها يختلف قليلا بين القسم الشمالى الغربي من الاقليم وبين القسم الجنوبى الشرقى منه • ويمكن القول ، أنه فيما بين نهر دجلة وبين الزاب الكبير تأخـذ خطوط الالتواء اتجاها بين غرب الجنوب الغربى وبين شرق الشمال الشرقى ، وتأخذ اتجاها بين الغرب وبين الشرق مع انحراف قليل نحـــو الجنوب فيما بين الزاب الكبير وبين الزاب الصغير • ثم تأخذ اتجاها بين الشـــمال الغربى وبين الجنوب الشرقى فيمـــا بين الزاب الصغير وبين نهر ديالى • ويلاحظ ، أن

(١) تطلق أيضا تسمية كوردستان على هذا الاقليم بصفة عامة • ولكـن بعض الباحثين يرى أن منطقة الجبال وسفوحها الجبلية هى فقط التى تدخل من هذا الاقليم ضمن كردستان الاصلية • راجع (١٠٤) ص ١٥٢ •
(٢) راجع (٤٤) ص ٣٦ •
(٣) راجع (١٠٠) ص ١١ •
(٤) انظر الخريطة رقم ٧ ، ٩ •

اتجاه محاور الالتواء فى هذا الاقليم يتبع اتجاه محاور الالتواء الاصلى فى قوس طوروس ـ زاجروس[٥] • كما يلاحظ ، انه حيث يتعقد اتجاه هذه المحاور فى عقدة أرمينية تتمثل أيضا هناك ظاهرات التعقيد • وعلى الاخص فى المنطقة الواقعة بين الزاب الكبير وبين الزاب الصغير[٦] •

وجبل حمرين الذى يحدد هذا الاقليم من جهة الجنوب ويفصل بينه وبين قسم السهل الفيضى الذى يقـــع فى شرق المجرى الادنى لنهر دجلة[٧] ، يمتد بين شرق بلدة مندلى فى شرق نهر ديالى وبين نهر دجلة عند الفتحة فى شمال بيجى بقليل ، آخذا اتجاها بين الجنوب الشرقي وبين الشمال الغربى • ويبدو كسلسلة طويلة (حـوالى ١٦٠ كم) من التلال بسيطة الالتواء • وقد كونت فيها التعرية المائية أخاديد ، وقســمت بعض أجزائها الى عدد من الحافات • كما أوجدت ثغرات فصلت بين البعض من هذه الاجزاء وبين البعض الآخر • ولقد انصرفت نحو السهل الفيضى خلال هذه الثغرات مياه القسم الواقع من هذا الاقليـم بين نهر ديالى وبين نهر الزاب الصغير • وتوجد هناك ثغرتان رئيسيتان • تنصرف خلال احداهمـا مياه نهر ديالى وروافده نارين تشاى ، وتنصرف خلال الاخرى مياه شـط العظيم (رافد نهر دجلة) •

وتتكون نواة جبل حمرين من سطوح الفارس السفلى (تكوينات مـن الحجر الجيرى « الفراتى » ومن الجبس) التى ترجع الى الميوسين الاسفل• وتغطى هذه النواة تكوينات الفارس العليا من الحجر الرملى ومـن الحجر الطينى الصفيحى مع تكوينات البختيارى من المجمعات البلايوسينية • وتبلغ سلسلة تلال حمرين أعظم اتساع لها فى قسمها الاوسط • كما تبلغ هناك

---

(٥) راجع (١٠٤) ص ١٤٩ ـ ١٥٢ •
(٦) راجع (٤٤) ص ٣٤ •
(٧) راجع عن سـلسلة تلال حمرين (٥٢) ص ٢٤ ـ ٢٥ ، ٣٢ وما بعدها • ، (١٩٧) ص ٥ وما بعدها • ، (٦١) ص ١٦ • ، (٦٤) ص ١١٤ ، ٢٣٧ • ، (١٩١) • ص ١ •

أيضا اكبر ارتفاع ، حيث تعلو ذراها الى نحو ٥٠٠ متر • اما نحو الجنوب الشرقى ونحو الشمال الغربى فان ارتفاعها يقل تدريجيا كما يقل اتساعها • الا ان هناك مع ذلك ، يوجد بعض الفرق • اذ أنه بينما تبدو ملامح هذه السلسلة ضعيفة فيما بين نهر ديالى وبين مندلى من جهة الجنوب الشرقى ، تبدو من جهة الشمال الغربى محددة بدرجة كبيرة ، وتشرف على نهر دجلة عند الفتحة اشرافا حادا ومن ارتفاع كبير نسبيا •

ومن هذا الوصف لسلسلة تلال حمرين ، يمكن استنتاج أن سـير الاتصالات عبرها بين شرق المجرى الادني لنهر دجلة وبين شرق المجرى الاوسط له ، يزدحم فى ثلاث مناطق رئيسية • تقع المنطقة الاولى منهـا بين مندلى وبين نهر دياله ، اما المنطقة الثانية فتتضمن الثغرة التى كونهـا هذا النهر ، واما المنطقة الثالثة فتتضمن الثغرة التى كونها شط العظيم • ومع ذلك تنبغى ملاحظة ان سلسلة تلال حمرين قليلة الارتفاع وتتضمن ايضا بعض مناطق أخرى اقل ارتفاعا ، يمكن اجتيازها منها بالصعود على ظهرهـا من جانب والنزول مـن الجانب الاخر • ومن النظر الى الخريطـة الطبيعية ، يبدو لاول وهلة ، ان هذه المنافذ جميعها تخدم سـير الاتصالات المارة بين اقليم الجبـال والمقدمات الجبلية من جهـة وبين سـهل العراق ووادى نهر كارون (سـهول سـوسـيانا او علام) ، من جهـة أخرى • ويزدحم ، فى الوقت الحاضر ، سير الاتصالات بين بغداد وبين كركوك ، خلال ثغرة وادى ديالى • ويبدو أن لذلك بعض أسـباب • منها أن قسم الطريق الواقع بين بغداد وبين قرهغان يخدم غرضين ، احدهمـا الاتصالات المتجهة نحو داخل هضبة ايران من بوابة زاجروس ، والاخر الاتصالات المتجهة نحو كركوك[١٨] • ومما اجتذب سير الاتصالات نحـو قرغان فى الوقت الحاضر ، ان الطريق نحوها معبد كما أن على طوله يمتد

---

(٨) انظر الخريطة رقم ٧ ، ٩ • وراجع ايضا (٦٣) ص ١٤١ وما بعدها •

خط لسكة الحديد • وليس معنى هذا أن طريق ثغرة وادى دياله فى سلسلة تلال حمرين لم تكن لها أهمية فى الماضى ، وانما نريد أن نشير الى أن ثغرة شط العظيم ، وهو الرافد الذى يتجاهله بعض الكتاب عند ذكر الروافد الهامة لنهر دجلة ، ربما كانت ذات أهمية اكبر فى نقل الاتصالات بين سهل العراق وبين منطقة كركوك • ذلك لانه يلاحظ من جهة أن وادى هذا الشط يقع بعيدا نسبيا عن منطقة الجبال التى كانت تسكنها فى الماضى شعوب متبربرة ، كما يلاحظ من جهة أخرى ان كركوك تقع على أحد منابعه الهامة • ولمنطقة كركوك أهمية خاصة فى التاريخ القديم لسهل العراق • اذ أن منها تقدم الجوتيون الذين كانت عاصمتهم أربخا (كركوك الحالية أو في منطقتها) ، وهاجموا هذا السهل وسيطروا عليه مدة نحو ١٢٥ سنة[٩] • وفى أوقات أخرى من التاريخ القديم كانت كركوك سوقا تجاريا كبيرا وكان نشاطها التجارى مرتبطا بنشاط البابليين فى السهل الفيضى •

وفى غرب نهر دجلة ، يعرف الامتداد الشمالى الغربى لسلسلة تلال حمرين باسم جبل مكحول • وهو سلسلة من التلال تمتد كبيرة الارتفاع نسبيا ، مسافة نحو ٦٠ كم ثم تضعف • ويسمى امتدادها الضعيف باسم جبل مكيحل • وبالرغم من ان سلسلة جبل مكحول تعتبر من ناحية البنية امتداد لسلسلة جبل حمرين الا أن هناك اختلافا بسيطا فى اتجاه محور الالتواء لكل منهما • فبينما يمتد محور التواء جبل حمرين بين الجنوب الشرقى وبين الشمال الغربى ، يمتد محور التواء جبل مكحول بين جنوب الجنوب الشرقى وبين شمال الشمال الغربى • وقد لاحظ بعض الباحثين هذه الظاهرة كما لاحظ غيرها ، واستنتج أن نهر دجلة بين جبل حمرين وبين جبل مكحول يجرى فى وادى انكسارى • وتشرف جوانب الانكسار

---

(٩) راجع فى الجزء الثانى موضوع « الجوتيون » ص ٨٦ ـ ١٠٠ •

على المجرى مباشرة وبحافات حادة ، وعلى الاخص من جهة جبل مكحول • ولهذا لم يصلح جانب نهر دجلة خلال الخانق من هذه الجهة ، لان يستخدم طريقا لسير الاتصالات بين الجنوب وبين الشمال • مما اضطر هذه الاتصالات أن تتحول من جانب النهر عند بيجى ، وتضرب نحو داخل ارض الجزيرة على طول امتداد السفوح الجنوبية الغربية لجبل مكحول • وقد سبقت الاشارة الى ان سير الاتصالات يتحول ثانية نحو جانب جانب نهر دجلة خلال ممر في تلال مكيحل ، وهو نفس الممر الذى يربط بين الحضر وبين موقع قلعة شرقاط الحالية • ويستنتج من ذلك بان لموقع مدينة شرقاط أهمية خاصة من وجهة نظر المواصلات • ذلك لانها تمثل مدينة الزاوية التى يتحول عندها اتجاه خطوط المواصلات • ومن المحتمل أن أهميتها كانت فى الماضى أكبر مما هى الآن قبل ان يتغلب نهر دجلة على ما كان يعترض مجراه من شلالات او جنادل ويصبح صالحا للملاحة • ولعل هذه الاهمية لموقع قلعة شرقاط كانت من بين الاسباب التى جعلت الاشوريين يختارونه مكانا لبناء مدينة آشور ، عاصمتهم الاولى •

وفى شمال قلعة شرقاط تتلاشى المرتفعات وتتسع السهول على الجانب الغربى لنهر دجلة ، كما هى متسعة على جانبه الشرقى ، وتستمر حتى منطقة القيارة • وفى هذا الامتداد السهلى يتحدد سير الاتصالات على طول امتداد النهر ، مع تحاشى تعرجاته الكبيرة • ولا يبدو أن مدنا هامة قد قامت هناك ، بسبب عدم توفر أسباب قيام الزراعة • وذلك لان التربة رملية وكبيرة المسامية من جهة ، ومن جهة اخرى لان ضفة نهر دجلة تعلو كثيرا فوق المجرى مما يصعب عملية الاستفادة من مياهه فى أغراض الزراعة • ومما يزيد فى جفاف التربة ، أن ميل الطبقات يتجه ايضا نحو المجرى ، مما يسرع بصرف المياه الباطنية اليه فى وقت انخفاضه • وتشبه مرتفعات القيارة ، مرتفعات مكحول في اتجاهها ، كما تشبهها فى ان ارتفاعها يتلاشى تدريجيا نحو داخل ارض الجزيرة • ولكنها تختلف عنها فى أنها لا تشرف

مباشرة على مجرى نهر دجلة ، وانما تبتعد قليلا عنه • وقد مكن هذا سير الاتصالات من ملازمة جانب هذا النهر حتى الموصل[١٠] • وبهذا لم يتوفر عند جانب مرتفعات القيارة على دجلة قيام مدينة الزاوية بمثـل ما توفر فى موقع قلعة شرقاط عند جانب مرتفعات مكحول عليه • وفضلا عن ذلك فان لموقع مدينة الموصل القريبة منها اهمية خاصة ، وقد اجتذب اليها النشـاط الاقتصادى للمناطق التى تكتنفها • ويرى بعض الباحثين ان التواء القيـارة يكون امتدادا لخط التواء قره شوق ـ باتوه فى شرق نهر دجلة[١١] • ولكن الخريطة الجيولوجية لا تبدو مؤيدة لهذا الرأى[١٢] ، واذا ربطنا بين هذه الخريطة وبين الخريطة الطبيعية[٣١] ، نلمس فى جنوب الموصل وفـى جنوبها الغربى وجود خطين من خطوط الالتواء • ويتكون الجنوب منهمـا من مرتفعات القيارة ومن جبل عديه ، وجبل ابراهيم ، وجبل سمبار ثم جبل ساسان • اما الشمال الذى يبدو انه يكون امتدادا لخط التواء قرهشوق ـ باتوه ، فيتكون ، غرب نهر دجلة ، من جبل نويجت ومن جبل عطشـانه • وينتهى كل من خطى الالتواء عند سلسلة جبل اشقافت التى تبـدو امتدادا نحو الشرق لسلسلة جبل سنجار • والواقع ان المنطقة التى تكتنف الموصل تتضمن كثيرا من خطوط المرتفعات ، ويصعب ايجاد الارتباط بين بعضها وبين البعض الاخر ما لم تتوفر الخرائط المفصلة لناحيتها الطبيعية ولناحيتهـا الجيولوجية •

ولقد جرى العرف بتسمية اقليم الجبال والمقدمات الجبلية فى شـمال سهل العراق وفي شماله الغربى ، باسم الاقليم الجبلى فى شمال (شـرق) العراق • ولكن اطلاق هذه التسمية على الاقليم كله لا تبدو دقيقة ، اذ لاحظنا

---

(١٠) راجع (١٩٧) ص ١٧ ـ ١٨ •
(١١) راجع (٥٢) ص ٢٥ •
(١٢) راجع (١٢) •
(١٣) انظر الخريطة رقم ٧ أو رقم ٩ •

أن بعض أجزائه لا يتجاوز ارتفاعه بضع مئات قليلة من الامتار ، بينما يصل ارتفاع بعض اجزائه الاخرى ، وعلى الاخص عند الحدود السياسية مـع ايران ومع تركيا ، الى اكثر من ٣٥٠٠ متر • وتغلب على القسم الجنـوبى الغربى لهذا الاقليم ظاهرة السهول ، وتبرز عليه بعض خطـوط الالتواء المحددة ، الا أنها قصيرة الامتداد كما انها قليلة الارتفاع • ولا تتمثل ظاهرة الوديان الجبلية فيما بين بعض هذه الخطوط وبين بعضها الاخر ، وانما توجد سهول واسعة نسبيا • ومع ذلك فان هذا القسم يشترك مع باقى اقسـام الاقليم فى ظاهرة عامة ، وهى ارتفاع مستوى السطح ارتفاعا مضطردا وبصفة عامة من وادى دجلة نحو الهضاب الشمالية • اما القسم الشمالى الشـرقى والشمالى من الاقليم فان ظاهرات الجبال تتغلب على سطحه • ومستواه العام كبير الارتفاع ، وتبدو عليه خطوط الالتواءات المحدبة شاهقة الارتفـاع وكبيرة الامتداد • كما تتمثل فيما بين بعضها وبين البعض الاخر ظاهـرة الوديان الجبلية[١٤] • ومع ذلك فانه بالرغم من وجود بعض ظاهرات التباين بين القسمين فانه توجد بعض ظاهرات أخرى متشـابهة فى كل منهما ، وتجعل من الصعب لحد ما ، وضع حد دقيق يفصل بينهما • ويبدو مـن الافضل لدراسة سطح هذا الاقليم بعد هذه المقدمة ، أن نقسمه الى خمس مناطق ثانوية متميزة ، ويتلو الواحدة منها الاخرى فيما بين وادى دجلة وبين الحدود السياسية • وهى :ـ

أ ـ منطقة السهول المموجة ويرتفع مستواها الى نحو ٥٠٠ متر تقريبا •
ب ـ منطقة الهضاب المموجة ويرتفع مستواها بين ٥٠٠ـ١٠٠٠ متر تقريبا •
جـ ـ منطقة السفوح الجبلية ويرتفع مستواها بين ١٠٠٠ـ٢٠٠٠ متر تقريبا •
د ـ منطقة السهول الجبلية ويرتفع مستواها بين ٤٠٠ـ٦٠٠ متر تقريبا •
هـ ـ منطقة الجبال ويتجاوز مستواها ٢٠٠٠ متر •

---

(١٤) راجع (١٣٦) ص ١٤ • ، (٦١) ص ٣١ •

١ – منطقة السهول المموجة

تقع هذه المنطقة فى شرق المجرى الاوسط لنهر دجلة مباشرة • وتمتد نحو الداخل الى مستوى نحو ٥٠٠ متر تقريبا • ويختلف اتســـاع بعض أجزائها عن البعض الاخر • ويقع أوسع اجزائها فى قسمها الاوسط ثم تضيق تدريجيا وبصورة عامة نحو الجنوب الشرقى ونحو الشمال الغربى • والاراضى المرتفعة فيها مكونة من رواسب فيضية ، الا ان معظمها رواســب خشنة من الرمل والحصى • ويبدو أن سبب ذلك يرجع الى شدة الانحدار العام للسطح نحوها من المناطق الجبلية • وترى الرواسب الخشنة أيضـــا هناك فى مجارى الانهار والجداول وعلى جوانبها • وقد شوهد هذا فى منطقة الطون كوبرى على الزاب الصغير ، وفى منطقــة كفرى على كفرى صو • وبالرغم من أن ظاهرات السهول هى السائدة فى هذه المنطقة ، الا انهـــا تتضمن بعض نطاقات من التلال • وتنبغى الاشارة هنا الى ان التلال فى هذه المنطقة ككل نطاقات التلال وكذلك نطاقات الجبال فى المناطق الاخرى التى يتضمنها هذا الاقليم ، وان مثلت خطوط التواءات الا انها ليســت متصلة ، وتتضمن ثغرات تفصل بين بعض أجزائها وبين البعض الاخر • وفى هـــذه المنطقة تكثر نطاقات التلال نسبيا فى القسم الجنوبى الشرقى منها • وهنـــاك توجد أربعة نطاقات • والنطاق الاول منها يمتد موازيا للقسم الشرقى مـــن تلال حمرين ويتكون من ثلاثة اقسام • يعرف القسم الشرقى منها باســـم جبل داراوشكه ، ويعرف القسم الاوسط باسم جبه‌داغ • ويعرف القســـم الاخير وهو اقل وضوحا باسم جبل جلابات • وتوجد بين القسم الاول مـــن هذا النطاق وبين القسم الثانى منه ثغرة يجرى خلالها نهر ديالى • كمـــا تجتازها عند قره‌غان طرق للمواصلات بين سهل العراق وبين داخل هضبة ايران خلال بوابة زاجروس • اما فيما بين باقى امتداد هذا النطاق وبين ما يقابله من نطاق تلال حمرين فيوجد شريط سهلى يجرى فيـــه نارين تشاى ، رافد ديالى • والنطاق الثانى يتكون من سلسلة واحدة من التلال وتعرف

باسم جبل قمر أو قمار • اما النطاق الثالث وهو اكثر وضوحا واعظم امتدادا فانه يتكون من اربعة اقسام • يقع القسم الاول منها على الجانب الايسر لنهر دياله • اما الاقسام الاخرى فتقع على جانبه الايمن • ويعرف القسم الاول باسم أقداغ ، ويعرف القسم الثانى باسم اسناكال ، اما القسم الثالث فتحمل اجزاؤه تسميات مختلفة ، ومن بينها كفرى داغ ونفط داغ • ولا تعـــرف تسمية خاصة للقسم الرابع ، ويمكن ان ننسبه الى طوزخورماتو بسبب موقعها عند حافته الجنوبية الشرقية • ويلاحظ انه فيما بين النطاق الاول من هـــذه التلال وبين النطاق الثانى يوجد وادى واسع • ويوجد كذلك وادى آخر بين النطاق الثانى وبين النطاق الثالث • وينفتح كل منهما أمام بوابة زاجروس • وهى اهم منفذ للاتصالات بين هضبة ايران وبين سهول الشرق الاوسط • ويبدو ان خلال احد هذين الواديين قد امتد الطريق الملكى الفارسى الـــذى كان يصل بين اكباتانا (همدان الحالية) العاصمة الفارسية وبين ساردیس على الساحل الشرقى لبحر ايجه • وأما النطاق الرابع من نطاقات التلال ، فانـــه يحدد هذه المنطقة من جهة الشمال الشرقى ويفصل بينها وبين منطقـــة الهضاب المموجة • وتحمل اجزاؤه تسميات مختلفة[١٥] منهـــا على داغ ، باتيوه وقره‌شوق • ومما تجدر ملاحظته انه فيما بين بعض أجزاء هذه‌النطاقات الاربعة وبين بعضها الاخر توجد ثغرات ، وجرت خلال بعضها أنهار صغيرة أو جداول مختلفة الاهمية • وقد قامت عند هذه الثغرات مدن هامة مثل كفرى وطوزخورماتو وطاووق وكركوك ومخمور وقوير • وتتفوق أهمية بعض هذه المدن على البعض الاخر لسبب او لآخر من الاسباب المحلية ، ولكنهـــا جميعها تشترك فى انها اكتسبت اهميتها من بعض عوامل جغرافية ثابتـــة • فقد جعلتها ظاهرات سطح الاراضى التى تكتنفها تقع على مسلك محدد لحد ما تسير عليه الاتصالات بين سهل العراق وهضبة ايران من جهة وبين منطقة الموصل وما يتصل بها جهة اخرى • كما جعلتهـــا تقع عند منافذ محددة

---

(١٥) انظر الخريطة رقم ٩ •

بمسالك تصل بين الجهات التى تقع على جانبيها • ويلاحظ أيضا أنها تقع بين اقليمين طبيعيين يختلف احدهما عن الآخر • أحدهما اقليم الجبال ومقدماته من جهة الشرق ومن جهة الشمال والاخر اقليم السهول من جهة الجنوب ومن جهة الغرب • ويشتهر الاقليم الاول بغلاته من الكروم والزيتون وشجيرات الفاكهة وبعض الاشجار الاخرى وبالحيوانات ومنتجاتها بالاضافة الى الحبوب الشتوية • كما ان به ثروات أخرى من الصخور المتنوعة وربما من بعض أنواع المعادن • اما الاقليم الاخر فانه يشتهر بالتمور وببعض انواع أخرى من الحبوب كالارز ، وينتج كذلك بعض النباتات الليفية كالكتان والقطن • واذا راعينا ان الحضارة الزاهرة التى قامت في سهل العراق تفتقر الى عناصر اساسية ويتوفر بعض منها فى الاقليم الاول ، امكن القول بأن كل المدن التى اشرنا اليها او بعضها ، كانت اسواقا لتبادل المنتجات بين الاقليمين • وتبدو هذه الخاصية واضحة ، اذا راعينا ان طرق الموصلات ووسائلها فى الازمنة القديمة كانت تفرض على المركز الحضارى أن يستعين على سد حاجياته باسهل الطرق ومن أقرب الاسواق • وكذلك اذا راعينا أن هذه المدن تقع بين اقليمين يختلف كل منهما عن الاخر كثيرا ، سواء من ناحية السلالات ام من ناحية الاسس التى قامت عليها حضارة كل منهما • على ان هذا الموقع ، وان أعلى لهذه المدن قوة من الناحية الاقتصادية الا انه يعتبر جانب ضعف فيها من الناحية السياسية • وذلك لان مزاياه تجعلها ميدان صراع بين الشعوب السامية المتحضرة بحضارة السهول من جهة وبين الشعوب الجبلية المتحضرة بحضارة الجبال من جهة أخرى • ولقد أدرك الاتراك السلجوقيون فى العصور الوسطى أو الاتراك العثمانيون هذه المزايا وما يقوم حولها من صراع وما يترتب على ذلك من قلقلات تعرقل سير التجارة فاقاموا فى هذه المدن وفى غيرها من المدن الاخرى التى تقع على امتداد طريق المواصلات بين مدخل السهل الفيضى من تلال حمرين وبين منطقة الموصل ، حاميات تركية صبغت السكان هناك بالصبغة التركية • وتكون

من الناحية الاثنوغرافية حدا يفصل بدرجة كبيرة بين العناصر العربية التى تسكن السهول من جهة وبين الاكراد ونحوهم من الشعوب الاخرى التى تسكن فى المناطق الجبلية[١٦] • وليس بعيد الاحتمال ان يكون سكان سهل العراق فى أدوار التاريخ القديم ، قد لاحظوا أيضا أهمية هذه المدن وما يعتور هذه الاهمية من بعض نواحى ضعف • فعملوا على السيطرة عليها وأقاموا فيها ايضا حاميات لصيانة تجارتهم معها وكذلك لصيانة طريق تجارتهم المار بها نحو شرق البحر المتوسط ، فضلا عن حراسة مدخل بلادهم من جهتها • وفي التاريخ القديم بعض حوادث يستدل منها على أن بعض ملوك هذا السهل قد شنوا حروبا وبذلوا جهودا أخرى فى سبيل تحقيق ذلك • ومع ذلك ، تنبغى الاشارة الى ان أهمية هذه المدن وكذلك اهمية الطريق المار بها لا ترتبط فقط بسهل العراق ، وانما ترتبط ايضا بداخل هضبة ايران • ولهذا فمن المتوقع ان يقوم على السيطرة على هذه المنطقة صراع بينهما • وقد بدت بوادر هذا الصراع منذ قيام أول دولة معروفة فى هضبة ايران وهى دولة الميديين • فان هذه الدولة التى اشتركت مع الكلدانيين فى القضاء على الامبراطورية الاشورية والتى كانت تربط بينها وبينهم صلات المصاهرة قد أصرت ، عند تقسيم أملاك آشور ، على ان تحتفظ لنفسها بالقسم الواقع منها فى شرق نهر دجلة • وقد كان لهذا آثار خطيرة • لانه وضع فى أيديهم مدخلين رئيسين لسهل العراق ، كان البابليون أو الاكاديون أو غيرهم من الشعوب التى قامت فى هذا السهل حريصين على الاحتفاظ بها فى ايديهم • ولعل هذا كان من أهم الاسباب التى مكنت كورش الفارسى من الدخول الى بابل والقضاء على دولة الكلدان فيها وهي فى مجدها ، حيث كانت املاكها وقتئذ تمتد بين حدود مصر وبين الخليج العربى وتتعمق فى داخل الجزيرة العربية الى تيماء •

---

(١٦) راجع (٤٤) ص ٨٥ ، ١٠٠_١٠١ • ، (١٣٦) ص ٨١ وما بعدها ، (١٦٨) ص ١٥ •

المقاومة ، استطاعت ان تقاوم لحد ما حركات الالتواء ، مما ســبب حدوث انكسارات فيها • وهناك ، ترى ظاهرات الانكسار واضحة فى بعض الجهات• فمثلا يلاحظ فى مناطق كفرى وطوزخورماتو وطوق وكركوك وفى بعض مناطق اخرى ، تقابل تكوينات من اعمار مختلفة على جوانب الوديان التى تجتازها[٢١] • وبعض الباحثين يعزو الى حالات انكسار ، ظاهرة ترشــح النفط على سطح الارض فى منطقة بابا جرجر بالقرب من مدينة كركوك • كما يعزو اليها خروج الغاز الذى يبدو ملتهبا على سطح مساحة واسعة مــن الارض هناك[٢٢] • وتنصرف معظم مياه هذا القسم الى شط العظيم وروافده من جهة والى نهر ديالى من جهة اخرى عن طريق بعض روافده وعــلى الاخص نارين تشاى ، وهو الرافد الذى يتصل به عند الثغرة التى يجتاز منها سلسلة تلال حمرين • وتكون الوديان الوسطى لهذه الانهار خــلال منطقة السهول المموجة طرق مواصلات جيدة نحو سهل العراق • اما وديانها العليا فى هذا القسم من منطقة الهضاب المموجة فانها عبارة عن خــوانق عميقة ، ولهذا فان سير الاتصالات خلالها لا يتقيد بها ، ويسلك اسهل السبل الموصلة الى اهدافه •

ومما تقدم نستلخص الاتى :ـ

١ ـ انه بالرغم من غزارة الامطار نسبيا فى هذا القسم[٢٣] ، فانه بسـبب تربته من تكوينات مسامية (المجمعات والحجر الرملى) ، فان حيــاة الرعى تتغلب على حياة الزراعة فى القسم الاكبر من جهاته •

ب ـ انهبسبب ما يكتنفه من نطاقات مرتفعة فى معظم اتجاهاته الا من جهــة

---

(٢١) راجع (١٧٣) ص ٥٤ • ، (٦١) ص ٧ • ، (١٩١) ص ١٤ • ، (٦٤) ص ٢٣٧ ـ ٢٣٩ •

(٢٢) راجع (٥٢) ص ٤٠ • ، (٦٤) ص ٢٤٢ ـ ٢٤٤ •

(٢٣) يبلغ معدل سقوط المطر فى كركوك نحو ٤٠ سم • راجع (١٧٨) ص ٤٣ •

الجنوب والجنوب الغربى وهى الجهة التى ينحدر اليها ســطحه ، والتى تنفتح الى منطقة السهول المموجة ، لذلك غلب اتجاه ســكانه نحو هذه المنطقة •

جـ ـ انه بسببعمق الوديان النهرية فيه،وتكوينها الاخدودى، فان مسالك الاتصالات التى تجتازه لا تتقيد غالبا بها •

٢ ـ القسم الواقع بين الزاب الصغير وبين الزاب الكبير (٢٤) •

يتكون هذا الاقليم ، فى قسمه الشمالى من سهل مضرس الســطح يشتهر باسم سهل أربيل ، حيث تقوم فى وسطه مدينة أربيل المعروفــة • أما قسمه الجنوبى فيتكون من نطاقين من المرتفعات يمتدان بين الجنوب الشرقى وبين الشمال الغربى ، ويفصلان بين سهل أربيل وبين سهل قرەشوق الا من مرات معينة يتحدد خلالها سير الاتصالات بينهما • ويعرف النطاق الشمالى منهما باسم جبل أوانه أما النطاق الجنوبى فيعرف باسم جبل قرەشوق[٢٥] •

، جبل قرەشوق هو الاكثر ارتفاعا ، كما أنــه أكثر من جبل أوانه تحددا • ومع أن ارتفاعه يصل الى ما يقرب من ٨٠٠ متر ، الا انه يبدو أنه كان فى الماضى اعلى من ذلك بكثير • وذلك بملاحظة أن ذراه قد تعرت من التكوينات البلايوسينية التى لا تزال تكون ذرى بعض من المرتفعات الاخرى المجاورة • بل ان ذراه قد تعرت أيضا من التكوينات الاخرى التى تسبق فى الزمن التكوينات البلايوسينية ، حتى بدت التكوينات الجوراسية عــلى السطح •

على أنه تنبغى الاشارة ، مع ذلك ، الى أن وجود هذه التكوينات القديمة نسبيا على السطح ليس دليلا يجزم بأنه كان شاهق الارتفاع فى الماضى •

---

(٢٤) راجع أيضا عن هذا القســم (٥٢) ص ٢٧ ، ٣٧ وما بعدها • ، (١٣٦) ص ١٧ ـ ٢٢ • ، (١٧٣) ص ٨٧ ، ١٦٦ • ، (١٩١) ص ٢٠ ـ ٢٣ • والخريطة رقم ١٠ •

(٢٥) انظر الخريطة رقم ١٠ •

انه قد يرجع السبب فى ذلك الى أنه مركب الالتواء أو أنه يتضمن انكسارات .

وفى الواقع ان ظاهرات الانكسار تبدو فى شدة انحدار سفوحها نحو صحراء قرهشوق ونحو الزابين . كما تبدو أيضا فى وجود ممر يجتازها فى القسم الاوسط منها ، وهو أكثر اجزائها ارتفاعا . وتطلق على هذا الممر ، الذى لا يبدو وأن تعرية مائية قد كونته ، اسمر ممر حسين غازى . كما تطلق عليه أيضا تسمية ممر مخمور نسبة الى بلدة مخمور التى تقوم عند منفذه الى سهل قره شوق(٢٦) . ومما تجدر ملاحظته أن الطريق الذى يجتاز هذا الممر قادما من سهل أربيل يمر بمخمور وينتهى عند بلدة سفينة التى تقع على الجانب الايسر لنهر دجلة فى مقابل قلعة شرقاط على الجانب الايمن حيث قامت آشور ، أولى عواصم الاشوريين .

أما سلسلة أوانه فان ارتفاع ذراها لا يتجاوز نحو ٥٠٠ متر . ويرى بعض الباحثين أنها مركبة الالتواءات أيضا وتتضمن ظاهرات انكسار . كما يرى أنها تكون امتدادا لسلسلة كانى دوملان وما يتصل بها من نطاق تلال بابا جرجر (الذى يؤخذ منه بترول كركوك) . ثم انفصلت بسبب أنكسار حدث عند الممر الذى يجتازه الآن نهر الزاب الصغير فى منطقة ألطون كوبرى . وليس ببعيد الاحتمال أن يكون الممر الذى تتضمنه فى مقابل ممر مخمور فى سلسلة قرهشوق قد حدث أيضا بسبب انكسار .

ويفصل بين السلسلتين وادى وسع ، يعلو قليلا فى القسم الاوسط منه ويكون منطقة تقسيم مياه بين قسمه الجنوبى الشرقى الذى يتسع نحو الزاب الصغير ويعرف باسم سهل كنديناوه . وبين قسمه الشمالى الغربى الذى يتسع نحو القوير على الزاب الكبير ويعرف باسم سهل شمامك . ويعلو

---

(٢٦) يلاحظ أيضا أن فى منطقة مخمور توجد عين ماؤها حار نسبيا ويبلغ تصرفها نحو ١٥٠٠ جالون فى الدقيقة . راجع (١٩١) ص ٢٣ .

كذلك مستوى الوادى بارتفاع تدريجى نحو سفوح سلسلة أوانه ، وتطلق عليه هناك تسمية سهل ديبكة .

ويقع سهل اربيل فى شمال شرق اوانه داغ . وهو عباة عن حوض واسع وغير منتظم الشكل . ويبلغ طوله بين الجنوب الشرقى وبين الشمال الغربى نحو ٨٥ كيلو مترا . أما عرضه ، فيبلغ فى الاتجاه المقابل نحو نصف هذا المقدار . ويتكون من صخور رسوبية حديثة ترتكز على تكوينات اقدم من الرمال والحصى والمجمعات . وسطحه ليس مستويا تماما ، وانما تتموج بعض أجزائه وتعلوها روابى أو تلال قليلة الارتفاع وحافات . وتوجد أعلاها فى غرب أربيل وتعرف باسم دميرداغ ، وترتفع ذراها فوق المستوى العام بنحو ١٢٠ مترا . ومع ذلك ، فان أعلى ارتفاع لمستوى السطح لا يوجد فى غرب أربيل ، وانما يوجد فى شمالها الشرقى . فبينما يعلو المستوى فى وسطه حول مدينة أربيل نحو ٣٦٠ مترا ، يعلو نحو الشمال الشرقى أكثر من ٥٠٠ متر ويهبط الى نحو ٣٠٠ متر نحو الجنوب الشرقى ونحو الجنوب الغربى . وتنصرف مياهه نحو هذين الاتجاهين . ولهذا كانا أوفر ماء واكثر غنى فى الحياة النباتية من الاتجاهات الاخرى(٢٧) .

والخلاصة ان هذا القسم من منطقة الهضاب المموجة ، يتمتع بتضمنه منطقة واسعة من الاراضى السهلية الخصبة ومركزها اربيل . وتعتبر مركز جذب للمناطق الرعوية التى تكتنفها . وهى تمتاز بانها تقع على مواصلات سهلة مع بعض المراكز العمرانية الكبيرة ، وعلى الاخص مع كركوك عن طريق وادى جولان ، ومع الموصل عن طريق سهل شمامك . كما تتصل بوادى دجلة ، مقابل آثار مدينة آشور ، خلال بعض ممرات وعلى الاخص ممر حسين غازى .

---

(٢٧) راجع (١٣٦) ص ٢٠ – ٢١ .

٣ – القسم الواقع بين الزاب الكبير وبين نهر دجلة (٢٨) ٠

يطلق بعض الباحثين على هذا القسم وكذلك على القسم الذى سيتلوه (بين نهر دجلة وبين نطاق تلال القيارة – سنجار) اسم هضبة آشور ٠ الا ان هذه التسمية ليست دقيقة من الناحية التاريخية ٠ ويمتاز هذا القسم عن القسمين السابقين عليه من منطقة الهضاب المموجة ، بأنه أكثر منها تنوعا فى تضاريسه وفى تكويناته ، كما أنه أغزر منها امطارا ٠ وبسبب هذه الغزارة النسبية فى الامطار ، وكذلك بسبب سرعة انحدار سطحه من المرتفعات العديدة التى يتضمنها نحو منخفضاته ، كان معظم تكوينات هذه المنخفضات من الرواسب الخشنة فيما عدا قيعانها فانها مكونة من رواسب دقيقة وناعمة ٠ ولقد ساعدت غزارة الامطار على نمو بعض الاشجار والشجيرات على سفوح المرتفعات ، كما ساعدت على نمو المراعى غنية نسبيا عليها وعلى الاراضى السـهلية أيضا ٠ وكذلك مكنت من قيام الزراعة وعلى الاخص حيث تتوفر بجانب الامطار ، موارد ماء باطنى ٠ وفى بعض الاماكن يتفجر هذا الماء عيونا ، كما فى منطقة بعشيقة ٠ ويحصل عليه فى بعض آخر بحفر آبار قليلة العمق

وقد أدى توفر موارد المياه فى هذا القسم الى جعل الحياة البشرية نشيطة فى معظم جهاته ٠ ولهذا لم تتوفر العوامل التى تعطى لبعض مراكز العمران فيه اهمية كبرى على البعض الاخر ، بمثل ما لوحظ فى القسم السابق مثلا ٠ ومما ساعد على التقارب فى الاهمية بين بعض مراكز العمران فيه وبين البعض الاخر ، ان مرتفعاته لا تعلو فوق مستوى سطحه الا ببضع مئات قليلة من الامتار ، كما ان معظمها يمثل كتلا من التلال اكثر مما يمثل سلاسل متصلة منها ٠ ولقد ترتب على ذلك ان كان توزيع كميات الامطار الساقطة فى معظم جهاته منتظما بدرجة كبيرة ، كما ترتب عليه سـهولة

---

(٢٨) راجع عن هذا القسم (٥٢) ص ٢٨ وما بعدها ٠ ، (٦٤) ص ٢٦٤ _ ٢٦٥ ٠ ، (١٧٣) ص ٦٨ ٠ وانظر الخريطة رقم ١٠ ٠ وانظر أيضا الخريطة فى صحيفة ٨٠ من (١٧٨) ٠

الاتصال بين بعض هذه الجهات وبين البعض الاخر فى كثير من الحالات ٠ وتمثل خطوط المرتفعات فيه موجات التواء خفيفـة ٠ ويمكن فى بعض الحالات ايجاد صلات بين بعضها وبين البعض الاخر مثل جبل شيخ عدى وجبل الابيض ٠ بينما تمثل فى بعض حالات اخرى نطاقات منعزلة من التلال قليلة الارتفاع وروابى ، وذلك مثل جبل مقلوب وجبل بعشيقة وجبل عين الصفره ومثل رابية ملا محمد ٠ وفيما بين بعض مناطق المرتفعات وبين بعضها الاخر توجد أحواض منخفضة وتغطى قيعانها تكوينات غرينيـة ٠ ولبعض هذه الاحواض تسميات خاصة ٠ فمثلا يطلق على الحوض الواقع فى شرق خرائب نينوى ، وبين مرتفعات عين الصفرة من جهة الشـمال الشرقى وبين نطاق التلال والروابى الممتد بين مصب الخازر (رافد الزاب الاعلى) وبين نهر دجلة جنوب نينوى ، اسم سهل قره قوش ٠ كما يطلق اسم سهل تلكيف على الحوض الواقع فى شـمال نينوى وبين مرتفعات بعشيقه وبين نهر دجلة ٠ ويتصل هذا السهل الاخير عن طريق وادى نهر الخوصر (الذى يصب فى نهر دجلة ، مارا خلال خرائب نينوى) بسـهل ستيك الذى يقع فى جنوب دهوك وفى جنوبها الغربى ٠ وكذلك يتصـل بسهل واسع كونته رواسب نهر الخازر وروافده العديدة والتى اهمهـا نهر الجومل ٠ ويقع هذا السهل الواسع فى الوادى الاوسط لنهر الخازر بـين مرتفعات عقره من جهة الشمال وبين سلسلة جبل مقلوب من جهـة الجنوب ٠

ويستخلص مما تقدم ، أن الحياة البشـرية فى معظم جهات هـذا القسم نشطة ، وانه يتضمن مناطق سهول واسعة وخصبة يكتنف بعض منها نينوى مباشرة ، كما يسهل الاتصال بين البعض الاخر وبينها ٠ ولعل هـذه العوامل الجغرافية هى التى اعطت لهذه المدينة القديمة بعض أهميتهـا ، كما ساعدت الموصل الحالية على الاحتفاظ ببعض هذه الاهمية ٠

٤ – القسم الواقع بين نهر دجلة وبين نطاق القيارة – سنجار (٢٩) .

يطلق على هذا القسم اسم سهل شمر الشمالى ، تمييزا له عن الاقليم الواقع جنوب نطاق القيارة – سنجار مباشرة والذى يعرف باسم سهل شمر الجنوبى . وهو من ناحية البنية مكون من تكوينات مختلفة ، بين الرواسب الفيضية الحديثة وبين الصخور الايوسينية . الا انه يتضمن فى تلال سنجار بعض مناطق اخرى تظهر فى بعض منها تكوينات كريتاسية وتظهر فى بعض آخر تكوينات بركانية . ومع ذلك فالملاحظ ان تكوينات الفارس العليا وهى من الحجر الرملى وكذلك تكوينات البختيارى وهى من المجمعات ، هى السائدة فى الجزء الشمالى من هذا القسم ، بينما تسود فى القسم الجنوبى منه تكوينات الفارس السفلى وهى من الحجر الجيرى الفراتى والجبس . كما انها تتضمن ايضا صخور الملح وبعض صخور اخرى كبيرة الصلابة وتشتهر باسم مرمر الموصل ، وبعض الباحثين يرى انها صخور الانهيدريت .

وهذا القسم الاخير من منطقة الهضاب المموجة يمثل حوضا واسعا ومضرس السطح . وهو يقع بين نطاق القيارة – سنجار من جهة وبين نطاق مرتفعات جبل طور عابدين من جهة اخرى ، ويتفتح نحو وادى دجلة من جهة الجنوب الشرقى ونحو وادى الخابور (خابور الفرات) من جهة الشمال الغربى . ويتحدر سطحه سريعا من جوانبه المرتفعة نحو وسطه . اما انحداره العام فانه بطىء وتدريجى نحو وادى دجلة . ويبدأ هذا الانحدار من منطقة قليلة الارتفاع ، يمتد على طولها خط الحدود السياسية الحالية بين العراق وبين سوريا ، وتكون منطقة لتقسيم المياه بين وادى روميلة (الرافد الشرقى لنهر جغجغه رافد خابور الفرات) وبين بعض وديان اخرى

(٢٩) راجع عن هذا القسم (٥٢) ص ٢٩ وما بعدها ، (١٧٣) ص ٦٨ – ٦٩ ، (٦٤) ص ٢٥٧ ، (٦١) ص ١٩ . وانظر الخريطة رقم ١٠ .

تنحدر نحو وادى دجلة . ومن اهم هذه الوديان وادى المر ، وهو يعتبر بحق المصرف الرئيسى لمياه هذا الحوض . ويتصل هذا الوادى بنهر دجلة عند اسكى موصل . وهذه المدينة ، بالرغم من ان موقعها على نهر دجلة وعند مصب هذا الوادى فيه ، جدير بأن يعطيها أهمية كبيرة ، الا انها مع ذلك تبدو فى الوقت الحاضر قرية بسيطة وليست لها مزايا خاصة اذا قورنت بالموصل الحالية . وربما لم تتهيأ لها فى الماضى ايضا فرصة التمتع بأهمية موقعها وعلى الاخص فى العصر الاشورى وما بعده . فان قيام مدينة نينوى قد اجتذب أوجه النشاط اليها ، وعند ما قضى عليها وقامت مقامها مدينة الموصل استمرت هذه المدينة ايضا المركز الاول للنشاط . وفى الواقع انه تتوفر بعض عوامل طبيعية واخرى اقتصادية تضعف من جهة من أهمية موقع اسكى موصل وتقوى من جهة أخرى من أهمية موقع الموصل . فاذا نظرنا الى الخريطة الجيولوجية نجد ان اسكى موصل تقع وسط اقليم فقير التربة من تكوينات الحجر الجيرى والجبس بينما تشرف الموصل على السهول الخصبة التى تكتنف نينوى فى شرق نهر دجلة . واذا نظرنا الى الخريطة الطبيعية نجد أن الموصل تقع عند النهاية الطبيعية للطريق الرئيسى الذى يحمل اتصالات سهل العراق وكذلك اتصالات هضبة ايران عبر منافذ تلال حمرين وخلال منطقة السهول المموجة . كما نجد أن عندها ، بين سلسلة تلال جبل عليان فى شمالها الغربى وبين سلسلة تلال جبل العطشانة فى جنوبها الغربى ، تتحدد نهاية عدد من الطرق تأتى اليها من اتجاهات مختلفة فى ارض ما بين النهرين . فبجانب الطريق الرئيسى الذى يتجه اليها من سهل العراق على طول الجانب الايمن لنهر دجلة يأتى اليها طريقان آخران من وادى الفرات . وأحدهما يصعد فى وادى الخابور ثم يتبع خط الواحات عند السفوح الشمالية لنطاق سنجار . اما الاخر فانه يبدأ من عنه ويتبع امتداد بعض الوديان فى أرض الجزيرة ثم يتبع خط الواحات عند السفوح الجنوبية لهذا النطاق من المرتفعات . وفضلا عما تقدم فانه يتجه

اليها بعض طرق أخرى هامة تحمل اليها بعض الاتصالات من سوريا ومن هضبة الاناضول عن طريق نصيبين وكذلك عن طريق ديار بكر .

ج - منطقة السفوح الجبلية

تتكون هذه المنطقة من عدد من خطوط الالتواء تمتد بطول الاقليم بين شماله الغربى عند فيش خابور على دجلة ، فى منطقة الحدود السياسية العراقية - التركية - السورية ، من جهة ومن جنوبه الشرقى عند الحدود السياسية العراقية - الايرانية ، فى جنوب حلبجه من جهة اخرى . ويشبه اتجاه خطوط الالتواء فيها اتجاه خطوط الالتواء فى المناطق الاخرى التى تكتنفها . الا أنها تمتاز عن منطقة الجبال التى تقع فى شمالها الشرقى وفى شمالها ، بأن التواءاتها فى معظمها بسيطة . كما تمتاز عن منطقة الهضاب المموجة التى تقع فى جنوبها الغربى وفى جنوبها ، بأن التواءاتها المحدبة كبيرة الارتفاع نسبيا ، ويصعب اجتيازها الا من بعض الممرات . وهى بصورة عامة تبدو طويلة الامتداد ، ولا توجد ثغرات تفصل بين بعض أجزائها وبين البعض الاخر . كما أن فى ثنياتها المقعرة لا تتمثل ظاهرات السهول وانما تتمثل ظاهرات الوديان الجبلية الضيقة . ولهذا لم تتوفر فى كثير من أجزائها الداخلية العوامل التى تساعد على قيام مراكز هامة للعمران . والمراكز التى تتمتع فيها ببعض الاهمية ، قد اكتسبت جانبا من اهميتها بسبب موقعها على ممر من الممرات التى تجتاز ثنياتها المحدبة ، واكتسبت الجانب الاخر من خصوبة بعض المساحات التى تكتنفها فى الثنيات المقمرة . أما أهم هذه المراكز ، فانها تقع عند حافتها الخارجية . وعلى الاخص عند منافذ الاتصالات التى تربط بين داخلها وبين الهضاب المموجة . وذلك مثل كويسنجق ومثل عقرة[٣٠] .

وكما تتميز هذه المنطقة عن المناطق التى تكتنفها بظاهرات تتعلق

(٣٠) انظر الخريطة رقم ١١ .

بخطوط الالتواء ، فانها تتميز كذلك بظاهرة أخرى تتعلق بنظام تصريف المياه . ان يلاحظ أن الانهار الرئيسية فيها قد شقت مجاريها خلال ثغرات فى خطوط الالتواء المحدبة ، بينما جرت روافدها فى الثنيات المقعرة بين بعض هذه الخطوط وبين البعض الآخر . وهو نظام محكم لتصريف المياه تتعامد فيه المسايل على الروافد كما تتعامد الروافد على المجرى الرئيسى . كما أنه يساعد على قيام وحدات اقتصادية محلية تتكون كل وحدة منها من ثنية مقعرة ومما يكتنفها من سفوح الثنيات المحدبة . ويقوم فى داخل كل منها مركز ثانوى أو عدة مراكز ، بينما تقوم المراكز الرئيسية على المجرى الرئيسى الذى يمكن ان يقوم بدوره بوظيفة الربط بين هذه المراكز الرئيسية وبين بعض المراكز التجارية الكبرى على نهر دجلة او على طريق مواصلات قرهغان - الموصل . ومع ذلك ، فأن هذا التنظيم الاقتصادى الذى ينبغى أن يكون ليس ممثلا هناك بصورة واضحة . ويبدو أن اسباب ذلك ترجع الى أن الثنيات المقعرة هناك ضيقة ، كما ان التعرية المائية فيها وعلى جوانب المرتفعات التى تكتنفها قوية . ولذلك كانت المناطق الصالحة للانتاج الزراعى فيها محدودة ، كما أن جوانب المرتفعات تبدو شبه عارية . ومن جهة أخرى ، أدى جريان الانهار الرئيسية هناك فى ثغرات بين الثنيات المحدبة ، الى تضمن المجارى المائية خوانق عميقة ومساقط فى بعض المناطق . ويبدو لهذا ، ان الوديان النهرية فى هذه المنطقة لم تستخدم فى الماضى كما انها لا تستخدم فى الوقت الحاضر طريقا لنقل الاتصالات بين منطقة الهضاب المموجة وبين منطقة السهول الجبلية . وانما تركز سير الاتصالات خلال الممرات الجبلية التى تتضمنها ، والتى تصل بين هاتين المنطقتين . وكذلك يبدو ان مراكز العمران قد قامت فى الماضى كما هى فى الوقت الحاضر ، عند منافذ هذه الممرات ، وليس على الوديان النهرية الرئيسية .

د – منطقة السهول الجبلية ٠

تمثل هذه المنطقة ثنية مقعرة كبيرة الاتساع نسبيا حتى لتبدو كالسهول فى بعض أجزائها ٠ وهى تقع بين منطقة السفوح الجبلية التى تغلب فيها ظاهرات الالتواءات البسيطة والمنتظمة وبين منطقة الجبال التى تغلب فيها ظاهرات الالتواءات المركبة وغير المنتظمة ٠ وتكون بين المناطق الجبلية التى تكتنفها نطاقا من الاراضى السهلية الخصبة ، كما تكون سوقا يبادل فيه سكان المناطق الجبلية التى تكتنفها غلاتهم من الحيوانات ومنتجاتها ومن الاخشاب ومن ثمار بعض الاشجار والشجيرات ، بغلاتها من الحبوب ومن المواد المصنوعة ٠ الا أنه يبدو أن علاقات هذه المنطقة مع منطقة الجبال أقوى من علاقاتها مع منطقة السفوح الجبلية ٠ ذلك لان الانحدار الطبيعى للسطح يوجه منطقة السفوح الجبلية نحو منطقة الهضاب والسهول المموجة ٠ بينما يوجه منطقة الجبال نحوها (أى نحو منطقة السهول الجبلية العليا) ٠ وفضلا عن ذلك ، فأن خطوط الالتواء التى تكون منطقة السفوح الجبلية تمتد موازية لامتداد منطقة السهول الجبلية العليا ، وتكون بدرجة كبيرة حاجزا يعوق السير الحر للاتصالات بين بعض جهات احدى المنطقتين وبين بعض جهات المنطقة الاخرى ٠ وهى كذلك ، تعوق هذا السير للاتصالات بينها وبين منطقتى الهضاب والسهول المموجة ٠ بينما يلاحظ أن تعقد الالتواء فى منطقة الجبال وعدم انتظام امتداد محاور الالتواء فيها فى اتجاه واحد ، قد أدى الى تضمن بعض أجزائها وديانا مختلفة الاتساع ومختلفة الاتجاه ٠ ويمتد بعض منها بين الشمال وبين الجنوب متعامدا على منطقة السهول الجبلية ومكونا مسلكا طبيعيا للاتصالات بينها وبين داخل منطقة الجبال(٣١) ، وبعبارة أخرى ان منطقة السهول الجبلية تكون بين المناطق الجبلية التى تكتنفها مركزا محليا لنشاط بشرى واسع ٠ وكان مما ترتب على ذلك أن قام فيها بعض مدن على جانب كبير من

(٣١) انظر الخريطة رقم ١٠ ٠

الاهمية ٠ وقد اكتسبت هذه المدن جانبا من أهميتها من خصوبة الاراضى الزراعية فى السهول التى تجاورها ، واكتسبت الجانب الاخر من قيامها كاسواق لرعاة المناطق الجبلية ٠ ومن بين المدن الهامة هناك ، السليمانية وراوندوز ورانيه وزاخو ونحوها ٠ وسنرى ان جميع هذه المدن تشترك فى ظاهرة معينة ، وهى وقوعها عند منفذ أو أكثر من منافذ الاتصالات ، تصل بينها وبين بعض الاتجاهات التى تكتنفها ٠

ومما تنبغى الاشارة اليه ، أنه بالرغم من أن الاراضى السهلية الواسعة نسبيا تبدو فى القسم الجنوبى الشرقى من هذه المنطقة وفى القسم الشمالى الغربى منها ، كما تبدو فى قسمها الاوسط ، الا انها لا تكون بدرجة كبيرة نطاقا متصل الحلقات ٠ كما ان محور بعض أجزائها لا يمتد على طول محور البعض الاخر ٠ ولقد ترتب على هذا ضعف فى تكوين وحدة اقتصادية تشمل كل أجزاء هذه المنطقة ٠ وجعل من أجزائها وحدات اقتصادية محلية، وترتبط أهمية كل منها بمقدار اتساع رقعة الاراضى المنتجة فيها ، وبمبلغ سهولة الاتصال بينها وبين الاتجاهات التى تكتنفها أو صعوبتها ٠

ويقع القسم الشرقى من هذه السهول فى ثنية مقعرة تمتد بين نهر ديالى وبين الزاب الصغير ٠ ويكتنفها من جهة الجنوب الغربى نطاق مرتفعات برانان – جليزردة – طسلوجه (اوخومكه) ٠ كما يكتنفها من جهة الشمال الشرقى نطاق مرتفعات أخرى يتكون من جبال جوزه – ازمر – سورداش(٣٢) ٠ والنطاق الاول ، وهو يمثل الخط الشمالى من خطوط الالتواء منطقة السفوح الجبلية ، يتضمن ثلاثة ممرات ٠ وهذه الممرات يقابلها بعض ممرات اخرى فى خطوط الالتواء الاخرى التى تتضمنها هذه المنطقة٠ والممر الاول من هذه الممرات الثلاثةوهو أهمها ، يعرف باسم ممر طسلوجه ٠ ويقع بين جبل طسلوجه وبين جبل جليزرده ٠ اما الممر الثانى

(٣٢) انظر الخريطة رقم ١٠ ٠

فلا تعرف له تسمية خاصة ، وهو يقع بين جبل جليزرده وبين جبل برانان • وكذلك لا تعرف للممر الثالث تسمية خاصة ، وهو يجتاز جبل برنان • واما النطاق الاخر ، وهو الذى يحدد هذه الثنية المقعرة من جهة الشمال الشرقى ، فانه لا يتضمن الا ممرا واحدا هاما يعرف باسم ممر أزمر ، وهو يقع بين جبل سورداش وبين جبل ازمر • وتقع السليمانية عند منفذ هذا الممر من جهة الجنوب كما تقع جوارته عند منفذه من جهة الشمال ، ويصلح الطريق بينهما لسير جميع وسائل النقل البرى • وجوارته مدينة صغيرة ، تقع على هضبة جوارته ، وتشرف على سهل صغير كونته رواسب نهر قرهجولان (أحد منابع الزاب الصغير) ورافده سويل صو • ويجرى هذا النهر كما يجرى رافده فى المنطقة الجبلية المعقدة ، فى وادى ضيق تكتنفه ادغال • ولهذا يصعب السير خلاله الا لبعض الحيوانات كالبغال والخيل[٣٣] • وينبع قرهجولان من مرتفعات هورامان التى يمتد مع قممها خط الحدود السياسية • أما سويل صوفانه ينبع عبر هذه الحدود من مرتفعات مريوان الايرانية • ويصلح واديه هناك لان يكون ممرا تجتازه الاتصالات بين سنه فى القسم الجنوبى الغربى من هضبة ايران وبين بنجوين فى داخل حدود العراق • ومما تقدم يلاحظ ان اتصالات هضبة ايران يمكن ان تنتقل الى السليمانية ، وهى المركز الرئيسى فى هذه الثنية المقعرة ، عن طريق بنجوين وجوارته • ولجوارته اتصالات عبر الحدود ببعض مناطق أخرى فى ايران مثل منطقة مدينة بانه ، الا ان الممرات الموصلة الى هذه المناطق أشد وعورة •

اما مدينة السليمانية فان أهميتها اكبر ، بسبب موقعها فى وسط الثنية المقعرة مشرفة على طريق رئيسى للاتصالات يمر خلالها بين القسم الجنوبى الشرقى منها وبين القسم الشمالى الغربى • ويتصل القسم الاول منهما ، خلال

---

(٣٣) راجع (٤٢) ص ٢٠٢ •

ممرات فى نطاق المرتفعات الذى يمتد عليه خط الحدود السياسية ، بالجزء الجنوبى الغربى من هضبة ايران • كما يتصل القسم الاخر ، عبر الزاب الصغير ، بسهل أربيل • وفضلا عن ذلك ، فان لمدينة السليمانية اتصالات أخرى بكركوك وكفرى وغيرهما من بعض المدن الواقعة على طريق الاتصالات فى منطقة السهول المموجة • وذلك خلال ممر طسلوجه والممرات الاخرى فى نطاق برانان – جليزرده – طسلوجه[٣٤] •

وهذه الثنية المعقورة التى مركزها مدينة السليمانية ، يعظم اتساعها فى جنوب شرق هذه المدينة ، وتعرف هناك باسم سهل شهرزور[٣٥] ويمتد هذا السهل مسافة نحو ٤٥ كم باتساع يبلغ فى المتوسط نحو ١٥–٢٠كم • ويبلغ اقصى اتساعه فى طرفه الجنوبى الشرقى حيث يصل الى نحو ٢٥كم • كما يبلغ أيضا أقصى انخفاضه حيث لايتجاوز ارتفاع مستواه نحو ٦٠٠ متر • وتشرف عليه هناك مدينة حلبجة • بينما يضيق اتساعه كما يزداد ارتفاعه بالاتجاه نحو مدينة السليمانية ، وهناك يصل الى مستوى نحو ١٠٠٠ متر • ويكون هذا الارتفاع منطقة لتقسيم المياه فى الثنية المعقرة ، بين ما ينصرف فى القسم الجنوبى الشرقى منها (سهل شهرزور) ، فى نهر طانجرو (تاج رود) رافد نهر دياله ، وبين ما ينصرف فى قسمها الشمالى الغربى ، فى نهر تابين ، رافد الزاب الصغير • ومما تجدر ملاحظته ان امام مصب نهر تابين يتفتح سهل أربيل • أى أن وادى نهر تابين يكون حلقة طبيعية للاتصالات بين منطقة السليمانية من جهة وبين سهل أربيل من جهة اخرى •

وبجانب الاهمية الاقتصادية التى يتمتع بها سهل شهرزور بالنسبة للمناطق الجبلية التى تكتنفه فى داخل حدود العراق ، فأن له ايضا أهمية أخرى بالنسبة للاقاليم الجبلية المجاورة له عند الحدود السياسية وغيرها

---

(٣٤) انظر الخريطة رقم ١١ •
(٣٥) راجع (٥٢) ص ١٥–١٦ •

فى القسم الجنوبى الغربى من هضبة أيران • ولقد ساعد عدم الانتظام فى امتداد بعض محاور الالتواء فى منطقة الجبال على وجود ثغرات فى مرتفعات هورامان ، وهى سلسلة يمتد مع ذراها خط الحدود السياسية • وهناك ثغرتان اكثر من غيرهما استعمالا فى نقل الاتصالات عبر هذه الحدود • وتقع الثغرة الاولى منهما عند الطرف الشمالى الغربى لهذه السلسلة ، وهى الثغرة التى تتحكم فيها بنجوين • اما الثغرة الاخرى فانها تقع عند الطرف الجنوبى الشرقى لها ، وتتحكم فيها مدينة حلبجة • وتنتقل خلالها الاتصالات بين سهل شهرزور وبين كرمنشاه • والثغرة الاولى سبقت الاشارة اليها • وقد ذكر أن خلالها يجرى أحد منابع وادى سويل صو • كما ذكر أن الاتصالات عبرها يمكن ان تنتقل الى السليمانية عن طريق جوارته • الا ان هذا الاتجاه لا يتضمن اسهل المسالك لنقل هذه الاتصالات • اما اسهلها فانه يتجه نحو الجنوب صاعدا فى وادى احد منابع نهر قرهجولان ، ثم نازلا فى وادى آق جقان رافد نهر طونجرو ، الى الطرف الجنوبى الشرقى من سهل شهرزور • وهناك يلتقى به الطريق الاتى من الثغرة الاخرى والمار بمدينة حلبجة ، ثم يصعدان معا فى هذا السهل نحو مدينة السليمانية[٣٦] •

ومما تقدم يلاحظ ان مدينة السليمانية تقع وسط سهل خصب بمنتجاته الزراعية • وهذا يجعلها مدينة هامة من مدن القوافل • كما يلاحظ أنها تتصل خلال منافذ فى منطقة الجبال بالجزء الجنوبى الغربى وكذلك بالجزء الغربى من هضبة ايران • فهى تتصل عن طريق حلبجة بمنطقة كرمنشاه ، وعن طريق بنجوين بمنطقة سمنه ثم بمنطقة همدان • كما تتصل عن طريق جوارته بمنطقة بانه ثم بمنطقة سوج بولاق فى حوض بحيرة أورميه • وتتصل مدينة السليمانية كذلك بمنطقة الهضاب والسهول المموجه خلال

(٣٦) انظر الخريطة رقم ١١ •

بعض ممرات فى منطقة السفوح الجبلية ، كما تتصل خلال وادى تابين بسهل أربيل •

أما القسم الاوسط من منطقة السهول الجبلية فانه لا يتمثل فى كل المنطقة الواقعة بين الزابين • وانما يتمثل فى القسم الشرقى منها وكذلك فى القسم الغربى فقط • ويعرف القسم الاول باسم سهل رانيه ، كما يعرف القسم الآخر باسم سهل حرير • وأما المنطقة الواقعة بين هذين القسمين فانها عبارة عن كتلة جبلية تبرز فوقها بعض القمم ، ويمكن تسميتها بكتلة بيجان • وسهل رانيه ، وهو أهم من السهل الاخر وأعظم اتساعا منه ، يقع على جانبى الثنية الشمالية لنهر الزاب الصغير ، وتبلغ مساحته حول ٨٠٠ كم٢[٣٧] • وهو فى الواقع ، مكون من قسمين يفصل بينهما نطاق جبلى يبلغ ارتفاعه نحو ١٢٠٠ مترا ، ويعرف باسم كوا ـ رش : Kewa - Resh وقد شق نهر الزاب الصغير مجراه خلال هذا النطاق بخانق وعر يعرف باسم دربند • ولهذا فان مجرى هذا النهر هناك وكذلك واديه ، لا يكونان طرقا جيدة لنقل الاتصالات بين قسمى السهل • وأصلح الطرق لذلك ، هو الذى يجتاز نطاق كوا ـ رش من ثغرة فيه • وقد قامت عندها مدينة رانيه[٣٨] • وبسبب هذا الموقع تفوقت أهمية هذه المدينة على غيرها من مراكز العمران هناك •

ويعرف القسم الغربى من سهل رانيه باسم سهل بتوين - Bituin. كما يعرف القسم الشرقى منه باسم سهل بشدر • والقسم الاول وهو أكبر اتساعا من الاخر ، يرويه عدد من العيون كما يرويه عدد من الجداول • ويأتى بعض هذه الجداول من كتلة بيجان ، ويأتى البعض الاخر من منطقة السفوح الجبلية • ومن أهم جداول هذا البعض الاخير ، روبار جومه ـ جه ، أحد منابع روبار باسلم رافد الزاب الصغير • وهو يصرف مياه القسم

(٣٧) راجع (٥٢) ص ١٥ • ، (١٣٦) ص ٢٢ •
(٣٨) انظر الخريطة رقم ١١ •

الجنوبى الشرقى من ثنية مقعرة تقع بين سلسلة جبل حرير وبين سلسلة جبل سفين ، وهما أجزاء من منطقة السفوح الجبلية . أما القسم الشمالى الغربى من هذه الثنية فان مياهه تنصرف فى روبار ماواران ، وهو رافد للزاب الكبير . وكما يتسع القسم الاول من هذه الثنية ويكون جزءا من سهل رانيه ، كذلك يتسع السم الثانى منها ويكون سهل حرير ، وهو سهل صغير نسبيا تبلغ مساحته نحو ٤٠٠ كم^٧ . وشقلاوه أهم مدينة فى هذا السهل ، وهى تشرف عليه من السفوح الشمالية الغربية لجبل سفين، وتتصل برانيه خلال الثنية المقعرة التى تصل بينهما . وهناك وجه شبه كبير أيضا بين المدينتين . فان كلا منهما قد اكتسبت بعض أهميتها من الثروات التى يتضمنها السهل الذى تشرف عليه ، واكتسبت البعض الاخر من وقوعها عند منفذ أو أكثر من منافذ الاتصالات ، يصل بينها وبين بعض اتجاهات أخرى . فشقلاوه تقع على طريق محدد للاتصالات بين أربيل من جهة وبين راوندوز من جهة أخرى . كما أن رانيه تقع على طريق أخر محدد بين أربيل عن طريق كويسنجق وبين بعض اتجاهات أخرى فى منطقة الجبال[٣٩] .

أما القسم الشرقى من سهل رانيه وهو سهل بشدر فيرويه أيضا عدد من الجداول ، وبعض منها يأتى من جبل قنديل وبعض آخر يأتى من كتلة بيجان . وجبل قنديل سلسلة شاهقة ، ويمتد على طول ذراها خط الحدود السياسية بين العراق وايران . وهى بالرغم من ارتفاعها الذى يتجاوز ٣٠٠٠ مترا فى بعض القمم ، تتضمن ممرات ، يمكن أن تنتقل خلالها بعض الاتصالات بين الاجزاء الواقعة على جانبيها من جهة العراق ومن جهة ايران . ومن أهم هذه الممرات ممر وزنه[٤٠] . (نسبة الى وادى وزنه رافد الزاب الصغير) . وتنتقل الاتصالات خلال هذا الممر من الجانب

(٣٩) انظر الخريطة رقم ١١ .
(٤٠) انظر الخريطة رقم ١١ .

الايرانى الى سهل رانيه عن طريق قلعة ديزه (معمورة الحميد) وهى بلدة تقع فى سهل صغير . وأما كتلة بيجان فهى عقدة جبلية تتضمن عددا من القمم وترتفع ذراها الى نحو ٢٥٠٠ متر . ومن حسن حظ الاتصالات أن هناك أيضا بعض وديان تقع عند سفوحها وتكون مسالك بين سهل رانيه وبين راوندوز . ومنها وادى جرمخان عند سفوحها الشمالية الشرقية ، ووادى ألانه عند سفوحها الجنوبية الغربية ، وهما رافدان لروبار راوندوز.

وراوندوز مدينة تكتنفها المرتفعات ، وتقع على هذا الروبار . وهو رافد للزاب الصغير وينبع من منطقة الحدود السياسية بين العراق وبين ايران. وقد نحت واديه فى مرتفعات هذه الحدود وكون هناك ممرا يعرف باسم ممر رايات ، وهو يعتبر من أسهل الممرات ومن أعظمها أهمية فى نقل الاتصالات بين منطقة راوندوز من جهة وبين حوض بحيرة أورمية من جهة أخرى ، عن طريق سهل لاهيجان فى أرض ايران . وهناك طريق آخر يربط بين هاتين الجهتين خلال أرض تركيا . وهو يصعد من راوندوز فى أحد روافد روبار راوندوز ويمر ببلدة مرجه سور . ثم يصعد فى أحد روافد روبار حاجى بك الى هذا الروبار فيصعد فى واديه مجتازا معه عند كانى رش ممر جديز فى جبل رش روان . أو أنه يجتاز هذا الممر ويسلك طريقا فى جبال كردى شيروان الى نيرى فى الاراضى التركية[٤١] . ولا تتضمن منطقة راوندوز أراضى سهلية واسعة تجعلها تصلح من الناحية الاقتصادية لان تكون مدينة كبيرة من مدن القوافل مثل السليمانية أو رانيه . ولكنها مع ذلك مدينة هامة ، كمركز تتجه اليه الاتصالات من بعض الاتجاهات . وعلى الاخص لوقوعها على أهم طريق للمواصلات بين حوض بحيرة أورمية وبين سهل أربيل .

والقسم الاخير من منطقة السهول الجبلية يقع بين الزاب الكبير وبين نهر دجلة . وهو يمتد من جهة وراء هذا الزاب ويتضمن الوادى الادنى

(٤١) انظر الخريطة رقم ١١ .

لروبار راوندوز، كما يمتد من جهةأخرى عبر الحدود السياسية بين العراق وبين تركيا ، الى جزيرة ابن عمر • ومعنى هذا أن هذا القسم من منطقة السهول المموجة يكون حلقة للاتصالات بين منطقة ديار بكر عن طريق جزيرة ابن عمر وبين حوض بحيرة أورمية عن طريق راوندوز • ويعرف الجزء الغربى من هذا القسم باسم سهل سندى ، وهو يقع على جانبى المجرى الاوسط لنهر الخابور (خابور دجلة) • ويمتد عبر الحدود السياسية ، ويكون مدخلا الى العراق من الاراضى التركية • وزاخو أهم مدينة فيه • وهى تقع على جزيرة فى الخابور ويمتد عمرانها على جانبيه ، ولا تقتصر أهميتها على ثروات هذا السهل والمرتفعات التى تكتنفه فحسب ، وانما اكتسبت أيضا جانبا كبيرا من هذه الاهمية من موقعها الجغرافى الذى ساعدها على أن تكون مركزا للاتصالات مع بعض الاتجاهات التى تكتنفها(٤٢) • فانها فضلا عن وقوعها على طريق الاتصالات بين الشرق وبين الغرب خلال الثنية المقعرة التى يكون سهل سندى جزءا منها ، تتصل من جهة الشمال بحوض بحيرة وان عن طريق بعض الوديان التى تأخذ فى منطقة الجبال اتجاها بين الشمال وبين الجنوب ، وعلى الاخص الوادى الاعلى لنهر الهيزل وكذلك الودى لاعلى لنهر الخابور • كما أنها تتصل من جهة الجنوب بمنطقة الموصل خلال ممر يقع بين جبل بيخير وبين الجبل الابيض ، ويعرف باسم ممر زاخو أو ممر حسناوه كما يعرف أيضا باسم كلى سبى •

ويبلغ طول سهل سندى فى داخل حدود العراق نحو ٣٥ كم ، كما يبلغ متوسط اتساعه نحو ٦ كم ، ويبلغ مستواه فى قسمه الغربى نحو ٤٠٠ مترا • الا أن هذا المستوى يعلو تدريجيا نحو الشرق كما أن اتساع السهل يضيق • وذلك حيث تقترب سفوح مرتفعات برواری بالا (جبل متنه) التى تكتنفه من جهة الشمال من سفوح مرتفعات برواری زیر (جبل جاره) التى تكتنفه من جهة الجنوب • وهناك تتكون منطقة لتقسيم

---

(٤٢) انظر الخريطة رقم ١١ •

المياه بين ما ينصرف نحو الغرب فى وادى صابنه الغربى رافد الخابور وبين ما ينصرف نحو الشرق فى وادى صابنه الشرقى رافد الزاب الكبير• ووادى صابنه الشرقى يجرى فى الجزء الشرقى من هذا القسم من منطقة السهول المموجة ، وعمادية أهم مدينة فيه • وقد اكتسبت هذه المدينة بعض أهميتها من ثروات الاقليم الذى يكتنفها واكتسبت البعض الاخر من موقعها الجغرافى الذى ساعدها على أن تكون مركزا هاما للاتصالات • فهى فضلا عن وقوعها على طريق الاتصالات التى تجتاز الثنية المقعرة بين راوندوز وبين جزيرة ابن عمر، فان اليها تتجه اتصالات أخرى من جهة الشمال ومن جهة الجنوب• ففى شمالها مباشرة يقع ممر سر عمادية فى جبال برواری بالا ، وتتصل عن طريقه بالاقليم الواقع بين حوض بحيرة أورمية وبين حوض بحيرة وان وذلك خلال ثلاثة مسالك • يصعد واحد منها فى الوادى الاعلى للزاب الكبير مارا بمدينة جولمرك ومنها الى باش قلعة ، وهى مدينة فى أعالى الزاب وتتصل خلال مسالك بمدينة أورمية من جهة الشرق وبمدينة وان من جهة الغرب • والمسلك الثانى يتفرع من هذا المسلك عند مدينة جولمرك ومنها يتجه مباشرة نحو مدينة وان مارا بمدينة مروانين• أما المسلك الثالث، فانه بعد ان يجتاز ممر سرعمادية يتجه نحو الغرب ويصعد عند السفوح الشمالية لمرتفعات برواری بالا ، فى وادى اسراروه رافد الخابور • ثم يصعد فى وادى هذا النهر مارا ببلدة جالق ، ويلتقى بالمسلك الثانى عند بلدة مروانين(٤٣)• هذا من جهة الشمال، أما من جهة الجنوب فان خطوط الالتواء فى منطقةالسفوح الجبلية تتضمن بعض ممرات مكتنسير الاتصالات بين عمادية وبين الموصل عن طريق عقره من جهة وعن طريق دهوك من جهة أخرى(٤٤) •

---

(٤٣) انظر الخريطة رقم ١١ • وراجع ايضا (٦٣ الجزء الرابع) ص ١٢٩ _ ١٤٠ ، ٧٠ وما بعدها •

(٤٤) انظر الخريطة رقم ١١ • وراجع أيضا (٥٢) ص ١٩ _ ٢٠ •

والخلاصة أن منطقة السهول الجبلية تكون اقليما اقتصاديا يجتذب اليه الاتصالات من المناطق الجبلية التى تكتنفه ، كما أنها تكون ممرا تنتقل خلاله الاتصالات بين منطقة الجبال فى داخل الحدود السياسية وفى خارجها وبين منطقة السهول المموجة ووادى دجلة من جهة أخرى •

هـ ــ منطقــة الجبال

تكون هذه المنطقة قوسا يحيط بمنطقة السهول الجبلية ، وتمتد بين نهر الهيزل الذى يكون الحدود السياسية بين العراق وبين تركيا من جهة وبين بدء المجرى الاوسط لنهر دياله عند الحدود السياسية بين العراق وبين ايران ، وفى جنوب حلبجه بقليل من جهة أخرى • وهى تمتاز عن منطقة السفوح الجبلية بأنها معقدة الالتواء كما أنها غير منتظمته [٤٥] • أما تعقيد الالتواء فقد ترتب عليه حدوث انكسارات وتعرية سريعة فى التكوينات مما أدى الى ظهور تكوينات قديمة على السطح من صخور بللورية ومتحولة • وهذه الصخور تكون عادة شديدة الصلابة وتربتها رقيقة وفقيرة تصلح لنمو المراعى ، ولا تتضمن الا مناطق صغيرة يصلح بعض منها لنمو الاشجار والشجيرات ويصلح البعض الاخر للانتاج الزراعى • وفى مثل هذه المناطق الاخيرة تتركز عادة مراكز العمران • وأما عدم انتظام خطوط الالتواء ، فمعناه أن هذه الخطوط لا تمتد بصورة منتظمة بين الشرق وبين الغرب أو بين الشمال الغربى وبين الجنوب الشرقى ، كما هو ملاحظ فى منطقة السفوح الجبلية • وانما يأخذ بعض منها هذه الاتجاهات ، بينما يأخذ البعض الاخر اتجاهات أخرى • ولهذه الظاهرة فى الواقع أهمية من وجهة نظر المواصلات لانها تعطى فرصة أمام الاتصالات لسلوك أسهل الطرق وأقصرها نحو أهدافها [٤٦] • كما تعطى فرصة لقيام بعض مراكز العمران فى المواقع المناسبة على هذه الطرق •

---

(٤٥) راجع (٥٢) ص ١٦ •
(٤٦) راجع (٥٢) ص ١٧ •

ويبلغ متوسط ارتفاع جبال هذه المنطقة نحو ٢٧٠٠ متر • الا أنه يلاحظ أن مستوها يعلو عن هذا القدر فيما بين وادى وزنه رافد الزاب الصغير وبين الوادى الاعلى لخابور دجلة • أى جنوب المنطقة الجبلية التى تقع بين حوض أورمية من جهة الشرق وبين حوض بحيرة وان من جهة الغرب [٤٧] • أما ما يقع على امتداد ذلك من جهة الجنوب الشرقى نحو وادى دياله ، ومن جهة الشمال الغربى نحو وادى الهيزل فان مستواه أقل ارتفاعا • ومن المشاهد فى الاقاليم الجبلية أنه يرتبط عادة مع الارتفاع وعورة المسالك الجبلية وتعرضها للغلق بسبب تساقط الثلوج عليها أو بسبب حدوث انهيارات ثلجية فيها من القمم المرتفعة التى تكتنفها [٤٨] • ولهذا يمكن القول بأن الاتصالات التى تجرى من داخل حدود العراق نحو الاقليم الجبلى الواقع بين غرب منخفض بحيرة أورمية وبين شرق منخفض بحيرة وان ، محدودة ، ويفوقها ما يحدث من هذه الاتصالات نحو الاتجاهات الاخرى • أى نحو جنوب غرب هضبة ايران من جهة ونحو حوض ديار بكر من جهة أخرى • وتجرى أهم الاتصالات مع الاتجاه الاول عن طريق ممر رايات الذى ترتبط به بعض أهمية راوندوز ، وعن طريق ممر وزنه الذى ترتبط به بعض أهمية رانيه ، ثم عن طريق ممر حلبجه وممر بنجوين اللذين ترتبط بهما بعض أهمية السليمانية • وأما نحو الاتجاهات الاخرى فتجرى أهم الاتصالات خلال سهل سندى وعن طريق جزيرة ابن عمر •

---

(٤٧) راجع (٤٤) ص ١٧٧ ــ ١٧٨ •
(٤٨) راجع (٤٤) ص ١١٣ ، ١٢٠ •

العلاقات المكانية بين العراق وبين العالم المحيط به

دراسة تفصيلية لمنافذ العراق ، تهدف الى تحديد الطرق الرئيسية والمسالك التى جرت خلالها الاتصالات التى حدثت بينه وبين الجهات المحيطة به فى الشرق الاوسط واتجاهاتها خارج محيطه وتتضمن الدراسات التالية :ـ

١ ـ دراسة لمنافذ العراق نحو السواحل الشرقية للبحر المتوسط •

٢ ـ دراسة لمنافذ العراق نحو داخل الجزيرة العربية وحافاتها •

٣ ـ دراسة لمنافذ العراق نحو عالم الخليج العربى وما وراءه •

٤ ـ دراسة لمنافذ العراق نحو داخل الهضاب الشمالية فى الشرق الاوسط وحافاتها •

مقدمة

يكون العراق والعالم المحيط به فى الشرق الاوسط الاسيوى الذى يتكون من هضاب ايران وأرمينية والاناضول من جهة ومن البلاد العربية الاسيوية من جهة أخرى ، وحدة جغرافية وتحددها حدود طبيعية ، هى البحر المتوسط والبحر الاحمر من جهة الغرب ، وخليج عدن والبحر العربى من جهة الجنوب ، ونطاق مرتفعات كرثار وسليمان من جهة الشرق ، ثم نطاق مرتفعات هندكوش ـ البرز ـ القوقاز ـ بنطس من جهة الشمال • ويشغل هذا الجزء من العالم بحدوده الجغرافية موقعا فريدا قل ان يماثله فى أهميته موقع أى جزء اخر من العالم ويعطيه بحق تسمية الشرق الاوسط • ذلك لانه يكون حلقة تربط بين القارات الثلاث فى العالم القديم • كما تتجه اليه منها بعض بحار وبعض انهار تصل بينه وبين بعض الاتجاهات فى داخلها• فبحر قزوين والبحر الاسود ينقلان اليه بعض مؤثرات الجهات التى تكتنفهما من آسيا ومن أوروبا • كما تنقل اليه انهار الفولجا والدانوب وما بينهما من

أنهار فى جنوب روسيا بعض مؤثرات شرق اوروبا ووسطها • وكذلك ينقل اليه نهر النيل مؤثرات داخل افريقية • وعدا ذلك ، تدخل فيه وتكتنفه أذرع من محيطين تصلان بينه وبين بعض جهات أخرى من العالم • فالخليج العربى والبحر الاحمر من جهة يصلان بينه وبين عالم المحيط الهندى ، بينما يصل البحر المتوسط من جهة أخرى بينه وبين عالم المحيط الاطلسى •

وفى حدوده الجغرافية توجد ثغرات تربط بينه وبين أجزاء أخرى من هذه القارات • ففى نطاق المرتفعات الشمالية توجد بوابة خراسان بين جبال هندكوش وبين الامتداد الشرقى لجبال البرز • وتتضمن الجبال الاخيرة بوابة قزوين ، وهى التى يخترقها نهر سفد رود الى مصبه فى بحر قزوين • وجبال القوقاز تتضمن ممر داريل ، وكذلك يوجد ممر دربند بينها وبين بحر قزوين • اما جبال بنطس ، فانها تتضمن بجانب بعض الثغرات الجبلية وديانا لانهر تنبع من داخل هضبة الاناضول وتربط بينها وبين عالم البحر الاسود • كما ترتبط هضبة الاناضول نفسها بشرق اوروبا ووسطها خلال المضايق وعن طريق نطاقات من الجزر فى بحر ايجه • ويوجد فى نطاق طوروس وفى نطاق أمانوس بعض ممرات تربط بين سهول الشرق الاوسط وبين العالم الاغريقى ـ الرومانى على الساحل الشمالى للبحر المتوسط • كما توجد بعض ممرات أخرى فى المرتفعات التى تكتنف المنخفض السورى وتصل بين هذه السهول وبين الساحل الفينيقى • ويوجد فى جنوب البحر المتوسط شريط خصب يربط بين فلسطين وبين المحيط الاطلسى ، وتتجه نحوه بعض مسالك من داخل افريقية • وفى الجنوب تتقارب شواطىء البحر الاحمر ، وتكون جزيرة برم معبرا بين اليمن وبين بلاد الحبشة • ويلاحظ ان فى البحر العربى وفى المحيط الهندى تهب الرياح الموسمية بانتظام وتدفع فى فصل الصيف اشرعة السفن نحو العالم الموسمى • كما توجد اتصالات اخرى بالهند عن طريق المياه الساحلية للخليج العربى وخليج عمان

والبحر العربى • وكذلك عن طريق ممرى بولان وخيبر فى نطاق مرتفعات كرثار – سليمان •

ولقد أدت ظاهرات السطح الخاصة بهذا الشرق الاوسط والمسالك الطبيعية التى تربط بين بعض اجزائه وبين البعض الآخر الى جعله كلا يتأثر بما يتأثر به بعضه • فالامبراطوريات التى قامت فى سهل العراق لم تقف حدودها الا عند السواحل الشرقية للبحر المتوسط ، وكان لها نفوذ فى بعض مناطق فى داخل الهضاب الشمالية • وقد مدت الامبراطورية الاشورية أذرعها وراء ذلك بين وادى النيل وبين بحر قزوين • وعندما قامت امبراطوريات فى هضاب ايران وارمينية والاناضول اتخذت من بعض الممرات فى نطاق زاجروس – طوروس مداخل للسيطرة على سهول الشرق الاوسط وهضابه الجنوبية • والاسلام بدوره خرج من داخل الجزيرة العربية ونشر رسالته فى هذه السهول ثم اجتاز الممرات الجبلية ايضا الى الهضاب الشمالية والى ما وراءها من بعض الاتجاهات • وعندما كان يتعاصر قيام امبراطوريتين او اكثر فى بعض اجزاء هذا الشرق كانت بعض أجزائه الاخرى ميادين صراع ، كما حدث بين المصريين وبين الحيثيين وكذلك بينهم وبين الكلدان • وكما حدث ايضا بين البطالسة وبين السلوكيين وكذلك بين الفرس وبين الرومان •

وقد اجتذب ايضا هذا الموقع الممتاز للشرق الاوسط عناصر اخرى طموحة من وراء محيطه ، لم تكد تمد يدها الى بعضه حتى طمعت فيه كله • فالاغريق دخلوه من باب هضبة الاناضول ثم سادوه من وادى النيل الى وادى أوكسس (اموداريا) والى وادى السند • وكذلك دخل الرومان ، وسادوا مصر والعالم السورى وارسلوا قواتهم نحو الخليج العربى ونحو سبأ ومعين فى بلاد اليمن • وكانت أرمينية ميدان صراع بينهم وبين الفرس • واندفع اليه المغول كذلك من وسط أسيا حتى صدتهم جيوش مصر عن أبوابها • وتلتهم موجات من الاتراك ونجحوا فيما فشل المغول فيه • وفى العصر الحديث

تنافست عليه القوى الاوروبية تنافسا لا يعرف مثيل له • فمطامع روسيا فى المياه الدافئة لا يرضيها الا السيطرة على المضايق من جهة وعلى الخليج العربى من جهة أخرى • وعندما عمل نابليون على اقامة امبراطورية الشرق وضع خططها فى مصر وفى فارس وفى تركيا وكذلك فى عمان • وعندما ادخلت بريطانيا هذا الشرق فى مطامعها عملت على ان تبسط نفوذها فى كل انحائه • ولم يرضها ان تشاركها فرنسا او محمد على فى سوريا • ولا ان تشاركها روسيا فى فارس او فى تركيا ، او ان تمد المانيا خطا حديديا فى ارض ما بين النهرين نحو الخليج العربى • وفى وقتنا الحاضر (١) يتصارع فى ميدانه نفوذ روسيا من جهة مع نفوذ انجلترا وامريكا وكذلك فرنسا من جهة اخرى •

ويمتاز هذا الشرق فى جملته بالجفاف وبفقر الغطاء النباتى فى معظم فصول السنة ، الا حيث ترتفع بعض اجزائه فتجتذب من الرطوبة ما يسمح باخضرار المراعى او بنمو بعض الاشجار والشجيرات • او حيث يهبط السطح قريبا من مستوى الماء الباطنى ، أو تتفجر العيون ، او حيث تنحدر أنهار صغيرة او جداول فصلية الجريان فتوجد الواحات • على ان هذا الوصف العام لا ينطبق على بعض اجزائه ومن بينها العراق ، وعلى الاخص سهله الفيضى ذو التربة الغرينية الخصبة والذى تتوفر فيه المياه غزيرة من نهر دجلة ومن نهر الفرات • وقد جعلته هذه المزايا أعظم منطقة للجذب فى هذا الشرق الاوسط • ومما زاد فى قوة جاذبيته ، سهولة اتصاله بالعالم الذى يكتنفه سواء من جهة السهول ام من جهة الهضاب • وكذلك لانه يكون النهاية الطبيعية للمؤثرات التى تأتى من جهة الشرق عن طريق الخليج العربى ومن جهة الغرب عن طريق وادى دجلة وعن طريق وادى الفرات • والواقع ان العراق يمثل عتبة الانتقال بين بيئات مختلفة ، وهى بيئات السهول وبيئات الهضاب من جهة وبيئات اليابس وبيئات الماء من جهة اخرى • ويشبه العراق بهذا الوضع

(١) يلاحظ أن هذا البحث كتب فى ١٩٥٢ •

مقاطعات الحدود بين الدول ، التى تختلط فيها المؤثرات السلمية كما تقوم عليها المنازعات العسكرية • فطرق التجارة ومنافذ الحضارة التى تتجه اليه هى ايضا طرق ومنافذ للجيوش الغازية • وقد ادركت الامبراطوريات التى قامت فى سهل العراق هذه الحقائق • وكانت تحاول دائما ان تسيطر على المواقع الاستراتيجية التى تتحكم فى المنافذ والطرق التى تأتى منها هذه المؤثرات • وذلك لتشجع من جهة سير التجارة ولتمنع من جهة أخرى التهديد بالغزو • والعراق الحديث مدرك ايضا لهذه الحقائق ، ويعمل على تحقيق نفس المحاولات بوسائل اخرى • فهو مثلا يرتبط بمعاهدات مع بريطانيا القوة العالمية فى الشرق الاوسط ، كما يرتبط بدول عالم الهضاب الشمالية بميثاق سعدأباد ، وبدول عالم السهول بميثاق الجامعة العربية • وما سعيه فى الاتحاد مع سوريا او فى قيام مشروع الهلال الخصيب الا محاولات لما نفذه ملوك بابل وآشور من قبل •

١ ـ منافذ العراق نحو السواحل الشرقية للبحر المتوسط

يربط بين سهل العراق وبين البحر المتوسط نطاق واسع من الارض تغلب عليه ظاهرات السهول ، الا فى اقصى الغرب حيث يقترب من المرتفعات التى تحيط بالمنخفض السورى • وكذلك فى الشمال ، حيث تتدخل مقدمات من جبال طوروس ، فيتموج السطح ويتضمن بعض مرتفعات منعزلة كما تبرز منه بعض ألسنة نحو الاراضى السهلية • وفى بعض المناطق ارتفعت قباب وانخفضت أحواض • كما وانبثقت فى بعض الاجزاء من حافاتها مصهورات بركانية ، تكون أحيانا عتبات من البازلت قليلة الارتفاع وتكون احيانا اخرى هضابا بركانية ومخاريط اكثر ارتفاعا • وهنا وهناك توجد وديان تقطع السطح • والبعض منها فصلى تجرى فيه المياه عقب سقوط الامطار فى الشتاء والربيع ، والبعض الاخر دائم الجريان او شبه دائم يتزود بمياه دائمة من عيون • وفى السنوات الشديدة البرودة تتساقط الثلوج فى بعض المناطق

وتتجمد فيها المياه فى الانهار او الجداول حتى لتتمكن قوافل الابل من السير عليها [٢] ، ولكنها عند ذوبان الثلوج فى الربيع تصبح جياشة وفائضة بمياهها • ويتصل بعض هذه الانهر والجداول بالانهار الاكبر كدجلة والفرات او العاصى ، بينما ينتهى البعض الاخر منها الى منخفضات فى الصحراء فتتكون مستنقعات ملحية تعرف احيانا باسم السبخات • وعلى امتداد بعض المجارى المائية او عند مصباتها ، قامت مدن على أساس من الزراعة ومن التجارة • وقد استمر بعض هذه المدن قائما بسبب توفر موارد المياه حوله • بينما قامت بعض مدن اخرى فى الداخل وعلى أساس تجارى على الاكثر • ولهذا اضمحل قسم منها وتلاشى القسم الاخر بسبب تحول طرق التجارة عنها • ويخترق نهر الفرات هذا النطاق الذى يربط بين سهل العراق وبين شرق البحر المتوسط ، ويعرف القسم الواقع من هذا النطاق بين دجلة وبين الفرات باسم ارض الجزيرة • كما يعرف قسمه الاخر وهو الواقع بين الفرات وبين المرتفعات التى تكتنف من جهة الشرق المنخفض السورى ، باسم الصحراء السورية •

أ ـ ارض الجزيرة

تقع فى شمال غرب سهل العراق ، وتكون الجزء الاكبر من حوض أرض ما بين النهرين • وهى ما عناه العبرانيون بتسمية آرام نهرايم ـ : Aram Nahrain وما عناه الاغريق والرومان بتسمية ميزوبوتاميا Mesopotamia ومما هو جدير بالملاحظة ، ان هذه التسميات وان اختلفت الفاظها الا انها تشترك فى ابراز معنى واحد وهو أهمية جريان النهرين (دجلة والفرات) فى المحيط الصحراوى • ويوجد اختلاف حول تحديد ارض الجزيرة • فبعض المؤرخين القدماء أمثال استرابوونلنى يعتبر جبال طوروس حدها الشمالى [٣] • وكذلك يعتبرها بعض المؤرخين من

(١) راجع (٢٥٧) ص ٢٧ •
(٣) راجع (٧١) ص ٥٧ •

العرب • فالاصطخرى وابن حوقل يمدان حدودها غربا الى سميساط ، ويدخلان جزيرة ابن عمر وديار بكر ضمن اراضيها • وكذلك يدخل ابن خردازبه ، ارزق وميافارقين (٤) • اما ابن رسته فيضع ضمنها سميساط وملطيه ويعتبرهما من ديار « ربيعه » (٥) • ومن المعروف ان ارض الجزيرة ، كان يسكنها اثناء العصر الساسانى ثلاث قبائل عربية كبيرة ، هى بكر ومضر وربيعه • وكان مركز بكر ديار بكر ، وكانت تسكن الحوض الاعلى لنهر دجله حتى تل فافان عند مصب نهر بهتان فى دجلة • وكانت الرقة مركز قبيلة مضر التى كانت ديارها تمتد فى وادى الفرات بين سميساط وبين عنه • أما قبيلة ربيعة ، فكان مركزها الموصل • وكانت ديارها فى شرق مضر ، وتمتد فى وادى دجله بين تل فافان وبين تكريت (٦) • ويوجد بعض اخر من الكتاب يضيق امتداد ارض الجزيرة ويقصرها على القسم السهلى منها ، وهو الواقع جنوب هضبة ماردين وما فى شرقها وغربها من مرتفعات •ويجعل الحد الشمالى الشرقى لها على نهر دجلة جزيرة ابن عمر ، والحد الشمالى الغربى لها على نهر الفرات مدينة جرابلس (٧) • ويبدو ان هذا التحديد الاخير قد ارضى ساسة الحرب العالمية الاولى • لانهم على اساسه بدرجة كبيرة قدمدوا الحدود السياسية بين سوريا وبين تركيا • وهذا التحديد لا يبدومقبولا من الناحية الجغرافية ، وكان الصحيح ، ان تمد الحدود السياسية مع قمم مرتفعات طوروس • والواقع ان هضبة ماردين وما يكتنفها من مرتفعات لاتمنع العناصر العربية من الصعود الى القسم الهضبى من ارض الجزيرة بينما تمنع مرتفعات طوروس العناصر التركية من النزول اليه • وتنقسم ارض الجزيرة على أساس هذا التحديد الطبيعى لها الى قسمين ، قسم هضبى فى الشمال وقسم سهلى فى الجنوب •

---

(٤) انظر الخريطة رقم ١٤ •
(٥) انظر اشارة الى هذه المراجع العربية فى (٤٩) ص ٦
(٦) راجع (١٦٢) ص ٨٦ ـ ٨٧ •
(٧) راجع (٨٧ الجزء الاول) ص ١٠٣ ـ ١٠٥ •

ويشرف القسم الاول على القسم الثانى بحافة تبدأ من غرب جزيرة ابن عمر ، غير محددة • وتبرز منها ألسنة نحو الضفة اليمنى لنهر دجلة • وهذا أضعف من أهمية هذه الضفة كطريق لسير الاتصالات بين الموصل وبين جزيرة ابن عمر • وتتحدد الحافة فى غرب هذه الالسنة ، كما يعلو مستواها وتعرف باسم جبل طور عابدين • ثم لا يلبث هذا الارتفاع ان يقل تدريجيا نحو ماردين • وهناك يأخذ شكل هضبة قليلة الارتفاع وضعيفة التموج ، ويسهل على الاتصالات اجتيازها بين القسم السهلى من ارض الجزيرة وبين حوض ديار بكر فى القسم الهضبى منها • ولهذا كانت ماردين مركزا رئيسيا للاتصالات من اتجاهات مختلفة • وفى غرب ماردين وعلى مسافة منها يعلو السطح ثانية ويبلغ ذروته فى قمة جبل قراجه داغ • وهو بركان خامد يعلو الى نحو ١٩٠٠ متر • وفى غرب هذا الجبل يهبط مستوى السطح ثانية الى مثل ما كان عليه فى شرقه نحو ماردين • وقد ادى ذلك الى ايجاد ممر اخر للاتصالات بين القسم السهلى من ارض الجزيرة وبين حوض ديار بكر • وتشرف اورفه (ادسا القديمة) على هذا الممر ، كما تشرف ماردين على الممر الاخر الذى سبقت الاشارة الى موقعه بين جبل طور عابدين وبين جبل قراجه • ويستدل من دراسة التاريخ القديم على انه كانت لادسا (اورفه) أهمية كبيرة • ويبدو ان ذلك يرجع الى موقعها عند منابع البليخ ، كما يرجع الى موقعها فى مقابل أحد المعابر الرئيسية لنهر الفرات • وقد كانت الاتصالات القادمة من داخل هضبة الاناضول عن طريق ملطية نحو سهول الشرق الاوسط ، تفضل ان تسلك طريق وادى البليخ على طريق وادى الفرات ، وذلك لكى تتجنب تعرجاته الكبيرة فيما بين جرابلس وبين مسكنه •

وتكون مرتفعات القسم الهضبى من ارض الجزيرة مناطق تقسيم للمياه بين ما ينصرف منها نحو نهر دجلة وبين ما ينصرف نحو نهر الفرات • وتجرى المياه المنصرفة نحو نهر دجلة فى جداول قصيرة وسريعة الجريان ، ومعظمها يجف خلال قسم كبير من السنة • ويسد السكان الذين يعيشون

فى احواضها حاجياتهم المائية من الابار ومما يختزنونه من مياه الامطار فى صهاريج [٨] • اما المياه المنصرفة نحو نهر الفرات ، فانها تجرى بانحدار بطىء فى عدد من الجداول • وتلتقى مياه بعض منها وتكون نهر الخابور ، كما تلتقى مياه بعض اخر وتكون نهر البليخ • ويجرى الخابور فى القسم الشرقى من أرض الجزيرة فى سوريا ويصب فى الفرات عند البصيرة (القرقسية القديمة) • بينما يجرى البليخ فى القسم الغربى منها ويصب فيه بالقرب من الرقة • ويكون وادى الخابور كما يكون وادى البليخ طريقين محددين لسير الاتصالات خلال ارض الجزيرة ، بين وادى دجلة الاعلى وبين الوادى الاوسط للفرات • وقد قوى من أهميتهما فى تيه ارض الجزيرة ، ان المياه تتوفر فى مجرى كل منهما خلال فصول السنة مما تزوده به بعض العيون •

ونهر الخابور اطول من البليخ واوفر منه مياها • وله منبعان رئيسيان• يعرف الشرقى منهما بأسم نهر جغجغة • وهو يصرف بعض مياه جبل طور عابدين ، كما تنصرف اليه بعض مياه من السفوح الشمالية لسلسلة تلال سنجار ، وهى التلال التى ينبع من سفوحها الجنوبية وادى الثرثار • ويشير بعض المؤرخين العرب الى وجود صلة بين نهر هرماس (جغجغة) وبين وادى الثرثار [٩] • الا ان هذه الصلة ليست قائمة فى الوقت الحاضر • اما المنبع الغربى فيحمل تسمية الخابور ويصرف مياه جبل قراجه وبعض مياه هضبة ماردين • وهذه الموارد المائية فصلية ، وهى من الامطار الساقطة هناك فى فصل الشتاء وفى فصل الربيع • اما الموارد الدائمة فمصدرها عدد من النافورات ومن العيون التى توجد فى منطقة مدينة رأس العين ، وتعرف أهمها باسم عين

---

(٨) راجع (٢٥٧) ص ٢٥ • ، (٦٣) ص ٢٢ – ٢٣ •

(٩) راجع عن هذه الصلة (٣٣) ص ٥١٧ – ٥٢٤ ، ٥٢٨ وما بعدها • وراجع أيضا (١٦٢) ص ٨٦ – ٨٧ ، ٩٧ – ٩٨ • ، (٨٧ الجزء الاول) ص ٥١ • ، (١٨٤) •

الزاهرية [١٠] • ويلتقى المنبعان عند مدينة الحسجة ، ويبدو موقع هذه المدينة هاما من بعض النواحى • ذلك لانها تقع على طريق الاتصالات فى وادى الخابور بين الشمال وبين الجنوب ، سواء اكان ذلك من نصيبين نحو القرقسية عن طريق وادى جغجغة ام كان من رأس العين نحوها عن طريق الوادى الاعلى للخابور • وكذلك لان الاتصالات التى تجتاز ارض الجزيرة بين الشرق وبين الغرب ، عبر تلال سنجار ، نحو البليخ الاوسط ، لابد ان تمر بموقع الحسجة لكى تتجنب اجتياز العدد الكبير من الجداول التى تكون منابع نهر الخابور • ويلاحظ ايضا ان المجرى الادنى لنهر الخابور يصلح فى جنوبها للنقل المائى بواسطة الارماث حتى مصبه فى الفرات عند القرقسية [١١] •

ويمثل نهر البليخ صورة لنهر الخابور ، اذ تأتى مياه فيضانه من الامطار الساقطة فى القسم الهضبى من ارض الجزيرة فى ما بين شرق أورفه وبين غربها • أما مياهه الدائمة فانها تأتى من عدد من العيون ، وتعرف اهمها بأسم عين الذهبانية او الدهمانه [١٢] •

وعدا نهر الخابور ونهر البليخ تتضمن سهول ارض الجزيرة وديانا صحراوية تتجه نحو نهر الفرات • ويعرف اهم هذه الوديان باسم وادى العجيج • وهو ينبع من السفوح الجنوبية الغربية لجبل سنجار • ويجرى نحو الفرات فى وادى غير محدد ، اذ يتضمن مجراه عددا من الاحواض تتسع مساحتها كثيرا فى وقت الفيضان ثم تتقلص فى فصل الحرارة وتكون سبخات او مستنقعات ملحية • ويعرف أكبر هذه المستنقعات باسم سبخة البرغوث او سبخة الطويل • وتشوب الملوحة مياه هذه المستنقعات ، الا انها صالحة للاستعمال • ويشرب منها البدو ويسقون حيواناتهم ، وكذلك تعيش فيها الاسماك وبعض انواع الطيور البرية • وهى ككل مناطق المستنقعات

---

(١٠) راجع (٣٣) ص ١٢١ ، ١٢٦ وما بعدها • ، (١٦٢) ص ٩٥ • ، (٨٧ الجزء الاول) ص ٤٩ •

(١١) راجع (٢٠٨ – الجزء الاول) ص ١٨٨ – ١٨٩ •

(١٢) راجع (١٦٢) ص

تتحاشاها مسالك الاتصالات غالبا • وذلك لان سطحها الرطب او السبخ يصعب على الحيوانات السير عليه وعلى الاخص اذا كانت محملة بالسلع • كما ان المستنقعات نفسها كثيرا ما تكون مخابىء لقطاع الطرق بين ما ينمو فيها من أحراش الغاب (القصب) والبوص (البردى) ونحوه من نباتات المستنقعات • ولهذا فان سير الاتصالات من منطقة جبل سنجار نحو وادى الفرات يتحاشاها ويجتاز اعالى وادى العجيج الى وادى الخابور عند فدعمى سالكا طريق وادى ابو حمدة •

ويبدو ان الاتصالات الرئيسية والمنتظمة بين سهل العراق وبين شرق البحر المتوسط كانت تتحاشى السير خلال القسم السهلى من أرض الجزيرة • وذلك لسيادة الحياة الرعوية فيه ، ولما يترتب على هذه الحياة من عدم توفر المواد الغذائية للقوافل الكبيرة ، ومن عدم توفر اسباب الامن فيها [١٣] • وكذلك بسبب الصعوبات فى اجتياز نهرى الخابور والبليخ وروافدهما العديدة ، وعلى الاخص فى اوقات الفيضان فى الشتاء والربيع • وقد اتخذت هذه الاتصالات سيرها على طريقين رئيسيين يحفان بسهول ارض الجزيرة من جهة الشمال ومن جهة الجنوب • ويمكن أن نسمى الطريق الشمالى بأسم طريق القسم الشمالى او القسم الاوسط من نطاق الهلال الخصيب • أما الطريق الجنوبى فانه طريق وادى الفرات [١٤] • والطريق الاول يخدم قسما من اتصالات سهل العراق نحو شرق البحر المتوسط ، كما انه يعتبر الطريق الطبيعى لسير اتصالات هضبة ايران نحو هذا الاتجاه • أما الطريق الاخر فانه لا يخدم الا بعض اتصالات سهل العراق • على ان هذا ليس معناه ان كلا منهما مستقل عن الاخر • بل الواقع انهما يمثلان شعبتين من أصل واحد • وكثيرا ما تحول سير الاتصالات كلها او بعضها من احدهما الى الاخر حسب الظروف البشرية السائدة • أما من لناحية الجغرافية فليس من السهل

---

(١٣) راجع (١٥٠) ص ١٢ • ، (٦٣ ـ الجزء الرابع) ص ٢٠ ـ ٢١ ، ٢٣ •
(١٤) راجع (٢٢٤) ص ١٨٤ وما بعدها •

تفضيل احدهما على الاخر • على انه من المحتمل ان وادى الفرات بمجراه المحدد فى محيط صحراوى او شبه صحراوى كان الطريق الطبيعى لاقدم الاتصالات التى جرت نحو سهل العراق من الصحراء السورية ومن بعض جهات هضبة الاناضول • وذلك لان المياه متوفرة فيه فى كل فصول السنة • كما ان على ضفافه تنمو بعض الاعشاب والحشائش التى تجتذب اليها حيوانات للصيد • وهذه المزايا تؤهله لان يكون مدخلا جيدا الى سهل العراق • الا ان كثرة تعرجاته تطيل كثيرا فى امتداده وتضعف من أهميته كطريق لسير العلاقات المنتظمة كالتجارة • ولطريق القسم الشمالى من الهلال الخطيب مزايا اخرى • فهو وان كان اضعف تحددا من طريق الفرات الا انه واضح المعالم • سواء اكان ذلك على طول خط الانتقال بين القسم الهضبى من ارض الجزيرة وبين القسم السهلى منها ، أم كان خلال الممرات التى تربط بين ديار بكر وبين اورفه من جهة وبينها وبين ماردين من جهة اخرى • وهذاالطريق غنى ايضا بأمطاره التى تتجاوز فى بعض المناطق ٣٥ سم • ويتبع غناه بالامطار غناه بالمراعى ووفرة فى حيوانات الصيد • ولا تقتصر موارد المياه فيه على الامطار بل انه يتضمن ايضا موارد باطنية وفيرة وتنبثق منها عيون ونافورات فى بعض مناطقه • وهو لهذه المزايا يبدو أكثر صلاحية لسير العلاقات المنتظمة • ومع ذلك فانه يمكن القول بان طريق وادى الفرات اكثر صلاحية لنقل الاتصالات بين سهل العراق وبين سوريا الجنوبية وكذلك مصر بينما طريق القسم الشمالى من الهلال الخصيب اكثر صلاحية لنقل اتصالات هذا السهل مع سوريا الشمالية ومع هضبة الاناضول •

ولطريق القسم الشمالى من الهلال الخصيب بين الموصل وبين نصيبين عدة مسالك طرقتها القوافل [١٥] • وتعدد هذه المسالك التى تختلف أطوالها،

---

(١٥) راجع (٢٢٤) ص ١٩١ ـ ١٩٣ •

ضرورة يستلزمها اختلاف موارد المياه والمرعى بين الكثرة وبين القلة خلال فصول السنة فى أقليم يغلب فيه الطابع الصحراوى • كما تستلزمها الظروف غير المستقرة التى تسود غالبا بين الرعاة فى البيئات الفقيرة فى مياهها وفى مراعيها • والاقليم الذى يتضمن هذه المسالك بين الموصل وبين نصيبين ، فى معظمه سهل خفيف التموج وتقطعه بعض وديان فصلية الجريان وينحدر بعض منها نحو نهر دجلة وينحدر البعض الاخر نحو خابور الفرات •وينتشر هنا وهناك على سطحه تلال قليلة الارتفاع واكوام تمثل آثارا لعمران قديم • وتسقط الامطار فيه فى فصل الشتاء وفى فصل الربيع ويتراوح مقدار المطر الساقط فيه بين ٣٥–٨٠ سم • وكثيرا ما تهبط درجات الحرارة فيه ، فى فصل البرودة الى ما دون درجة التجمد ، واحيانا يتساقط فيه الثلج• وفى الربيع يتغطى سطحه بمراعى غنية وتتوفر فيه المياه سواء من الابار او فى بعض الوديان والغدران • وهذه الغدران تكثر فى القسم الشمالى منه ، وتكتنف المياه فيها سطوح طينية يصعب السير عليها • ولهذا تتحاشى الاتصالات السير فى هذا القسم الشمالى خلال فصل الامطار وتضطر ان تبتعد عنه نحو الجنوب ونحو الغرب سالكة طريقا عند السفوح الشمالية لتلال سنجار • اما فى فصل الصيف وفى فصل الخريف حيث تقل الموارد من المياه ومن المراعى فان سير الاتصالات يتحول اليه[16] •

وليس الجانب الايمن لنهر دجلة طريقا صالحا لسير الاتصالات عليه ، وذلك بسبب تعرجاته الكبيرة وبسبب ما يتعامد عليه مباشرة من بعض نطاقات من التلال يصعب اجتيازها من الاراضى السهلية التى تكتنفها • وليس الجانب الايسر صالحا كذلك لسير هذه الاتصالات بسبب تضمنه بعض صعوبات اخرى[17] • ولهذا فان بعض الاتصالات القادمة من

(١٦) راجع (١٧٣) ص ٦٨ – ٧٠ ، (٦٣ – الجزء الرابع) ص ٢٤٤ •
(١٧) راجع (٤٤) ص ١٢٦ – ١٢٨ •

الموصل تسلك طريقا فى شرق دجلة ويبتعد مسافة ما عن مجراه • وعند بلدة سميل يتجه قسم منها نحو الشمال الغربى مقتربا تدريجيا من نهر دجلة ثم يعبره عند فيش خابور ويجتاز مقدمات جبل طور عابدين الى نصيبين • وفى بعض الاحيان يستمر سير الاتصال من فيش خابور على الجانب الايسر لنهر دجلة الى جزيرة ابن عمر ومنها الى نصيبين • اما القسم الاخر فانه يتحول من بلدة سميل نحو الشمال الشرقى ويجتاز ممر زاخو الى مدينة زاخو ومنها يسلك سهل سندى وامتداده فى الاراضى التركية الى جزيرة ابن عمر • وبعد ان يعبر نهر دجلة عندها ، يتبع السفوح الجنوبية لجبل طور عابدين الى نصيبين• وهذا الطريق وان كان اطول من غيره من الطرق الاخرى الا انه يجتاز مناطق غنية وعامرة بالسكان المستقرين ولهذا فمن المحتمل انه كان من اهم مسالك الاتصالات بين منطقة الموصل وبين منطقة نصيبين خلال ادوار التاريخ القديم • وان كان الطريق الذى يعبر نهر دجلة عند فيش خابور كان الاكثر طروقا للقوافل قبيل الحرب العالمية الاولى[18] •

ويوجد فى غرب نهر دجلة ثلاثة مسالك اخرى • ويتجه الاول منها نحو الشمال الغربى مباشرة مارا بتل عوينات وبير عقلة وتل كوشك • وقد كان من بين المسالك الهامة التى سارت عليها الجيوش اثناء الحرب العالمية الاولى • اما المسلك الثانى فانه يتبع قسما من المسلك الاول وهو القسم الذى يمتد على طول السفوح الشمالية لجبل عطشانة ، ثم ينحرف عنه ويستمر نحو الغرب الى تلعفر • واما المسلك الثالث فانه يمر بالسفوح الجنوبية لجبل عطشانة ثم مع السفوح الجنوبية لجبل ابراهيم ويلتقى بالمسلك الثانى عند تلعفر • ومن هذه المدينة يتبع بعض الاتصالات مسلكا يمتد على طول السفوح الجنوبية لجبل سنجار ثم يعبرها من الممر الذى تتحكم فيه بلدسنجار او من ممر اخر يقع فى اقصى طرفها الغربى ويفصل بينها

(١٨) راجع (٦٣ – الجزء الرابع) ص ٢٤ ، ٢٢٦ – ٢٣٩ •

وبين تلال طوق وجريبه ، ثم يصعد بعـــدها فى وادى جغجغه الى نصيبين او ينزل فى وادى الخابور الى مصبه فى الفرات • اما البعض الاخر من هذه الاتصالات فانه يتبع جزءا من السفوح الشمالية لتلال سنجار ثم يتحول عنها متجها نحو الشمال وصاعدا فى وادى جغجغه الى نصيبين[١٩] • وبعـــد ان تتجمع الاتصالات عند هذه المدينة تسلك طريقا موحدا حتى ماردين • ثم يتشعب طريقها الى فرعين ، يتجه واحد منهما نحو الغرب مباشرة مارا برأس العين وأورفه ثم يعبر الفرات عند زجما (على مقربة من بيره جيك الحالية) • وقد كانت بيره جيك حتى قبيل الحرب العالمية الاولى أهم مكـان يعبر عنده نهر الفرات[٢٠] • وعنده يلتقى أيضا عدد من مسالك القوافل الاتية من شرق الفرات ومن غربه • وهذا المسلك لا يستعمل كثيرا فـى فصل الصيف ، بسبب شدة الحرارة وجفاف سطح الاراضى التى يمر بها ، الا انه ، مع ذلك ، بسبب قصره يفضل استعماله فى الاغراض التى تستلزم السرعة مثل نقل البريد[٢١] • أما الفرع الاخر فانه يتجه من ماردين نحو الشمال الى ديار بكر مجتازا سهل مموجا بين جبل طور عابدين وبين جبل قراجه • ويبدو ان القوافل كانت تفضل هذا المسلك بسبب غناه النسـبى فى الماء وفى المراعى وكذلك بسبب أهمية ديار بكر[٢٢] •

وترجع أهمية ديار بكر الى انها سوق للقوافل التجارية وليست محض مدينة من مدنها[٢٣] • وذلك لانها تقع فى سهل بركانى خصب التربـــة

(١٩) راجع (٤٤) ص ١٩٤ – ١٩٥ ، ١٩٧ – ١٩٨ ، (٥٠) ص ١٥٤ – ١٥٦ ، (٦٣ – الجزء الرابع) ص ٢٤٤ – ٢٦٠ •

(٢٠) راجع (٨٧ – الجزء الاول) ص ٤٦ ، (٦٣ – الجزء الرابع) ص ٣١ ، (١١٨) ص ١٦٤ – ١٦٥ والحاشية •

(٢١) راجع (٢٥٧) ص ٦ والحاشية •

(٢٢) راجع (٤٤) ص ١٢٢ •

(٢٣) تكون المدينة سوقا للقوافل اذا كانت مركزا فى اقليم اقتصادى وتتجه اليها قوافل التجارة من الاتجاهات حولها للتبادل التجارى • اما مدينة القوافل فهى التى تقع على طريق للتجارة وتمر بها قوافله بين حين واخر •

وتتوفر فيه المياه لريها من الامطار ومن نهر دجلة • كما انها تكون مركزا للمواصلات من الاتجاهات التى تكتنفها • فهى فضلا عن وقوعها على طريق القسم الشمالى من الهلال الخصيب الذى يصل بين الخليج العربى وبـين البحر المتوسط ، فانها تتصل بحوض بحيرة وان عن طـريق اسعرت ، سواء أكان ذلك عن طريق وادى بهتان أم عـن طـريق وادى بتليس • وتتصل كذلك بهضبة أرمينية والقسم الشرقى من هضبة الاناضول خلال منابع الفرات وعن طريق موش أو عن طريق خربوط • كما أنها تتصل بداخل هضبة الاناضول وما يتصل بها من عالم البحر الاسود ومن عالم الاغريـق والرومان عن طريق ملطيـة ، أو عن طـريق بوابات كيليكية • وتنتقـل الاتصالات بين ديار بكر وبين سهل العراق عن طريق الموصل وخـلال المسالك التى تربط بينها وبين جزيرة ابن عمر من جهة ، وبينها وبين نصيبين وماردين من جهة أخرى • ويوجد بجانب هذه المسالك البرية ، طريق مائى أيضا ، وهو مجرى نهر دجلة • الا أن الملاحة فيه لا تصلح لغير الارماث النازلة مع التيار فقط • وذلك بسبب سرعة هذا التيار وبسبب تضمن المجرى بعض الخوانق وبعض ألسنة صخرية بارزة فيه بعض البروز[٢٤] •

ووادى الفرات ، هو الطريق الرئيسى الثانى لنقل الاتصالات بين سهل العراق وبين شرق البحر المتوسط • والظاهر أن مجراه لم يستخدم للنقل المائى استخداما رئيسيا الا للارماث ونحوها النازلة فيه فقط أيضا • وذلك بسبب طوله وكثرة تعرجاته وكذلك بسبب ما يعترضـه من جنادل أو شـلالات تزداد عندها سرعة التيار ، كما هو الحال فى امتداده الواقع بين شمال عنـه بقليل وبين هيت[٢٥] • ويستخدم سكان العصر الحديث فى هذا الامتداد ،

(٢٤) راجع (٤٤) ص ١٢٧ ، ١٢٩ ، (٦٣ – الجزء الرابع) ص ٢٤ ، ٣٤ وما بعدها •

(٢٥) راجع (٨٧ – الجزء الاول) ص ٥٣ ، (٦٣ الجزء الرابـع) ص ٩٢ – ٩٣ ، ١٠٠ – ١١٨ •

قوة المياه فى ادارة النواعير لرى زروعهم • ويبدو أن سكان العصور الوسطى والقديمة قد عرفوا أيضا هذا الاستخدام • ويتضمن امتداد وادى الفرات فى سوريا مثل هذه الصعوبة الملاحية • أما امتداده فى سهل العراق فانه يتضمن كذلك صعوبات ، الا أنها من نوع آخر • وهى ترجع الى مشاريع الرى المقامة عليه ، ويرجع بعضها الاخر الى بعثرة مياهه فى عدد كبير من الجداول الصغيرة وخلال مناطق مستنقعات واسعة • ومع ذلك ، فاننا اذا نظرنا الى نهر الفرات خلال أدوار التاريخ القديم نجد فيه ملاحة نشطة بواسطة عدد من السفن الصغيرة والقوارب وكذلك الارماث(٢٦) • ولعل بعض مدن مهمة قد قامت فى مناطق السداد التى أقيمت عبر المجرى لرفع مستوى المياه لتغذية قنوات الرى •

ويبدو أن القوافل لم تستخدم ضفاف الفرات فى السهل الفيضى بسبب تعرض بعض أجزائها لطغيان المياه عليها فى أوقات الفيضانات وبسبب وجود فتحات للرى فى البعض الآخر • وذلك ، الا اذا كان القدماء قد رفعوا هذه الضفاف وقووا مناطق الضعف فيها وأقاموا معابر على الفتحات • ولا شك فى أن وجود مثل هذه الصعوبات ، بجانب طول المجرى وكثرة تعرجاته وما يتضمن من مناطق مستنقعات وكذلك ما يتعرض له من تغيرات ، يكون عوامل تضعف كثيرا من أهمية ضفاف الفرات ومجراه كمسالك لسير الاتصالات الرئيسية والمنتظمة خلال السهل الفيضى وبين شماله وبين جنوبه • ويبدو أن هذه الاتصالات كانت تتحاشى أيضا السير على نطاق الرحاب • وكانت تفضل أن تسلك طريق خط العيون الذى سبقت الاشارة اليه • وهذا الطريق الاخير كان مفضلا خلال الادوار المتوسطة للتاريخ(٢٧) • وكذلك

---

(٢٦) راجع (٢٣٥) ص ٢٨ •

(٢٧) ذكر الطبرى ان الامام على بن ابى طالب سار بجيشه بعد موقعة صفين (ابو هريرة) على طول الضفة اليمنى لنهر الفرات الى هيت ثم اجتاز بعدها الصحراء مباشرة الى الكوفة • انظر الاشارة الى هذا المرجع فى (١٨٤) ص ٢٤٧ •

خلال أدواره الحديثة • ويستدل من خريطة ماجور رنل(٢٨) Major Rennell's Map, London, 1831 على ان القوافل ، من البصرة نحو حلب ، كانت تبتعد عن نهر الفرات بمسافة تتراوح بين ٢٥ ــ ٥٠ كم ، مارة بأم قرون وشفاثه والرحالية • وتقع هذه المراكز ضمن خط العيون • ويزداد اقتراب سير القوافل تدريجيا من نهر الفرات نحو منطقة هيت • ولكن القوافل لاتمر بهذه المدينة ، وانما تمر بمنطقة عيون الكبيسة أو بمنطقة عيون الارنب التى تقع على مسافة نحو ١٠ كم الى الجنوب منها • على أن هذا ليس معناه أن قوافل البصرة كانت منقطعة الصلة بداخل سهل العراق • فان بعض مدنه قد قامت فى الماضى كما تقوم نظائر لها فى الوقت الحاضر ، وعملت كثغور صحراوية للمبادلة بين تجارة هذا السهل وبين تجارة الصحراء • وذلك مثل أور وبابل وبورسيبا فى العصر البابلى وما قبله ، ومثل فلجاسيا ونيابلس فى العصر الفارثى ، ومثل الحيرة والانبار فى العصر الساسانى ومثل البصرة والكوفة فى العصر العربى • وكذلك مثل الزبير والسماوة والنجف وكربلاء والرمادى فى العصر الحديث • وكانت توجد مسالك جانبية تربط بين هذه الثغور وبين بعض المواقع على طريق خط العيون • وفضلا عن هذه المسالك التى كانت تنتقل خلالها بعض اتصالات سهل العراق ، كانت توجد مسالك أخرى فى القسم الشمالى منه وتصعد الى وادى الفرات ثم تسلك الجانب الشرقى له أو الجانب الغربى الى هيت • ولم تكن القوافل بعد وصولها الى هذه المدينة أو الى الكبيسة ، تسلك دائما ضفة النهر ، وانما كانت غالبا تبتعد عنها ، وعلى الاخص لكى تتحاشى الثنية الكبيرة للنهر عند عنه • ولكنها مع ذلك ما كانت تبتعد كثيرا عنه • وذلك لكى تتحاشى صعوبات اجتياز بعض الوديان الضخمة والعميقة مثل وادى حوران • ويستدل من خريطة رنل المشار اليها ، على أن اجتياز وادى حوران كان من

---

(٢٨) انظر هذه الخريطة فى مقابل ص ١٠٦ ، وكذلك التعليق عليها فى ص ١٩٣ وما بعدها فى (١١٨) •

الصعوبات التى ترغم القوافل على الاقتراب من وادى الفرات ، وكانت تسير مسافة نحو ٨ كم منـــه ، حيث يوجد مكان مناسب لعبور هذا الـــوادى الصحراوى • على أنه فى بعض حالات خاصة كانت القوافل ، وخصوصا الصغيرة منها ، تسلك طريقا مباشرا بين الكبيسة وبين دمشق (٢٩) • وقــد اشتهر هذا الطريق المباشر باسم درب الساعى (٣٠) • وترجع بعض أسباب تحاشى القوافل لسلوكه دائما الى صعــوبة اجتياز بعض الوديان الكبيرة ، وكذلك الى قلة موارده من المياه ومن المراعى • فمن الملاحظ أنه يمر فــى الاجزاء الشمالية من اقليم الحماد القاحل • ومن المعروف كذلك ، أنــه لا يتضمن موارد مياه دائمة الا من بعض عيون تقع على مسافات متباعــدة فى ثلاث واحات ، وهى مهيور وملصه ثم الضّمير أو الدمر •

ويمتد وادى الفرات فى سوريا مسافة نحو ٦٨٠كم• بين البوكمال عند الحدود العراقية ـ السورية وبين جرابلس (قرقميش) عند الحدود السورية ـ التركية • ويختلف اتساعه فى هذا الامتداد بين بضع مئات قليلة من الامتار فى بعض الاماكن وبين نحو ١٠ كم فى بعض أماكن أخرى (٣١) • وتنصرف نحوه مياه الاراضى التى تكتنفه • فتنحدر نحوه مياه أرض الجزيرة ممثلة فى رافديه الكبيرين وهما الخابور والبليخ • كما تنحدر نحوه مياه الصحراء السورية فى عدد من الوديان ، من أهمها وادى الصواب ووادى راتقــا ووادى المياه • وهى وديان جافة فى معظم أوقات السنة ، الا أنها فى فصل الامطار تتعرض أحيانا لفيضانات مفاجئة تتعرقل بسببها حركة سير الاتصالات مددا قصيرة تتراوح بين بضع ساعات وبين بضعة أيام (٣٢) • وتنبع معظــم هذه الوديان من هضبة جبل عنيزة • ونظرا لاجتيازها اقليم الحماد القاحــل

---

(٢٩) راجع (١٨٤) ص ٢٩ ـ ٣١ •
(٣٠) راجع (١١٨) ص ٣٩ •
(٣١) راجع (١٨٤) ص ١٩٧ •
(٣٢) راجع (١٠٩) ص ٢٥ •

فانها تمثل أهم وأوضح مسالك للاتصالات بين داخل هذا الاقليم وبين وادى الفرات • وتعتبر مناطق دلتاوات هذه الانهار والوديان من بـــين مناطـــق الاستقرار الهامة فى وادى الفرات • ولها كذلك أهمية خاصــة بالنســبة لطرق المواصلات المارة به أو المتجهة اليه • وفيها يقيم شيوخ القبائل قلاعهم ويزرعون أرضها اعتمادا على موارد المياه الجارية فى الانهار وعلى مـــوارد المياه الباطنية فى الوديان ، وكذلك على ما يجرى فيها من ميـــاه السـيول المؤقتة (٣٣) • وعدا هذه الدلتاوات توجد مراكز أخرى للاستقرار • ويوجد بعض منها فى الجزر الكثيرة التى يتضمنها المجرى ، بينما يوجد البعض الاخر فى الوادى • وعلى الاخص حيث تنخفض الضفاف بالقدر الذى يمكن من رى بعض الاراضى على جانبيها برفع المياه بآلات بسيطة (٣٤) • وهنـــاك بعض الدلائل على محاولات بذلت فى الماضى للتوسع فى تعمير القسم الاوســط من وادى الفرات واستغلاله • ولا تزال هناك آثار لعدد من القنوات يخرج بعض منها من نهر الفرات ويخرج البعض الاخر من روافده فى مناطـــق دلتاواتها (٣٥) • وبجانب مناطق الاستقرار الدائم ، توجد مناطق أخـــرى لاستقرار شبه دائم وفيها ينصب البدو خيامهم طول السنة أو معظمها ، وقد يمارسون زراعة بسيطة فى بعض الاراضى حولهم • وتوجد هذه المناطق على مقربة من مجرى الفرات حيث تتشبع التربة بالرطوبة فى وقت الفيضان ولكنها لا تفسد بسبب صرفها الطبيعى فى النهر عند انخفاض مستواه • وهـــذه العوامل التى تساعد على زراعة هذه المناطق تساعدها أيضا عـــلى الاحتفاظ بمراعيها مدة طويلة • أما فيما عدا ذلك من مناطق فى وادى الفرات فانها قليلة الاهمية ، وعلى الاخص حيث يجرى النهر فى خانق عميق بين ضفاف عالية

---

(٣٣) راجع (١٨٤) ص ٢٥ •
(٣٤) راجع (٢٠٨ الجزء الثانى) ص ٤٣٩ •
(٣٥) راجع (١٠٨) ص ١١٩ • ، (١٨٤) ص ١٩٧ ـ ١٩٨ •

من صخور البازلت والحجر الجيرى كالمنطقة الواقعة بين الميادين وبين جنوب حلبية ـ زلبية ، وكذلك فى شمال دير الزور • أو حيث يجرى عميقا بين أجراف عالية من الجبس والحجر الجيرى • ففى مثل هذه المناطق تبدو ضفاف النهر عارية الا من بعض الحشائش الخشنة والاعشاب اليابسة(٣٦) • ويمكن القول بصورة عامة أن أحوال النشاط البشرى فى وادى الفرات تتحسن بالصعود فيه شمالا نحو الاراضى التركية، حيث تزداد كمية الامطار الساقطة فى فصل الشتاء وفى فصل الربيع ، فتزداد تبعا لذلك الفرص لزرع مساحات واسعة بالغلات الشتوية على نظام الزراعة الجافة(٣٧) •

ونهر الفرات فى سوريا ليس طريقا جيدا للملاحة ، ولا يسير فيه الا القوارب والارماث مثل الاكلاك والشخاتير • وتستخدم هذه الوسائل عادة للملاحة النازلة فقط دون الصاعدة وعلى الاخص بالنسبة للاكلاك(٣٨) •

---

(٣٦) راجع (٤٤) ص ١٤٤ ـ ١٤٥ • ، (٨٧ ـ الجزء الاول) ص ٤٨ ـ ٥٣ • ، (١٨٤) ص ١٩٧ • ، (١٢) • ، (١٠٨) ص ١٢٢ •

(٣٧) يجعل موسيل دائرة عرض ٣٦ درجة شمالا (أى عند منطقة مسكنه) الحد الجنوبى لمنطقة الاستقرار الدائم فى وادى الفرات على نطاق واسع • راجع صحيفة ١٩٧ من كتابه (١٨٤) • وراجع أيضا (٣٦) ص ١٠١ ـ ١٠٤ • ، (٦٣ ـ الجزء الثالث) ص ٩٦ وما بعدها •

(٣٨) الاكلاك جمع كلك وهو عبارة عن تركيب خشبى ومثبت بحبال من لحاء الصفصاف او الطرفة ونحوهما ويرتكز على قرب منفوخة من جلد الماعز ، وتختلف مساحته باختلاف عدد القرب التى قد تصل الى اكثر من ٨٠٠ قربة • وتقدر مساحة الكلك بمعدل ٤٠٠ قدم مربع لكل ٢٠٠ قربة • وتصل حمولته احيانا الى ٣٦ طنا او اكثر • ويتحرك الكلك بتيار النهر وتستخدم المجاذيف لزيادة سرعته • وعند انتهاء الرحلة يفك وتباع اخشابه ، اما القرب فانها تفرغ من الهواء ثم تنقل عادة بطريق البر الى حيث يراد اعادة صنع كلك جديد • اما الشخاتير فهى جمع شختور وهو قارب كبير من الخشب منبسط القاع • راجع عن هذه الوسائل (٤٤) ص ١٤٦ وما بعدها • ، (١١٨) ص ١٦١ ـ ١٦٣ والحاشية • ، (١٥٥) ص ١٧٨ ـ ١٧٩ • ، (٢٠٩) ص ٥٠ وما بعدها • ، (١٨٤) ص ٥٣ والحاشية • ، (٦٣ ـ الجزء الرابع) ص ٣٥ •

وترجع أسباب ذلك الى أن الرياح السائدة هناك رياح غربية تساعد الملاحة النازلة بينما تعرقل الملاحة الصاعدة • وكذلك لان المجرى يعترضه فى بعض الاماكن ألسنة من الصخور تتكون عندها مسارع ، والبعض منها قوى والبعض الاخر ضعيف ولكنها تمكن أيضا الملاحة النازلة وتضع صعوبات فى وجه الملاحة الصاعدة • كما تعترضه فى بعض أماكن أخرى شطوط رملية وجزر عديدة ينقسم بينها المجرى ويتعرج ، وهذا يزيد فى صعوبات الملاحة فيه بصفة عامة(٣٩) •

على أن نهر الفرات وان كان ضعيف الاهمية من ناحية الملاحة الا أن له من ناحية أخرى أهمية كبرى تقوم على حقيقة كونه أوضح ظاهرة طبيعية محددة فى الوسط الصحراوى الذى يكتنفه • وهو لهذا يعتبر المسلك الطبيعى للهجرات لسير الاتصالات بين سهل العراق وبين الاجزاء العليا والوسطى من حوضه • كما أنه بمياهه الدائمة وبما يحيط مجراه من شجيرات وأعشاب للوقود وحشائش لرعى الحيوانات ، يعتبر هدفا للرعاة من جانب الصحراء السورية ومن جانب أرض الجزيرة • ويبدو أن وجود جماعة كبيرة من البدو على جوانب الفرات كان من بين الاسباب التى دعت الاتصالات الجارية الى أن تبتعد عن مجرى النهر ، وتسلك طريقا يمر فى الصحراء ببعض الواحات مثل مهيور ، قصر الهر ، السخنة ، الطيبة ، الرصافة • وكذلك لكى تتجنب دفع الكثير من رسوم المرور ومن الهدايا • ولم يكن البدو على جوانب الفرات ، هم وحدهم الذين كانت القوافل تتحاشاهم ، بل انها كانت أيضا فى بعض الاحيان تتحاشى الجماعات المستقرة(٤٠) • ولهذا يبدو صعبا أن نضع قاعدة عامة تتعلق بسير الاتصالات فى وادى الفرات • ومع ذلك فانه يمكن القول بأن حركة الاتصالات فى هذا الوادى واتباعها مسلكا

---

(٣٩) راجع (٣٦) ص ١٠٢ ، ١٠٤ • ، (١٠٨) ص ١٢٣ • ، (٦٠) ص ٥٣ ـ ٥٥ •

(٤٠) راجع (٨٢) ص ١٠١ •

أو أخر من المسالك التى تقع على جانبيه ، انما ترتبط بدرجة كبيرة بمدى حالة الاستقرار فيه .

ولقد قام فى وادى الفرات كثير من المدن فى أزمنة مختلفة واختفى بعض منها مثل حلبية وزجما وثبساكوس وسورا ، بينما لا يزال بعض آخر منها قائما وان فقد كثيرا من أهميته القديمة وذلك مثل دورايوروبوس Dura - Eurpos (الصالحية) ، صفين (أبو هريره) التى تقع على الجانب الايمن لنهر الفرات فيما بين مقابل الرقة وبين مسكنة(٤١) . وقد حمل قسم من هذه المدن عدة تسميات تشير الى تاريخه الطويل . فالرقة مثلا يقال أن الاسكندر الاكبر قد لاحظ أهمية موقعها فأمر ببنائها وسماها نيسفوريم - Nicephorium . وعرفت فى القرن الثالث الميلادى باسم كالينيكوم - Callinicom كما عرفت فى القرن الخامس باسم ليونتوبوليس - Leontopolis ثم عرفت أخيرا باسم الرقة فى العصر العربى(٤٢) . وعدا الرقة ، توجد بعض مدن أخرى يمكن ارجاع تاريخها الى العصر الاغريقى . الا أن بعض هذه المدن الاغريقية وكذلك بعض مدن أخرى غيرها ربما يمتد تاريخها الى ما قبل هذا العصر بكثير . وذلك بسبب ظروف بيئتها الجغرافية الملائمة لقيام المدن ، كتوفر قيام أسباب الزراعة على نطاق واسع . وقد تمتع بعض هذه المدن بميزات أعطتها أهميات أخرى تجارية واستراتيجية وذلك مثل الرقة بالقرب من مصب البليخ ، ومثل البصيرة (القرقسية قديما) عند مصب الخابور . وكذلك مثل الصلاحية ومسكنة ودير الزور . فالرقة أو نيسيفوريم القديمة تقع فى بيئة زراعية هى دلتا نهر البليخ ، كما أنها

---

(٤١) انظر الخريطة رقم ١٢٠ .

(٤٢) راجع (١٨٤) ص ٢١٩ . ، (١٠٨) ص ١٧٩ .

تقع على طريقين للتجارة ، أحدهما فى وادى هذا النهر(٤٣) والآخر فى وادى الفرات . وموقع البصيرة أو القرقسية القديمة على الخابور يشبه موقع الرقة فى أهميته ، وكذلك يشبهه لحد ما موقع الصلاحية او دورايوروبوس القديمة عند مصب وادى الصواب . وهو وادى صحراوى ينبع من جبل عنيزة ويكون مسلكا لبعض الاتصالات من داخل اقليم الحماد . كما أنه يكون طريقا طبيعيا للقوافل التى تريد الاقتراب من نهر الفرات، بعد ابتعادها عنه لتحاشى ثنية النهر الكبيرة بين هيت وبين القائم . وتعتبر الصلاحية أيضا نهاية طبيعية لحد ما بالنسبة للقوافل التى تريد أن تتحاشى مستنقعات وادى عجيج الادنى، وهى فى طريقها بين منطقة الموصل وبين منطقة تدمر - دمشق . أما مسكنة التى قامت فى منطقتها بعض مدن قديمة مثل تبساكس(٤٤)، فانها تقع حيث ينبغى على الاتصالات الجارية فى وادى الفرات أن تتجه نحو حلب أو نحو حمص وحماة أو نحو تدمر عن طريق الرصافة . وأما دير الزور، فيرى بعض الباحثين أنها تقوم على أطلال مدينة قديمة تعرف باسم آزورا(٤٥) . وهى فى الوقت الحاضر أهم مدينة على نهر الفرات فى سوريا، كما أنها مركز محافظة الفرات . وتقوم فى بيئة تتمتع ببعض المزايا . فحولها يمكن زراعة بعض الاراضى برفع المياه من نهر الفرات . وأمامها ينقسم المجرى الى فرعين ويحصران بينهما جزيرة كبيرة تدعى الحويقة . وقلب هذه الجزيرة عامر بالبساتين والابنية . ويعطى وجودها لدير الزور أهمية

---

(٤٣) كانت القوافل القادمة من الهضاب الشمالية مثل هضبة عنتاب وما حولها فى غرب الفرات ، لكى تتحاشى تعرجات هذا النهر وثنياته الكبيرة وكذلك اجتياز روافده العديدة ، تعبره عند زجما او سميساط، ثم تسلك وادى البليخ وتنزل معه الى الرقة سواء اكانت ستتبع ضفة الفرات اليسرى الى القرقسية ام ضفته اليمنى نحو دير الزور او انها كانت ستتجه مباشرة الى تدمر عن طريق الرصافة وطيبة وسخنة . راجع (٨٢) ص ١٠٠ . ، (١١٨) ص ٤٠ .

(٤٤) راجع (١٩) .

(٤٥) راجع (٣٦) ص ٣٣٥ .

استراتيجية واقتصادية لانها تمكنها من السيطرة على الملاحة النازلة فى مجرى الفرات وكذلك على الملاحة الصاعدة أمامها فيه • كما يسهل وجودها عملية عبوره ويجتذب اليها القوافل المتنقلة بين أرض الجزيرة وبين حوض تدمر عن طريق واحة سخنة • وعدا ذلك فانها تستطيع أن تتحكم فى قوافل التجارة السالكة طريق الجانب الايمن لنهر الفرات عند دخولها ممر حلبية أو عند خروجها منه(٤٦) •

أما المدن التاريخية الاخرى التى قامت على الفرات الاوسط ولمعت أسماؤها بعض الوقت ثم تلاشت ، فان ذلك يرجع الى أنها لم تقم على أساس ثابت وهو الزراعة ، وانما قامت على أساس آخر تجارى أو عسكرى وذلك مثل حلبية ، وهى حصن الزباء (زنوبيا)(٤٧) ، وغيرها من بعض المدن التى كونت خط التحصينات الرومانية Roman Limes على نهر الفرات • ومثل هذه المدن لا تلبث أن تضمحل بتحول طريق التجارة عنها أو بفقدان أهميتها العسكرية • والمدن العسكرية كانت لها أهمية خاصة خلال الادوار التاريخية التى كان فيها نهر الفرات يلعب دور الحدود السياسية ، وذلك مثلما كان بين العالم الفارسى وبين العالم الرومانى(٤٨) • وقد فقدت هذه المدن هذه الاهمية عندما توقف هذا النهر عن لعب هذا الدور وأصبح والاراضى التى تكتنفه يكون جزءا داخلا فى الامبراطورية الاسلامية •

ب - الصحراء السورية ومنافذ الاتصالات خلالها وخلال نطاق المرتفعات الغربية نحو البحر المتوسط •

ليست الصحراء السورية مثل بعض الصحارى الاخرى التى تفصل بين بعض مراكز الحضارات وبين البعض الاخر • وتختلف كثيرا عما اعتاد الناس أن يروه فى الصحارى من سطوح واسعة من الرمال تغوص فيها الاقدام وتحركها الرياح فتشكل كثبانا • وانما هى فى مظهرها العام عبارة عن سهل

(٤٦) المقصود بممر حلبية المنفذ الواقع امامها والمحصور بين مجرى الفرات وتلال البازلت التى تكتنفه من جهة وبين جبل بشرى من جهة اخرى • انظر الخريطة رقم ١٢ • وراجع ايضا (١٠٨) ص ١٢٣ •
(٤٧) راجع (١٠٨) ص ١٢٣-١٢٦ •
(٤٨) انظر الخريطة رقم ١٢ • وراجع أيضا (١٠٨) ص ١٢٠ - ١٢١ •

منبسط من الحصى والحصباء المختلطة بالرمال • وفى بعض المناطق يتموج سطحه فتعلوه تلال قليلة الارتفاع او روابى ، او تجرى وديان مختلفة العمق • أو ينخفض مستواه ويكون أحواضا تنصرف اليها مياه الامطار وتكون بحيرات او برك فى فصل الشتاء وفى فصل الربيع ، ثم تتقلص وتتحول فى فصل الجفاف الى مستنقعات ملحية تعرف باسم السبخات • وتختلف بين جهات الصحراء السورية كميات المطر الساقطة فى فصلى الشتاء والربيع • ويستدل من خريطة توزيع المطر على أن كميته تتناقص من الغرب نحو الشرق كما تتناقص من الشمال نحو الجنوب ، وذلك بصورة عامة • اذ من الملاحظ أن كمية المطر تزداد فى بعض المناطق لظروف محلية خاصة بها كزيادة الارتفاع عن مستوى سطح البحر • أو لوجودها عند منفذ فى نطاق المرتفعات الغربية يسمح بوصول كميات اكبر من الرطوبة اليها تحملها الرياح من البحر المتوسط • ويتبع اتجاهات زيادة كمية الامطار غنى فى الحياة النباتية ووفرة فى موارد المياه الباطنية غالبا • على أن الجهات الاقل مطرا لا تخلو من منخفضات تتجمع فيها بعض مياه الامطار وتكون خبرات أو غدران • كما انها لا تخلو من مناطق أخرى تتوفر فيها المياه الباطنية ، وتتفجر عيونا او يحصل عليها بحفر ابار(١) • ولبعض ظاهرات الجغرافية الطبيعية فى الصحراء السورية دخل فى اطلاق البدو تسميات خاصة على بعض اجزائها ، وذلك مثل الدبدبة والحجرة والوديان والحماد والحرة ونحوها(٢) •

(١) راجع (٧٢ الجزء الرابع) ص ١٤٨ وما بعدها • ، (١٠٤) ص ٤٧-٤٨ • ، (١٠٨) ص ١٥٣ وما بعدها •
(٢) ويطلق البدو ايضا على هذه الصحراء اسم البادية ، وهم ينسبون قسما منها الى بلاد الشام ويطلقون عليه اسم بادية الشام او الشامية كما ينسبون القسم الاخر الى العراق ويطلقون عليه اسم بادية العراق او بادية السماوة • وفى خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر اطلق بعض الرحالة من الاوروبيين على القسم الجنوبى منها اسم الصحراء

وتشبه الصحراء السورية مثلثا قائم الزاوية تمتد قاعدته فى الجنوب مع خط عرض ٣٠ درجة شمالا تقريبا ، ويمتد احد اضلاعه مع نهر الفرات ويمتد الاخر مع سفوح نطاق المرتفعات السورية – الاردنية الذى يحددها من جهة الغرب • أما رأس هذا المثلث فانها تقع فى منطقة حلب • ويتفق واتجاه دراستنا ، تقسيم هذه الصحراء ومنافذها الى الاقسام الفزيوغرافية الاتية •

١ – الحوض الشمالى ومنافذه نحو البحر المتوسط •
٢ – نطاق المرتفعات الوسطى •
٣ – الحوض الجنوبى ومنافذه نحو البحر المتوسط •
٤ – اقليم الحماد ومنافذه نحو البحر المتوسط •

١ – الحوض الشمالى ومنافذه نحو البحر المتوسط •

يقع هذا الحوض غرب الفرات أعلى الرقة • وهو أغنى أجزاء الصحراء السورية من الناحية النباتية ، وعلى الاخص قسمه الشمالى الذى يحيط بمدينة حلب • ويبلغ متوسط كمية المطر الساقطة فى هذه المدينة حول ٤٥ سم ، وهى كمية تكفى لنمو مراعى غنية نسبيا • كما انها تساعد على نمو بعض الغلات الشتوية • وفضلا عن الامطار ، توجد موارد أخرى للمياه فى أنهار تصرف بعض مياه هضبة عينتاب والمرتفعات الاخرى المجاورة لها• ومنها نهر قويق الذى تساعد مياهه على رى حدائق حلب وبساتينها • وقد جعلت هذه العوامل المنطقة التى تكتنف هذه المدينة وحدة اقتصادية ، كما

الكبرى وعلى القسم الشمالى أسم الصحراء الصغرى او صحراء بلميره • اما قبل ذلك فقد كانت التسميات التى اطلقها بطليموس لا تزال مستعملة ، وهى بلاد العرب البطرية Arabia Petraea. وتطلق على القسم الجنوبى منها ، وبلاد العرب الصحراوية : Arabia Deserta. وتطلق على القسم الاوسط • ثم سوريا وكانت تطلق على القسم الباقى ، وهو القسم الذى كان متأثرا بالحضارة الرومانية بدرجة كبيرة راجع (١١٨) ص ١٠–١٢ والهوامش •

جعلت المدينة نفسها سوقا كبيرا للقوافل • أما القسم الجنوبى من هذا الحوض فانه يمثل مناطق المراعى الفقيرة • وهو يغنى بهذه المراعى فى فصل سقوط المطر ، فى الشتاء والربيع • ولا يخلو فى فصل الجفاف من بعض نباتات عطرية ودائمة الخضرة وكذلك من بعض حشائش خشنة وأعشاب تصلح لرعى الابل[٣] • ويصلح سطح هذا الحوض فى قسمه الشمالى وفى قسمه الجنوبى لسير القوافل ، بل انه يصلح أيضا لسير السيارات • وذلك باستثناء مناطق السبخات او المستنقعات الملحية ، وكذلك باستثناء مناطق الحرار البركانية ومناطق الكثبان الرملية[٤] •

وفى شرق هذا الحوض يجرى نهر الفرات فى وادى خصب وعامر بالسكان • كما أن مجراه هناك صالح للملاحة طول السنة الى ما فوق بيره جيك بقليل ، أى الى منفذه من جبال طوروس • على أن هذه الصلاحية للملاحة ليست مطلقة • اذ هى قاصرة فى الغالب على الشختاير والاكلاك ونحوهما من الانواع ذات القيعان المسطحة[٥] • ولقد اشتهرت بيره جيك بصناعة هذه الانواع من وسائل النقل المائى • وساعدها على ذلك ، بجانب وقوعها على نهر الفرات ، توفر الاخشاب من مناطق التلال التى تكتنفها • وكذلك ساعدها موقعها عند منفذ الفرات من خانق وعر فى مرتفعات طوروس ، على أن تكون واحدة من أهم المناطق التى يعبر عندها نهر الفرات • وقبل ظهور هذه المدينة اشتهرت هناك مدينة أخرى ، وقد عرفت فى العصر الاغريقى – الرومانى باسم زجما Zeugma أى المعبر • أما النقل البرى على ضفاف الفرات فتعترضه بعض صعوبات ، وعلى الاخص بالنسبة للضفة اليمنى حيث تقطعها مصبات عدد كبير من الانهار أو الجداول الاتية من سفوح مرتفعات طوروس ومن هضبة عينتاب • ويلاحظ أن مجرى الفرات

(٣) راجع (١١٨) ص ١٢–١٣ • ، (١٠٨) ص ١٥٣–١٥٤ •
(٤) راجع (١١٨) ص ١٣ • ، (١٠٨) ص ١٥٦ •
(٥) راجع (٦٣ – الجزء الرابع) ص ٣٠–٣١ • ، (١١٨) ص ١٦٤ •

فى هذا الجزء ينبعج كثيرا نحو الغرب حتى لتبلغ المسافة بينه وبين بعض الموانىء على ساحل البحر المتوسط نحو ١٣٠ كم [٦] . ولا شك أن لهذا أهمية كبيرة بالنسبة لسهل العراق ، وعلى الاخص فى الازمنة القديمة . ذلك لانها تساعده على أن ينقل اليه فى هذا النهر بعض السلع الثقيلة وذات الحجم الكبير كالاخشاب والصخور ونحوهما من أنواع المواد الخام . كما ساعدت الامبراطور تراجان فى أن ينقل من أنطاكية معدات حملته الكبيرة، وهى الحملة التى أعد لها أكثر من ١٠٠٠ قارب ونزل بها فى نهر الفرات لغزو سهل العراق فى عهد دولة الفرثيين .

وتشرف هضبة عينتاب على هذا الحوض من جهة الشمال . وهى هضبة قليلة الارتفاع وخفيفة التضرس نسبيا ، ومنها تمتد ألسنة نحوه وكذلك نحو وادى الفرات . وتنحصر فيما بين بعض هذه الالسن وبين البعض الاخر سهول منخفضة ووديان تجرى فيها أنهار صغيرة وجداول ، يتجه بعض منها نحو هذا القسم من الصحراء السورية بينما يتجه البعض الاخر نحو نهر الفرات . ولبعض الانهار المتجهة نحو نهر الفرات وديان واسعة نسبيا مثل وادى نهر الساجور ، الا ان معظم الوديان الاخرى المتجهة الى هذا النهر ، جبلية وعميقة ، وتمثل صعوبات أمام سير الاتصالات عبرها بين الشمال وبين الجنوب . ولكنها مع ذلك تمثل من جهة أخرى أوضح المسالك وأكثرها تحددا بين الغرب وبين الشرق أى بين داخل هضبة عينتاب وبين وادى الفرات . ولقد كان هذا فيما يبدو ، سببا فى وجود عدد من المناطق لعبور نهر الفرات هناك . مثل بيره جيك (زجما) ،

(٦) تقدر المسافة بين قلعة جروم (شمال بيره جيك بنحو ١٦ كم) وبين بياس على خليج الاسكندرونة بنحو ١٣٠ كم (٥ر٨٠ ميلا) . وبين بيره جيك وبين مصب العاصى بنحو ٢١٥ كم (١٣٣ ميلا) . كما تقدر بين بالس (فى منطقة مسكنة) وبين الاسكندرونة بنحو ١٧٨ كم (٥ر١١٠ ميلا) . وبينها وبين السويدية عند مصب العاصى مع المرور بحلب ، بنحو ٢٠٠ كم (١٢٣ ميلا) راجع (٨٦ ، الجزء الاول) ص ٤٦-٤٨ .

جرابلس (قرقميش) ومثل تل أحمر (تل برسيب) . ويقع هذا المعبر الاخير عند مصب الساجور [٧] . وتعتبر بيره جيك ، بدرجة كبيرة ، معبرا للاتصالات الجارية بين مدينة عينتاب وبين الموصل عن طريق أورفه . أما جرابلس ، وهى التى يمر بها فى الوقت الحاضر خط سكة حديد الشرق، فانها معبر آخر للاتصالات بين هضبة عينتاب ومنطقة حلب من جهة وبين الموصل من جهة أخرى عن طريق أورفه أو عن طريق حران . ويؤدى معبر تل الاحمر وظيفة معبر جرابلس بدرجة كبيرة . وذلك لانه وان كان يقع بعيدا نحو الجنوب الشرقى بالنسبة لمدينة عينتاب الا أنه يلاحظ أن وادى الساجور يربط بينهما . ولا تقتصر اتصالات حلب مع سهل العراق على اتجاهات المعابر التى أشير اليها فحسب بل تقوم أيضا بعض الاتصالات بينهما عن طريق وادى الفرات . وتتحول بعض الاتصالات الصاعدة فى هذا الوادى نحو حلب ، عند أقصى اتجاهه نحو الغرب ، أى عند مسكنة الحالية أو عند ثبساكس : Thapsacus القديمة [٨] . ثم تسلك اتجاها نحو غرب الشمال الغربى مارة بالحافة الشمالية لسبخة

(٧) اختلفت فى بعض ادوار التاريخ ، المنطقة التى كانت تفضل لان يعبر نهر الفرات عندها . فالاشوريون مثلا كانوا يفضلون عبوره عند تل برسيب (تل الاحمر). و كان الاغريق يفضلون عبوره احيانا عند زجما ـ اباميا ـ Zeugma - Apamia (تقع فوق بيره جيك على الفرات بنحو ١٥ كم) ، وكانوا احيانا اخرى يفضلون عبوره عند ثبساكس (منطقة مسكنة)، ولقد عبر الاسكندر نهر الفرات عند هذا المعبر الاخير ، وذلك اثناء تعقبه لدارا الفارسى نحو سهل أربيل . اما الرومان فانهم كانوا يعبرونه احيانا عند نيسيفوريم Niciphorium (الرقة) ، واحيانا اخرى عند القرقسية ـ Cercasium (موقع البصيرة الحالى عند مصب الخابور فى نهر الفرات) راجع (١١٨) ص ٤١-٤٢ والهامش . وراجع ايضا (٢٥٢) ص ٢١١ .

(٨) يرى موسيل ان موضع ثبساكس هو موضع الميادين على نهر الفرات ، وهى بلدة تقع تحت مصب الخابور بقليل . راجع (١٨٤) ص ٣٤٠ وما بعدها . وقارن (١٩) .

الجبول [٩] . أما البعض الاخر من الاتصالات المتجهة اليها فانه يبتعد عن هذا الوادى عند القائم أو عند البوكمال ، ويسلك فى الصحراء السورية اتجاها مباشرا يمر بواحة الطيبة او بالقرب منها . ويبدو أنه كان يسلك الجانب الغربى لسبخة الجبول .

وتشغل سبخة الجبول قاع منخفض واسع فى جنوب شرق حلب . وهى تكون مستنقعا فى فصل المطر ثم تجف فى فصل الجفاف وتتحول الى ملاحة [١٠] . وتنصرف اليها مياه نهر الذهب الذى يأتى بمياهه من هضبة عينتاب . وفى غرب نهر الذهب يجرى نهر قويق من هذه الهضبة أيضا ، وتنصرف مياهه فى منخفض آخر يقع فى جنوب حلب ، وفى قاع هذا المنخفض توجد سبخة أخرى تعرف باسم المدخ . وفيما بين منخفض الجبول وبين منخفض المدخ توجد بعض مناطق تغطيها تكوينات بركانية . ونهر قويق عظيم الاهمية بالنسبة لمدينة حلب ، اذ كانت مياهه تروى حدائق هذه المدينة وبساتينها قبل أن يستغل الاتراك القسم الاكبر من مياهه فى رى بعض أراضيهم فى هضبة عينتاب . وفضلا عن ذلك فان هذا النهر طريق طبيعى للاتصالات بين داخل هذه الهضبة وبينها .

وفى غرب منابع نهر قويق يزداد مستوى سطح هضبة عينتاب ارتفاعا كما يزداد تضرسا . وتمتد عليه بين الشمال وبين الجنوب بعض نطاقات من التلال . وفيما بين بعض هذه النطاقات وبين البعض الاخر توجد احواض منخفضة ووديان تجرى فيها انهار تنصرف مياهها الى نهر العاصى . وبينما تعترض نطاقات التلال سير الاتصالات بين الشرق وبين الغرب الا من بعض ممرات ، فان وديان هذه الانهار تكون مسالك طبيعية للاتصالات بين الشمال وبين الجنوب . ولقد ربطت الممرات فى نطاقات التلال مسالك الاتصالات فى بعض الوديان بالبعض الاخر . ولقد ترتب على ذلك ان كان سير

(٩) راجع (٦٣ ، الجزء الرابع) ص ٣١ . ، (٨٢) ص ٣٩ ، ٩٩ .
(١٠) راجع (١١٨) ص ١٩٣-١٩٤ .

الاتصالات فى هذه الوديان غير مقيد بالاتجاه فيها نحو الشمال او نحو الجنوب وانما كان حرا فى الاتجاه ايضا نحو الشرق او نحو الغرب . أما اذا راعينا جانب السهولة فأنه يمكن القول ان معظم أتصالات أقليم التلال الواقع فى غرب هضبة عينتاب تتجه نحو الجنوب . وتوجه ظاهرات السطح فى نطاق الانتقال بين الصحراء السورية وبين هذا الاقليم التلى ، سير معظم الاتصالات نحو الجنوب الشرقى الى حلب او نحو الجنوب الغربى الى انطاكية [١١] .

ويعرف اول نطاقات هذه التلال [١٢] من جهة الشرق باسم جبل سمعان . وترتفع ذرى هذا الجبل فى قسمه الجنوبى الى نحو ٨٧٠ مترا فى قمة الشيخ بركات . وهو يعلو الى اكثر من ذلك بالاتجاه نحو الشمال ، ويبلغ ذروة ارتفاعه فى شمال كلس بقليل . وظاهرات السطح التى تكتنف هذه المدينة جعلتها مركزا للاتصالات بين الفرات وبين خليج الاسكندرونة من جهة ، وبين عينتاب وبين حلب او انطاكية من جهة اخرى . وفى غرب نطاق تلال سمعان يوجد حوض يجرى فيه نهر عفرين . وهو يجرى موازيا لنهر قويق ، الا انه لا ينتهى مثله الى منخفض فى الصحراء السورية . وانما يتحول فى مجراه الادنى من الاتجاه نحو الجنوب الى الاتجاه نحو الجنوب الغربى فنحو الغرب الى حيث يصب فى منخفض العمق الذى يتضمن فى قاعة بحيرة تتصل بنهر العاصى وتنصرف بعض مياهها اليه . وترجع اسباب هذا التحول فى مجرى النهر الى انحراف جبل سمعان فى طرفه الجنوبى نحو الجنوب الغربى ، وكذلك الى ان السطح هناك ينحدر بصورة عامة من سفوح هذا الجبل ومن سفوح جبل باريشه الذى يقع على امتداده ، نحو منخفض العمق الذى تشغل قاعة بحيرة العمق . وتحول نهر عفرين من الاتجاه نحو الجنوب الى الاتجاه نحو الجنوب الغربى والغرب له بعض الاثر على سير الاتصالات فى وادى هذا النهر وجعل اتجاهها الطبيعى نحو انطاكية . ومع

(١١) انظر الخريطة رقم ١٢ . وراجع ايضا (٢٢٤) ص ١٨٤ .
(١٢) انظر الخريطة رقم ١٢ .

الجنوب الشرقى ويجتاز ممر راجو فى جبال الكرد الى حلب • أما الاتجاه الثالث فانه يقع نحو الشمال الشرقى ، الى منطقة سميساط على الفرات او الى منطقة ملطية • وهو يتبع واديا يقع بين جبال الكرد وبين امتداد جبـال امانوس شمال مرعش •

وأما الممر الاخر فى سلسلة جبال امانوس فانه يقع فى قسمها الجنوبى• ويعرف بأسم ممر بيلان – Beilan كما انه يشتهر ايضا باسم بوابة سوريا – Bylae Syriae • وتوضح هذه التسمية أهمية هذا الممر كمدخل الى سوريا من جهة سهول كيليكية • وفى الواقع ، ان هذا الممر الذى يبلغ ارتفاعه حول ٦٨٠ مترا قد شهد سير معظم العلاقات التاريخية التىجرت بين سهول الشرق الاوسط وبين هضبة الاناضول عن طريق سهول كيليكية • ويمكن ان تسير الاتصالات الجارية فيه ايضا نحو الاتجاهات الثلاثة التى تسلكها الاتصالات الجارية فى ممر فوزى باشا • الا ان الاتجاه الطبيعى لسير الاتصالات الجارية فيه اى فى ممر بيلان ، يكون نحو الوادى الادنى لنهر العاصى •

وفى جنوب هذا الممر يعلو ثانية مستوى سلسلة أمانوس كما يعظم اتساعها • وتعرف هناك باسم كزل داغ اى الجبل الاحمر • وهذا الجبل ، يزداد فى اتجاهه نحو الجنوب ميلا نحو الغرب • وبذلك يضيق اتساع السهل الساحلى فى جنوب خليج الاسكندرونة تدريجيا نحو الجنوب الغربى •وينتهى برأس بارز ، يعرف طرفه الشمالى الغربى بأسم رأس الخنزير ويشرف على مدخل خليج الاسكندرونة من جهة وعلى مدخل خليج السويدية (سلوكيا قديما) منجهة اخرى• أما طرفهالجنوبى الشرقىالذى يعرف بأسمجبلموسى فانه يحدد من جهة الشمال مدخل وادى العاصى الذى يحدده ايضا الجبل الاقرع من جهة الجنوب (١٧) •

---

(١٧) انظر الخريطة رقم ١٢ •

ويكون مصب نهر العاصى مدخلا آخر الى سهول الشرق الاوسط • الا ان معظم الاتصالات التى تدخل عن طريقه الى هذه السهول كانت تأتى على ما يبدو ، بطريق البحر • ذلك لان الطريق البرى عند الساحل ، فى جنوب خليج الاسكندرونة ، يتضمن بعض الوعورة تصعب السير عليه وعلى الاخص فى قسمه الواقع بين رأس الخنزير وبين جبل موسى • ومن الملاحظ ان ممر بيلان اكثر صلاحية منه لنقل الاتصالات القادمة نحو هذه السهول بطـريق البر • ويمكن للاتصالات القادمة فى مدخل العاصى ان تسلك ضفـاف النهر ، كما كانت تفعل القوافل المصرية القادمة الى انطاكية عن طريقالساحل الفينيقى • كما يمكنها ان تسلك المجرى نفسه لان مصبه لا يختنق بالرواسب، نظرا لان معظم هذه الرواسب يترسب فى المستنقعات التى يمر بها النهر فى مجراه الاوسط وفى مجراه الادنى (١٨) •

ولقد حددت ظاهرات السطح سير الاتصالات بين حلب من جهة وبين ممر بيلان ومدخل العاصى من جهة اخرى • وذلك خلال ممر حارم الذى يقع بين جبل سمعان من جهة الشمال وبين كتلة مرتفعات باريشه من جهـة الجنوب • وفى غرب هذا الممر ، تسلك الاتصالات القاصدة الى انطاكية او الى السويدية وهى ميناؤها (سلوكيا القديمة عند مصب العاصى) طـريق وادى العاصى • اما ما يقصد منها الى ميناء الاسكندرونة وسهول كيليكية فانه يتجه الى ممر بيلان ملتفا حول منخفض العمق من جهة الشرق ومن جهـة الشمال (١٩) •

ولا يقتصر سير اتصالات حلب نحو السواحل الشمالية الشرقية للبحر المتوسط على ممرات سلسلة أمانوس وعلى وادى العاصى فحسب ، بل ان لها

---

(١٨) راجع (٣٦) ص ٤١–٤٢ • ، (٨٢) ص ٣٨ ، ٩٨ – ١٠٠ • ، (١٩٠) ص ٩٧ • ، (١٦٥) ص ٨٢ – ٨٣ • (٦٤) ص ١٨ •

(١٩) يرى وولى أن تكوين منخفض العمق حديث • وانه حدث فى القرن السادس الميلادى بتأثير الزلزال الذى دمر انطاكية • راجـع (٢٦٦) ص ١٩ •

منفذا اخر نحو اللاذقية ايضا • ولقد حددت كذلك ظاهرات السطح هناك مسلك هذا المنفذ • وذلك خلال ممر ادلب الذى يقع بين جبل الدويلة وهو الامتداد الجنوبى الغربى لكتلة مرتفعات باريشه ، من جهة الشمال وبين جبل الزاوية من جهة الجنوب • ثم فى وادى النهر الكبير الشمالى الذى يجرى فى ثغرة تفصل بين جبل الاقرع من جهة الشمال وبين سلسلة جبال العلويين او النصيرية ، من جهة الجنوب •

والخلاصة ، ان لاتصالات سهل العراق مع السواحل الشمالية الشرقية للبحر المتوسط خمسة منافذ طبيعية تجتاز نطاق المرتفعات المشرف على هذه السواحل • واول هذه المنافذ من جهة الشمال ممر مرعش وتجتازه بعض الاتصالات القادمة خلال القسم الشمالى من ارض الجزيرة • وهى التى تعبر نهر الفرات عند ملطية او عند سميساط • ويوجد فى القسم الشمالى من جبال الكرد بعض ممرات • ويقع واحد منها على الاتجاه المباشر بين سمساطه القديمة وبين مرعش • (يلاحظ ان المكانين يقعان على خط عرض واحد تقريبا ، وهو ٣٧ درجة و ٤٠ دقيقة) • وفى العصر الرومانى كان يجتازه طريق يربط بين سمساطه وبين جرمانيسايا Germaniceia ، وهى مدينة قديمة قامت مرعش مقامها [٢٠] • والمنفذ الثانى هو ممر فوزى باشا او كما يسمى احيانا ممر بغجه • وتجتازه من جهة بعض الاتصالات القادمة فى مسالك القسم الشمالى من ارض الجزيرة والتى تعبر الفرات من معبر بيره جيك (زجما) على الاخص • ذلك لانه يلاحظ انه فيما بين هذا المعبر وبين ممر فوزى باشا تتضمن جبال الكرد ممرا اخر ويمكن ان تسلكه الاتصالات الجارية بينهما عن طريق عينتاب • كما يلاحظ ان المكانين يقعان على خط عرض واحد ، هو تقريبا ٣٧ درجة و١٥ دقيقة • وفى العصر الرومانى كان يوجد طريق يجتاز ممر فوزى باشا ويصل بين زجما وبين كستابالا [٢١] •

---

(٢٠) انظر الخريطة مقابل ص ٢٣ والخريطة مقابل ص ٢٦٦ فى (٢١٠) •
(٢١) راجع الخريطة مقابل صحيفة ٢٣ فى (٢١٠) •

Kastabala فى الوادى الادنى لنهر سيحان • وقد قامت مقامها حاليا مدينة عثمانية • وهذا الممر تجتازه من جهة اخرى بعض الاتصالات المارة بحلب ، سواء اكانت قادمة فى مسالك القسم الشمالى من ارض الجزيرة وعبرت الفرات عند قرقميش (جرابلس) او عند تل برسيب (تل الاحمر) • او كانت قادمة خلال سهول ارض الجزيرة وعبرت النهر عند تل برسيب • ام انها كانت قادمة على الجانب الايمن لنهر الفرات او على جانبه الايسر ثم عبرته عند ثبساكس (فى منطقة مسكنة الحالية) • والمنفذ الثالث هو ممر بيلان او بوابة سوريا وهو المسلك الطبيعى للاتصالات القادمة عن طريق حلب سواء اتجهت اليه خلال ممر راجو فى جبال الكرد ام سلكت اليه وادى النهر الاسود •

ويلاحظ ان هذه المنافذ الثلاثة سابقة الذكر تخدم على الاخص الاتصالات الجارية بين سهل العراق من جهة وبين سهول كيليكية (سهول أضنة) من جهة اخرى • أما المنفذان الاخران فاحدهما منفذ وادى العاصى عن طريق ممر حارم ، والاخر هو منفذ اللاذقية عن طريق ممر أدلب • وهذان المنفذان يخدمان الاتصالات القادمة من سهل العراق عن طريق حلب والاتصالات الاخرى القادمة من العالم الاغريقى - الرومانى عن طريق البحر • وكذلك الاتصالات القادمة من مصر على طول الساحل السورى • ولمنفذ وادى العاصى أهمية خاصة • وذلك لانه يعتبر الطريق المباشر لحلب نحو ساحل البحر المتوسط • كما يعتبر المدخل الاول نحوها بالنسبة للسفن القادمة من العالم الاغريقى - الرومانى بطريق المياه الشاطئية لهضبة الاناضول • وبجانب ذلك يلاحظ أنه مدخل مأمون بسبب وقوعه فى خليج سلوكيا (خليج السويدية حاليا) ، كما يمتاز بأن بعض الاتصالات الجارية فيه يمكن أن تنتقل بطريق الماء فى مجرى النهر كما يمكن أن ينتقل فيه البعض الاخر بطريق البر على ضفافه •

ومما تقدم نستطيع أن ندرك الخسارة الكبرى التى منيت بها حلب منذ

سنة ١٩٣٩ عندما انتزع من يدها لواء الاسكندرونة • فان هـذا اللـواء يتضمن ممر بيلان وهو أهم منفذ لها نحو سهول أضنة ونحو داخل هضبة الاناضول • كما يتضمن منفذ وادى العاصى وهو أهم منفذ لها أيضا نحـو البحر المتوسط ، ومن الطبيعى ان يترتب على هذه الخسارة تقوية الاتصالات بينها وبين ميناء اللاذقية وهو منفذها الاخير فى الاراضى السورية •

وتوجد فى جنوب حلب منطقة معقدة السطح كما ان بعض أجزائهـا سىء الصرف[٢٢] • وذلك لانها تتضمن أحواضا منخفضة تنصرف اليهـا بعض مياه هضبة عينتاب من جهة وبعض مياه الصحراء السورية من جهـة أخرى • وفى قاع هذه الاحواض تتكون بحيرات فى فصل المطر ثم تنكمش مساحتها فى فصل الجفاف ويجف بعضها فتتكون مستنقعات ملحية وسبخات مثل سبخة الجبول والمدخ ومرزنة وخريش • وفيما بين بعض هذه الاحواض المنخفضة وبين البعض الاخر توجد سطوح بركانية من اللافا والبازلت[٢٣] • وبعض هذه السطوح مرتفع ويكون كتلا من التلال ، مثل جبل الاحص أو جبـل شبيط •

ولقد عرقلت ظاهرات السطح فى هذه المنطقة سير الاتصالات المباشرة بين وادى الفرات عند مسكنة وبين منفذها الطبيعى عندساحل البحر المتوسط وهو اللاذقية[٢٤] ، وذلك خلال ممر أدلب • وحولت اتجاهها ، اما نحـو الشمال الغربى الى حلب واما نحو الجنوب الغربى الى حماة أو الى حمص • ويلاحظ مما تقدم أن هذه المنطقة المعقدة السطح تقسم من وجهة نظـر المواصلات ، الحوض الشمالى من الصحراء السورية الى قسمين ، أحدهمـا حوض حلب فى الشمال والاخر حوض حماة ـ حمص فى الجنوب • كما يلاحظ أن هذين الحوضين يتنافسان فى اجتذاب الاتصالات القادمة فى وادى

(٢٢) انظر الخريطة رقم ١٢ •
(٢٣) راجع (١٢) •
(٢٤) انظر الخريطة رقم ١٢ •

الفرات عند منطقة مسكنة (منطقة ثبساكس القديمة) • ومـع ذلك تبغـى مراعاة كونهما غير منفصلين تماما • فان المنطقة المعقدة السطح التى تفصـل بينهما ، تتضمن بعض مسالك تربط بينهما • وتشير ظاهرات السطح الى ان أفضل المسالك لسير الاتصالات بينهما هو الذى يتجنب هذه المنطقة ويمتـد عند حافتها الغربية ، أى عند السفوح الشرقية لجبل الزاوية مارا بمعـرة النعمان ، الا ان اتجاهه مع ذلك غير مباشر • ولقد تغلبت الهندسة فى الوقت الحاضر على بعض الصعوبات فى هذه المنطقة ومدت خلالها خطا لسكة الحديد ينزل من حلب فى وادى نهر قويق ثم يجتاز سبخة المدخ فى اتجاه مباشر نحو دمشق يمر بحماة وحمص •

ويقع حوض حماة ـ حمص فى مقابل امتداد الفرات بـين حلبية ، وهى حصن زنوبيا فى تدمر ، وبين مسكنة • ويحمل هذا الامتـداد بعض الاتصالات الجارية فى وادى الفرات كما يحمل الاتصالات الجارية فى وادى البليخ وهى عظيمة الاهمية • الا أنه بالرغم من عظم أهمية الاتصالات التى يحملها هذا الامتداد من نهر الفرات ، فان ما يتجه منها فى الواقع نحو حماة او نحو حمص ، محدود ، وذلك بسبب ظاهرات سطح الاقليم هناك • فان هذه الظاهرات قد أوجدت لهذا الحوض منافسين خطرين ، أحدهما حوض تدمر والاخر حوض حلب •

وتوضح الخريطة الطبيعية[٢٥] ان القسم المقابل من وادى الفـرات ينبعج قسمه الشرقى نحو الشمال وتزداد تبعا لذلك المسافة بين النهـر وبين حماة أو حمص • وعندما يتحول اتجاه هذا الانبعاج نحو الجنوب ثم نحـو الغرب والشمال الغربى فى قسمه الغربى يصبح من الاسهل لبعض الاتصالات أن توجه سيرها من الرقة نحو تدمر عن طريق واحة الرصافة • وهنـاك مسلك طبيعى يجتاز نطاق المرتفعات الوسطى فاصلا بين جبل بشرى من جهة الشرق وبين جبل أبو رجمين أو جبل منشار من جهة الغرب ، ويمر بالطيبة

(٢٥) انظر الخريطة رقم ١٢ •

وسخنة • كما يصبح من الاسهل للبعض الاخر منها أن يوجه سيره من مسكنة نحو حلب • أما ما يفضل من هذه الاتصالات سلوك الطريق الطويل فى الصحراء السورية نحو حماة او نحو حمص ، فلأن هناك بعض عوامل أخرى تجتذبه • ذلك لانه يقع فى غرب حماة ممر يجتاز نطاق المرتفعات الساحلية ويصل بينها وبين بعض الموانىء على البحر المتوسط • وكذلك يقع فى غرب حمص ممر أخر ويصل بينها وبين بعض موانىء أخرى • أما فيما بين ممر حماة من جهة الجنوب وبين ممر أدلب من جهة الشمال من نطاق المرتفعات الساحلية ، فان جبال العلويين (النصيرية) تمتد شاهقة ولا تتضمن ممرات • وفضلا عن ذلك فان منطقة حماة ـ حمص عبارة عن سهل خصب ويكون اقليما اقتصاديا يجتذب اليه القوافل •

وتقع حماة وحمص فى سهل تربته خصبة من الجير ومن البازلت • وفى منطقة تتفتح فيها الصحراء السورية نحو وادى العاصى • وذلك خلال ثغرة واسعة فى نطاق المرتفعات الذى يشرف على هذا الوادى من جهة الشرق • وهى تفصل بين جبل الزاوية من جهة الشمال وبين نطاق المرتفعات الوسطى من جهة الجنوب • وبذلك لا يفصل بين منفذ الصحراء السورية فى هذه الثغرة وبين ساحل البحر المتوسط الا نطاق واحد من المرتفعات هو سلسلة جبل العلويين •

وتمتد سلسلة جبل العلويين أو النصيرية مسافة نحو ١٣٠ كم بين وادى النهر الكبير الشمالى الذى يصب فى منطقة اللاذقية ، وبين وادى النهر الكبير الجنوبى وهو الذى يكون الحدود السياسية الحالية بين سوريا ولبنان • ويبلغ متوسط اتساع هذه السلسلة بين ٢٥ ـ ٣٠ كم • وهى فى قسمها الشمالى أكثر ارتفاعا كما أنها أكثر تحددا منها فى قسمها الجنوبى ، حيث تبدو كهضبة كبيرة الاتساع ، وتتضمن فى بعض اجزائها احواضا خصبة وعامرة بالسكان • ويقع أحد هذه الاحواض فى غرب حماة مباشرة • وقد ساعد وجوده على تهيئة مسلك طبيعى لسير الاتصالات بين هذه المدينة وبين

بنياس على ساحل البحر المتوسط ويمر بالمدينتين الجبليتين مصياف وقدموس • على أن هذا المسلك يبدو وعرا اذا قورن بالمسلك الاخر الذى يقع فى جنوبه ، فى غرب حمص ، حيث توجد ثغرة واسعة ومنخفضة تفصل بين سلسلة جبل العلويين من جهة الشمال وبين سلسلة جبل لبنان (الساحلية) من جهة الجنوب • ويجتاز هذا الممر فى الوقت الحاضر طريق معبد كما يجتازه خط لسكة الحديد يصلان بين حمص فى الداخل وبين طرابلس على الساحل • ويلاحظ أنه قد قام على ساحل البحر المتوسط ، مقابل منفذ هذا الممر اليه بعض مدن فينيقية مثل سيميرا Simyra • كما يلاحظ أنه كان الممر الذى سلكه رمسيس الثانى حول سنة ١٢٧٢ ق•م• فى تقدمه لمحاربة الحيثيين(٢٦) •

وفضلا عما سبقت اليه الاشارة عن أهمية موقع منطقة حماة ـ حمص من ناحية سير الاتصالات بين وادى الفرات ، فيما بين حصن زنوبيا وبين مسكنة من جهة ، وبين ساحل البحر المتوسط ، فيما بين بنياس وبين طرابلس من جهة أخرى ، فان لهذه المنطقة أيضا أهمية أخرى تقوم على كونها تقع على طريق الاتصالات بين الشمال وبين الجنوب خلال المنخفض السورى • ومن الملاحظ أن سلوك هذا الطريق ليس كله سهلا • اذ يتضمن القسم الواقع من هذا المنخفض شمال حماة بعض صعوبات تقف فى وجه سير الاتصالات • فهناك ، فى جنوب غرب جبل الزاوية توجد منطقة أكثر انخفاضا مما فى شمالها او فى جنوبها • وتمتد بين الشمال وبين الجنوب مسافة نحو ٦٠ كم • كما تمتد بين الشرق وبين الغرب باتساع يبلغ فى المتوسط نحو ١٤ كم ، وتعرف باسم منخفض الغاب • ويخترقها نهر العاصى ناشرا فيها بعض مائه ومكونا فيها فى وقت الفيضان بركة واسعة تشغل كل المنخفض وتمتد حافاتها الى سفوح جبل الزاوية من جهة والى سفوح جبل

---

(٢٦) راجع (٦٠) ص ١١ وما بعدها • ، (٢٢٤) ص ١٨٢ ، (١١٨) ص ٢٤ •

العلويين من جهة أخرى • ويلاحظ أن هذه السفوح تشرف على المنخفض اشرافا حادا • ولهذا يصعب سير الاتصالات عند مقدماتها فى وقت الفيضان • أما فى وقت الانخفاض فان هذه البركة يتقلص حجمها لحد ما ، وتتحول الى مستنقع مملوء بالغاب والبوص ونباتات المستنقعات الاخرى (٢٧) • وتبقى حتى فى هذا الوقت تتضمن أيضا بعض صعوبات • فانه بجانب صعوبات السير على أرضها الرطبة ، فأن نباتات المستنقعات التى تكتنف مسالك الاتصالات تكون أحيانا مأوى للصوص وقطاع الطرق • أما القسم الجنوبى من هذا المنخفض ، وهو الذى يقع جنوب حماة فانه لا يتضمن مثل هذه الصعوبات الكبيرة • حقيقة يوجد هناك منخفض قطنة فى جنوب غرب حمص ويتضمن فى قاعه بحيرة الا أنها محددة الاتساع بدرجة كبيرة • كما أن الاراضى التى تكتنفها يابسة وسهلية المظهر • ولهذا تتوفر الفرص أمام الاتصالات للسير عند حافاتها • ويوجد هناك فى الوقت الحاضر طريق معبد وخط لسكة الحديد يجتازان الحافة الشرقية لهذا المنخفض فى امتدادهما بين حمص وبين الرياق عن طريق بعلبك • والرياق مركز هام للمواصلات فى سهل البقاع • ويمر بها أيضا خط سكة الحديد المار بين دمشق وبين بيروت عن طريق زحلة •

ويعرف هذا القسم من المنخفض السورى ، جنوب حمص ، باسم سهل البقاع • ويتراوح اتساعه بين ٨ – ١٤ كم • ويعرف القسم الشمالى منه وهو الذى يرويه نهر العاصى ، باسم البقاع الشمالى ، كما يعرف القسم الجنوبى منه وهو الذى يرويه نهر الليطانى (القاسمية) باسم البقاع الجنوبى (٢٨) • ومما تقدم يلاحظ أن موقع حمص أكثر أهمية من موقع

(٢٧) راجع (٣٦) ص ٣٤ ، ٥٧ ، ٦١ • (٦٠) ص ١٤_١٥ ، ١٩_٢٠ ، ٣٤ • (١٠٤) ص ٦٦ •

(٢٨) يرتفع مستوى سطح سهل البقاع عند بعلبك الى نحو ١١٠٠ متر • وهناك تتكون منطقة لتقسيم المياه بين نهر العاصى وبين نهر الليطانى ، ويوجد فى شمالها البقاع الشمالى وفى جنوبها البقاع الجنوبى • راجع (٣٦) ص ٥٨ ، ٦١ • (١٠٢) ص ١٩٣ ، ١٩٨ ، ٢٠٩ _ ٢١٠ •

حماة بالنسبة لسير الاتصالات من الاتجاهات التى تكتنف منطقتهما •

٢ – نطاق المرتفعات الوسطى •

يقع هذا النطاق مستعرضا فى الصحراء السورية • ويفصل لحد ما بين الحوض الشمالى فى هذه الصحراء من جهة وبين الحوض الجنوبى فيها من جهة أخرى • وهو يأخذ اتجاها بين الشمال الشرقى وبين الجنوب الغربى ، ويمتد قريبا من وادى الفرات فى ما بين دير الزور وبين حلبية من جهة وبين شرق حمص بقليل وبين دمشق من جهة اخرى • وتوجد أعظم أجزائه ارتفاعا فى القسم الاوسط منه • وتحمل بعض مرتفعات هذا القسم تسميات جبلية خاصة مثل جبل الشعر وجبل بلعاس والجبل الابيض • وتصل أعلى قممه الى ١٣٩٠ مترا ، وهى قمة جبل حويط الرأس فى قسمه الشرقى • أما نحو الشرق ونحو الغرب من هذا الوسط ، فان ارتفاع هذا النطاق يقل تدريجيا • ويبدو القسم الشرقى منه أكثر تحددا ويرتفع الى نحو ٨٥٠ مترا • ولكن ارتفاعه يتناقص بصورة عامة بالاتجاه نحو الغرب ، كما أن اتساعه يضيق أيضا • وهناك ، يتضمن ممرا واسعا قطعته وديان تتوفر فيها المياه السطحية فى بعض الاوقات • كما تتوفر فيها أيضا مياه باطنية تتفجر عيونا فى بعض الاماكن وتحفر للحصول عليها أبار فى بعض آخر • ولقد قامت فى هذا الممر وعند حافاته بعض من الواحات مثل الكوم والطيبة وقصر الهر والسخنة • ونمت فى بعض أدوار التاريخ واصبحت مدنا هامة للقوافل التى تجتاز هذا الممر فى طريقها بين سهل العراق من جهة وبين حلب من جهة أخرى ، او بين الرقة وبين تدمر عن طريق الرصافة (٢٩) •

أما القسم الغربى من نطاق المرتفعات الوسطى فانه أقل تحددا • ويبدو كهضبة مموجة وقليلة الارتفاع ، تبرز على سطحها كتل من التلال ترتفع ذراها فى المتوسط نحو ٩٠٠ متر • وتكون هذه الكتل حلقات تصل بين

(٢٩) انظر الخريطة رقم ١٢ • وراجع (١٠٨) ص ١٧١ وما بعدها •

القسم الاوسط من النطاق وهو الاكثر ارتفاعا وبين جبال لبنان الشرقية (٣٠) .

وفيما بين بعض هذه الكتل من التلال وبين البعض الاخر ، توجد ممرات تصلح لسير الاتصالات . ومن أهمها ممران . تسلك أحدهما الاتصالات الجارية بين تدمر وبين حلب . وتسلك الآخر الاتصالات الجارية بين تدمر وبين حمص ، عن طريق فرقاص . وقد مد على طول القسم الاكبر من هذا المسلك الاخير خط أنابيب بترول العراق المتجه نحو طرابلس أو نحو بانياس . وكما تكون هذه الكتل حلقات تربط بين الكتلة الجبلية الوسطى وبين جبال لبنان الشرقية ، تكون سلاسل القلامون حلقات أخرى بينهما أيضا .

وجبال القلامون هى افرع من جبال لبنان الشرقية (٣١) وتبدأ هذه الجبال الاخيرة فى شمال الوادى الاوسط لنهر بردى ، فى شكل قاعدة جبلية مندمجة يبلغ اتساعها نحو ٤٠ كم . ولكنها لا تلبث أن تتفكك وتتفرع أربع سلاسل وتبعا لذلك يزداد اتساعها حتى يصل الى نحو ١٥٠ كم . وتعرف السلسلة الغربية فى هذه المجموعة باسم سلسلة جبال لبنان الشرقية ، وهى أضخم من اى من السلاسل الاخرى وأكبر ارتفاعا . وتبدأ من جهة الشمال عند بلدة حسية ، على مسافة ما فى جنوب حمص . وتمتد فى اتجاه نحو جنوب الجنوب الغربى الى وادى بردى . ويبلغ هذا الامتداد نحو ١٠٠ كم . وهى فى كل هذا الامتداد تخلو من ممرات تساعد على اجتيازها بين الشرق وبين الغرب .

أما السلاسل الثلاث الاخرى ، فانها تعرف باسم جبال القلامون . وتعرف السلسلة الغربية منها باسم الجبل الغربى . وتمتد من القاعدة موازية بعض الموازاة لسلسلة لبنان الشرقية ، ولكن المسافة بينهما تأخذ فى التزايد تدريجيا بسبب تزايد ميل اتجاهها نحو الشرق . ويأخذ ارتفاعها بالتقدم فى

---

(٣٠) راجع (١٠٢) ص ١٩٥ .

(٣١) انظر الخريطة رقم ١٢ . وراجع (١٠٢) ص ١٩٩ .

هذا الاتجاه يقل تدريجيا حتى تبدو فى شكل هضبة مموجة ، تعلوها بعض القمم . أما فيما بينها وبين سلسلة لبنان الشرقية فيتكون سهل يأخذ اتساعه فى الزيادة تدريجيا نحو الشمال الشرقى وينحدر سطحه مع نفس الاتجاه . ويوجد فى قاعه وادى واسع يصرف مياه المرتفعات التى تكتنفه . ويعرف هذا الوادى باسم مجر العسل . ويبدو أنه أخذ هذه التسمية من منطقة عسال الورد التى تأتى منابعه العليا منها . وينبع من نفس المنطقة أيضا عدد آخر من الجداول تنصرف نحو الجنوب الغربى ونحو الجنوب ، ويكون معظمها منابع لنهر بردى . وبسبب تعقد سطح هذه المنطقة وأيضا بسبب ارتفاعها الذى يصل الى نحو ١٩٧٠ مترا ، لا تتمكن الاتصالات أن تسير عبرها بين وادى نهر بردى الذى يروى مدينة دمشق وبين وادى مجر العسل الذى يتجه نحو فرقاص . وفرقاص مدينة هامة ، وقد سبقت الاشارة الى أهمية موقعها على طريق الاتصالات بين تدمر وبين حمص . ولهذا ، تضطر الاتصالات المارة بين حمص وبين دمشق أن تسلك طريقا يتبع قسما من وادى مجر العسل حتى النبك ويجتاز هناك ممرا بين جبل معلولة وبين جبل دير عطية . كما يجتاز ايضا ممرا آخرا يعرف باسم ممر القسطل ويقع بين جبل معلولة وبين الجبل الشمالى .

وتعرف السلسلة الثانية من سلاسل القلامون باسم الجبل الوسطانى . وهى ضيقة الاتساع كما هى قصيرة الامتداد . كما أنها مقطعة ، وتتضمن ثغرات واسعة تفصل بين بعض أجزائها وبين البعض الاخر . وهى لذلك ، لا تمنع سير الاتصالات عبر بعض أجزائها بين الشمال وبين الجنوب . ويوجد فيما بينها وبين سلسلة الجبل الغربى من جهة وبين سلسلة الجبل الشرقى ، وهى السلسلة الثالثة من سلاسل القلامون ، من جهة أخرى ، سهول واسعة تتضمن فى بعض أجزائها أحواضا منخفضة تنصرف اليها مياه المرتفعات التى تكتنفها . وتكون فى قيعانها سبخات ، ومنها سبخة الجرود التى تنصرف اليها مياه وادى كبير نسبيا يروى واحة القطيفة . ويقترب الجبل الوسطانى من

الجبل الغربى كثيرا عند هذه الواحة • وفى جنوبها بقليل ، يوجد ممر عند سفوح جبل العلا يتحدد خلاله سير الاتصالات القادمة من دمشق نحو حمص من جهة عن طريق القطيفة والنبك، ونحو تدمر من جهة أخرى عن طريق القطيفة والقريتين • والقريتين بلدة كبيرة ، تقوم فى مكان مركز قديم للعمران • وتقع فى وادى راؤودة الذى تنصرف مياهه نحو منخفض تدمر • كما أنها تقع عند المنفذ الشمالى الشرقى للممر الواقع بين الجبل الوسطانى وبين الجبل الغربى • وهى بهذا تقع على طريق محدد لسير الاتصالات بين تدمر وبين دمشق • ويعتبر فى الوقت الحاضر أهم طريق للاتصال بين هذين المكانين • وتوجد هناك أيضا طرق أخرى تصل بينهما • ومن أهمها طريق يجتاز السهل الواقع بين هذا الجبل الوسطانى وبين السلسلة الثالثة من سلاسل القلامون التى تعرف باسم الجبل الشرقى • وهى سلسلة ضخمة قطعتها الوديان الى عدد من الحافات • وتمتد بين الضمير وبين تدمر • ولذلك تطلق عليها أحيانا تسمية السلاسل التدمرية (٣٢) •

٣ – الحوض الجنوبى ومنافذه نحو البحر المتوسط :

هذا الحوض ، يمكن أن يسمى أيضا باسم حوض تدمر نسبة الى مدينة قديمة عرفت بهذا الاسم كما عرفت أيضا باسم بلميره • وتستطيع تدمر من موقعها فيه أن تسيطر على مسالك الاتصالات الجارية خلاله • ويمكن تشبيهه بالقمع ، تستقبل فوهته الواسعة بعض الاتصالات القادمة فى وادى الفرات وفى بادية السماوة من سهل العراق ومن الخليج العربى ، كما تستقبل بعض الاتصالات القادمة خلال أرض الجزيرة فى وادى الخابور الى القرقسية ، وفى وادى البليخ الى الرقة فالرصافة (٣٢–أ) • وتقع تدمر عند نهاية هذه الفوهة الواسعة ، تستقبل كل هذه الاتصالات كما تستقبل بعض اتصالات أخرى من حلب • ثم ترسلها خلال الانبوب المكمل للقمع الى دمشق • ولا يتمتع

(٣٢) انظر الخريطة رقم ١٢ • وراجع (٣٦) ص ٤٨–٥٠ • ، (٦٠) ص ٣٧–٣٨

(٣٢–أ) انظر الخريطة رقم ١٢ • وراجع (١٠٨) ص ١٢٧ •

موقع تدمر بهذه الاهمية الكبيرة من الناحية التجارية فحسب ، بل انه يتمتع أيضا ببعض مزايا استراتيجية من الناحية العسكرية • وذلك لان مناطق المرتفعات التى تكتنفه من جهة الشمال ومن جهة الجنوب تحميه من الاعتداءات التى توجه اليه من هذين الاتجاهين ، كما يحميه من جهة الجنوب الشرقى مستنقع واسع يعرف باسم الملحة • أما من جهة الغرب ، فيلاحظ أن وراء تدمر مباشرة يبرز من نطاق المرتفعات الوسطى لسان من التلال يتجه نحو الجنوب الغربى كما يبرز من الجبل الشرقى (السلسلة الثالثة من سلاسل القلامون) لسان آخر يتجه نحو الشمال الغربى • وفيما بين هذين اللسانين يوجد ممر ضيق تستطيع قوة صغيرة أن تتحكم فيه •

وعندما كانت تدمر مملكة قوية فى القرن الثانى الميلادى وفى النصف الاول من القرن الثالث أقامت لها قلاعا فى بعض المواقع الاستراتيجية على مسالك اتصالاتها نحو الاتجاهات المختلفة • وقبل ذلك ، عندما بدأ ظهورها كقوة فى الصحراء السورية وعلى الاخص منذ أن اعترف الرومان وكذلك الفرس (الفرثيون) بحيادها وبضمان استقلالها ، كانت حياتها كحياة أى دولة تعرف أن أساس وجودها غير ثابت (٣٣) • لانه يقوم على التجارة وحدها • وقد يتحول عنها سير التجارة أو يتعرقل اذا قامت فى طريقه اضطرابات الامر الذى يترتب عليه اضمحلالها أو تلاشيها • وتدل نقوش تدمر وكتاباتها التى لا تزال واضحة على بعض نصبها على أنها كانت مدركة لذلك • وأنها عملت ما يدعو الى الاعجاب فى سبيل تنمية تجارتها وصيانة خطوط مواصلاتها (٣٤) •

أما منفذ هذا الحوض نحو البحر المتوسط فان له من دمشق مسلكان (٣٥) • يقع أحدهما فى غرب هذه المدينة مباشرة ، وهو يصعد

(٣٣) لا يوجد فى منطقة تدمر من موارد الماء الا عدد قليل من العيون وغالبها كبريتى او حار • راجع (١١٨) ص ١٩٥ •

(٣٤) راجع (١٠٨) ص ١٠٨ وما بعدها • ، (١١٨) ص ٦٠ وما بعدها •

(٣٥) انظر الخريطة رقم ١٢ •

وأروعها منظرا ٠٠٠٠٠ ومن خصائص الحماد انه منطقة الخبرات (٣٨) ، وليس فيه من الابار الا القليل • ولا تغشاه العشائر الا فى فصل الشتاء • لانه ذو أمطار قليلة ، وأعشابه ومياهه قصيرة العمر ، سريعة الزوال » • وذكر كاتب آخر (٣٩) انه فى جنوب بلميرة (تدمر) تبدأ الصحراء او الحماد الحقيقى حيث العيون غير معروفة وحيث الابار وهى قليلة تعطى كميات غير منتظمة من المياه • ومع أن الصحراء هى طابعه العام الا أن مناظره متنوعة • اذ تبدو فيه أحيانا مناطق واسعة من الحصى والحصباء ، وتبدو فيه أحيانا أخرى مناطق « صخرية » مبعثر على سطحها كتل من الجلاميد • وفيما بين هذا وبين ذاك تبرز حافات صخرية قليلة الارتفاع وكذلك بعض نطاقات من الكثبان الرملية • والحماد يتضمن وديانا ، والبعض منها عميق والبعض الآخر ضحل • وفى المنخفضات تتجمع مياه الامطار وتكون بركا وغدرانا ونحوهما • وتوجد هنا وهناك مناطق تنمو على سطحها كتل من الاعشاب والحشائش الخشنة ، وهى تصلح على الاخص لرعى الابل •

وسطح الحماد يبدو فى مظهره العام كهضبة محدبة بعض التحدب • ويمتد المحور الطولى لها بين الشمال وبين الجنوب مسافة تبلغ نحو ٢٫٥ درجة عرضية • ويكون جبل عنيزه الذى يبلغ ارتفاعه نحو ٩٤٠ مترا قمة هذا التحدب (٤٠) • ومنه ينحدر سطح الهضبة نحو اتجاهاتها المختلفة ، ولكن انحدارها العام والمنتظم يتجه نحو وادى الفرات • ويكون جبل عنيزه بهذا الوضع أعظم منطقة لتصريف المياه فى اقليم الحماد • ومنه تنبع مجموعة من الوديان ، البعض منها كبير والبعض الاخر صغير • وتتجه الوديان الكبيرة غالبا نحو وادى الفرات • وذلك مثل وادى حوران ووادى

---

(٣٨) الخبرة بلغة البادية هى البركة الكبيرة ، والغدير اصغر منها ثم الثغب •

(٣٩) راجع (٦٠) ص ٢٧ – ٢٨ •

(٤٠) انظر الخريطة رقم ١٢ •

الابيض • وتنصرف مياه الوادى الاول الى القسم الاوسط من وادى الفرات ، على مسافة ما جنوب بلدة حديثة • أما الوادى الاخر فان مياهه تنصرف الى بحر الملح وهو منخفض يقع فى جنوب غرب كربلاء • وتتوفر فى هذه الوديان الكبيرة غالبا موارد المياه سطحية وباطنية أكثر مما تتوفر فى غيرها من الوديان الاخرى الصغيرة التى تجاورها • كما تتوفر فيها كذلك بعض الحشائش للرعى وبعض الاعشاب للوقود • وهى لهذا تكون أفضل المسالك الطبيعية لسير الاتصالات بين داخل اقليم الحماد وبين وادى الفرات • الا أنها من جهة أخرى تضع بعض صعوبات أمام سير الاتصالات فى البادية بين سهل العراق وبين العالم السورى • وذلك لان بعض أجزائها كبير العمق ، ويسبب النزول الى قاعه ثم الصعود منه ارهاقا للقوافل • فمثلا وادى حوران الذى يمتد مسافة نحو ٤٨٥ كم (٣٠٠ ميلا) بين جبل عنيزه وبين نهر الفرات ، يتسع مجراه فى بعض الاماكن الى نحو ١٫٥ كم كما يتعمق تحت مستوى الاراضى التى تكتنفه الى نحو ٦٠ مترا (٤١) • ويمر وادى حوران بالرطبة • وهى مركز هام للمواصلات فى الصحراء ، وتمر بها فى الوقت الحاضر جميع وسائل الاتصالات المتنقلة بين سهل العراق وبين الاقليم الواقع بين دمشق وبين عمان • ويبدو عندها هذا الوادى الصحراوى كنهر متوسط الاتساع وذو ضفاف عالية حادة الانحدار • وتعبره هناك وسائل الاتصالات فوق جسر (كوبرى) مشيد • ومع ذلك ، تنبغى الاشارة الى أن ضخامة هذه الوديان لا تتفق وما تتضمنه فعلا من موارد للمياه على سطحها أو فى باطنها • وذلك بسبب كونها تجرى فى تكوينات جيرية كبيرة المسامية ، تتشرب بسرعة مياه الامطار التى تنتقل خلال مسامها الى أعماق بعيدة (٤٢) •

---

(٤١) راجع (١١٨) ص ١٢ •

(٤٢) راجع (١٧٣) ص ١٢٨ – ١٢٩ •

وفى جنوب جبل عنيزة ، ينحدر سطح هضبة الحماد نحو منخفض واحات الجوف • والارض فيما بين هذا الجبل وبين هذه الواحات موحشة • فهى صحراء مضرسة السطح ولا تعرف فيها موارد دائمة للمياه • ويزيد فى وحشتها وجود مساحات شاسعة من الحرات وهى الصحارى البازلتية ، وتعلو بعضها مخاريط بركانية • ولهذه الظروف الطبيعية الصعبة كانت قوافل التجارة تتحاشى السير فى هذا الجزء من اقليم الحماد (٤٣) • واذا اعتبرنا هذه الظروف من جهة واعتبرنا من جهة أخرى أن قدرة الانسان خلال التاريخ القديم كانت محدودة فى التغلب على صعوبات الطبيعة أمكن القول بأن هذه الارض وامتدادها نحو الشمال فى جبل عنيزة، كانت تقف بدرجة كبيرة عائقا فى وجه الاتصالات بين سهل العراق من جهة وبين منطقة عمان من جهة أخرى ، وانها كانت تحولها فى شرقها اما نحو الشمال الى دمشق واما نحو الجنوب الى واحات الجوف • ومع ذلك يلاحظ أن هذه الصعوبات التى كانت قائمة أمام انسان ذلك الزمن قد تغلب عليهـا انسان العصر الحديث وشق طريقا خلالها وعبده وجعله صالحا لسير الاتصالات بين بغداد وبين عمان •

أما فى شمال جبل عنيزة ، فان سطح هضبة الحماد ينحدر تدريجيا نحو حوض تدمر • وسطح الاقليم هناك وان غلبت عليه أيضا ظاهرات الصحراء الا أنه يخلو من بعض الصعوبات الممثلة فى المنطقة الواقعة جنوب هذا الجبل • ويلاحظ كذلك أنه يمثل اقليما انتقاليا بين الصحراء الحقيقية وهى الممثلة فى داخل الحماد وبين المراعى الفقيرة فى حوض تدمر • وفضلا عن ذلك فان له أهمية أخرى ، وهى أنه يقع على الطريق المباشر بين سهل العراق وبين دمشق • ولهذه الظروف الطبيعية كان أصلح من منطقة جبل عنيزة ومن الاقليم الاخر الواقع فى جنوبه ، لسير الاتصالات بين الشرق وبين الغرب • حقيقة أن القوافل الكبيرة كانت على ما يبدو تتجنب السير

(٤٣) راجع (١١٨) ص ٣٨ ، ٤١ •

خلاله لفقره النسبى فى الماء وفى المراعى ، الا أن القوافل الصغيرة كانت تسلكه فى بعض الاوقات • ومن المعروف أن سعاة البريد وحملة الاتصالات الاخرى التى تتطلب السرعة ، كانوا يسلكونه ، وقد اشتهر مسلكه بسبب ذلك على ما يبدو باسم درب الساعى •

وأما فى شمال غرب جبل عنيزة وفى غربه فانه يوجد عدد من الحرات الواسعة تحيط بهضبة الحماد ، وتعلو مخاريط بركانية بعضا منه • وهى تتمثل فى مناطق حوران وجبل الدروز وفى البلقاء وعويند • ويتصل هذا النطاق البازلتى بحرة شامه فى الجنوب الغربى (٤٤) • وهذا النطاق من الصخور البركانية ، يضع بلا شك بعض صعوبات فى وجه الاتصال المباشر بين وادى الفرات وبين بعض المدن الهامة فى ممر شرق الاردن (٤٥) •

وفى جنوب غرب حرة شامة يوجد منخفض اخدودى يعرف باسم وادى سرحان (٤٦) • وهو يمتد مسافة نحو ٣٢٢ كم (٢٠٠ ميلا) بين الشمال الغربى وبين الجنوب الشرقى ، ويصل بين منخفض الازرق من الجهة الاولى وبين منخفض الجوف من الجهة الثانية • والمنخفض الاخير ، وهو أرض يابسة ، يتضمن بعض الواحات ويتصل بسهل العراق عند كربلاء عن طريق وادى الابيض ، كما يتصل به عند النجف عن طريق وادى الخر • وكذلك يتصل بسهل العراق عند النجف وعند بعض مواقع اخرى فى جنوبها عن طريق مسلك غير مباشر ، وهو الذى يمتد على طول الحافة الشمالية الشرقية لصحراء النفود ثم تتفرع منه عند بعض المواقع المناسبة مسالك جانبية تتجه نحو الشرق وتجتاز بادية العراق الى بعض الثغور فى جانب الفرات • أما المنخفض الاول وهو منخفض الازرق فان قاعه تشغله بحيرة أو مستنقع كبير يتزود بالماء من

(٤٤) راجع (٢٣٥ ، الجزء الاول) ص ٣٧٥ •
(٤٥) انظر الخريطة رقم ١٢ •
(٤٦) راجع (٢٣٥ ، الجزء الاول) ص ٣٧٥ • ، (٦١) ص ٥٥ •

عيون غزيرة وينبع منها نهر الزرقاء أو الازرق • ولقد ذكر المقدسي أن البادية ليس بها بحيرة ولا نهر الا الازرق (٤٧) • وتكتنف هذا المنخفض مرتفعات ، وتنصرف بعض الامطار الساقطة عليها اليه • أما البعض الاخر ، فان قسما منه ينصرف نحو الغرب الى نهر الاردن ويحمله اليه نهرالازرق، وهو يسمى أيضا نهرالزرقاء • ويمكن استخدام وادى هذا النهر طريقا لسير الاتصالات بين وادى سرحان وبين نهر الاردن • وبعبارة أخرى ان الاتصالات القادمة من سهل العراق الى واحات الجوف يمكنها أن تسلك وادى سرحان ووادى نهر الزرقاء الى منخفض الاردن •

ولقد اشتهرت فى منطقة الجوف دومة الجندل • كما قامت عند الحافة الشمالية الغربية لمنخفض الازرق مدينة لها بعض الاهمية ، وهى تعرف حاليا باسم قصر الازرق • ومما تجدر الاشارة اليه أن المنطقة التى تكتنف هذا المنخفض تتضمن مراكز أخرى للعمران ، ويحمل بعض منها تسميات قصور وذلك مثل قصر عمرة وقصر عويند وغيرهما • كما يلاحظ ان فى غربه وفى موقع ملائم تقوم عمان • عاصمة المملكة الاردنية الهاشمية • وفى مكان عمان قامت فى العصر الاغريقى مدينة أخرى هامة عرفت باسم فيلادلفيا • وكان البطالسة حريصين على أن يمدوا نفوذهم عبر منخفض الاردن الى هذه المدينة • وذلك أثناء المنافسة التجارية التى قامت بينهم وبين السلوكيين فى سوريا من جهة ، وبينهم وبين البطراويين (النباتيين) فى بطرى – Petra من جهة أخرى •

وفى غرب وادى سرحان وجنوبه الغربى ، توجد منطقة معقدة السطح ، تتضمن تلالا قليلة الارتفاع وحافات ، كما تتضمن بعض الصحارى البازلتية • وتعترض منفذ داخل الجزيرة العربية الى القسم الجنوبى من اقليم الحماد • ولكنها لا تمنع سير الاتصالات خلالها بينهما

---

(٤٧) انظر الاشارة الى هذا المرجع فى هامش الصحيفة رقم ١ من (٤٧) •

وان كانت تحدده نحو اتجاهات معينة • وعند بدء هذه المنطقة من جهة الجنوب تقوم تيماء وهى مدينة تاريخية ، وتسيطر على ممر يقع بين النفوذ وبين منطقة مرتفعات مدين • وتتحكم فى سير الاتصالات المارة خلاله والقادمة من داخل الجزيرة العربية • وبعض هذه الاتصالات، قد يكون أصليا من داخل الجزيرة العربية • وقد يكون منقولا اليه من سهل العراق عن طريق حايل، أو من ساحل الخليج العربى عن طريق بريدة او الرياض ، او من اليمن عن طريق المدن المقدسة فى الحجاز (٤٨) • ويتجه بعض هذه الاتصالات من تيماء نحو الشمال الى بطرى عن طريق تبوك وخلال المسلك الذى مد على طوله هناك خط سكة حديد الحجاز • أما البعض الاخر ، فانه يتجه نحو الشمال الشرقى الى وادى سرحان • ويلتقى هذا البعض من الاتصالات بالبعض الاخر التقاء طبيعيا عند عمان (فيلادلفيا) التى تقع على ممر شرق الاردن •

ويطلق اسم ممر شرق الاردن على شريط من الارض قليل الارتفاع نسبيا ، يقع بين نطاق الحرات البركانية وبعض المرتفعات الاخرى التى تكتنف هضبة الحماد من جهة الغرب ، وبين نطاق آخر من المرتفعات يشرف من جهة الشرق على المنخفض الاخدودى الذى يفصل بين شرق الاردن وبين فلسطين • ويكون هذا الممر بين المرتفعات التى تكتنفه من جهة الشرق ومن جهة الغرب طريقا محددا لسير الاتصالات بين رأس خليج العقبة وبين دمشق • وتغذيه مسالك جانبية أخرى ، وينقل اليه بعض منها اتصالات داخل الجزيرة العربية واتصالات واحات الجوف من جهة بينما ينقل اليه البعض الاخر اتصالات مصر وفلسطين من جهة أخرى (٤٩) •

ومما تقدم يستنتج أنه عند بعض المواقع على هذا الممر وعلى الاخص عند بطرى وعند فيلادلفيا (عمان) كانت تلتقى بعض المؤثرات العراقية

---

(٤٨) انظر الخريطة رقم ١٢ • وراجع (١٩٢ ، ص ١٠٥ – ١٠٦ ، (٧٩) ص ١٧٣ والهامش • ، (١١٨) ص ٧٣ – ٧٨ •

(٤٩) راجع (١٩٢) ص ١٠٣ – ١٠٤ • ، (٨٢) ص ٣٩ •

مع بعض المؤثرات المصرية • ويبدو أن تبادل المؤثرات بين العراق وبين مصر عن طريق هذا الممر كان يزداد خلال الاوقات التى كانت تحدث فيها اضطرابات وحروب تشيع الفوضى وتخل بالامن فى الاراضى التى تجتازها المسالك الطبيعية لسهل العراق نحو البحر المتوسط • وعلى الاخص المسالك التى يتضمنها الحوض الاوسط لنهر الفرات • وذلك مثل الاوقات التى كانت فيها سوريا ميدان صراع بين البطالسة وبين السلوكيين• وكذلك مثل أوقات الصراع بين الفرس وبين الرومان •

اما نطاق المرتفعات الذى يقع فى غرب هذا الممر ، والذى يشرف من جهة الشرق على القسم الجنوبى من المنخفض الاخدودى فانه يتكون من مجموعة من الكتل الجبلية تغطى بعضها تكوينات بركانية • ويوجد فيما بين بعض هذه الكتل وبين البعض الاخر ثغرات تجرى فيها انهار صغيرة او جداول فى وديان عميقة • وهو يعتبر امتدادا نحو الجنوب لنطاق المرتفعات الشرقية فى سوريا ، وهى المرتفعات التى تشرف من جهة الشرق على القسم الشمالى من المنخفض الاخدودى • الا انه فيما بين هذين الامتدادين من نطاق المرتفعات الشرقية توجد ثغرة واسعة من الارض السهلية تكون جزءا من سهل حوران •

وسهل حوران عظيم الخصوبة • وهو عبارة عن عتبة بركانية(٥٠) يصعد منها الى مناطق المرتفعات التى تكتنفها من بعض الاتجاهات كما ينزل منها الى المناطق المنخفضة التى تكتنفها من بعض الاتجاهات الاخرى • ويوجد فيما بين بعض هذه المرتفعات وبين البعض الاخر ممرات يمكن أن تسلكها الاتصالات • وفى الواقع ، ان البيئة الجغرافية لسهل حوران تعطيه بعض مميزات خاصة بالنسبة لكثير من البيئات الجغرافية الاخرى فى الصحراء السورية • فهو بجانب خصوبة تربته ووفرة مياهه يعتبر اهم حلقة تلتقى فيها بعض الاتصالات القادمة من الاتجاهات المختلفة فى الصحراء

(٥٠) راجع (١٠٢) ص ٢٠٠ – ٢٠١ •

السورية من جهة مع بعض الاتصالات القادمة من مصر وفلسطين ومن الساحل الفينيقى من جهة أخرى • ويتحدد فى وادى اليرموك سير الاتصالات بين هذين الاتجاهين •

وكما يصعب سير الاتصالات بين القسم الاوسط من الصحراء السورية وبين ساحل البحر المتوسط ، فيما بين ممر نهر بردى وبين سهل حوران ، بسبب عدم وجود ممرات فى جبل حرمون (جبل الشيخ) ، كذلك يصعب سير الاتصالات بين هذا القسم الجنوبى من الصحراء السورية (اقليم الحماد) وبين فلسطين ومصر ، فيما بين هذا السهل وبين وادى العربة • وذلك بسبب صعوبة النزول الى قاع الاخدود ثم الصعود على حافاته(٥١) • وتبدأ الحافة الشرقية لهذا الاخدود جنوب وادى اليرموك بكتلة جبل عجلون ، وهى أعلى أجزاء هذه الحافة وترتفع ذروتها الى نحو ١٢٤٠ مترا • كما أنها أغنى جهات شرق الاردن من الناحية الطبيعية وأخصبها من ناحية الانتاج الزراعى(٥٢) • وفى جنوبها توجد ثغرة تفصل بينها وبين كتلة جبل جلعاد (البلقاء) ويجرى فيها وادى الزرقاء نحو منخفض الاردن • وفى جنوب جبل جلعاد توجد ثغرة أخرى عظيمة الاتساع ويجرى فيها نحو البحر الميت عدد من الوديان منها نهر الموجب • وفى جنوب هذه الثغرة ، يوجد جبل مواب (الكرك) • وكذلك توجد ثغرة ثالثة تفصل بين هذا الجبل وبين جبل الطفيلة ويجرى فيها وادى الحسا أو الاحساء ، وهو الذى يصب عند مصب وادى العربة فى الطرف الجنوبى الشرقى من بحر الميت• ويمكن اعتبار جبل الطفيلة امتدادا نحو الشمال لجبال مدين التى تكون القسم الشمالى من الحافة الغربية لهضبة بلاد العرب المشرفة على منخفض البحر الاحمر • وتنبع منه وديان ينصرف بعض منها نحو الشرق الى منخفض الجفر ، وينصرف البعض الآخر نحو الغرب الى

(٥١) راجع (٢٢٤) ص ١٨١ •
(٥٢) راجع (٧٩) ص ١٦٨ •

منخفض وادى العربة • ولقد اشتهر من بين هذه الوديان وادى موسى الذى قامت عليه ، فى موضع حصين بين المرتفعات التى تكتنفه ، مدينة بطرى المشهورة[٥٣] •

والمنخفض الاخدودى بين شرق الاردن وبين فلسطين ، تحمل بعض أجزائه تسميات خاصة • فيطلق اسم وادى العربة على جزئه الواقع بين رأس خليج العقبة وبين البحر الميت ، كما يطلق اسم الغور على جزئه الواقع شمال هذا البحر[٥٤] • ووادى العربة واسع ولكنه غير منتظم الانحدار ، وقسمه الاوسط يعلو الى نحو ٢٤٠ مترا فوق مستوى سطح البحر ويكون منطقة لتقسيم المياه بين خليج العقبة من جهة وبين البحر الميت من جهة أخرى[٥٥] • وانحدار سطح وادى العربة نحو خليج العقبة بطىء ولكنه سريع نحو البحر الميت • ويمكن اجتيازه بين الشرق وبين الغرب فى كثير من أجزائه كما يمكن السير خلاله بين الشمال وبين الجنوب[٥٦] • وهناك فى الوقت الحاضر يوجد طريق معبد يمتد على طوله بين رأس خليج العقبة وبين مصنع شركة للبوتاس عند الطرف الجنوبى الغربى للبحر الميت •

ومنخفض الغور كما هو معروف يقع تحت مستوى سطح البحر • وهو يبدأ من شمال بحيرة طبرية بقليل ويزداد انخفاضا نحو الجنوب الى البحر الميت[٥٧] • وظاهرات سطح الاراضى التى تكتنف القسم الشمالى من هذا المنخفض وعلى الاخص الجزء الواقع منه فى جنوب بحيرة الحولة ، قد تهيأت لتجعل منه حلقة من أهم حلقات الاتصال بين الاتجاهات المختلفة فى الصحراء السورية من جهة وبين سواحل فينيقية وفلسطين ومصر من جهة أخرى •

---

(٥٣) راجع (١١٧) ص ٤ وما بعدها •
(٥٤) راجع (٨٧) ص ٣٩٤ •
(٥٥) راجع (٢٣٥) ص ٢٧٣ ، ٢٧٤ •
(٥٦) راجع (٨٢) ص ٣٨ – ٣٩ •
(٥٧) ينخفض مستوى سطح بحيرة طبرية عن مستوى سطح البحر بنحو ٢١٢ مترا • اما مستوى البحر الميت فينخفض عنه ٣٩٢ مترا •

وذلك عن طريق وادى اليرموك من جهة وعن طريق وادى جالود من جهة أخرى • ونهر اليرموك ينبع من المرتفعات التى تكتنف سهل حوران ، ثم تجتاز هذا السهل وينزل بانحدار تدريجى نسبيا الى منخفض الغور ويصب فى نهر الاردن جنوب بحيرة طبرية بقليل • أما نهر جالود فانه ينبع من الحافات الشرقية لمرج ابن عامر • وهو ينحدر أيضا انحدارا تدريجيا نسبيا ، مجتازا سهل جزريل الى سهل بيسان فى منخفض الغور ثم يصب فى نهر الاردن الى الجنوب بقليل من مصب نهر اليرموك فيه • ويتصل سهل جزريل من جهة الغرب بسهل مرج ابن عامر • وتنصرف بعض مياه هذا المرج فى نهر المقطع الذى يصب فى خليج عكا وهو يعتبر النهاية الجنوبية للساحل الفينيقى •

ومما تقدم يلاحظ أن سهل حوران يستقبل الاتصالات القادمة فى ممر شرق الاردن من جهة خليج العقبة ومن جهة تيماء وكذلك من جهة واحات الجوف • كما يستقبل الاتصالات القادمة من دمشق خلال الممر الواقع بين جبال الجولان وبين هضبة اللجاه ، ثم يحملها نهر اليرموك الى منخفض الغور • ومن هناك تنتقل فى وادى جالود وخلال منخفض بيسان وسهل جزريل الى مرج ابن عامر حيث تنزل مع وادى المقطع الى خليج عكا • وهذا الطريق الذى تبدو له أهمية كبيرة فى الماضى لم يفقد أهميته الا بعد قيام اسرائيل • اذ كانت تجتازه السيارات فوق جسر المجامع على نهر الاردن كما كان يجتازه أيضا خط لسكة الحديد يصل بين حيفا وبين دمشق عن طريق درعا •

وليس باقى الطريق نحو الساحل الجنوبى لفلسطين ونحو مصر سهلا • وذلك لانه يوجد ذراع جبلى يمتد من مرتفعات فلسطين نحو الشمال الغربى الى الرأس الجنوبى لخليج عكا • ويعرف هذا الذراع باسم جبل الكرمل • وهو يعترض بهذا الامتداد السير الحر للاتصالات بين مرج ابن عامر وساحل فينيقية من جهة وبين ساحل فلسطين الجنوبية ومصر من جهة أخرى • ولكنه

مع ذلك لا يمنعها ، وانما يحددها خلال منفذين أو ثلاثة • وأحد هـذه المنافذ يكونه السهل الساحلى بين رأس جبل الكرمل وبين البحر • وهـو شريط ضيق يبلغ اتساعه نحو ٢٠٠ متر • ويعرف المنفذ الثانى باسم مجدو • وهو ممر ضيق ولكنه قصير ، ويقع فى القسم الشمالى الغربى من هـذا الذراع ، وساعد على تكوينه أحد منابع نهر المفجير الذى يصب جنـوب قيصرية بقليل • أما المنفذ الثالث فيعرف باسم دوشان أو اللجون • وهو سهل واسع نسبيا يقع بين بدء هذا الذراع من جهة الجنوب الشرقى وبين مرتفعات فلسطين (السامرة) ويخترقه وادى سيذاب ، وهو منبع آخـر لنهـر المفجير • ويصعب التمييز بين بعض هذه المنافذ وبين بعضها الآخـر ، لان لكل منها مميزاته الخاصة ، وان كان يبدو أن ثغرة مجـدو كانت أكثـر تفضيلا •فقد اجتازتهاقديما جيوش تحتمس الثالث ورمسيس الثانى كما اجتازتها حديثا قوات اللنبى فى الحرب العالمية الاولى (٥٨) • وتنبغى الاشارة الى ان هذه المنافذ لا تجتازها الاتصالات المارة بين مصر وبين الصحراء السورية عن طريق سهل حوران فحسب ، بل تجتازها أيضا الاتصالات المارة بينها وبين منطقة أنطاكية وما حولها عن طـريق السـهل الساحلى للبنان ولسوريا ، وكذلك خلال المنخفض السورى عن طريق وادى الليطانى ووادى العاصى • وتجدر ملاحظة أن اتصالات مصر مع العالم السورى خلال هذه الاتجاهات الثلاثة وهى سهل حوران والمنخفض السورى والسهل الساحلى ، تعنـى ضمنا حدوث اتصالات بين مصر وبين سهل العراق •

وتقع مرتفعات فلسطين جنوب مرج ابن عامر • وهى عبارة عن هضبة مضرسة السطح تعلو فوقها بعض قمم ترتفع الى نحو ١٠٠٠ مترا أو أكثـر من ذلك بقليل • وتمتد هذه المرتفعات بين الشمال وبين الجنـوب مشرفة بارتفاع شاهق على البحر الميت وعلى منخفض الغور • ولذلك فهى تضيف

(٥٨) راجع الخريطة رقم ٥٢ فى (٢٩) ، (١٨٣) ص ٢٦٩ وما بعدهـا والخريطة رقم ٦ ص ٢٧٢ ، (٨٤) ص ٣٨ – ٤٠ ، (٨٠) ص ١٧٣ والهامش •

صعوبة أخرى أمام الاتصال المباشر بين منطقة الحماد من جهة وبين سـهل فلسطين ومصر من جهة أخرى • وتوجه هذه الصعوبات سير الاتصـالات بين هاتين الجهتين اما نحو الشمال الى سهل حوران وطريق وادى اليرموك ومرج ابن عامر واما نحو الجنوب عبر وادى العربة وخلال بعض مسالك فى صحراء النقب الى غزة او الى رفح او الى العريش ، ثم عن طريق السهل الساحلى فى شمال سينا الى دلتا النيل • والخلاصة ، أن لسهل العراق خلال الاقليم الواقع بين نطاق زاجروس – طوروس من جهة الشـمال الشرقى وبين نطاق مرتفعات الحجاز ومدين من جهة الجنوب الغربى عدة مسـالك تصـل بينه وبـين السواحل الشرقية للبحر المتوسط • وتقع أهـم هـذه المسالك فى الحوض الاوسط لنهر دجلة وكذلك فى الحوض الاوسط لنهـر الفرات • ويتضمن حوض نهر دجلة أربعة مسالك ، منها ثلاثـة متجاورة وهى مجرى نهر دجلة ومسلك جانبه الايمن ومسلك جانبه الايسر • أما المسلك الرابع فهو الذى يعرف حاليا باسم طريق كركوك، وهو الذى يجتاز سلسلة حمرين من أحد ممراتها ثم يتبع نطاق الانتقال بين منطقة السـهول المموجة وبين منطقة الهضاب المموجة حتى نينوى القديمة فى مقابل الموصل الحالية • ولهذا المسلك الاخير فى الوقت الحاضر أهمية أكبر مما لغيره من ثلاثة المسالك الاخرى فى الحوض الاوسط لنهر دجلة • أما فى الماضى ، فان الامر يبدو مختلفا بعض الشيء • ذلك لان هذا المسلك ، وان كانت لـه بعض مميزات من النواحى الجغرافية الا أن له منها أيضا بعض مساوىء • ويمكن القول بأنه يفضل غيره من المسالك الاخرى لسير القوات العسكرية وكذلك لسير الاتصالات السلمية عـلى شرط أن يكون السلم والنظـام مفروضين فيه وفى الاراضى التى تكتنفه • على أن أهميته وان كانت بصورة عامة تتفوق على أهمية أى مسلك آخر منفرد ، الا أن ثلاثة المسالك الاخرى مجتمعة تتفوق عليه ، بسبب كونها محدده والبعض منها برى والبعض الآخر مائى وكل منها يشترك فى خدمة مصالح الآخـر •

وتلتقى هذه المسالك الاربعة عند منطقة الموصل حيث قامت مدينة نينوى عاصمة الامبراطورية الآشورية القديمة • ثم تتفرع من هناك الى اتجاهين رئيسيين يحصران بينهما القسم الهضبى من أرض الجزيرة • يتجه أحدهما الى ديار بكر مارا بجزيرة ابن عمر ، متبعا فى ذلك الجانب الايسر لنهر دجلة • ويتجه الآخر نحو أورفه أو نحو حران مجتازا سهل شمر الشمالى ومارا بنصيبين وماردين ونحوهما من مدن القوافل • ثم يعبران معا نهر الفرات من مناطق عبوره المشهورة مثل سموساطا (سميساط) ، زجما (بيره جيك) قرقميش (جيرابلس) ، تل برسيب (تل الاحمر) •

ويوجد الميدان الطبيعى لنشاط الاتصالات الجارية فى هذه المسالك فى الحوض الشمالى من الصحراء السورية وفيما وراءه نحو ساحل البحر المتوسط ، فيما بين سهول كيليكية وبين ميناء اللاذقية • وقد سبقت الاشارة الى مسالك الاتصالات خلال هذا الحوض والى منافذها عبر النطاق الجبلى الساحلى ، وكذلك الى أهمية البعض منها بالنسبة الى أهمية البعض الآخر •

ومسالك الحوض الاوسط لنهر الفرات أربعة أيضا • وتوجد منها كذلك ثلاثة متجاورة • هى مجرى الفرات وجانباه • أما المسلك الرابع فانه يقع فى البادية ، وهو ما أطلقت عليه تسمية مسلك خط العيون • وتبدو ثلاثة المسالك الاولى فى المحيط الذى يكتنفها واضحة المعالم • وتفضل الاتصالات سلوكها بسبب تحددها • ولان فيها يتوفر الماء كما تتوفر الحشائش للرعى وبسبب توفر الماء فيها والاعشاب للوقود • الا أنها مع ذلك قد فقدت على ما يبدو ، جانبا كبيرا من أهميتها منذ أوائل الالف الاول قبل الميلاد • وذلك عندما أدخل الجمل ، وهو سفينة الصحراء ، فى النقل عبر الصحراء السورية • بينما ازدادت بسبب ذلك أهمية خط العيون الذى يجتاز هذه الصحراء • ومما تجدر ملاحظته ، أن هذا المسلك الاخير يقترب من ثلاثة المسالك الاولى فى المنطقة الواقعة بين هيت وبين شمال عنة بقليل •

وربما كان ذلك عاملا ساعد العوامل الاخرى على تأسيس نشاط بشرى كبير فى هذه المنطقة •

ويعتبر الحوض الجنوبى فى الصحراء السورية ، وهو حوض تدمر ، الميدان الطبيعى لنشاط الاتصالات الجارية فى مسلك الحوض الاوسط لنهر الفرات • أما النهاية الطبيعية لهذا النشاط على ساحل البحر المتوسط ، فهى الساحل الفينيقى ، فيما بين بيروت وبين حيفا • وفيما بين تدمر وبين هذا الجزء من الساحل الفينيقى تجد الاتصالات أمامها طريقا محددا تسلكه بين نطاق المرتفعات الوسطى وبين الجبل الشرقى أو السلاسل التدمرية ، الى بلدة القريتين • ثم تسلك منها ممرا أو آخر خلال السهول التى تكتنف جانبى الجبل الوسطانى الى دمشق • ويوجد من دمشق الى الساحل الفينيقى ثلاثة ممرات تجتاز المنخفض الاخدودى ونطاقى المرتفعات اللذين يكتنفانه من جهة الشرق ومن جهة الغرب • ويقع أحد هذه الممرات فى غرب دمشق مباشرة ، وهو يجتاز جبال لبنان الشرقية ، أما فى وادى نهر بردى وسهل الزبدانى ثم خلال ممر سرغايا ووادى بحفوفا الى سهل البقاع ، وأما فى الوادى الادنى لنهر بردى ثم فى وادى القرن ووادى حرير الى سهل البقاع • ومن هذا السهل يصعد مسلك الاتصالات سلسلة جبل لبنان ، وهى السلسلة الغربية أو الساحلية ، ويجتازها من ممر ظهر البيدر الى بيروت • ويعرف المسلك الثانى باسم مسلك ممر مرج عيون ، وهو يتبع السفوح الجنوبية الشرقية لجبل حرمون ، وهو يسمى أيضا بجبل الشيخ • ثم يسلك ممرا بينه وبين مرتفعات الجولان عن طريق بلدة القنيطرة • ويتجه بعدها نحو الشمال الغربى مارا ببنياس نحو أعالى الاردن ليتحاشى اجتياز الاراضى سيئة الصرف فى اقليم الحولة • وبعد أن يعبر نهر الاردن ، يجتاز ممرا يقع بين جبل الباروك ، وهو الامتداد الجنوبى لجبل لبنان ، وبين جبل العامل وهو الامتداد الشمالى لمرتفعات الجليل ، ثم ينتهى عند صور او عند صيدا على الساحل الفينيقى • أما المسلك الثالث ، فانه يتجه من دمشق نحو جنوب الجنوب

الغربى مجتازا سهل حوران بين مرتفعات الجولان وبين هضبة اللجاه • وينزل مع وادى اليرموك ويعبر الاردن جنوب بحيرة طبرية ثم يصعد مع وادى جالود فى سهل جزريل الى مرج ابن عامر ومنه ينزل فى وادى المقطع وينتهى انتهاء طبيعيا عند خليج عكا • وهذا المسلك الاخير يعتبر من الناحية الطبيعية أهم مسلك لسير الاتصالات بين مصر من جهة عن طريق سهل فلسطين ومنافذ ذراع الكرمل وبين الصحراء السورية والحوض الاوسط لنهر الفرات من جهة أخرى •

والمسلك الاول من هذه المسالك الثلاثة هو أهمها فى الوقت الحاضر وخلاله تنتقل معظم الاتصالات بين سوريا وبين لبنان • وكان المسلك الثالث كبير الاهمية أيضا قبل قيام اسرائيل ، وعلى الاخص بعد أن مد خلاله خط لسكة الحديد يصل بين حيفا وبين دمشق • أما المسلك الثانى وهو مسلك مرج عيون فانه قليل الاهمية بسبب كون نهايته عند الساحل لا تتضمن مرفأ هاما يصلح لاستقبال السفن الحديثة • أما فى الماضى ، فلا شك فى أن أهميته كانت كبيرة وعلى الاخص فى أثناء النشاط الفينيقى ومن الملاحظ أنه لا يتضمن صعوبات الارتفاع التى يتضمنها المسلك الاول ، كما أنه لا يتضمن صعوبات الانخفاض التى يتضمنها المسلك الثالث • وفضلا عن ذلك ، فانه ينتهى انتهاء طبيعيا الى الساحل الفينيقى ، عند صور أو صيدا • وهما من أهم ان لم يكونا أهم المدن الفينيقية التى قامت على هذا الساحل •

ويستنتج مما تقدم أن الحوض الشمالى فى الصحراء السورية هو الميدان الرئيسى الذى تتجه اليه الاتصالات القادمة من سهل العراق خلال مسالك الحوض الاوسط لنهر دجلة • وأن المنافذ الطبيعية له نحو ساحل البحر المتوسط هى ممر بيلان وممر فوزى باشا (بغجه) نحو سهول كيليكية ، وممر وادى العاصى نحو المياه الشاطئية لهضبة الاناضول ، ثم ممر ادلب ووادى النهر الكبير الشمالى الى اللاذقية وما يكتنفها من جهات الساحل السورى • وكذلك يستنتج أن الحوض الجنوبى فى الصحراء

السورية ، هو الميدان الرئيسى الذى تتجه اليه الاتصالات القادمة من سهل العراق خلال مسالك الحوض الاوسط لنهر الفرات • وأن المنافذ الطبيعية لهذا الحوض نحو ساحل البحر المتوسط هى ممر ظهر البيدر وممر مرج عيون ثم ممر وادى اليرموك ـ وادى جالود •

وبالرغم مما تقدم تجدر الاشارة الى أن مسالك الحوض الاوسط لنهر دجلة ليست مستقلة تماما عن مسالك الحوض الاوسط لنهر الفرات • اذ أنها تتصل خلال مسالك جانبيه • ويجتاز بعض من هذه المسالك الجانبية أرض الجزيرة وعلى الاخص فى وادى الخابور وفى وادى البليخ ، كما يجتاز بعض آخر الصحراء السورية ويصل بين الحوض الجنوبى منها وهو حوض تدمر وبين الحوض الشمالى منها وهو حوض حلب • ومن الملاحظ أيضا أن كلا منهما يتأثر بالظروف البشرية السائدة فى ميدان نشاط الاخر • وفى هذه الناحية ، يقف كل منهما من الاخر موقفا معارضا بدرجة كبيرة • بمعنى أن ما يتعرض له أحدهما من شر كثيرا ما يعود على الآخر بالخير •

أما المسالك الاخرى التى يمكن أن تنتقل خلالها بعض اتصالات سهل العراق الى السواحل الشرقية للبحر المتوسط فانها أقل أهمية • وتتأثر أهميتها كثيرا أو قليلا بحسب الاحوال البشرية السائدة فى الجهات التى تجتازها المسالك الرئيسية وفى جهاتها هى أيضا نفسها • ومنها مسلك وادى الثرثار • وهذا المسلك لا يبدأ فى الوقت الحاضر من سهل العراق وان كان من المحتمل أنه كان كذلك فى الماضى ، وانما يبدأ من وادى دجلة عند بيجى • وتصلح تكريت أو قلعة شرقاط ، وهى التى قامت فى موضع آشور القديمة ، أو غيرهما من بعض المواقع الاخرى الملائمة على نهر دجلة أن تكون بدأ له أيضا • وهو يصعد فى وادى الثرثار مارا بموقع الحضر ، وهى مدينة قديمة ، الى منابعه فى نطاق مرتفعات العطشانه ـ سنجار • وقبل أن يعبر هذا النطاق يتفرع الى مسالك ثانوية ، يتجه بعض منها نحو مسالك الحوض الاوسط لنهر دجلة التى تجتاز سهل شمر الشمالى الى نصيبين ، ويتجه بعض

آخر منها الى وادى الفرات فى المنطقة الواقعة بين عنه وبين مصب الخابور • أما الباقى فانه يستمر خلال أرض الجزيرة الى حران مباشرة ، عن طريق الحسجه ، ثم يعبر الفرات عند تل برسيب ، الى الحوض الشمالى فى الصحراء السـورية •

وتوجد أيضا مسالك أخرى تتفرع من نهر الفرات وعلى الاخص من واديه الادنى ، ويتبع بعض منها امتداد بعض الوديان مثل وادى الحر الـذى يصب فى بحر النجف • ومثل وادى الابيض وغيره من بعض الوديان الاخرى التى تصب فى هور ابى دبس وفى منخفض بحر الملح وكلاهما يقع فى غرب كربلاء • وتعتبر واحات الجوف ومنطقة الجذب فى الاتصالات الجارية فـى هذه المسالك • ويكون وادى سرحان ، وهو يتضمن واحات اخرى ، مسلكا جيدا للاتصالات المارة بين واحات الجوف وبين طريق ممر شرق الاردن عند فلادلفيا (عمان) او عند بصرى ، وهى مدينة قديمة لا تزال قائمة على السفوح الغربية لجبل الدروز ، او فيما بينهما من بعض المواقع الاخرى الملائمـة • وينتهى سير هذه الاتصالات الى ساحل البحر المتوسط انتهاء طبيعيا عند خليج عكا عن طريق وادى اليرموك • أما البعض الاخر من هذه المسالك ، وهـو أيضا يتفرع من الوادى الادنى لنهر الفرات ، فانه فى الغالب لا يتبع امتداد وديان معينة وانما يتبع بعض اجزاء منها تارة ويتحول عنها تارة أخـرى • وبعبارة اخرى انها ليست مسالك طبيعية فى كل اجزائها • ومن الملاحظ انها لاتتجه نحو الشمال الغربى وهو الاتجاه نحو البحر المتوسط ، وانماتتجه نحو الغرب ونحو الجنوب الغربى، والاتجاه الاول يصل الى واحات الجوف أما الاتجاه الاخر فانه يصل الى داخل الجزيرة العربية • وسنرى ان هذا الداخل تربطه مسالك اخرى ببعض جهات الحوض الشرقى للبحر المتوسط • ويمكن عـن طريقها لبعض اتصالات سهل العراق ان تنتقل الى هذه الجهات •

٣ ـ منافذ العراق نحو داخل الجزيرة العربية وحافاتها:

تقع جزيرة العرب الاصلية جنوب اقليم الحماد فى الصحراء السورية • وتمتد رقعتها نحو الغرب الى سواحل البحر الاحمر ونحو الجنوب الى سواحل البحر العربى ونحو الشرق الى سواحل خليج عمان والخليج العربى • أما من جهة الشمال الشرقى فانها تواجه سهل العراق • وليست الجزيرة العربية مطلقة الاتصال بهذه الجهات التى تكتنفها • اذ توجد حواجز جغرافية تمنع سـير الاتصالات الكبيرة والمنتظمة بينهما الا فى منافذ معينة • ففى الغرب تمتد بين الشمال وبين الجنوب حافات جبلية تفصل بين داخلها وبين ساحل البحـر الاحمر ، ولكنها مع ذلك تتضمن بعض ممرات يمكن للاتصالات ان تنتقـل خلالها بين الداخل وبين الساحل • وفى بعض الحالات قامت عند منافذ هذه الممرات على الساحل موانىء ، وفى بعض آخر قامت عند منافذها فى الداخل مدن تجارية أخرى • وفى هذه المراكز التجارية تتبادل الاتصالات التى تنقلها القوافل بطريق البر مع الاتصالات التى تنقلها السفن بطريق البحر •

ومن جهة الشمال ، يوجد نطاق ضخم من الرمال يسمى النفوذ • وهو كذلك يمنع السير الحر للاتصالات بين داخل الجزيرة العربية وبين اقليم الحماد وحافاته ، ويحدده فى منفذين أو ثلاثة يقع أحدهما وهو الاهم ، فى غرب هذا النطاق وينحصر بينه وبين القسم المقابل له من الحافات الجبلية فى الغرب ، وهو المعروف باسم جبال مدين • وتشرف تيماء على هذا المنفذ • ويقع المنفذ الثانى فى أقصى جنوب شرق النفود ، حيث يضيق هناك اتساعها كما يقل سمـك رمالها • أما المنفذ الثالث ويعرف باسم ممر جبه ، فانه يخترق النفود ويصل بين حايل ، وهى المركز الرئيسى فى جبل شمر وبين واحات الجوف ووادى سرحان •

ومن جهة الشرق ، يعرف الحاجز الجغرافى الذى يعزل داخل الجزيرة العربية عن عالم الخليج العربى ، باسم الدهناء • وهو نطاق من الرمال أقـل

ضخامة ووعورة من رمال النفوذ ويتميز بصورة عامة بانه مكون من عـــدد من أشرطة ضيقة من الرمال تتدخل بينها أشرطة أخرى من الارض غـير الرملية • وتمثل الدهناء قوسا ينبعج نحو الخليج العربى ويصل بين نطاق النفوذ من جهة الشمال وبين صحراء الربع الخالى الرملية من جهة الجنوب • وليس سمك الرمال فى أجزاء هذا القوس بمقدار واحد • ولهذا تتوفر فى بعض مناطقه فرص وجود ممرات لاجتيازه بين شرقه وبين غربه • ومن أهم الممرات التى يجتاز منها فى الوقت الحاضر ، ممر يصل بين الرياض وبين الاحساء • ويبدو ان هذا الممر كان فى الماضى هاما ايضا • ويستنتج ذلك من قيام الجرع Jerrha وهى ميناء قديم قام على ساحل الاحساء • وقد وصفها بعض كتاب الاغريق والرومان بانها اعظم مدينة على ساحل الخليج (الفارســى) العربى • وتدل الظروف الجغرافية للاقليم الذى يكتنف هذا الميناء على انـه قد اكتسب جانبا كبيرا من أهميته من اتصالات قامت بينه وبين داخل الجزيرة العربية •

أما اتجاه الشمال الشرقى لداخل الجزيرة العربية ، وهو الذى يواجهه سهل العراق ، فان ظروفا طبيعية مساعدة قد تهيأت أمام سير اتصالات بينهما• ذلك لان نطاق النفود الذى أشير اليه ، يضيق اتساعه نحو الجنوب الشـرقى كما يقل سمك رماله • ويحدث مثل ذلك أيضا فى نطاق الدهناء عند بـدء امتداده من جهة الشمال الغربى• وتغلب فى منطقة الانتقال بين هذين النطاقين ظاهرة الارض غير الرملية • فأشرطة الرمال الموجودة هناك هزيلة ، كما ان معظمها غير كامل الاتصال • وبسبب ذلك ، تركزت هناك أهم مســـالك الاتصالات بين سهل العراق وبين داخل الجزيرة العربية • ويوجد من بـين هذه المسالك مسلكان رئيسيان • يربط أحدهما بين النجف وبين المـدن المقدسة فى الحجاز عن طريق حايل فى جبل شمر • وقد اشتهر هذا المسلك منذ اوائل القرن التاسع الميلادى باسم درب زبيدة كما اشتهر باسم درب الحج• وهو مسلك غير طبيعى لحد ما اذ لاتوجد ظاهرات جغرافية تحدد بعض أجزائه•

وان كان استخدامه خلال القرون العديدة قد حدد فى الواقع موضعه وتتجه اليه فى البادية مسالك أخرى آتية من بعض المدن فى وادى الفرات • وتلتقى به غالبا عند لينه او عند تربه ، وهما واحتان لكل منهما موقع ملائم عند مدخل الجزيرة العربية فى منطقة الانتقال بين نطاق النفوذ وبين نطاق الدهناء • أما المسلك الرئيسى الآخر ، فانه يربط بين منطقة البصرة وبين داخـل الجزيرة العربية ، عن طريق واحات بريدة وعنيزة فى القصيم • وهو مسلك طبيعى ومحدد ، لانه يمتد على طول وادى البطن •

واما اتجاه داخل الجزيرة العربية نحو الجنوب الى ساحل البحر العربى، فان صحراء الربع الخالى تعترضه • والربع الخالى مساحة ضخمة من الرمال ، وليس فى امكان القوافل اجتيازه فى الوقت الحاضر بين هذين الاتجاهين • ويغلب انه كان كذلك فى الماضى • ومع ذلك فان ساحل البحر العربى ليس منعزلا تماما عن داخل الجزيرة العربية ، اذ يمكن للاتصالات ان تنتقل بينهما خلال هضبة اليمن وعن طريق عدن ، او عن طريق السفوح الجنوبية لهـذه الهضبة وخلال وادى حضرموت• وعن طريق هذين المسلكين يمكن أيضا أن تنتقل بعض الاتصالات بين سهل العراق وبين ساحل البحر العربى • وعدا هذين المسلكين ، توجد ايضا بعض سبل اخرى للاتصالات بينهمـــا • يكون واحدا منها الطريق البحرى فى الخليج العربى وفى خليج عمان • أما الاخرى فتكونها المسالك الممتدة على السواحل العربية لهذه الخلجان •

والقسم الواقع من داخل الجزيرة العربية فى غرب نطاق الدهناء مباشرة، عبارة عن نطاق من الارض السهلية ذات سطح مضرس • وهو قوس الشكل أيضا، يتبع تقوس نطاق الدهناء • وتشرف عليه من جهة الشرق ومن جهة الغرب حافتان مرتفعتان نسبيا • ومن الملاحظ ان ارتفاع هاتين الحافتين وكذلك ارتفاع مستواه ، يتبع ظاهرة الارتفاع العام لسطح الجزيرة العربية ، وهـــو من الشرق نحو الغرب • وليست كل حافة منهما كاملة الاتصال • وانمـــا توجد ثغرات تفصل بين بعض اجزاء الواحدة منهما وبين البعض الاخـــر •

وتجرى فى بعض الاماكن وديان خلال واحدة او أخرى من هذه الثغرات ، فتتوفر بذلك ظروف افضل لاجتيازهما ، فيما بين داخل هذا النطاق وبين بعض اتجاهات اخرى تقع فى شرقه او فى غربه • ولبعض أجزاء هاتين الحافتين تسميات خاصة • وتطلق تسمية جبل طويق على معظم امتداد الحافة الغربية • واطلاق التسمية الجبلية على هذه الحافة له جانب من الحقيقة • ذلك لانها لا تبدو مرتفعة فحسب من جانب النطاق السهلى الذى تشرف عليه من جهة الشرق ، بل انها تشرف ايضا من جهة الغرب على هضبة نجد من ارتفاع يبلغ فى بعض الاماكن نحو ١٨٠ مترا• وقد ساعد هذا الارتفاع الاخير للحافة على تكوين نطاق اخر من الرمال يقع بينها وبين القسم الاوسط من هضبة نجد • ولهذا ، كان الانتقال بين النطاق السهلى الذى نتحدث عنه وبين هذا القسم من هضبة نجد صعبا الا خلال بعض ثغرات فى حافة جبل طويق ولم تساعد الظروف الجغرافية على تجمع الرمال عندها بسمك كبير •

أما القسم الاوسط من داخل الجزيرة العربية فانه عبارة عن هضبة يبلغ متوسط ارتفاعها حول ١٠٠٠ متر • ويقطعها بين الشرق وبين الغرب منخفض واسع نسبيا ، يصل بين بريده وعنيزه فى القصيم وبين المدينة فى الحجاز • ويمتد منه عند المدينة ذراعان ، يتجه أحدهما نحو الشمال ويتجه الاخر نحو الجنوب • ويقع فى القسم الشرقى من هذا المنخفض المجرى الاوسط لوادى الرمة، وهو الوادى الذى يطلق على مجراه الادنى فى البادية ونحو البصرة، اسم وادى البطن • أما القسم الغربى منه فيجرى فيه نحو المدينة وادى اضم، وهو أحد منابع وادى الحمض [1] • ويقسم هذا المنخفض داخل الجزيرة العربية الى قسمين • يعرف القسم الشمالى منها باسم هضبة جبل شمر ، ويعرف القسم الجنوبى باسم هضبة نجد •

ويرتفع سطح هضبة نجد تدريجيا نحو الغرب كما يرتفع سطح هضبة جبل شمر • وينتهى كل منهما فى هذا الاتجاه بنطاق منخفض تشرف عليه

---

(١) انظر الخريطة رقم ١٣

من جهة الغرب جبال الحجاز • ويبلغ هذا المنخفض أقصى اتساعه فى شرق المدينة ثم يضيق تدريجيا نحو الشمال ، فى غرب هضبة جبل شمر • أما نحو الجنوب ، فى غرب هضبة نجد ، فانه يستمر متسعا الى قرب مكة • ويبدو ان هذا المنخفض انكسارى • لانه يلاحظ ان الانبثاقات البركانية المعروفة باسم الحرات تكتنف معظم امتداد جانبيه من جهة الشرق ومن جهة الغرب [2] •

ونطاق الحافات الجبلية الذى يفصل بين داخل الجزيرة العربية وبين ساحل البحر الاحمر يبلغ متوسط اتساعه نحو ٣٠٠ كم ، وتغلب فى تكويناته الصخور النارية • وبعض هذه الصخور قديم ، من الصخور الاولية بينما البعض الاخر حديث نسبيا ، وهو من الانبثاقات البركانية • ونظرا لان هذا النطاق يكون الحافة الشرقية للمنخفض الاخدودى الذى يشغله البحر الاحمر، فان اشرافه حاد على ساحل هذا البحر ، وهو المعروف باسم ساحل تهامه • ويزيد هذا فى صعوبات اجتيازه بين داخل الجزيرة العربية وبين هذا الساحل • ومع ذلك ، فان التعرية المائية التى قامت بها بعض الجداول وساعدتها عوامل التعرية الجوية ، قد اوجدت فى بعض جهاته منافذ يمكن للاتصالات ان تجتازها منها • وتوجد اسهل هذه المنافذ فى منطقة جبال الحجاز • وذلك لانها أقل ارتفاعا من جبال عسير او اليمن الذى تقع فى جنوبها ، ومن جبال مدين التى تقع فى شمالها • ويبلغ عدد حافات هذا النطاق نحو أربع حافات أو خمس ، وأعلاها حافتان توجدان فى الداخل ، ويفصل بينهما فى أجزاء من امتدادهما أشرطة هضبة مموجة وتتضمن الكثير من مراكز العمران • كما انها تكون اجزاء فى مسلك من أهم مسالك القوافل المارة بين جنوب الجزيرة العربية وبين شمالها • ومما تقدم يلاحظ ان فى الجزيرة العربية بعض مناطق ينبغى ان توجه اليها العناية لتوضيح مسالك الاتصالات التى جرت بين سهل العراق من جهة وبين داخل الجزيرة العربية وما يتصل به من بعض الاتجاهات من جهة أخرى • وهذه المناطق هى :-

---

(٢) انظر الخريطة رقم ١٣

أ – صحراء النفـود
ب – صحراء الدهناء
جـ – اتجاهات سير الاتصالات العراقية من حايل
د – اتجاهات سير الاتصالات العراقية من بريدة
هـ – اتجاهات سير الاتصالات العراقية من الرياض .

أ – صحراء النفـود

توجد فى الجزيرة العربية مناطق من الرمال ، ويختلف البعض منها عن البعض الاخر فى خصائصه لحد ما . ولهذا ميز العرب بينهما ، واطلقوا على كل منها تسمية خاصة ، ومن أشهرها الاحقاف والدهناء والنفود [٣] . وتطلق الاحقاف على مناطق الرمال الناعمة وذات السمك الكبير والتى يتموج سطحها موجات ضخمة تفصل بين البعض منها وبين البعض الاخر منخفضات ضيقة الاتساع . ولهذا التكوين يصعب اجتيازها كما يصعب الحصول منها على موارد للماء . وهذا النوع من الصحارى الرملية غير متكرر الوجـود فى الجزيرة العربية . ولكنه يتمثل بوضوح فى الجزء الغربى من صحراء الربع الخالى . وهناك يطلق عليه أيضا تسمية بحر الصافى . أما تسمية الدهناء فتغلب على السهول الحصوية التى تمتد فوقها اشرطة من الرمال متوازية او شـبه متوازية . وهى تكون ، لهذا التكوين ، اسهل اختراقا من النوعين الاخرين من الصحارى الرملية . كما انها تتضمن فرصا اوسع للحصول على مـوارد للمياه . ويكون ذلك بحفر آبار فى الاشرطة الحصوية التى تقع بين الواحد من اشرطة الرمال وبين الاخر ، او عند حافات هذه الاشرطة .

أما النفود [٤] فانها أوسع انتشارا من الصحارى الرملية الاخرى . كما أن تسميتها اعم . وهى تطلق غالبا على كل مناطق الرمال ذات السطوح المموجة

---

(٣) راجع (١٩٢) ص ٦ . ، (٦٢ – الجزء الاول) ص ١١–١٢ .
(٤) راجع (٦٢ – الجزء الاول) ص ٣٨٩–٣٩٣ .

بكثبان . وتبدو هذه التسمية العامة للنفود فى قول العرب ، تمتد النفود من الجوف (المقصود جوف العمر) الى صنعاء . ولعل أهم ما تتميز به النفود عن الاحقاف ، هو انه يمكن اجتيازها من جانب الى آخر متى توفـــرت بعض ظروف خاصة كأن تكون الثغرات التى تفصل بين بعض الكثبان وبين البعض الآخر عميقة ، وكذلك ان تكون كمية الامطار الساقطة غزيرة نسبيا . ذلك لان الحشائش العقدية التى تنمو فى الرمال على هذه الامطار تساعد عـلى تماسك ذرات الرمال ، وبالتالى تساعد على توقف حركة الكثبان .

وتقع اضخم مناطق النفود وأعظمها اتساعا فى شمال الجزيرة العربية . وهى تفصل بين اقليم الحماد فى الصحراء السورية وبين منطقة جبل شـمر فى داخل الجزيرة العربية . ويبلغ طول اعظم امتداد لها بين الشرق وبـين الغرب نحو ٤٥٠ كم . كما يبلغ اعظم اتساع لها بين الشمال وبين الجنوب نحو ٢٢٤ كم . وهى تبدو فى شكل مثلث كبير [٥] تقع قاعدته نحو الغرب وتمتد بين منخفض الجوف من جهة الشمال وبين جنوب شرق تيماء من جهة الجنوب . أما رأسه فانها تقع فى جهة الشرق ، بين آبار الشعيبة من جهة جبل شمر وبين آبار تربه من جهة البادية . وكما يعظم اتساع النفود فى جهـة الغرب فانه يعظم كذلك ارتفاع ذرى كثبانها ، وهناك تصل الى نحو ١٨٠ مترا . أما نحو الشرق فان اتساع النفود يتناقص تدريجيا كما يتناقص ارتفاعها . وفى اقصى طرفها الشرقى تبدو ضعيفة التحديد وتخرج منها بعض ألسنة هزيلة تشكل نوعا بسيطا من الدهناء .

وتتمتع النفود بمناخ معتدل نسبيا . وتسقط عليها فى فصل الشتاء كمية من الامطار تعتبر وافرة بالنسبة لما يتساقط على غيرها من مناطق الرمال الاخرى فى داخل الجزيرة العربية وعند بعض حافاتها ، وذلك بسبب موقعها فى شمال هذه المناطق مما يجعلها أكثر منها تأثرا بمؤثرات مناخ البحر المتوسط [٦] ،

---

(٥) انظر الخريطة رقم ١٣
(٦) على الرغم من انه لا توجد احصاءات خاصة بالامطار فانه من المعروف ان أمطار النفود الشمالية اكثر من غيرها راجع (٣٧) ص ٥ .

والحافتان الشمالية والغربية للنفود وهما أكثر ارتفاعا من الحافات الاخرى ، أغزر امطارا بسبب مواجهتهما لهذه المؤثرات • والحافة الجنوبية وان كانت تقع فى ظل المطر الا ان وجود بعض نطاقات من التلال اكثر ارتفاعا منها ، تقع فى جنوبها فى جبل شمر ، يساعد على سقوط الامطار عليها بكمية لا بأس بها • كما ان داخل النفود ليس خاليا من المطر • لان التكوين المموج للسطح يسمح للرياح الحاملة للرطوبة بالتوغل فى الثغرات بين الكثبان • ويستنتج مما تقدم ، ان النفود ليست خالية من الحشائش والاعشاب • كما يستنتج ايضا ، انه يمكن الحصول على الماء من الموارد الباطنية بحفر آبار عند حافاتها وفى بعض المناطق فى داخلها • ونظرا لما هو معروف من ان الرمال تحتفظ بالمياه المتسربة اليها ، ومن ان خط مستوى الماء الباطنى فيها يتبع بدرجة كبيرة تضاريس السطح ، لذلك كان سطح النفود يتضمن مناطق غنية بمراعيها • كما يتضمن أيضا مناطق تنمو فيها شجيرات او اعشاب طويلة • ومن الممكن ايضا ان تنمو بعض الاشجار كالنخيل وان تزرع بعض الغلات كالمقات والبطيخ (الرقى) ونحوهما • وفى الواقع ان داخل النفود يتضمن بعض الواحات العامرة بالسكان مثل الشقيق وجبه وقنا • وتوجد هذه الواحات الثلاثة على مسافات متباعدة فى منخفض يمتد عبر النفود بين شمالها وبين جنوبها ، ويمكن لبعض الاتصالات ان تسلكه بين حايل فى جبل شمر وبين واحات الجوف • ويعرف هذا المنخفض باسم منخفض جبه او ممر جبه • ويبلغ طوله فى داخل النفود نحو ٣٥٣ كم • ويبدو ان سبب تكوينه يرجع الى وجود بعض حافات من التلال تحميه من طغيان الرمال عليه ، كما هو مشاهد فى منطقة جبه • فهناك ينخفض قاعه عن مستوى الرمال التى تكتنفه بنحو ٩٠ مترا ، كما توجد حافات من تلال الحجر الرملى تحميه من طغيان الرمال عليه • وجبه فى الوقت الحاضر واحة صغيرة وضعيفة العمران • ولكنها كانت فى النصف الاول من القرن التاسع عشر كبيرة وغنية بمواردها المائية وتكتنفها بساتين نخيل واسعة ، كما كانت تسكنها نحو ١٧٠ عائلة • وهذا يستدل عليه من

والن Wallin ، وهو رحالة انجليزى زارها حول سنة ١٨٤٥ ميلادية (٧) • واضمحلال هذه الواحة غريب فى الواقع ، ولكن من الممكن تفسيره على أساس التغيرات الحديثة التى حدثت لوسائل النقل والمواصلات فى الشرق الاوسط • فان هذه التغيرات تجعل الممر الوعر الذى تقع فيه هذه الواحة غير ذى موضوع أمامها • ولاشك أن مد خط سكة حديد الحجاز قبيل الحرب العالمية الاولى واستخدام السيارات فى النقل عبر الصحراء بعد هذه الحرب ، قد حول سير الاتصالات عن هذا الممر • وبسبب ذلك فقد سكان واحة جبه كثيرا من اسباب معاشهم فى الوقت الحاضر • وممر جبه ، وان كان أقصر المسالك التى تصل بين حايل وبين واحات الجوف الا ان اجتيازه ليس سهلا • اذ يتضمن بعض صعوبات خطيرة ومنها عدم توفر المياه فى كثير من مراحله • فمثلا فى المسافة الواقعة بين ابار الشقيق وبين آبار جبه ، وهى تبلغ نحو ٢٥٧ كم ، لم يعثر الرحالون فيها على موارد أخرى للمياه • على ان هذا لا ينبغى ان يتخذ دليلا على عدم امكان الحصول على هذه الموارد اطلاقا • كما انه ليس دليلا على ان ابارا اخرى لم توجد هناك فعلا فى بعض المناطق ثم طمرتها الرمال بعد ان أهملت المحافظة عليها • ومن الصعوبات الاخرى فى اجتياز هذا الممر ، ان المسافر فيه يضطر أحيان أن يصعد ظهر كثيب من جانب وينزل من جانب آخر ، أو أن يلتف حوله (٨) • والخلاصة أن ممر جبه ، وهو يصل بين بعض مراكز العمران فى جبل شمر وبين واحات الجوف ، يمكن اجتيازه ، الا انه بسبب تضمنه بعض صعوبات كبيرة يبدو ان القوافل الكبيرة كانت تتحاشاه ، ولم يكن يسلكه غير الافراد وبعض القوافل الصغيرة •

وليس ممر جبه المسلك الوحيد الذى يصل بين حايل فى جبل شمر وبين واحات الجوف ، فان هناك مسالك اخرى تصل بينهما • وهى أسهل منه

---

(٧) راجع (٦٢ - الجزء الاول) ص ٣٨٩ - ٣٩٠ •
(٨) راجع (٦٢ - الجزء الاول) ص ٣٩٠ •

اجتيازا وأوفر ماءا الا أنها أطول • ويتجه البعض منها نحو الغرب من حايل ممتدا على طول الحافة الجنوبية للنفود ثم على طول حافتها الغربية ، مارا بتيماء الى واحات الجوف • ويجتاز هذا البعض من المسالك فى بعض المناطق اشرطة هزيلة من الرمال ويجتاز فى البعض الاخر ارضا من تكوينات اخرى وخفيفة التضرس • أما البعض الاخر من المسالك فانه يتجه نحو الشرق ثم يلتف حول رأس مثلث النفود الى واحة قصر حيانية • ويتبع منها الحافة الشمالية للنفود الى الجوف • ويوجد بين حايل وبين قصر حيانيه مسلكان أكثر من غيرهما طروقا • وأحدهما أقصر من الاخر ، ولكنه اكثر منه وعورة وأقل وفرة فى موارد المياه • وكان ، لهذا ، استعماله قليلا وعلى الاخص بالنسبة للقوافل الكبيرة • وهذا المسلك لا يلتف حول رأس مثلث النفود وانما يجتازه على مسافة منه فى الداخل تبلغ نحو ٨٥ كم • حقيقة ان الرمال التى يجتازها ليست كبيرة السمك ولكن السير عليها مرهق فى بعض اجزائها • أما المسلك الثانى وهو الاهم ، فانه يلتف حول رأس مثلث النفود بين الشعيبة وبين تربه• وهو يعتبر فى الواقع المنفذ الرئيسى لداخل الجزيرة العربية فى هذا الاتجاه • وتزدحم خلاله بعض اتصالاتها المتجهة من حايل الى واحات الجوف عن طريق قصر حيانيه مع البعض الاخر منها المتجه الى وادى الفرات عن طريق لينه[9] •

ويستنتج من تركز سير هذه الاتصالات خلاله ، ان اجتيازه سهل ، وهو فى الواقع كذلك • ذلك لانه لا يجتاز ارضا كلها رملية ، وانما يجتاز أرضا غير رملية مخطط عليها بعض اشرطة من الرمال • ويوجد من هذه الاشرطة ثلاثة اكبر اعتبارا من غيرها[10] • والاول منها وهو الذى يشرف على بادية العراق ، لا يبدو ان له تسمية خاصة • والمعروف عنه انه يمتد كامل الاتصال، ويربط بين رمال النفود من جهة وبين رمال الدهناء من جهة اخرى • وتقع واحة لينه عند جانبه المشرف على البادية العراقية • أما الشريط الثانى وهو

(٩) انظر الخريطة رقم ١٣

(١٠) انظر الخريطة رقم ١٣ •

الاوسط فانه غير كامل الاتصال ، اذ توجد ثغرات تفصل بين بعض أجزائه وبين البعض الآخر • وهو يعرف باسم ارض المضيوع ، وتقع واحة تربه فى منطقة تفرعه من النفوذ • واما الشريط الثالث وهو المواجه لداخل الجزيرة العربية فانه كامل الاتصال ويعرف باسم البطاح • ويربط بين النفود الاصلية وبين منطقة نفوذ أخرى تقع فى غرب جبل قويق • وتقوم واحة الشعيبة فى منطقة تفرعه من النفود[11] ويعتبر الشريط الاول بدء نطاق الدهناء • وهو يتفرع من النفود فى غرب بركة عشابه بقليل • ويبلغ متوسط اتساعه من بدئه حتى واحة لينه نحو ١٨ كم • وليست رماله فى هذا الامتداد كبيرة السمك ، بل انها فى منطقة واحة لينه لا تمثل الظاهرة الارضية المتميزة • ولهذا كانت لينه مركزا هاما تتجه اليه بعض مسالك الاتصالات القادمة من وادى الفرات • أما فى جنوب شرق هذه الواحة فان هذا الشريط الرملى يزداد اتساعا ويصل الى نحو ٢٥ كم ، كما يتضمن كثبانا ترتفع ذراها الى نحو ١٥ مترا • أما الشريط الثانى ، وهو ارض المضيوع ، فان اجتيازه صعب لحدما ، بسبب سمك رماله الكبيرة نسبيا • ولكنه مع هذا يمتاز بأن اتساعه قليل • فهو اقل اتساعا من الشريط الاول ، ولا يتجاوز هذا الاتساع ١٠ كم عند تربة • وواحة تربة كبيرة وتستطيع لحد ما أن تمون القوافل ببعض مطالبها• ولهذه الناحية الاقتصادية بجانب ضيق اتساع شريط الرمال عندها ، كانت مركزا آخر من مراكز الاتصالات فى هذا المدخل للجزيرة العربية • وتتجه اليها الاتصالات القادمة من وادى الفرات عن طريق لينه وعن طريق بركه عشابة • واما الشريط الثالث وهو شريط البطاح ، فانه كامل الاتصال • الا انه توجد ثغرة من الارض سمك رمالها قليل ويبلغ اتساعها نحو ٥٠ كم تفصل بينه وبين رأس النفوذ • ومن الملاحظ ان سير الاتصالات خلال هذه الثغرة الواسعة محدد فى طرفها الشمالى اى عند حافة النفوذ • وذلك لان هناك تتوفر بعض المراعى كما تتوفر موارد

(١١) انظر الخريطة رقم ١٣ • وراجع ايضا(٦٢ـالجزء الاول) ص ٣٩٥ـ٣٩٦

المياه الباطنية التى ساعدت على قيام بعض الواحات • والشعبية من اكبر هذه الواحات ، واليها تتجه الاتصالات الجارية خلال هذا المدخل نحو حايل •

والخرائط التى توضح طرق الاتصالات (١٢) ، وهى خرائط حديثة ، تبين عدة مسالك تجتاز بادية العراق نحو هذا المدخل • والبعض منها يصل بين بعض الثغور فى وادى الفرات وبين حايل فى جبل شمر عن طريق بركة عشابة أو لينه • او بين هذه الثغور وبين بريده فى القصيم عن طريق لينه وقصيبة • أما البعض الآخر من هذه المسالك فانه يصل بين منطقة البصرة وبين منطقة بريدة • وهو عبارة عن مسلك واحد محدد يتبع امتداد وادى البطن • وأهم الثغور القائمة فى وادى الفرات ، والتى تخرج منها مسالك الاتصالات نحو مدخل الجزيرة العربية ، اربعة ، وهى النجف والسماوة والناصرية وسوق الشيوخ • وهذه الثغور مجتمعة ليست مبينة فى كل خريطة على حدة من هذه الخرائط ، فيما عدا النجف • واذا راعينا من جهة ان النجف كانت أيضا مركزا رئيسيا للمواصلات مع داخل الجزيرة العربية منذ اوائل القرن التاسع الميلادى على الاقل ، فانه يستنتج ان لموقعها مزايا خاصة تؤهلها لذلك • واذا راعينا من جهة اخرى انه يوجد نطاق من الكثبان الرملية يفصل بين الثغور الثلاثة الاخرى وبين داخل البادية (١٣) فانه يستنتج ان هذا النطاق الرملى ليس عقبة حقيقية فى وجه الاتصالات بين وادى الفرات وبين داخل البادية • واما تفوق أهمية بعض هذه الثغور فى بعض الاوقات على البعض الاخر ، فان من الممكن ارجاعه الى عوامل بشرية • فمثلا سوق الشيوخ وصفها شيزنى فى النصف الاول من القرن التاسع عشر بانها أهم مدينة على المجرى الادنى لنهر الفرات (١٤) • وفى ذلك الوقت يبدو انها كانت سوقا للشيوخ حقا ، وان اتصالاتها كانت قوية مع البادية ومع بعض الجهات فى داخل الجزيرة العربية •

---

(١٢) انظر (٤) ، (٢١) ، (٢٤) ، (١٣)
(١٣) انظر الخريطة رقم ٨ او رقم ١٣ •
(١٤) راجع (٨٦ ـ الجزء الاول) ص ٦٠ •

ثم فقدت كثيرا من أهميتها بعد نشأة الناصرية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وعلى الاخص بعد ان اصبحت هذه المدينة مركزا للواء المنتفك ، بينما اصبحت سوق الشيوخ مركزا لقضاء من بين اقضيته • وقد ازدادت أهمية الناصرية كثيرا منذ سنة ١٩٣٧ عندما نفذ مشروع الغراف • والغراف قناة كبيرة تخرج من دجلة عند الكوت وتتجه نحو الفرات عند الناصرية وقد ادى تنفيذ هذا المشروع الى جعل الاراضى التى تكتنفه أهم نطاق لانتاج القمح فى سهل العراق • وفى منطقة الناصرية توجد اطلال اريدو واور وهى مدن سومرية (١٥) ، ومن اهم المدن التى قامت فى وادى الفرات • وليس هناك شك فى ان بعض اهميتها قد اكتسب من اتصالات قامت بينها وبين داخل البادية •

أما السماوة فلا يبدو انها كانت تتمتع بشىء كبير من الاهمية فى الماضى بسبب مناطق المستنقعات الواسعة التى تكتنفها • وهى مستنقعات قديمة العهد كما سبقت الاشارة • أما فى الوقت الحاضر فانها اصبحت تتمتع بجانب كبير من الاهمية • وذلك لان بعض هذه المستنقعات قد جف واتسعت بذلك رقعة الاراضى الزراعية حولها • كما اتسعت ايضا رقعة اراضى زراعية اخرى تجاورها ، وهى التى اصبحت تروى من شط الحلة بعد انشاء قناطر الهندية • ومن الملاحظ ان هذا الشط يتصل ثانية بالفرات عندها • وكذلك ازدادت اهميتها بعد ان تحسن سير الاتصالات فى هذا الشط وعلى ضفافه ، وعلى الاخص بعد ان مد على معظم طوله خط سكة الحديد يربط بين السماوة وبين بغداد ، وهو جزء من خط سكة الحديد بين البصرة وبين بغداد •

واما النجف ، وهى التى قامت فى منطقتها مدينة الحيرة ، فان أهمية موقعها لم تتذبذب كثيرا خلال ادوار التاريخ • وهى تقع فى الوقت الحاضر فى غرب الفرات (شط الهندية) وعلى مسافة أميال قليلة منه • وقربها من هذا النهر يعطيها بعض الاهمية ولكنه لا يعطيها الاهمية كلها • أما السبب الرئيسى

---

(١٥) انظر الخريطة رقم ٢ •

الذى اعطاها ذلك فيرجع الى بعض خصائص اخرى لموقعها الجغرافى • والخرائط الطبيعية توضح انها تقع فى اقصى الطرف الجنوبى الغربى للقسم الشمالى من سهل العراق ، وهذا القسم الذى كان يعرف قديما باسم سهل أكاد ، ارضه حسنة الصرف اذا قورنت بباقى اراضى سهل العراق ، كما انها اخصب منها واوفر انتاجا • وفضلا عن ذلك فانه بعد أن جفت بعض المستنقعات التى كانت توجد فى منطقة بغداد فى القسم الشرقى منه ، اصبح المنفذ الطبيعى للاتصالات القادمة الى سهل العراق من هضبة ايران عن طريق بوابة زاجروس ومن منطقة كردستان والقسم الشمالى من الهلال الخصيب عن طريق مسالك الحوض الاوسط لنهر دجلة • وهذه الاتصالات الخارجية بالاضافة الى اتصالات سهل أكاد نفسه ، اذا قصد بعض منها داخل الجزيرة العربية فان منطقة النجف تعتبر منفذه الطبيعى • ذلك لانها تقع على أقصر مسافة تفصل بين هذا السهل وبين هذا الداخل • ومن الملاحظ ان فى جنوب النجف تقع أهوار الفرات (الاوسط) ، وهى من بقايا الاهوار البابلية • وهذه الاهوار التى تعرقل سير الاتصالات خلالها ، تمنع من قيام منفذ اخر لهذه الاتصالات نحو البادية يفوق منفذ النجف فى أهميته• وبالاضافة الى ما تقدم فان نطاق الكثبان الرملية الذى يصعب لحد ما سير الاتصالات بين بعض الثغور الاخرى وبين داخل البادية ، لا وجود له فى غرب منطقة النجف •

وبالرغم من تعدد الثغور فى وادى الفرات التى تبدأ منها مسالك الاتصالات ، فان بعض هذه المسالك يقترب من البعض الاخر تدريجيا فى البادية ، ثم تدخل جميعها من مدخل الجزيرة العربية • وهو ، كما سبقت الاشارة ، ثغرة واسعة من الارض الصلبة تتضمن بعض أشرطة هزيلة من الرمال تصل بين النفود الاصلية وبين الدهناء [16] • ولبعض هذه المسالك تسميات خاصة فى الوقت الحاضر • منها درب زبيدة ، وهو يبدأ من النجف• ودرب السلمان ، وهو يبدأ من السماوة • ودرب الحائف الذى يبدأ من جنوب

---

(١٦) انظر الخريطة رقم ١٣ •

السماوة بقليل • وأهم هذه المسالك درب زبيدة [17] الذى يعرف أيضا باسم درب الحج •

ويبدأ درب زبيدة من النجف [18] ويتجه نحو الجنوب خلال ممر يقع بين بحر النجف وبين بحر الشنافية • ويمر بقصر الرحبة ، وهو واحة صغيرة يرويها ينبوع وتقع على مسافة تبلغ نحو ٢٥ كم من النجف • ويدخل بعض هذه المسافة ضمن نطاق الرحاب ، وهو كما هو معروف ارض سبخة يصعب السير عليها وعلى الاخص اذا اصابتها مياه الفيضان او حين تسقط عليها الامطار • ويستمر درب زبيدة بعد ذلك فى اتجاهه نحو قصر الرحيمى ، وهو ايضا واحة صغيرة يرويها ينبوع • ويتفرع منه عند هذه الواحة مسلك يعرف باسم درب الغزال • يتجه نحو الجنوب الغربى الى وادى الخر •وتقصر غالبا الاتصالات التى تسلك طريق هذا الوادى واحات الجوف • أما درب زبيدة ، فانه يستمر بعد هذا التفرع فى اتجاهه نحو جنوب الجنوب الشرقى ويمر ببركة زبيدة فبرك ام قرون وهى ايضا واحة صغيرة تتوفر فيها موارد للماء • وبها آثار قصر قديم تدل على أن عمرانها فى الماضى كان اكثر تقدما مما هو الآن • وفيما بين قصر الرحبة وبين ام قرون ، وهى مسافة تبلغ نحو ٢٦ كم ، يجتاز المسلك ثلاثة وديان صغيرة ، ويتضمن قاع واحد منها موردا من الماء شبه دائم • ويستمر بعد أم قرون فى اتجاهه العام مسافة تبلغ نحو ٦٠ كم حتى يصل الى برك طليحات • ويمر خلال هذه المسافة ببعض مناطق تتوفر فيها المياه مثل مسيجد وحمد والحمام • وتتراوح المسافة بين بعض

---

(١٧) ينسب هذا الطريق الى السيدة زبيدة زوجة هارون الرشيد ، الخليفة العباسى • وقد اهتمت بتأمينه وتوفير موارد المياه فيه لضمان راحة حجاج العراق وبلاد فارس وما وراءها من بلاد ما وراء النهر • وذلك فى اوائل القرن التاسع الميلادى •

(١٨) عن هذا الدرب وتفاصيل اجزائه راجع (٤٧) ص ٣٩-٤٣ • ، (٣٠) ص ١٦٢ - ١٦٦ • ، (٦٢ - الجزء الثانى) ص ٤٤-٤٥ ، ٧٣ - ٨٠ ، ١٥٠ - ١٥٤ • وانظر أيضا الخريطة رقم ١٣ •

هذه المناطق وبين البعض الآخر بين ١٣-١٥ كم • وتتضمن طليحات آثار خزان كبير ، من الخزانات العميقة التى حفرتها السيدة زبيدة على هـــذا الدرب • ويستمر المسلك بعدها فى نفس اتجاهه تقريبا الى السجر • والسجر واحة تقع فى شرق الشبيكة ، كما تقع على مسافة نحو ١٧٥ كم من النجف • ويمر فيما بين برك طليحات وبين السجر بركة العامية وبمنطقة شعيب[19] السجر ، وهى منطقة سهلة تتوفر فيها المياه فى كثير من الآبار كما أنها تتحول فى فصل الربيع الى بساط اخضر بهيج • ويزداد انحراف المسلك من السجر نحو الجنوب خلال مسافة تبلغ نحو ٢٦ كم الى شرف • ويتضمن خلال هذه المسافة بعض صعوبات ولكن موارد المياه فيه لا تزال مع ذلك متوفرة •وتزداد صعوبات السطح خلال مسافة اخرى تبلغ نحو ١٧٥ كم فيما بين شرف وبين الجميمة ، وهى واحة تقع عند الحدود العراقية ـ السعودية • وذلك لانه يجتاز فى هذه المسافة بعض أراضى كثيرة الحجارة كما يجتاز عدة حافات • وهـذه الحافات وان كانت قليلة الارتفاع الا ان بعضها وعر • ويحمل تسميات ، منها الوجصة (الوقصة) والبطن وخشم الظفيرى[20] • الا انه بالرغم من هـذه الصعوبات فان موارد المياه فيه وكذلك المراعى لا تزال متوفرة فى مناطـق مراحله مثل الوجصة والشيحة والحوارة والصفـاوى والعقـوية وغيرها • والعقوبة تسمى ايضا العقبة • وقد كانت من أهم المحطات على درب زبيدة التى وجهت اليها عناية خاصة • وذلك لان الدرب بعدها يتضمن صعوبة كبيرة لحد ما • وهى صعوبة الصعود خلال مسافة تبلغ نحو ١٢ ك م • على ظهـر حافة البطن التى تشرف من جانبها الاخر على منخفض جلال البطن اشرافا حادا ومن ارتفاع يبلغ نحو ٤٥ مترا • ويصعب النزول على هذا الجانب الا عن طريق مسلك ضيق ووعر ايضا • ويتحول اتجاه المسلك بعد ذلك قليلا نحو الجنوب الى بركة عشابة ، خلال مسافة تبلغ نحو ٧٠ كم • ولا يتضمن خلال

---

(١٩) الشعيب هو الوادى الصغير •
(٢٠) انظر الخريطة رقم ١٣ •

هذه المسافة صعوبات تستحق الذكر الا عند اجتيازه منطقة بركانية تمتد نحو ١٢ كم • والسير فيها وان كان صعبا الا انها تتضمن بعض موارد المياه فى بركة الشاهية • وبالنظر لوعورة هذه المنطقة ، فان السيدة زبيدة قد وجهت عناية خاصة نحو محطة بركة الزبالة التى تقع قبيل الدخول اليها من جهـة الشمال • كما وجهت ايضا عناية خاصة الى محطة بركة العشابة التى تقـع ورائها عند الحافة الشمالية لشريط الدهناء • ويجتاز درب زبيدة هذا الشريط خلال مسافة تبلغ نحو ١٩ كم ثم يعود بعدها الى ارض صخرية تتضمن موارد للماء فى عدد من الاماكن من أهمها بركة العشاق التى كانت ايضا من اكبر الخزانات التى حفرت فى الصخور بأمر السيدة زبيدة • وبعد ان يترك المسلك هذه الارض الصخرية يدخل لسان ارض المضيوع ويجتاز رماله خلال مسافة تبلغ نحو ١٠ كم الى آبار تربة • واتجاه درب زبيدة فيما بين بركة الشاهية وبين تربة يكون نحو جنوب الجنوب الغربى ، كما ان امتداده مستقيم تقريبا• ولهذا يعتبر أقصر مسلك لاجتياز شريط الدهناء ولكن هذا القصر فى المسافة لا تقابله سهولة اجتياز الرمال وعلى الاخص بالنسبة لشريط الدهناء فى فصل الصيف • ولهذا فان الاتصالات تفضل ان تحول اتجاهها من بركة الشاهيـة نحو الجنوب الشرقى الى لينه حيث رمال شريط الدهناء عندها لا تمثل ظاهرة ارضية متميزة • ويتحول الاتجاه ثانية بعد لينه نحو تربة فى اتجاه نحـــو الجنوب الغربى • ويعرف فى امتداده بين لينه وبين تربة باسم درب السلمان• أما بعد تربة فان درب زبيدة يجتاز نطاقا من الارض قليلة الرمال الى آبـار الشعيبة • وعند هذه الواحة تكون الاتصالات القادمة من وادى الفرات قـد مرت من مدخل الجزيرة العربية الى داخلها • ويكون اتجاهها الطبيعى نحو حايل فى جبل شمر ، وعلى الاخص بسبب توفر موارد المياه عند حافة النفود فيما بين الشعيبة وبين حايل • على ان هذا ليس معناه ان اتصالات وادىالفرات مع داخل الجزيرة العربية قاصرة على هذا الاتجاه وحده بل ان لها اتجاها آخر نحو بريدة فى القصيم • والاتصالات القادمة من النجف نحو بريدة فى درب

زبيدة تأخذ اتجاه هذا الدرب من بركة الشاهية نحو واحة لينة • وكذلك تتجه نحو هذه الواحة الاتصالات القادمة فى الدروب الاخرى من السماوة ومن غيرها من بعض المواقع فى وادى الفرات • وتعبر هذه الاتصالات شريط الدهناء عند لينه ايضا ، وتقطع مسافة قدرها نحو ٣٢٠ كم فى اتجاه عام نحو الجنوب الى بريدة • ويتضمن مسلك الاتصالات خلال هذه المسافة صعوبات (٢١) اكبر مما يتضمنها اتجاهه بين لينة وبين حايل • وذلك لان أشرطة الرمال التى يجتازها أكثر تعددا ، كما ان سمك الرمال فيها اكبر • وكذلك لان الارض الصخرية التى يجتازها أكثر وعورة • اذ أنها هضبة مموجة وتضرس بعض اجزائها كبير نسبيا • أما موارد المياه فيها وكذلك المراعى فانها تتوفر فى بعض أجزائها وتقل فى البعض الآخر •

والخلاصة انه فيما بين مثلث النفود الذى يعترض المدخل الحر الى الجزيرة العربية من جهة الشمال وبين نطاق الدهناء الذى يعترض ايضا المدخل الحر اليها من جهة الشرق ، توجد ثغرة واسعة تتفتح نحو الشمال الشرقى فى مواجهة الوادى الادنى لنهر الفرات ولقد قامت بسبب ذلك اتصالات بين بعض مراكز العمران فى هذا الوادى وبين داخل الجزيرة العربية خلال مسلك او اخر فى البادية • الا انه بسبب تضمن هذه الثغرة بعض أشرطة من الرمال تختلف درجة السهولة فى اجتيازها بين منطقة وبين أخرى منها ، فقد اخذت الاتصالات الرئيسية اتجاها معينا عبر هذه الاشرطة الرملية بين بركة عشابة او لينة وبين الشعيبة مارة بتربة • وبذلك أصبحت حايل هى النهاية الطبيعية لهذا الاتجاه • ويوجد ، عدا هذا الاتجاه الرئيسى ، اتجاه آخر من لينة نحو بريدة • الا انه ، بسبب تضمنه بعض صعوبات اكبر مما يتضمنها الاتجاه الاول ، كانت الاتصالات التى سلكته كانت أقل أهمية • ومن الملاحظ أن المسالك أو الدروب التى سبقت الاشارة اليها قاصرة بدرجة كبيرة

---

(٢١) عن هذا المسلك وتفاصيل أجزائه ، انظر الخريطة رقم ١٣ • وراجع (٦٢ ـ الجزء الثانى) ص ٨٤ ـ ٨٦ •

على حمل الاتصالات بين وادى الفرات وبين داخل الجزيرة العربية نحو حايل فى جبل شمر ونحو بريدة فى القصيم • أما الاتصالات التى جرت بين منطقة شط العرب وبين هذا الداخل فان لها مسلكا آخر يبدأ من منطقة البصرة الى بريدة •

وهذا المسلك الذى يبدأ من منطقة البصرة فى دلتا شط العرب يتميز عن المسالك الاخرى التى تبدأ من وادى الفرات بانه مسلك محدد (٢٢) ، لا يخطىء سالكه هدفه نحو بدئه او نحو نهايته • ذلك لانه يتبع امتداد وادى البطن ، وهو وادى كبير ، يتراوح اتساعه بين ٣-٧ كم ويتضمن بعض أجزائه مراعى وموارد للماء • ويوجد والبدء الطبيعى لهذا المسلك فى منطقة الزبير او فيما حولها عند حافة الصحراء • ذلك لانه فيما بين هذه الحافة وبين شط العرب ، يوجد نطاق منخفض وفيضى التربة ، يصعب السير عليه عقب سقوط الامطار او عندما تطغى عليه مياه الفيضان •

وتقع الزبير فى جنوب جنوب غرب البصرة الحالية • وفى منطقتها توجد آثار البصرة القديمة • ومن المحتمل ان هناك قامت أيضا تريدون، الثغر الكلدانى • وفى الواقع ان منطقة الزبير تتضمن احتمالا كبيرا فى الماضى ولحدما فى الحاضر ، لقيام مركز تجارى كبير فيها • وذلك لانها تقع على الطريق الطبيعى الذى تفرضه ظاهرات السطح فى القسم الجنوبى من سهل العراق ، لسير القوافل القادمة من شرق البحر المتوسط نحو الخليج العربى كما ان اليها يتجه من هذا الخليج ذراع يعرف باسم خور الزبير ، يقال انه كان مصبا للفرات • ويتعرض هذا الخور لحركات المد والجزر التى تظهر مثل هذه الاذرع من الرواسب وتجعلها صالحة للملاحة • وفضلا عن ذلك ، فان عندها ينتهى وادى البطن ، وهو اصلح المسالك لنقل الاتصالات بين داخل الجزيرة العربية وبين الجهات التى تقع فى شرقها • والزبير فى الوقت الحاضر مدينة

---

(٢٢) عن هذا المسلك وتفاصيل أجزائه ، انظر الخريطة رقم ١٣ • وراجع (٦٢ ـ الجزء الثانى) ص ٣٠ ـ ٣١ ، ٨٩ ـ ٩٤ •

صغيرة ، وتعتمد فى حاجياتها المائية على الموارد الباطنية • ومعظم سكانها تجار أثرياء • وهم فى الاصل مهاجرون من القصيم ومن بعض الجهات الاخرى فى داخل الجزيرة العربية • والمسلك بينها وبين داخل الجزيرة العربية ، يبدأ منها متخذا اتجاها نحو الجنوب الغربى • ويمتد فى الاربعين كيلومترا الاولى منه ، خلال سهل منبسط ضعيف المعالم يبدو أنه يكون الدلتا القديمة التى كونها وادى البطن ، أو وادى الباطن كما يلفظ أحيانا • ويستمر بعدها محددا فى قاع هذا الوادى أو على أحد جانبيه • وبعد مسافة تبلغ نحو ٢٠٠كم يصل الى آبار الركعى (الرقعى) • وهو يصلح خلال هذه المسافة لسير السيارات فى جميع فصول السنة[٢٣] • كما أن الاراضى التى تكتنفه تتضمن بعض المراعى • كما تتضمن أيضا بعض موارد للمياه ، وعلى الاخص فى قاع الوادى حيث هناك تكثر مناطق الخبرات والغدران • ومن الملاحظ أن هذه الموارد المائية سطحية مؤقتة • الا أنه يبدو أن العناية الموجهة الى توفير المياه فى هذا الطريق الهام كانت أثناء نشاط سير الاتصالات فيه فى الماضى ، أعظم بكثير مما هى الآن • وآبار الركعى هى أول مورد دائم للمياه فيه فى الوقت الحاضر • ولهذا تتجه نحوها مسالك أخرى جانبية ، يأتى بعض منها من جهة وادى الفرات ويأتى البعض الآخر من جانب خليج الكويت • وتقع الركعى فى داخل أراضى المملكة العربية السعودية وبالقرب من الرأس الشرقى لمنطقة الحياد بينها وبين العراق • ويزداد بعدها توفر موارد المياه والمراعى على طول المسلك • ويوجد عند الحفر ، وهى واحة تقع على مسافة نحو ٩٠ كم من الركعى، نحو ٤٠ بئرا فى قاع وادى البطن، ومنها ثلاثة تعطى موارد غزيرة من المياه العذبة • ويصب فى وادى البطن عند الحفر واديان جانبيان • يأتى أحدهما من جهة الشمال ويعرف باسم فليجه الشمالية ويأتى الآخر من جهة الجنوب ويعرف باسم فليجه الجنوبية •

---

(٢٣) راجع (٤٧) ص ٤٨ ـ ٤٩ •

والوادى الشمالى ، يتبع بعض امتداده مسلك جانبى آت من الناصرية عن طريق البصيّة ، وهى واحة فى داخل أرض العراق • ويبدأ نطاق الدهناء على مسافة نحو ١٣٥ كم من آبار الحفر • وفى خلال هذه المسافة ، يشاهد وادى البطن أكثر تحددا • فهناك يضيق مجراه ويزداد عمقه ، كما تشرف عليه ضفافه مرتفعة وباجراف حادة • كما تشاهد وديان كثيرة تتصل به من الجوانب • وبسبب ذلك ازداد فى هذا الامتداد ، توفر موارد المياه ، كما ازداد توفر المراعى • وهناك تنمو أيضا أعشاب فى بعض المناطق كما تنمو بعض الشجيرات وبعض أشجار السدر • وفى هذا الامتداد الغنى بمياهه ومراعيه وبعض المواد الخشبية للوقود تعيش فى الوقت الحاضر مطير ، وهم عشائر تغلب فى حياتهم الناحية البدوية • الا أن الآبار المطمورة هناك وآثار العمران القديم ، تدل على أن الحياة فى هذا الجزء من وادى البطن ، كانت فى الماضى أكثر ضمانا واستقرارا مما هى الآن •

وشريط الدهناء الذى يعترض سير الاتصالات فى هذا المسلك نحو داخل الجزيرة العربية ، ضيق نسبيا ، اذ أن اتساعه لا يتجاوز نحو ٩ كم • ورماله هناك تطمس معالم قاع وادى البطن ، ولكنها قليلة السمك على جانبيه المرتفعين • ولهذا فان اجتيازها على هذين الجانبين لا يعتبر صعوبة كبيرة • وبعد اجتياز هذا الشريط ، يستمر بعض الاتصالات فى وادى البطن الى بريده • أما البعض الآخر فانه يتحول عنه ويجتاز الى آبار عجيبه ، مسافة نحو ٦٠ كم ، خلال سهل صخرى مموج السطح ويتضمن حافات قليلة الارتفاع وتلالا كما يتضمن كثيرا من الوديان • وتتوفر فى مراحل هذه المسافة موارد المياه كما تتوفر بعض المراعى • وعجيبة واحة تقع فى وادى ضيق يتضمن كثيرا من الآبار ، وفى غربها يقع شريط رمال البطاح • إلا أنه توجد حافة تعرف باسم عريج الاسيّة تقع فى غربها مباشرة وتحميها من طغيان رماله • ويتكون شريط البطاح هناك من سبعة نطاقات ، يختلف اتساع بعضها عن البعض الآخر ، ويتراوح هذا الاتساع فى المتوسط بين ٢-٣ كم•

وتحمل هذه النطاقات تسميات محلية خاصة • والمسلك يجتازها فى اتجاه عام نحو الجنوب ، وهو اتجاه مباشر نحو بريدة • وفيما بين شريط البطاح وبين بريدة ، يجتاز المسلك سهلا مموجا واسع العمران •

ومما تقدم لاحظنا أن لداخل الجزيرة العربية ، مدخل يواجه سهل العراق وحافاته• وان الاتصالات المارة بينهما خلال هذا المدخل، لها مسلكان رئيسيان • يبدأ أحدهما من بعض الثغور فى وادى الفرات ويجتازه فى قسمه الشمالى عند رأس مثلث النفود ، ويدخل اليه من بركة عشابه أو من واحة لينه ، ثم يمر بتربة والشعبية • وتعتبر حايل ، وهى فى الوقت الحاضر أهم مدينة فى جبل شمر ، نهاية طبيعية له • أما المسلك الآخر وهو يبدأ من منطقة الزبير ، فانه يجتازه فى قسمه الجنوبى عند رأس الدهناء الاصلية • وهو يتبع بدرجة كبيرة امتداد وادى البطن ويمر بعجيبة • وتعتبر بريدة وهى أهم مدينة فى القصيم ، نهاية طبيعية له • وفيما بين هذين المسلكين ، توجد أيضا بعض مسالك أخرى تصل بينهما • ولكن الملاحظ أن معظم الاتصالات المارة عليها ، تتجه اما نحو بعض ثغور وادى الفرات واما نحو بريدة •

ب ـ صحراء الدهناء

تطلق تسمية الدهناء بصفة عامة على نطاق ضخم من الرمال يبلغ طوله نحو ١٠٠٠ كم • وهو يمتد فى شكل قوس ينبعج نحو الخليج العربى ويصل بين رمال النفود وبين رمال الربع الخالى (٢٤) • الا أنها تطلق بصفة خاصة على قسمه الواقع جنوب وادى البطن ، والذى يفصل بين الكويت والاحساء على الخليج العربى من جهة وبين مناطق القصيم والسدير فى داخل الجزيرة العربية من جهة أخرى • ويمتاز هذا القسم بأنه مكون فى معظم أجزائه

(٢٤) انظر الخريطة رقم ١٣ • وراجع (٦٢ ـ الجزء الاول) ص ٣٩٣ ـ ٣٩٥ • ، (٦٢ ـ الجزء الثانى) ص ٩٨ ـ ١٠٣

من أشرطة طولية من الرمال ، ويختلف الاتساع بين بعضها وبين البعض الآخر • وفى هذا الاتساع توجد أشرطة أخرى غير رملية • وهى مختلفة الاتساع أيضا • وتمثل أشرطة الرمال فى بعض المناطق تتابعا من خطوط كثبان رملية متصلة بينما تتقطع فى بعض المناطق الاخرى وتبدو فى شكل تلال من الرمال ذات أشكال متنوعة• وفى مثل هذه المناطق الاخيرة يسهل اجتياز الدهناء • على أن الدهناء بصفة عامة أسهل اجتيازا من النفود ومن الاحقاف بسبب طبيعة تكوينها من أشرطة ضيقة من الرمال ومن أشرطة أخرى غير رملية • لان هذا التكوين يعطى فرصا متعددة للقوافل كى تستريح بين مرحلة وبين أخرى من مراحل سيرها • كما تعطيها أيضا فرصا للحصول على موارد للمياه عند نهاية هذه المراحل ، وذلك بحفر آبار عند حافات أشرطة الرمال • والدهناء بهذه الخصائص ، وان اعتبرت حاجزا جغرافيا ، الا انها بصفة عامة لا تعتبر حاجزا بشريا بمثل ما تعتبر صحراء الربع الخالى مثلا أو النفود• وفى الواقع ، ان آلافا من الرعاة يرون فى فصل الربيع منتشرين ومعهم حيواناتهم على جوانب الدهناء وفى داخلها • كما ترى بعض قوافل الابل تجتازها بين جانب وبين آخر فى أكثر من موضع • ولا يستغرق ذلك منها فى بعض ممرات أكثر من ست ساعات • ولا يقتصر امكان اجتياز الدهناء على قوافل الابل فحسب ، بل ان السيارات تجتازها أيضا فى الوقت الحاضر ، وتستغرق فى ذلك نحو ثلاث ساعات (٢٥) • ومن المعروف أن هناك مشروع يجرى تنفيذه حاليا لمد خط لسكة الحديد عبرها بين الرياض وبين الاحساء (٢٦) •

ولقد سبقت الاشارة الى شريط الدهناء الذى تجتازه عند بركة عشابة وعند لينة ، الاتصالات العراقية القادمة من وادى الفرات • ونسبة هذا الشريط الى الدهناء تعتبرا تجاوزا ، لانه فى الواقع من نوع تكوين النفود ،

(٢٥) راجع (٢٠٦) ص ١٤٨ ـ ١٤٩ •
(٢٦) تم انجاز هذا الخط فعلا فى الوقت الحاضر •

ويبدو كذراع ممتد منها • وكذلك يعتبر من نوع تكوين النفود ، القسم الشمالى من نطاق الدهناء الذى يمتد نحو ٨٠ كم فى جنوب شرق منفذ وادى الرمة مباشرة • ويبلغ اتساع الرمال فى هذا القسم نحو ٢٤ كم ، كما ترتفع ذرى بعض كثبانه فوق السهول المجاورة بنحو ٦٨ مترا (٢٢٥ قدما)• أما فى جنوبه ، فيبدأ التكوين الحقيقى للدهناء • وهناك تتمثل فى نطاق يبلغ اتساعه نحو ٢٩ كم ، ويتكون من أربعة أشرطة من الرمال • وتتدخل بين الواحد منها والآخر أشرطة أخرى من الارض غير رملية • ويتراوح اتساع أشرطة الرمال بين أقل من ١ كم وبين نحو ٦ كم ، ونحو ذلك أيضا ، يتراوح اتساع أشرطة الارض غير الرملية • ومن ذلك يستنتج أن اجتياز القوافل لهذا الجزء من الدهناء أسهل من اجتيازها القسم الآخر الذى يقع فى شماله ، وهو المكون من نوع النفود • وفى الواقع أن هذا الجزء من الدهناء تسلكه الاتصالات كثيرا • وبعض منها يأتى فى مسلك مباشر يصل بين خليج الكويت وبين بريدة عن طريق بير الصفا وواحة زلفى (٢٧) • أما البعض الآخر فانه يتحول اليه من مسلك وادى البطن عند الحفر • والى الجنوب من هذا الجزء ، يتسع تدريجيا نطاق الدهناء ويصل الى نحو ٣٧ كم• الا أن عدد أشرطته الرملية يزداد أيضا ، ويصل الى سبعة • ولهذا فان فرص اجتيازه لا تزال متوفرة • وفى الواقع ، ان هناك ممرا يجتازه مسلك رئيسى فى الوقت الحاضر ، ويصل بين بير الصفا وبين الرياض عن طريق الرميحية، وهى واحة كبيرة فى السدير •

وفى جنوب هذا المسلك الرئيسى ، يتسع كثيرا نطاق الدهناء ، ويصل فى أقصى اتساعه الى نحو ٨٠ كم • ولكن هناك لا يتفق مع هذه الزيادة الكبيرة فى الاتساع وزيادة فى عدد أشرطة الرمال • فانها لا تزال سبعة ، كما هى فى الجزء الواقع شمال هذا المسلك والذى يبلغ اتساعه نحو ٣٧ كم•

---

(٢٧) انظر الخريطة رقم ١٣ • وراجع ايضا (٦٢ ـ الجزء الثانى) ص ٣١ـ٣٢، ٩٤ـ٩٧ •

وفى هذا الامتداد الواسع ، يلاحظ أيضا زيادة فى اتساع أشرطة الرمال • كما تلاحظ زيادة فى ارتفاع ذرى كثبانها، حتى ليعلو البعض منها فوق السهول المجاورة بنحو ٩٠ مترا • وفى الواقع ان هذا الامتداد من نطاق الدهناء يمكن اعتباره حاجزا جغرافيا وبشريا معا • أما فى جنوبه فان نطاق الدهناء وان استمر محتفظا ببعض اتساعه ، الا أنه يفقد تدريجيا ضخامة ارتفاعه • وبهذا ، تتوفر فرص لاجتيازه خلال مسالك تصل بين بعض المواقع على الخليج العربى من جهة وبين الرياض أو بريدة من جهة أخرى (٢٨) • والى الجنوب من ذلك ، يزداد ضعف نطاق الدهناء من جهة الارتفاع ومن جهة الاتساع • وهناك ، يجتازه فى الوقت الحاضر أهم مسلك يصل بين ساحل الاحساء وبين الرياض • وربما كان أيضا أهم مسلك اجتازه خلال بعض أدوار التاريخ القديم ، وعلى الاخص فى الاوقات التى كانت فيها ميناء الجرع أو الجرعاء – Jerrha أهم ميناء على الخليج العربى (٢٩)• وفى جنوب هذا المسلك يتحول اتجاه قوس الدهناء تدريجيا الى جهة الجنوب ثم الجنوب الغربى ، مبتعدا عن الخليج العربى الى حيث يتصل بصحراء الربع الخالى فى شرق هضبة عسير • والخلاصة ان نطاق الدهناء يتضمن فى جنوب منفذ وادى الرمة ، أربع مناطق يمكن أن تجتازه الاتصالات منها ، بين بعض المواقع على ساحل الكويت وعلى ساحل الاحساء وبين الرياض أو بريدة فى داخل الجزيرة العربية • ويمكن أن تنتقل خلال المناطق الثلاث الشمالية بعض الاتصالات العراقية عن طريق الحفر • أما المسلك الرابع فانه قاصر على نقل الاتصالات بين ساحل الاحساء وبين الرياض •

---

(٢٨) راجع (٩٩) ص ٥٨٣ـ٥٨٤ •

(٢٩) على مقربة من العقير ، المرفأ الصغير على ساحل الاحساء ، توجد خرائب قديمة • ويعتقد بعض الباحثين أنها تقوم فى موضع الجرع • راجع (٤١) ص ١٤٠ وحاشيتها •

ج – اتجاهات سير الاتصالات العراقية من حايل

تعتبر حايل ، فى الوقت الحاضر ، أهم مراكز العمران فى هضبة جبل شمر [٣٠] • وهى تقع فى القسم الشمالى الشرقى من هذه الهضبة وعلى مقربة من الحافة الجنوبية للنفود • وتغذيها المياه السطحية والباطنية فى وادى خصب يجتاز سهل البطن الذى يقع بين جبل أجا وبين جبل سلمى• ويشتهر هذان الجبلان أيضا باسم جبلى طى ، وكذلك باسم جبل شمر • وهما عبارة عن حافتين من صخور الجرانيت [٣١] ، ويمتدان متوازيين فى اتجاه بين الشمال الشرقى وبين الجنوب الغربى • ويحدد جبل أجا امتداد سهل البطن من جهة الغرب خلال مسافة يبلغ طولها نحو ١٦٠ كم • وهو بهذا الامتداد يحمى هذا السهل من طغيان رمال النفود عليه • الا أنه يقفل منفذه من جهة الغرب ويحدد سير اتصالاته بالالتفاف حوله اما من جهة الشمال الغربى أو من جهة الجنوب الغربى • واما خلال ثغرة فيه تعرف باسم ممر ربع السلف ، وهى تقع على مسافة قصيرة جنوب غرب حايل • وبعبارة أخرى ان للاتصالات العراقية بعد وصولها الى حايل ثلاثة اتجاهات• الاتجاه الاول نحو الشمال الغربى وحول الطرف الشمالى الشرقى لجبل أجاء ولهذا الاتجاه منفذان ، أحدهما فى ممر جبه عبر النفود الى منخفض الجوف [٣٢] ، والآخر على طول الحافة الجنوبية للنفود الى تيماء [٣٣] • أما الاتجاه الثانى فنحو الجنوب الغربى ، اما خلال ممر ربع السلف واما حول الطرف الجنوبى الغربى لجبل أجا • ولهذا الاتجاه ثلاثة منافذ حددتها

---

(٣٠) انظر الخريطة رقم ١٣ • وراجع أيضا (٦٢ – الجزء الاول) ص ٣٧٤ – ٣٧٦ •

(٣١) راجع (٢٣٥) ص ٣٧٥ •

(٣٢) عن هذا المنفذ وتفاصيل مواقعه ، راجع (٦٢ – الجزء الثانى) ص ٢٤ – ٢٥ ، ٦٧–٧٠ •

(٣٣) عن هذا المنفذ وتفاصيل مواقعه ، راجع (٦٢ – الجزء الثانى) ص ١٤٧– ١٤٨ •

ظاهرات القسم الغربى من هضبة جبل شمر • ذلك لان هذا القسم الذى يرتفع مستواه بصورة عامة نحو الغرب ، يبدو مغلقا فى هذا الاتجاه بحرة خيبر من جهة الجنوب الغربى وبحرة أثنان من جهة الغرب ، وكذلك بحافات أخرى من التلال مثل حلوان وارنان والمسما • وفيما بين البعض هذه الحواجز الجغرافية وبين البعض الآخر ، توجد ثلاثة مسالك تنتهى الى منفذ الجزيرة العربية من جهة الشمال الغربى [٣٤] • وهذا المنفذ هو الممر الذى مد خلاله خط سكة حديد الحجاز الى المدينة • وهو يقع بين الحافة الغربية لهضبة جبل شمر وكذلك الحافة الغربية للنفود من جهة وبين القسم الشمالى من جبال الحجاز وكذلك جبال مدين من جهة أخرى • ويستنتج من ذلك أن الاتصالات العراقية القادمة فى هذه المسالك الثلاثة نحو هذا الممر ، اما ان تتجه خلاله نحو الشمال الى تيماء واما أن تتجه خلاله نحو الجنوب الى المدينة ، وفى وادى القرى [٣٥] ، وعن طريق مداين صالح والعلا • الا أن هذا الاتجاه الاخير ليس هو الاتجاه الطبيعى لسير الاتصالات العراقية من حايل نحو المدينة •

والطريق الطبيعى لسير هذه الاتصالات من حايل نحو المدينة ، يتبع اتجاه المسلك المشهور باسم درب زبيدة أو باسم درب الحاج • وهذا المسلك بعد أن يدخل الى سهل البطن من جهة الشمال نحو حايل يستمر خلال هذا

---

(٣٤) راجع (٦٢ – الجزء الاول) ص ٣٧٤ وما بعدها • ، (٦٢ – الجزء الثانى) ص ١٤٣ – ١٤٨ •

(٣٥) وادى القرى ، وادى هام يقع بين العلا وبين المدينة ، ويمر به طريق القوافل القديم الذى كان شريانا من شرايين الحركة التجارية فى العالم القديم • ويقال له « وادى الديدبان » • ويصب فيه واديان ، هماوادى جزل من الشمال ووادى الحمض من الجنوب • ويلتقى به وادى آخر ، هو وادى التبج (ثبك – Thebek الذى ينبع من جبل ابيض فى حرة خيبر) أى وادى السلسلة • وكان عامرا جدا ، تكثر فيه المياه وتشاهد به اليوم آثار المدن والقرى • انظر هذا فى (٤١) ص ١٢٩ – ١٣٠ •

السهل بين جبل أجا وبين جبل سلمى ، نحو الجنوب والجنوب الغـــربى • وهضبة جبل شمر تنفتح فى هذا الاتجاه • ويجرى خلال قسمها الجنـوبى عدد من الوديان تنبع من مناطق المرتفعات على سطح هذه الهضبة ومن مناطق الحرار عند حافتها الغربية • ويتجه بعض هذه الوديان نحو الشرق ونحـو الجنوب الشرقى ويكون منابع لوادى الرمة ، بينما يتجه البعض الآخر نحـو الجنوب ونحو الجنوب الغربى ويكون وادى اضم الذى يكون منبعا لـــوادى الحمض فى شرق المدينة • ولقد أدى تعدد الوديان فى هذا القسم الجنـــوبى من هضبة جبل شمر الى تعدد الفرص لقيـــام الواحات فى بعض المناطـــق وللحصول على موارد للمياه فى بعض مناطق أخرى أيضا• وبالتالى أدى الى توفر المسالك أمام سير الاتصالات بين حايل وبين المدينة • وفى المناطـــق الصحراوية ، تبدو المميزات البسيطة كبيرة الاهمية فى تفضيل السير عـــلى مسالك دون آخر • فمثلا الواحات الكبيرة وكذلك موارد المياه الوفـــيرة فى بعض الآبار تبدو عامل جذب تتجه اليه القوافل الكبيرة ، بينما قد لا تبـــدو كذلك بالنسبة للقوافل الصغيرة • وقوافل الحج هى بلا شك من القوافـــل الكبيرة • ولهذا فان طريق درب زبيدة كما أعد فى عهد هذه السيدة ، أى فى أوائل القرن التاسع الميلادى ، لسير قوافل الحج بين حايل وبين المدينة ، ليس من الضرورى أن يكون هو الطريق الذى كان مستخدما قبل عهد هذه السيدة • ومع ذلك فانه يبدو أن بعض أجزائه على الاقل قد استخدمت فـــى كل العصور • لاننا اذا استثنينا أجزاءه التى تتضمن بعض التعرج مثل جزئه الواقع بين قفار (جفار) وبين مستجدة ، نجد أن أجزاءه الاخرى تقع فـــى الاتجاه المباشر بين حايل وبين المدينة •

وأما الاتجاه الثالث لسير الاتصالات العراقية من حايل ، فانه نحـــو الجنوب الشرقى الى بريدة • وهضبة جبل شمر تبدو أيضا مغلقة من جهة الشرق والجنوب الشرقى • فهناك جبل سلمى الذى يحدد سهل البطن من جهة الشرق • وهذا الجبل وان كان أقل ارتفاعا من جبل أجا الا أنه أطول

منه امتدادا • والاراضى التى تكتنفه من جهة الجنوب الشرقى ومن جهـــة الجنوب سهلة • وهى وان كانت تتضمن بعض مناطق من البازلت كما تتضمن تلالا وحافات تسبب صعوبة أمام سير الاتصالات ، الا أنه توجد ثغرات تفصل بين بعض هذه المرتفعات وبين البعض الآخر• وفى خلال معظم هذه الثغرات جرت وديان ، وبعض منها يتجه نحو الجنوب الى وادى الرمة ، وبعض ثان يتجه نحو الشرق والجنوب الشرقى الى القصيم الاعلى ، بينما البعض الآخـر يتجه نحو الشمال الشرقى الى سهل سعيرة •

وسهل سعيرة وفى جنوبه القصيم الاعلى يكونان نطاقا سهليا يقع بـين الحافة الشرقية لهضبة جبل شمر من جهة الغرب وبين شريط رمال البطاح من جهة الشرق • كما تحدده النفود من جهة الشمال• أما من جهة الجنوب فانه يتفتح نحو بريدة على المجرى الاوسط لوادى الرمة • وتنحدر نحـو هذا النطاق السهلى وديان من المرتفعات التى تكتنفه • وقد قامت على موارد المياه السطحية والباطنية فى هذه الوديان واحات تتضمن بعض قرى كبيرة مثل فايد (أو فيد) التى كانت قبل حايل المركز الاول للعمران فى جبل شمر • ومثل عيون القصيم ، وقد قدر عدد سكان هذه الواحة الاخيرة عند قيام الحرب العالمية الاولى بنحو ٤٠٠٠ نسمة • وتمر بواحات هذا النطاق السهلى وبمناطق موارد المياه فيه بعض مسالك[٣٦] يمكن أن تنتقل خلالها بعض الاتصالات العراقية من حايل نحو بريدة •

ومما تقدم يستخلص أن للاتصالات العراقية من حايل ثلاثة اتجاهات، ولكل اتجاه منها عدة مسالك• وأحد هذه الاتجاهات نحو الغرب الى تيماء ، والثانى نحو الجنوب الغربى الى المدينة ، والثالث نحو الجنوب الشرقى الى بريدة • ولكن يلاحظ أنه بينما تتوفر بعض مسالك أخرى يمكن ان تنتقـل خلالهـــا الاتصـــالات العراقية مباشـرة نحو بريدة دون أن تضطر للمرور

(٣٦) راجع هذه المسالك وعن تفاصيل مواقعها ، الخريطة رقم ١٣ • وراجع أيضا (٦٢ ـ الجزء الثانى) ص ٣٥ ـ ٣٦ ، ١١٣ ـ ١١٤ •

بحايل ، فان مثل هذه المسالك المباشرة لا تتوفر نحو تيماء أو نحو المدينة • ومعنى هذا أن القسم الاكبر من الاتصالات العراقية بعد وصوله الى حايل يتجه اما نحو تيماء واما نحو المدينة • أما الاتصالات المتجهة نحو تيماء فقد سبقت الاشارة الى أنها ، اما أن تستمر نحو الشمال الى بطرى ، واما أن تتجه نحو الشمال الشرقى الى وادى سرحان • والنهاية الطبيعية لهذين الاتجاهين اما مصر واما العالم السورى • ومع ذلك تنبغى ملاحظة أن هذه النهاية هى أيضا النهاية الطبيعية لمسالك أخرى أكثر منها أهمية ، وعلى الاخص مسالك الحوض الاوسط لنهر الفرات • وعلى ذلك يكون سير الاتصالات العراقية من حايل نحو العالم المصرى ـ السورى عن طريق تيماء ، وان كان ممكنا ، الا أنه ليس طبيعيا • واذا حدث على نطاق واسع فانما يكون تحت تأثير عوامل بشرية أدت الى عرقلة سير الاتصالات العراقية خلال مسالكها الطبيعية نحو شرق البحر المتوسط ، كما حدث فى أوقات الصراع بين البطالسة وبين السلوكيين وكذلك بين الفرس وبين الرومان •

وأما الاتصالات العراقية المتجهة نحو المدينة ، فان لها من هذه المدينة ثلاثة منافذ • المنفذ الاول منها يكون نحو الشمال الى العالم المصرى ـ السورى عن طريق تيماء • والمنفذ الثانى يكون نحو الجنوب الى بلاد اليمن عن طريق مكة • أما المنفذ الثالث فنحو البحر الاحمر • والمنفذ الاول قد أوضحنا أهميته فيما سبق • أما المنفذ الثانى فيلاحظ أن هناك بعض مسالك أخرى تنافسه فى نقل الاتصالات العراقية الى اليمن ، وهى تبدو من بعض النواحى الجغرافية أكثر أهمية منه ، وسنشير اليها بعد قليل • واما المنفذ الثالث فنحو عالم البحر الاحمر فلا يوجد منافس له • ويتضمن هذا المنفذ عدة مسالك تجتاز جبال الحجاز وتصل بين المدينة وبين ساحل تهامة • وجبال الحجاز تمثل أخفض جزء فى نطاق المرتفعات الغربية المشرفة على البحر الاحمر (٣٧) • وهناك يتحول هذا النطاق من مظهره الجبلى الذى يبلغ

---

(٣٧) انظر الخريطة رقم ١٣ • وراجع أيضا (٦٢ ـ الجزء الاول) ص ٩٦ـ٩٨ •

ارتفاعه نحو ٢٥٠٠ متر فى جبال مدين فى الشمال وفى جبال عسير واليمن فى الجنوب ، الى هضبة مموجة السطح يتراوح ارتفاعها بين ٥٠٠ ـ ١٠٠٠ متر • وتتضمن فى بعض أجزائها مناطق أخرى أكثر انخفاضا من هذا المستوى ، الا أنها تتضمن أيضا بعض قمم أعلى منه وتصل الى نحو ١٥٠٠ متر مثل قمة جبل رضوى • وأهم المسالك فى الوقت الحاضر التى تصل بين المدينة وبين ساحل البحر الاحمر ، مسلك وادى الصفرة أو الصفراء (٣٨) الذى يصل بينها وبين ينبع • وهو مسلك طبيعى ، ولهذا يبدو أنه استمر محتفظا بأهميته خلال أدوار التاريخ • ويوجد مسلك طبيعى آخر ينافسه ، وقد تفوقت أهميته كثيرا خلال بعض أدوار التاريخ ، وعلى الاخص فى العصر الاغريقى • ويتبع هذا المسلك امتداد وادى الحمض الذى يصب فى البحر الاحمر جنوب الوجه بنحو ٤٥كم • ومما يتميز به وادى الحمض أنه واسع ويجرى بانحدار تدريجى خلال أرض يقل مستواها عن ٥٠٠ متر • وكذلك يمتاز بأنه ذو منابع متعددة ، يأتى بعض منها من جهة الجنوب ، من منطقة المدينة ، وهو يعرف بوادى الحمض • ويأتى بعض ثان من جهة الشرق من حرة خيبر وما يجاورها من بعض المرتفعات ومن أهمها وادى نبك ووادى تيثان • ويأتى بعض آخر من جهة الشمال ، من جبال مدين ، وأهمها وادى جزيل (٣٩) • وقد أدى تعدد منابعه من اتجاهات مختلفة الى توفر موارد المياه فيه ، والى قيام بعض الواحات والقرى • كما أن هذه المنابع التى يختلف اتجاه البعض منها عن اتجاه البعض الآخر قد استخدمت مسالك لسير الاتصالات من اتجاهاتها المختلفة ونحوها • ومن المعروف ان خط سكة حديد الحجاز قد مد على طول وادى جزيل ـ أعالى وادى الحمض (٤٠) •

---

(٣٨) والصفراء واد من ناحية المدينة كثير النخل والزرع فى طريق الحاج سلكه الرسول غير مرة ، وعليه قرية الصفراء ، ماؤها عيون تجرى الى ينبع • انظر هذه الاشارة فى (٤١) ص ١٢٩ •

(٣٩) يعرف المنخفض الذى يجرى فيه وادى الحمض من جهة الجنوب ووادى جزل من جهة الشمال بأسم وادى القرى •

(٤٠) انظر الخريطة رقم ١٣ •

ومن أهم ما يتميز به مسلك وادى الحمض ، انه حيث ينتهى على الساحل الشرقى للبحر الاحمر ، يقابله على الساحل الغربى لهذا البحر ميناء القصير . وقد كان هذا الميناء فى بعض أدوار التاريخ القديم أهم ميناء لمصر . ومنه يبدأ طريق وادى الحمامات خلال الصحراء الشرقية الى قفط على النيل . وقد كان هذا الطريق أيضا أهم طريق يحمل الاتصالات المصرية مع عالم البحر الاحمر . ولهذا لا يبدو بعيد الاحتمال ان كانت للمصريين صلات بمسلك وادى الحمض منذ عهد الاسرة القديمة . فقد كانت لهذه الاسرة سفن تجارية فى البحر الاحمر ، وقد امتد نشاطها وراء سواحل هذا البحر الى بلاد بنت على جانبى مضيق باب المندب . ومن المعروف انه كانت للمصريين فى عهد البطالمة صلات بهذا المسلك ، وانهم أقاموا لهم عند نهايته على ساحل البحر الاحمر ميناء أمبيلون Ampelon وهو الميناء الذى استولى عليه الانباط بعد ضعف أمر البطالمة ، وأطلقوا اسم ليوكوم (٤١) Leucecome

والخلاصة أن الاتصالات العراقية القادمة من حايل نحو المدينة ، لها ثلاثة منافذ ، وأهمها المنفذ المتجه نحو البحر الاحمر .

د ـ اتجاهات سير الاتصالات العراقية من بريدة

تقع بريدة فى القصيم ، على المجرى الاوسط لوادى الرمة . وتتمتع بيئتها الجغرافية بظروف خاصة تجعلها من البيئات القليلة فى داخل الجزيرة العربية التى تستطيع أن تكتفى بمواردها الغذائية ، كما تجعلها أهم مركز تتجه نحوه الاتصالات من اتجاهات مختلفة . وهذه المميزات جعلتها مدينة كبيرة يبلغ عدد سكانها نحو ٣٠٫٠٠٠ نسمة . كما جعلتها سوقا من أكبر الاسواق فى داخل الجزيرة العربية بصفة عامة ، وبصفة خاصة ، أكبر سوق لتجارة الابل فى هذا الداخل وربما فى العالم أيضا (٤٢) . ولقد

(٤١) راجع (١١٨) ص ٥٨ وحاشيتها .
(٤٢) See, Twitchell, K.S.; Saudi Arabia, New-York,1947, pp. 66-7.

جعلت هذه المميزات أيضا سكان بريده ، وكذلك توأمتها عنيزه وما يكتنفهما من بعض واحات القصيم ، أكثر سكان داخل الجزيرة العربية اتصالا بالعالم الخارجى . وفى الواقع ان أكثر من يعرفون باسم التجار النجديين فى مصر وسوريا والهند وغيرها والذين يكثر عددهم فى العراق وبصفة خاصة فى منطقة البصرة هم من أهل القصيم (٤٣) .

ولقد سبقت الاشارة الى أن الاتصالات العراقية تأتى الى بريده من ثلاثة اتجاهات . أحدهما من وادى الفرات عن طريق لينه والثانى من الزبير فى منطقة شط العرب عن طريق وادى البطن ، والثالث من حايل خلال سهل سعيره والقصيم الاعلى . أما منافذ هذه الاتصالات من بريده نحو داخل الجزيرة العربية فعددها أربعة . يتجه واحد منها نحو الشمال الغربى الى حايل ، ويتجه الثانى نحو غرب الجنوب الغربى الى المدينة ، ويتجه الثالث نحو الجنوب الغربى الى مكة ، أما الرابع فانه يتجه نحو الجنوب الشرقى الى الرياض (٤٤) .

والمنفذ الاول بين بريدة وبين حايل ، سبقت الاشارة اليه عند الكلام على منافذ الاتصالات العراقية من حايل . أما المنفذ الثانى نحو المدينة ، فانه يسير فى منخفض واسع يفصل بين هضبة جبل شمر من جهة الشمال وبين هضبة نجد من جهة الجنوب ، ويجرى فى قسمه الشرقى وادى الرمه نحو بريده ، كما يجرى فى قسمه الغربى وادى اضم نحو المدينة (٤٥) . ووادى الرمه يبدو كما لو كان مجرى لنهر قديم ، ومثل ذلك أيضا يبدو وادى اضم (٤٦) . ويمتاز هذا المنفذ بأن اتجاهه مباشر تقريبا . كما يمتاز بصلاحيته لسير الاتصالات الكبيرة ، فقد سلكته القوات المصرية أكثر من مرة أثناء حروب

(٤٣) راجع (٣٧) ص ٦٠ـ٦١ .
(٤٤) انظر الخريطة رقم ١٣ .
(٤٥) انظر الخريطة رقم ١٣ .
(٤٦) راجع (٥١) ص ٥٥ ، ٧٧ .

محمد على مع الوهابيين[٤٧] • ولقد سبقت الاشارة الى منافذ الاتصالات العراقية من المدينة ، والى أن أهمها الاتجاه نحو ساحل البحر الاحمر • وأما المنفذ الثالث نحو مكة ، فيعرف باسم الدرب السلطانى[٤٨] • وتبدو من هذه التسمية أن أهميته كانت كبيرة فى بعض أدوار التاريخ • وهو يجتاز هضبة نجدفى اتجاه مباشر • ويتبع فى قسمه الاول امتداد وادى الرمه الى واحة الرأس ، ثم يتحول عنه الى أحد روافده الذى ينبع من نطاق مرتفعات جبل مخامير فى هضبة نجد • ويمتد مسلك الدرب السلطانى فوق هذه الهضبة مارا ببعض واحات عتيبة ، ثم يجتاز ممر الركبة ، بين بعض الحرات ، الى السيل ومنها الى مكة • ومنافذ الاتصالات العراقية الجارية فى الدرب السلطانى لها من مكة ثلاثة اتجاهات • أحدها نحو الشمال الى المدينة ، ولا تبدو له أهمية تذكر من وجهة نظر الاتصالات العراقية • لان هذه الاتصالات اذا كانت قادمة من وادى الفرات نحو المدينة ، فان مسلكها الطبيعى يكون عن طريق حايل • واذا كانت قادمة من الزبير فى منطقة شط العرب ، فان مسلكها الطبيعى يكون منخفض وادى الرمة – وادى اضم ، مباشرة عن طريق بريدة • أما الاتجاه الثانى فنحو الغرب الى ساحل البحر الاحمر • وهو اتجاه هام بلا شك وعلى الاخص فى أدوار التاريخ القديم حين كانت الملاحة الساحلية تلعب الدور الرئيسى فى نقل الاتصالات بين جهة وبين أخرى تختلف عنها ، من سواحل البحار • ولقد هيأت الطبيعة ظروفا مناسبة لوجود مسلك طبيعى يصل بين الداخل وبين الساحل • فان مستوى جبال الحجاز هناك ينخفض كثيرا فيما بين مكة وبين جدة[٤٩] • وهناك أيضا يوجد ممر يجرى فيه وادى فاطمة وهو أهم مسلك تنتقل خلاله الاتصالات

---

(٤٧) راجع (٤٨) ص ١٣٧ وما بعدها •

(٤٨) عن مسلك الدرب السلطانى وتفاصيل مواقعه ، راجع (٦٢ – الجزء الثانى) ص ٤٦–٤٧ ، ١٥٨–١٦٣ • وانظر أيضا الخريطة رقم ١٣ •

(٤٩) ترتفع مكة عن مستوى سطح البحر بنحو ٢٦٣ مترا فقط •

بين مكة وبين جدة على ساحل البحر الاحمر[٥٠] • ومن الملاحظ أيضا أن اتساع البحر الاحمر يضيق قليلا أمام هذا الساحل • وفى مقابله على الجانب الغربى ، يتضمن الساحل بعض مداخل الى افريقية وتصلح أن تقوم عندها بعض الموانىء • وقد اشتهرت هناك ميناء عيذاب • وكانت تحمل اليها السفن بعض الاتصالات من البحر الاحمر ومنها تنقل بالطرق البرية الى وادى النيل عند أسوان أو عند قوص[٥١] • وأما الاتجاه الثالث من مكة فانه نحو الجنوب الى بلاد اليمن • ويبدو أنه كان أهم الاتجاهات الثلاثة • ذلك لان بلاد اليمن تعتبر من الناحية الطبيعية اقليما يختلف من الناحية النباتية عن اقليم سهل العراق • وهى تمتاز بصفة خاصة بانتاج البخور والتجارة فيه • ومن المعروف أن البخور كان فى أدوار التاريخ القديم ضروريا جدا فى خدمة المعابد • كما تمتاز بموقعها التجارى الذى يجاور العالم الموسمى فى شرق افريقية ويواجهه فى الهند وجنوب شرق آسيا • ومن المعروف أيضا ان الثروات الطبيعية للعالم الموسمى تختلف كثيرا عن الثروات الطبيعية لسهل العراق •

والمنفذ الثالث للاتصالات العراقية من بريدة ، يكون نحو الرياض[٥٢] • ولا تبدو لهذا المنفذ أهمية كبيرة اذا نظرنا اليه من وجهة نظر الاتصالات المحلية بين سهل العراق وبين منطقة الرياض وما حولها من مناطق أخرى فى شرق هضبة نجد • ذلك لان ثروات هذه المناطق لا تختلف كثيرا عن ثروات سهل العراق • وفضلا عن ذلك ، فانها من أغنى المناطق فى داخل الجزيرة العربية • وهى تعتبر من بين المناطق القليلة فى هذا الداخل ، التى تستطيع أن تكتفى بمنتجاتها من المواد الغذائية • أما الاهمية الكبرى لهذا

---

(٥٠) عن هذا المسلك وتفاصيل مواقعه ، راجع (٦٢ – الجزء الثانى) ص ٥١ – ٥٢ ، ٢٠٠ – ٢٠٢ • وانظر الخريطة رقم ١٣ •

(٥١) راجع (١٥٠) ص ١٦٨ – ١٦٩ •

(٥٢) عن هذا المنفذ وتفاصيل مواقعه ، راجع (٦٢ – الجزء الثانى) ص ٣٥ – ٣٦ ، ١١٣ – ١٢٠ • وانظر ايضا الخريطة رقم ١٣ •

المنفذ فانها ترجع الى كونه يكون جزءا من طريق رئيسى يمكن أن تنتقل خلاله الاتصالات بين سهل العراق وحافاته وبين اليمن • والخلاصة أن للاتصالات العراقية من بريدة أربعة منافذ ، وأهمها ما يتجه نحو بلاد اليمن سواء أكان عن طريق مكة أم كان عن طريق الرياض • وكذلك ما يتجه نحو ساحل البحر الاحمر ، سواء أكان عن طريق المدينة أم كان عن طريق مكة •

هـ ـ اتجاهات سير الاتصالات العراقية من الرياض :

تصل الاتصالات العراقية الى الرياض عن طريق بريدة وكذلك عن طريق الحفر وبير الصفا ، وخلال بعض مسالك فى نطاق الدهناء • وتقع الرياض فى وسط سهل مموج وقوسى الشكل ، بين نطاق الدهناء من جهة الشرق وبين جبل طويق من جهة الغرب • ويتصل من جهة الشمال بالقصيم عبر شريط من الرمال يبلغ اتساعه نحو ٢٠ كم[٥٣] ويتضمن فى داخله بعض مناطق الواحات • ولذلك فان اجتيازه ليس صعبا • ويجتازه عند زلفى ، وهى واحة تقع على جانبه الشرقى ، مسلك للاتصالات بين بريدة وبين الرياض • وفى جنوب الرياض يتحول اتجاه هذا القوس السهلى تدريجيا نحو الجنوب الغربى ، وكذلك يرتفع مستواه تدريجيا فى هذا الاتجاه نحو سفوح مرتفعات عسير • واليه تنصرف بعض مياه هذه المرتفعات وكذلك مرتفعات اليمن ، مكونة واديا كبيرا يعرف باسم وادى الدواسر • ويمتد المجرى الادنى لهذا الوادى محددا خلال هذا الاتجاه الاخير للقوس بين جبل طويق من جهة الشمال وبين صحراء الربع الخالى من جهة الجنوب • ويتضمن هذا الجزء من الوادى بعض واحات ومنها واحة الدام، وهى أهم واحات وادى الدواسر ومركز ادارته[٥٤] • ولقد اكتسبت

(٥٣) يعرف هذا الشريط بأسم النواظر ، وهو امتداد لشريط البطاح فى جنوب منفذ وادى الرمة • راجع (٦٢ ـ الجزء الاول) ص ٣٩٦ • ، (٦٢ ـ الجزء الثانى) ص ١١٧ ـ ١١٨ • وانظر أيضا الخريطة رقم ١٣ •
(٥٤) راجع (٣٧) ص ٥٦ •

هذه الواحة أهميتها من وقوعها على وادى الدواسر • ولأن مسلك هذا الوادى يتحدد عندها بدرجة كبيرة ، بسبب تقدم رمال نفود الضاحى نحوه عندها من جهة الشمال ، وبسبب تقدم رمال الربع الخالى كذلك من جهة الجنوب • وفضلا عن ذلك فان فى منطقتها تتوفر كثيرا من موارد المياه ، وعلى الاخص مما يحمله اليها وادى الدواسر فى قاعه وتحت مجراه • وذلك بسبب كونها تقع أدنى بمسافة قصيرة من التقاء منابع هذا الوادى[٥٥] •

ولوادى الدواسر ثلاثة منابع رئيسية وتأتى من اتجاهات مختلفة • وهذه المنابع هى وادى التثليث ووادى بيشه ثم وادى صبى • وهى تصرف بعض مياه نطاق المرتفعات الممتد بين جنوب مكة فى الحجاز وبين شمال صنعاء فى اليمن • ووادى التثليث أطول هذه الوديان الثلاثة ، وهو ينبع من هضبة اليمن عند ارتفاع نحو ٢٤٥٠ متر[٥٦] ، ويتبع الانحدار العام للسطح نحو الشمال الشرقى جاريا على السفوح الشرقية لمرتفعات اليمن وعسير ثم يصب فى وادى الدواسر فى غرب واحة الدام • ومن المنطقة التى ينبع منها وادى الدواسر تنبع أيضا وديان أخرى وتأخذ اتجاهات مختلفة • ومنها وادى حضرموت الذى يتجه من داخل هضبة اليمن نحو الجنوب الغربى الى سواحل حضرموت وظفار ومنها وادى بانا الذى يتجه نحو الجنوب الى عدن • ومنها وادى شبوى الذى أقيم عليه سد مأرب ، وهو يتجه نحو الشرق الى واحات الجوف (جوف اليمن) • ومنها أيضا وادى ريما ووادى سهام ووادى الكبير ، وهى من الوديان التى تتجه نحو الغرب الى ساحل تهامة[٥٧] • ولقد كانت الاتصالات الصاعدة فى وادى حضرموت من ساحل البحر العربى ، تلتقى عند شبوى مع بعض الاتصالات الصاعدة من منطقة عدن ، ثم يستمر سيرهما معا على السفوح الشرقية لهضبة اليمن الى مأرب عاصمة سبأ •

(٥٥) راجع (٢٠٦) ص ١٦٨ ـ ١٦٩ • وانظر ايضا الخريطة رقم ١٣ •
(٥٦) راجع (٢٠٦) ص ١٦٨ •
(٥٧) انظر الخريطة رقم ١٣

وتستطيع هذه الاتصالات أن تستمر فى سيرها على امتداد هذه السفوح حتى تلتقى بوادى التثليث • وهى فى هذا الاتجاه تلتقى أيضا باتصالات نجران عن طريق وادى نجران • كما أنها تستطيع أن تصعد فى وادى شبوى أو فى وادى الخريد الى منطقة تمنا حيث قامت صنعاء فيما بعد • ولصنعاء اتصالات أخرى يأتى بعضها خلال بعض الوديان من خليج عدن ويأتى البعض الآخر من ساحل البحر الاحمر خلال وديان أخرى(٥٨) • ومما تقدم نستنتج أن الاتصالات القادمة من ساحل البحر العربى وخليج عدن لها فى داخل اليمن محطتان رئيسيتان • احداهما فى منطقة مأرب والاخرى فى منطقة صنعاء وتستطيع بعض الاتصالات من المحطة الاولى أن تنتقل الى داخل الجزيرة العربية عن طريق وادى التثليث الذى يمكن أن تنتقل بواسطته أيضا بعض اتصالات نجران • أما المحطة الاخرى ، وهى صنعاء ، فان بعض اتصالاتها يمكن أن تنتقل الى هذا الداخل عن طريق وادى بيشه •

ووادى بيشه ينبع من مرتفعات عسير ، وعليه تقع واحات بيشه • وعندها يتفرع مسلك الاتصالات القادمة من منطقة صنعاء الى ثلاث شعب • تتجه الشعبة الاولى منها نحو الشمال الشرقى الى الرياض عن طريق وادى الدواسر • وتتجه الشعبة الثانية نحو الشمال الغربى الى مكة ، خلال ممر يفصل بين حرة النواصف وحرة بقوم وغيرهما من بعض الحرات الاخرى التى تحدد هضبة نجد من جهة الجنوب الغربى من جهة وبين نطاق مرتفعات الحجاز من جهة أخرى • أما الشعبة الثالثة ونهايتها مكة أيضا ، فانها تتجه نحو الشمال ثم نحو الشمال الغربى صاعدة فى وادى صبى وهو المنبع الثالث لوادى الدواسر ، الى منبعه من حرة النواصف • وعند خرمه ، وهى واحة كبيرة ، تلتقى بمسلك آخر يحمل خلال هضبة نجد بعض الاتصالات بين الرياض وبين مكة • وتستمر هذه الشعبة بعد خرمة فى اتجاهها غربا

---

(٥٨) راجع (١٩٢) ص ١٠٣ ، ١٠٥ • ، (٢٢٣) ص ١٧٨ – ١٨٦ • وانظر ايضا الخريطة رقم ١٣ •

مجتازة شعيب شيبه ووادى قرينات ومارة بواحة بريم الى واحة شعيرة • وهناك تلتقى بمسلك الدرب السلطانى، وهو المار خلال هضبة نجد بين بريدة وبين مكة ، فتتبعه مارة فى طريقها بواحة السيل(٥٩) •

ويستخلص مما تقدم أن الاتصالات العراقية من الرياض ، اذا صعدت فى وادى الدواسر تتفتح أمامها ثلاثة مسالك طبيعية • احدها مسلك وادى التثليث الى منطقة مأرب فى جوف اليمن • والثانى مسلك وادى بيشه الى منطقة صنعاء • ومن هاتين المنطقتين يمكن أن تنتقل الاتصالات العراقية الى ساحل البحر العربى وخليج عدن عن طريق وادى حضرموت ووادى بانا وغيرهما من بعض الوديان • أما المسلك الثالث فهو مسلك وادى صبى الى مكة •

وليس وادى صبى هو المسلك الوحيد الذى يصل بين الرياض وبين مكة ، فهناك مسلك آخر يجتاز هضبة نجد ويصل بينهما كما سبقت الاشارة قبلا وهذا المسلك وان بدا مباشرا على الخرائط الا أنه فى الواقع وعر • ذلك لانه بجانب صعوبات اجتيازه حافة جبل طويق ، فان فى غرب هذه الحافة يقع نطاق من رمال النفود يزداد اتساعا نحو الجنوب ويعرف باسم نفود الضاحى • ويلاحظ أن هذا المسلك المباشر يضطر أن يجتاز هذه النفود فى أكثر من موضع(٦٠) •

والخلاصة أن للاتصالات العراقية مع داخل الجزيرة العربية ثلاث محطات أمامية فى هذا الداخل وهى (١) حايل (٢) بريدة (٣) الرياض • واذا استثنينا القيمة المحلية لهذه المحطات ، واستثنينا كذلك ما يمكن أن يحدث بين بعض هذه المحطات وبين البعض الآخر من اتصالات، فانه يلاحظ ما يأتى :– ١ – ان حايل هى المحطة الطبيعية للاتصالات العراقية القادمة من وادى الفرات • ولهذه الاتصالات اتجاهان رئيسيان من حايل • أحدهما

---

(٥٩) انظر الخريطة رقم ١٣ •
(٦٠) عن هذا المسلك وتفاصيل مواقعه انظر الخريطة رقم ١٣ • وراجع ايضا (٦٢ – الجزء الثانى) ص ٤٧ ، ١٦٣ – ١٦٤ •

نحو العالم المصرى ـ السورى عن طريق تيماء وعن طريق جبه • أما الآخر فنحو عالم البحر الاحمر عن طريق المدينة وخلال بعض مسالك فى مرتفعات الحجاز • والاتجاه الاول غير طبيعى بسبب وجود بعض مسالك أخرى أفضل منه ، وهى مسالك الحوض الاوسط لنهر الفرات • ولهذا الاولى أن يتعرقل سير الاتصالات بين سهل العراق وبين العالم السورى ـ المصرى خلال مسلك الحوض الاوسط لنهر الفرات لسبب أو آخر من الاسباب البشرية • الحالة الثانية هى فى وقت قيام النشاط التجارى لبطرى • أما الاتجاه الثانى نحو عالم البحر الاحمر فانه طبيعى • الا أن أهميته تبدو ضعيفة اذا راعينا فقر البيئة فى ساحل تهامة • ولهذا فان نشاط سير الاتصالات العراقية فى هذا الاتجاه لا يكون متوقعا بدرجة كبيرة الا فى الاوقات التى حدث فيها نشاط ملاحى ملحوظ فى البحر الاحمر •

٢ ـ أما بريدة فهى المحطة الطبيعية للاتصالات العراقية القادمة فى وادى البطن من منطقة شط العرب • كما أنها تعتبر كذلك لحد ما ، بالنسبة لبعض الاتصالات القادمة اليها من وادى الفرات عن طريق لينه وعن طريق الحفر • والاتصالات العراقية بصفة عامة لها من بريدة اتجاهان رئيسيان • أحدهما نحو عالم البحر الاحمر وله مسلكان • مسلك يتبع منخفض وادى الرمة ـ وادى اضم وعن طريق المدينة • والمسلك الآخر هو الدرب السلطانى وعن طريق مكة • وقد سبق أن أعطينا أهمية كبيرة الى امتداد المسلك الاول من المدينة فى وادى الحمض الى مصبه على مقربة من الوجه • أما الاتجاه الآخر للاتصالات العراقية من بريدة فانه نحو بلاد اليمن عن طريق مكة أو عن طريق الرياض • ولا شك فى أن لهذا الاتجاه أهمية كبرى ، لان خلاله يمكن أن تنتقل بعض منتجات بلاد اليمن وكذلك بعض منتجات عالم البحر العربى والمحيط الهندى •

٣ ـ وأما الرياض فانها لاتبدو محطة طبيعية بدرجة كبيرة، للاتصالات العراقية القادمة نحو داخل الجزيرة العربية • وما يتجه اليها من هذه

الاتصالات يكون اما منقولا عن طريق بريدة واما متحولا اليها من مسلك وادى البطن عند الحفر • وهذه الاتصالات العراقية لها من الرياض ثلاثة اتجاهات متميزة بدرجة كبيرة • الاتجاه الاول منها نحو مكة وساحل البحر الاحمر عن طريق مسلك فى هضبة نجد أو عن طريق وادى صبى ، أو عن طريق واحات بيشة • الا أن الاتصالات العراقية التى تقصد هذا الاتجاه يكون من الافضل لها أن تسلك طريق بريدة والدرب السلطانى • أما الاتجاه الثانى فنحو صنعاء وعدن عن طريق وادى بيشه وخلال النطاق الهضبى بين الحافة الداخلية لمرتفعات عسير واليمن وبين حافتها الخارجية • وأما الاتجاه الثالث فنحو مأرب وسواحل حضرموت وظفار عن طريق وادى التثليث ووادى حضرموت •

وبعبارة أخرى أنه خلال داخل الجزيرة العربية يمكن أن تحدث الاتصالات الآتية :ـ

١ ـ بين وادى الفرات وبين العالم السورى •

ويكون بالبر عن طريق :

آ ـ حايل ـ جبه •

ب ـ حايل ـ تيماء •

٢ ـ بين وادى الفرات وبين مصر •

ويكون بالبر عن طريق :

آ ـ حايل ـ تيماء •

ويكون بالبحر عن طريق :

آ ـ حايل ـ المدينة ـ وادى الحمض أو وادى الصفراء •

ب ـ بريدة ـ المدينة ـ وادى الحمض أو وادى الصفراء

جـ ـ بريدة ـ مكة ـ وادى فاطمة •

٣ ـ بين منطقة شط العرب وبين مصر •

ويكون بالبحر عن طريق :

آ ـ بريدة المدينة ـ وادى الحمض أو وادى الصفراء •

ب ـ بريدة ـ مكة ـ وادى فاطمة •

٤ ـ بين وادى الفرات ومنطقة شط العرب من جهة وبين بلاد بنت من جهة أخرى •

ويكون بالبر عن طريق :

آ ـ بريدة ـ مكة ـ وادى بيشه •

ب ـ الرياض ـ وادى الدواسر ـ وادى التثليث •

جـ ـ الرياض ـ وادى الدواسر ـ وادى بيشه •

٣ ـ منافذ العراق نحو عالم الخليج العربى وما وراءه

الخليج العربى ذراع من المحيط الهندى متدخل فى الشرق الاوسط • وبسبب هذا التدخل ضاق امتداد المعبر البرى فى هذا الشرق ، والذى يصل بين عالم المحيط الهندى من جهة وبين عالم البحر المتوسط من جهة أخرى• والخليج العربى ضيق نسبيا كما أنه ضحل • ويعتبر من الناحية الجيولوجية امتدادا للسهل الفيضى فى العراق • كما يعتبر من الناحية الطبيعية وكذلك من الناحية الجيولوجية لحد ما ، امتدادا لحوض أرض ما بين النهرين • ويكون الرافدان ، وهما دجلة والفرات ، ذراعين طويلين للخليج العربى خلال هذا الحوض • وتمتد لكل منهما أذرع أخرى نحو بعض الاتجاهات التى تكتنفه من جهات الشرق الاوسط •

ويكون شط العرب المدخل الطبيعى لسهل العراق من جهة هذا الخليج فى الوقت الحاضر ، ولكنه لم يكن كذلك دائما • ففى بعض أوقات التاريخ القديم كان مدخل هذا السهل يقع فى غرب المجرى الحالى لشط العرب • وفى بعض أوقات أخرى كان لهذا السهل أكثر من مدخل • وليس مدخل سهل العراق من الخليج العربى قاصرا على مصبات المجارى المائية وحدها ، اذ ربما كانت ضفافها أيضا صالحة للسير عليها • ومن أهم المداخل البرية الى هذا السهل مدخلان • أحدهما نطاق اليابس الذى يكتنف التكوينات النهرية من جانب البادية ، والآخر النطاق الذى يكتنف هذه التكوينات عند سفوح هضبة ايران •

ويبلغ طول الخليج العربى فى خط مباشر بين مصب شط العرب وبين الساحل الشمالى لعمان نحو ٨٠٠ كم• أما عرضه فيتراوح بين نحو ٢٨٨ كم فى أقصى اتساعه شرق شبه جزيرة قطر ، وبين نحو ٤٦ كم فى مضيق هرمز[١] • وعمقه ليس كبيرا ، وربما لا يتضمن أجزاء يتجاوز عمقها

(١) راجع (٢٦٠) ص ٢ •

١٠٠ متر ، بينما يتضمن أجزاء واسعة لا يتجاوز عمقها ٤٠ مترا ، ويوجد هذا العمق القليل فيه الى مسافة نحو ١١٠ كم من ساحله عند مصب شط العرب ، كما يوجد أيضا في بعض مناطق أخرى في داخله مثل المناطق التي تكتنف جزر البحرين ، ويمكن القول بصورة عامة بأن الأعماق الكبيرة فيه تتراوح متوسطها بين ٧٠ – ٩٠ مترا ، وان خط هذه الأعماق فيه يزداد بالاقتراب من الساحل الايراني من جهة ومن مضيق هرمز من جهة أخرى ، ويصل العمق في هذا المضيق نحو ١٠٠ متر ، وتبدو أعماق الخليج العربي ضحلة بصورة كبيرة اذا قورنت بأعماق خليج عمان التي تبلغ نحو ٣٣٠٠ متر أمام ساحل مسقط (٢) .

ويتأثر مستوى الماء في الخليج العربي بحركات المد والجزر فيه . ويصل ارتفاع هذا المستوى عند رأسه في وقت المد الى نحو ٣ أمتار ، وهو يفوق هذا القدر ويصل الى نحو ٧٫٦٥ مترا في الأوقات التي يصاحب ارتفاع المد فيها هبوب رياح عنيفة من جهة الجنوب الشرقي (٣) . وفي مثل هذه الأوقات أيضا يرتفع كثيرا مستوى الماء في شط العرب . وتتعرض جوانبه بسبب ذلك لطغيان المياه عليها . ويحدث ذلك عادة أثناء مرور الانخفاضات الجوية في فصل الشتاء وفي فصل الربيع . ومن المعروف أن في هذين الفصلين يرتفع مستوى المياه في أنهار العراق ويحدث الفيضان .

ومن المشاهد أن حركات المد والجزر اذا كانت قوية بدرجة مناسبة فانها تطهر السواحل باستمرار مما يترسب فيها من رواسب . كما أنها تساعد الأنهار على توسيع مصباتها وتمنعها من تكوين دلتاوات لها عند هذه المصبات . الا أنه عند مصب شط العرب ، تلاحظ مع ذلك ظاهرات يناقض بعضها البعض الأخر . فهناك ، بينما يلاحظ من جهة أن حركات المد والجزر قد ساعدت شط العرب على توسيع مصبه وتعميقه ومنعته

(٢) (٣٦٠) ص ٥ .

(٣) راجع (٦٢ – الجزء الاول) ص ٢٤ ، (١٧٤) ص ١٩٧ .

من تكوين دلتا له عنده ، يلاحظ من جهة أخرى ان الرواسب الفيضية تتراكم على جوانب هذا المصب بنسبة كبيرة تفوق بكثير تراكم الرواسب عند مصبات النيل مثلا ، مع ان المعروف ان حركات المد والجزر في البحر المتوسط ، وهو الذي يصب فيه النيل ، ضعيفة جدا . ولا تعرف على وجه محقق أسباب تناقص تأثيرات حركات المد والجزر عند رأس الخليج العربي ، وان كان من الممكن ارجاعها الى تأثير حاجز الفاو (٤) . فان هذا الحاجز بسبب ارتفاعه فوق قاع الخليج ، يعوق حركة الجزر من سحب الرواسب الخارجة من مصب شط العرب الى الأعماق . ولا شك في أن هذا الحاجز كلما زاد ارتفاعه ، زاد تأثيره في اضعاف قوة موجة الجزر وقوة موجة المد أيضا . وكذلك في اضعاف حركة المياه بينه وبين رأس الخليج . ومن المعروف أن ضعف حركة المياه تقابله زيادة في الارساب . واذا اعتبرنا من جهة بما هو مشاهد في الوقت الحاضر في شط العرب من تأثيرات المد والجزر في توسيع مجراه وتعميقه ، وان هذا التأثير يمتد بعض الامتداد في نهر دجلة فوق القرنة . واعتبرنا من جهة أخرى أنه لا توجد مداخل مائية أخرى على جانبي هذا الشط ، الا مدخل خور عبدالله . وذلك باستثناء مدخل بهمان شير ، وهو مصب آخر لنهر قارون . فانه يمكن القول بدرجة قليلة من الشك بأنه منذ أن أخذت منطقة شط العرب في التكوين لم يكن لمياه العراق غير مصبين . أحدهما مصب شط العرب والآخر مصب خور عبدالله . ويبدو أن مصب شط العرب هو ما عناه بعض كتاب الاغريق باسم « تيجرس أوريتال » وان مصب خور عبدالله هو ما عنوه باسم « تيجرس اوكسيدنتال » . واذا صح ذلك أمكن القول بأن هذا المصب الأخير كان موجودا في القرن الثالث أو الرابع قبل الميلاد ، وربما استمر قائما منذ ظهوره في التاريخ الى أن ضعف أمره ثم تلاشى . وذلك عندما أخذ حاجز الفاو يرتفع ويضعف من تأثير حركات المد والجزر في تطهيره وتعميقه . وربما أيضا بسبب عوامل

(٤) راجع فيما سبق ص ٣٣ .

أخرى ، ومن بينها طغيان رمال الصحراء عليه • ومهما يكن من أمره ، فانه كان موجودا فى أوائل القرن السادس قبل الميلاد ، وقد أقام عليه بختنصر الكلدانى ميناءه المشهور ، تريدون[٥] • ولا شك فى أن هذا المصب كان أثناء وجوده أهم مدخل الى سهل العراق • وذلك لان الدخول منه لم يكن قاصرا على السفن وحدها بمثل ما هو منتظر من مصب شط العرب الذى تكتنف ضفافه مستنقعات واسعة وبحيرات ، وانما كان يمتاز بأن جانبه من جهة الصحراء يصلح للسير عليه دائما •

ولحركات المد والجزر أهمية خاصة لمنطقة شط العرب • ذلك لانها تروى زروعها فى أوقات المد كما تصرف مياهها الزائدة فى أوقات الجزر • ونواحى الرى والصرف تمثل جانبا هاما من الاعمال المتعلقة بالزراعة• ولهذا يبدو أن الايدى العاملة من سكان هذه المنطقة كانت متوفرة • وربما كان العدد الزائد منها يستغل نشاطه فى نواحى أخرى نافعة كالتجارة أوالصناعة، وهذا ملاحظ أيضا فى الوقت الحاضر • على أننا اذا اعتبرنا لحركات المد والجزر اليومية ميزة فى رى الاراضى وصرفها صرفا طبيعيا ، ينبغى أيضا أن نعتبر أن بعض الغلات الغذائية كالقمح مثلا ، لا يستطيع أن ينمو فى مثل هذه الظروف ، وعلى الاخص لانه يحتاج فى وقت تكوين سنابله الى جفاف• وأهم النباتات المزروعة من منطقة شط العرب فى الوقت الحاضر هو النخيل ويوجد منه هناك نحو ١٠ مليون نخلة • حقيقة أن هناك تزرع أيضا بعض غلات أخرى بنسب صغيرة ، وربما يوجد القمح من بينها ، الا أنه يلاحظ بجانب هذا ان مستوى الارض قد ارتفع بما تراكم عليه من رواسب خلال قرون التاريخ المتوسط والحديث • فتوفرت بسبب ذلك ، فى بعض الجهات الظروف التى تساعد على نمو هذه الغلات • والظروف الطبيعية لمنطقة شط العرب أثناء التاريخ القديم كما أشرنا اليها ، تفرض على سكانها أن يكون

---

(٥) راجع فيما سبق ص ٤٩ ـ ٥٠ • وراجع فى الجزء الثانى موضوع (الكلدانيون ـ ١٧٣ ـ ١٨٩) •

لهم نشاط كبير أيضا فى التجارة • وذلك لكى يستطيعوا أن يستبدلوا بتمورهم ما يحتاجون اليه من مواد غذائية أخرى • وبسبب ما يكتنفهم من سطوح مائية واسعة تتمثل بالخليج العربى من جهة وفى الاهوار الكلدانية من جهة ثانية وفى أهوار سوسيانا من جهة ثالثة ، فانه يمكن أن يستنتج بأن نشاطهم التجارى لم يكن قاصرا على مسالك البر فحسب بل كان فى مسالك الماء أيضا •

ويحتوى الخليج العربى على جزر عديدة • ويكثر وجود هذه الجزر أمام بعض المناطق من سواحله • وهذا يساعد على هدوء المياه نسبيا أمام هذه السواحل • ومعظم جزر هذا الخليج قاحلة أو شبه قاحلة • وهى وان كانت ضعيفة القيمة من الناحية النباتية ، الا أن لها مع ذلك أهمية أخرى • اذ أنها تصلح لان تكون مراكز للصيد واستخراج اللؤلؤ وكذلك مأوى للصيادين فى وقت الضرورة • كما أن بعضا منها يتضمن مرافىء جيدة للسفن ، مثل جزر البحرين وهرمز وقشم وهنجام • ولعل هذه العوامل الطبيعية التى للخليج العربى بالاضافة الى ما يتضمنه من ثروات ، كانت من الاسباب التى جعلته واحدا من المهاد الاولى للملاحة ومن المراكز الكبرى لنشاطها فى العصور القديمة والمتوسطة • وبالاضافة الى هذه العوامل والثروات ، يلاحظ أيضا أن البيئات التى تكتنفه فقيرة ، وهى تعتبر من الناحية المناخية ضمن الاقليم المدارى الصحراوى • وهذا الفقر يستلزم سكان هذه البيئات أن يستعينوا على معاشهم ، بجانب ما تنتجه واحاتهم من بعض الغلات ، بصيد البحر فيه وكذلك بالنقل التجارى • وللخليج العربى أهمية خاصة من هذه الناحية• ذلك لانه يكون من الناحية الجغرافية معبرا يصل بين اقليمين طبيعيين يختلف أحدهما عن الآخر كثيرا فى ثرواته• وهما الاقليم الموسمى فى شرقه واقليم البحر المتوسط فى غربه • وقد سبقت الاشارة الى سبل الاتصال فى البر وفى الماء التى تصل بين هذا الخليج وبين عالم شرق البحر المتوسط • وتوجد سبل أخرى بالبر والماء تصل بينه وبين عالم الاقليم الموسمى ، سواء

فى آسيا أم فى افريقية • وذلك عن طريق المياه الشاطئية لخليج عمان والبحر العربى وعن طريق سواحلهما •

وتنتقل بعض المؤثرات الموسمية من الهند مباشرة الى سهل العراق عن طريق المياه الشاطئية لهضبة ايران ، ولحد ما على طول السهول الساحلية المشرفة على هذه المياه[٦] • كما ينتقل بعض آخر منها بطريق غير مباشر خلال داخل هضبة ايران وعن طريق بعض ممرات فى نطاق المرتفعات الذى يفصل بين هذا المدخل وبين السهل الساحلى •

والسهل الساحلى على الجانب الايرانى ضيق • ويتضمن فى بعض أجزائه منخفضات تشغلها لاجونات ساحلية وأخوار ، كما يتضمن فى بعض أجزاء أخرى منه رؤوساصخرية بارزة •ويرتفع سريعامستوى السطح وراءهذا السهل الساحلى نحو الداخل• وهو يرقى فى تتابع من بعض السلاسل الجبلية يتراوح مستواها بين ٩٠٠ – ١٨٠٠ مترا وراء الساحل وبين ٣٠٠٠ – ٤٠٠٠ مترا فى الداخل• ويفصل بين بعض هذه السلاسل وبين بعضها الآخر وديان طولية ذات أهمية كبيرة ، لانها تتضمن معظم مراكز العمران فى هذا الاقليم الجبلى • ومن أشهرها وادى زينده رود الذى تقع فيه أصفهان ، ووادى نهر كور الذى تشرف عليه شيراز من جهة الغرب وبرسبوليس من جهة الشرق• ويصل اتساع هذا النطاق الجبلى الذى يفصل بين سواحل هضبة ايران وبين داخلها نحو ٣٢٠ كم• ولكنه بالرغم من هذا الاتساع يتضمن ممرات تسمح بسير الاتصالات خلالها بين الداخل وبين الساحل • وتكون بعض مراكز العمران فى الوديان الجبلية محطات لها •

ومن أهم الثغور الحديثة التى تكون على الساحل الايرانى محطات للتبادل بين الاتصالات المنقولة من داخل هضبة ايران وبين الاتصالات الاخرى المنقولة فى الخليج العربى ، ثغور بندر عباس وبوشير وبندر شاهبور • ومن أشهر الثغور التى قامت فى العصور الوسطى سيراف وهرمز وسورو • أما

(٦) راجع (٢٦٠) ص ٣٧ وما بعدها • ، (٧٩) ص ١٩٦ •

فى العصور القديمة فلا تعرف الثغور التى قامت على وجه محقق • ومن المعروف أن سورو وهرمز قد قامتا فى منطقة بندر عباس • أما سيراف فان موقعها يكتنفه بعض الشك • ويرى بعض الباحثين أنها قامت فى موضع بلدة الطاهرى الحالية[٧] • الا أن الخرائط الطبيعية تدل على أن موقع هذه البلدة لا يصلح لقيام ثغر مشهور كسيراف • اذ تكتنفه سلسلة جبلية شاهقة ترتفع ذراها الى أكثر من ٢٠٠٠ مترا • وفضلا عن ذلك فان هذه السلسلة تشرف مباشرة على الشاطىء •

وتقع بندر عباس على خليج هرمز • ويتضمن نطاق المرتفعات الذى يكتنفها ممرات تصل بينها وبين بعض المناطق فى الداخل ، وعلى الاخص منطقة كرمان • منها ممر يصل بينهما عن طريق وادى نهر بير الذى يسمى أيضا باسم دوزدان • ويمر ببلدة ميناب فى الوادى الادنى لهذا النهر وببلدة رافت فى الوادى الاعلى لنهر هاليرى • وهناك ممر ثان يصل بينهما أيضا • وهو يصعد فى وادى نهر آخر ويمر بسيد آباد ، وهى مدينة تقع فى وادى زينده‌رود • ومسلك الممر الثانى أكثر أهمية فى الوقت الحاضر من غيره من المسالك الاخرى التى تصل بينهما • وقسمه الواقع بين سيد آباد وبين كرمان من الطرق الرئيسية فى هضبة ايران • ومن المعروف أن كرمان تتصل بمسالك ببعض جهات أخرى فى داخل هضبة ايران • كما أنها تقع على الطريق الرئيسى للاتصالات بين طهران وبين وادى السند عن طريق هضبة بلوخستان وخلال ممر بولان[٨] • وبندر عباس تتصل كذلك بهذا الطريق الرئيسى مباشرة خلال وادى دوزدان وعن طريق حوض هامونى جازموريان، وهو منخفض واسع ويشغل مستنقع قاعه ، وفيه تنصب مياه نهر بمبور من جهة الشرق ومياه نهر هاليرى من جهة الغرب • ويكون وادى النهر الاول مسلكا طبيعيا تنتقل خلاله الاتصالات بين هذا الحوض وبين وادى السند •

(٧) راجع (٢٦٠) ص ١٠ ، ٥٨ وما بعدها •
(٨) راجع (٧٩) ص ١٩٤ – ١٩٥ •

كما يكون وادى نهر هاليرى مسلكا آخر طبيعيا تنتقل خلاله الاتصالات بين هذا الحوض وبين وادى زينده‌رود • ويتصل هذا الحوض كذلك خلال مسالك أخرى فى صحراء كرمان ، بكرمان من جهة الشمال الغربى ، وبحوض سستان (سجستان) ومجموعة نهر هلماند من جهة الشمال الشرقى ، وكذلك بمنطقة خراسان من جهة الشمال • وتنتقل اليه عن طريق كرمان، الاتصالات القادمة من منطقة طهران وما يكتنفها من بعض الاتجاهات • وتنتقل اليه عن طريق مجموعة نهر هلماند الاتصالات القادمة من منطقة كابل • ومن المعروف أن هذه المنطقة تتصل بوادى السند عن طريق ممر خيبر ، كما تتصل بوسط آسيا خلال بعض ممرات فى جبال هندكوش • أما اتصاله بمنطقة خراسان، فانه ينقل اليه على طول سفوح مرتفعاتها وخلال بوابة خراسان ، وهى الثغرة التى تقع بين جبال هندكوش وبين الامتداد الشرقى لجبال البرز ، مؤثرات اقليم التركستان وكذلك مؤثرات وسط آسيا •

ومما تقدم نستخلص أن ساحل خليج هرمز ، وهو الذى يقوم فيه ثغر بندر عباس ، يتصل خلال مسالك فى نطاق المرتفعات ببعض الجهات فى داخل هضبة ايران • ويمكن أن تنتقل اليه بعض مؤثرات هذه الجهات، كما يمكن أن تنتقل اليه عن طريقها مؤثرات بعض جهات أخرى فى هذا الداخل ، وكذلك بعض جهات فى خارجه وعلى الاخص وادى السند واقليم التركستان والمناطق التى تكتنفه من وسط آسيا ومن غربها •

أما بوشير ، فتقع على ساحل الخليج العربى وتتحكم فى مدخل خليج محمى • وهى تتصل بيزد فى الوقت الحاضر بطريق رئيسى • وهو يتبع فى بعض امتداداته امتداد بعض الوديان ، ويمر بشيراز وكذلك بخرائب برسبوليس • ويزد مثل كرمان ، تقع على الطريق الرئيسى لسير الاتصالات بين منطقة طهران وبين وادى السند الادنى عن طريق ممر بولان • كما تتصل خلال مسالك فى صحراء دشتى لوط بحوض سستان ، وكذلك بمنطقة خراسان • وبعبارة أخرى أن منطقة بوشير تستطيع أن تتصل بنفس

الاتجاهات التى تتصل بها منطقة بندر عباس • الا أنه يلاحظ ، أنه من ناحية الموقع وكذلك من ناحية ظاهرات السطح ، ان منطقة بندر عباس أكثر صلاحية من المنطقة الاخرى فى استقبال اتصالات القسم الشرقى من هضبة ايران وكذلك اتصالات وادى السند ووسط آسيا وغربها •

وأما بندر شاهبور الذى ينسب الى رضا شاه ، فهى تقع عند رأس خور موسى ، أو بعبارة أخرى عند مصب نهر جراحى فى الخليج العربى • وتتصل بندر شاهبور بشيراز من جهة ، خلال وادى نهر جراحى ووديان بعض أنهر أخرى تقع فى شرقه • كما تتصل من جهة أخرى ببعض مراكز العمران فى وادى نهر كارون • ومع ذلك تنبغى ملاحظة أن ثغر بندر شاهبور تكتنفه مستنقعات ، وان نطاق المرتفعات الذى يقع وراءه شديد الوعورة ، كما أن موقعه الجغرافى لا يتمتع بمميزات خاصة • ومن الافضل للاتصالات القادمة من شيراز أن تتجه نحو بوشير • ومن الافضل كذلك للاتصالات القادمة فى وادى الكارون أن تستمر الى مصبه عند المحمرة • والواقع أن هذا الثغر قد أنشىء لاغراض تتصل بالاقتصاد القومى الحديث فى ايران (٩) • والمؤثرات المنقولة الى ثغور الساحل الايرانى ، يمكن أن تنتقل الى سهل العراق عن طريق المياه الشاطئية لهذا الساحل • كما يمكن أن تنتقل على طول هذا الساحل وخلال سهول الكارون ، وهى التى تعرف فى التاريخ باسم سهول سوسيانا أو علام •

أما شرق افريقية ، فان مسالك الاتصالات بينه وبين سهل العراق ، من هذا الاتجاه ، محددة فى المياه الشاطئية لجنوب بلاد العرب وجنوبها الشرقى ، وكذلك على طول السواحل المشرفة على هذه المياه • وتساعد جزيرة برم ،

(٩) من هذه الاغراض أن يحل محل عبادان فى استقبال ناقلات البترول • ومنها أن تحول اليه تجارة ايران الخارجية المارة من بوابة زاجروس عبر الاراضى العراقية • ولهذا الغرض الاخير انشىء خط لسكة الحديد عبر هضبة ايران ويصل بينه وبين بندر شاه على الساحل الجنوبى الشرقى لبحر قزوين • راجع (١٧٤) ص ١٢٦ ـ ١٢٧، ٢١٤ •

وهى تقع فى مضيق باب المندب ، على اجتياز هذا المضيق بين جانبيه ، وهما يعرفان فى التاريخ القديم باسم بلاد بنت • وينبغى ألا يستنتج مما تقدم أن كل جانب من جانبى الخليج العربى قد تخصص فى نقل الاتصالات بين سهل العراق وبين جانب معين من جوانب المحيط الهندى • فان هذا التخصص يبدو مقبولا فقط فى العصور السابقة على تقدم فن الملاحة وعلى معرفة خصائص الرياح الموسمية • أما بعد ذلك فقد شوهدت للعرب وغيرهم مراكز تجارية ومستعمرات على الجانب الآسيوى للمحيط الهندى ، كما شوهد لهم مثل ذلك على جانبه الافريقى • ويبدو أن تقدم فن الملاحة بين سهل العراق وبين بعض الاتجاهات فى المحيط الهندى قد صاحبه اضمحلال المسالك الساحلية التى كانت تسلكها الاتصالات بينه وبينها ، وذلك بسبب سهولة النقل البحرى عن النقل البرى • ولا شك أن سفينة واحدة تستطيع أن تحمل حمولة عدد كبير من الحيوانات • كما يبدو أن هذا التقدم قد ترتب عليه أيضا اضمحلال بعض المراكز التجارية القديمة على الساحل وتفوق بعض مراكز أخرى حديثة عليها ، وعلى الاخص ما له منها مرفأ جيد وما تكتنفه جهات عامرة أو تتصل به خلال مسالك يسهل السير عليها •

والسواحل الشرقية لبلاد العرب وكذلك سواحلها الجنوبية متشابهة تقريبا اذا استثنينا منطقة عمان • وهى تتضمن فى بعض أجزائها لاجونات وأخوار ، وفى بعض أجزاء أخرى منها رؤوسا بارزة تنحصر بينها خلجان ذات مياه هادئة • وتوجد هذه المياه الهادئة أيضا فى بعض المناطق أمام الساحل حيث توجد جزر تضعف من حدة الامواج • والسواحل العربية للخليج العربى واسعة ومنخفضة ، ويعلو مستواها تدريجيا نحو داخل الجزيرة العربية • وهى بهذا تختلف كثيرا عن السواحل المقابلة لها على الجانب الايرانى • الا أنه بالرغم من هذا الاختلاف فانهما يتشابهان فى ظاهرة هامة ، وهى وجود حواجز جغرافية تفصل بين كل منهما وبين الجهات الداخلية فى اليابس الذى يقع وراءه • فكما يفصل النطاق الجبلى بين الساحل

الايرانى للخليج العربى وبين داخل هضبة ايران ، كذلك يفصل نطاق الدهناء بين الساحل العربى لهذا الخليج وبين داخل الجزيرة العربية • وكذلك يتشابه الحاجزان الجغرافيان فى أن كلا منهما ليس حاجزا بشريا ، اذ يتضمن ممرات يمكن أن تسلكها الاتصالات بين الساحل وبين الداخل • وقد سبقت الاشارة الى بعض هذه الممرات فى نطاق الدهناء • وذكر من بينها ممر هام يصل بين ساحل الاحساء وبين الرياض • ومما تجدر ملاحظته أن ميناء الجرع المشهور فى التاريخ القديم قد قام على هذا الساحل • وهناك أيضا آثار تدل على النشاط الفينيقى •

أما ساحل خليج عمان فانه أكثر شبها بالساحل الايرانى • فهو ضيق ومموج كما أن وراءه يوجد أيضا نطاق من المرتفعات ويتضمن بعض ممرات يمكن أن تسلكها الاتصالات بين الساحل وبين الداخل • الا أنه يلاحظ أن هذا الداخل فى عمان غير متفتح الى اتجاهات أخرى فى داخل الجزيرة العربية • اذ تفصل صحراء الربع الخالى تماما بينهما • ولهذا الوضع الجغرافى بعض آثار ، منها أنه قوى اتجاه عمان نحو البحر [10] ، ومنها أنه فرض على الاتصالات الجارية بينهما بطريق البر أن تسير من جهة على طول سواحل الخليج العربى ، أو أن تسير من جهة أخرى على طول سواحل البحر العربى • وبسبب تعرجات ساحل عمان وعلى الاخص منطقة بروزه نحو الشمال الى مضيق هرمز ، يبدو أن بعض الاتصالات الجارية بين سواحل الخليج العربى وبين سواحل البحر العربى ، كانت تتحاشى السير على طول ساحل عمان وتسلك فى جنوب مرتفعاته مسلكا أو آخر يجتاز القسم الداخلى من عمان • وهذا لابد أن يترتب عليه نمو بعض الواحات هناك ، وعلى الاخص ما يوجد منها عند منافذ الممرات التى تجتاز مرتفعات عمان • لان هذه الواحات فضلا عن تحكمها فى هذه المنافذ ، تكون أسواقا تلتقى فيها التجارة القادمة بطريق البحر بالتجارة القادمة فى مسالك البر • ومن أمثال هذه الواحات الهامة

(١٠) راجع (١٠٤) ص ٤٠ •

يوجد فى الوقت الحاضر ، مانه وضنك والبريمى •

وسواحل البحر العربى تشبه لحد ما ساحل عمان • فهى ضيقة أيضا كما أنها مضرسة ، اذ تتضمن بعض تلال قليلة الارتفاع وحافات وفيما وراءها تشرف هضبة بلاد العرب فى بعض المناطق اشرافا حادا ومن ارتفاع يتراوح بين ١٠٠٠ – ١٥٠٠ متر • وفيما وراء حافة هذه الهضبة ، تمتد صحراء الربع الخالى حاجزا جغرافيا وبشريا [١١] يفصل بين هذه السواحل وبين داخل الجزيرة العربية • ولهذا فمن المتوقع أن نجد هنا صورة مشابهة بعض الشبه لصورة عمان من ناحية الاتجاه نحو البحر ومن ناحية الانعزال عن داخل الجزيرة العربية ، الا عن طريق المسالك الساحلية وهى طويلة • وسواحل البحر العربى تبدو فقيرة اذا قورنت بسواحل عمان مثلا • ولكنها مع ذلك تتضمن بعض مناطق ، وعلى الاخص الوديان المتجهة اليها من حافة هضبة بلاد العرب ، كانت فى الماضى كما أنها لا تزال فى الوقت الحاضر أهم مصدرا للبخور فى العالم • وفضلا عن ذلك فقد كانت مشهورة أيضا ببعض أنواع التوابل [١٢] •

والخلاصة أنه بسبب الظروف الجغرافية التى تكتنف سواحل خليج عمان والبحر العربى ، كان اتجاهها نحو البحر كبيرا • ولهذا يبدو أن الاتصالات التى جرت بينها وبين سهل العراق عن طريق الخليج العربى ، كانت تنتقل بطريق الماء أكثر مما كانت تنتقل بطريق المسالك الساحلية •

والمسلك الساحلى على البحر العربى [١٣] يمتد من عدن على طول سواحل حضرموت وظفار دون أن تعترضه عقبات مهمة • وهو يصلح فى كل امتداده لسير الابل كما تصلح منه بعض أجزاء لسير دواب الحمل الاخرى • والمسلك يجاور الساحل مباشرة فى بعض المناطق ، كما يبتعد

---

(١١) راجع (١٩٢) ص ١٠٣ •

(١٢) راجع (٢٣٣) ص ١ – ٢٢ • ، (١٩٢) ص ٩ – ١٠ •

(١٣) عن هذا المسلك وتفاصيل مواقعه ، راجع (٦٢ – الجزء الثانى) ص ٥٩ – ٦١ ، ٢٨٧ – ٣١٢ •

عنه قليلا فى بعض مناطق أخرى لكى يتحاشى بعض الصعوبات • مثل المنطقة الواقعة بين طاقة على ساحل ظفار وبين جزير على ساحل عمان • وفى شمال جزير تبتعد رمال الربع الخالى تدريجيا عن الساحل ، ويتفتح نحو عمان الداخلية • وهناك ينحدر على السطح من مرتفعات عمان بعض وديان ، ويمكن أن تتخذ مسالك لنقل الاتصالات بين الساحل وبين الداخل • وأول هذه المسالك يبدأ من جزير وينتهى عند مانه • وهو يتبع وادى الهجف فى قسم من امتداده [١٤] • وتعتبر مانه نهاية لمسالك أخرى تبدأ من الساحل • وهى أكثر تحديدا ، لانها تتبع وديانا أكثر أهمية مثل وادى كلبة ، وهو يعرف أيضا باسم وادى حلفين ، وينبع من السفوح الجنوبية للجبل الاخضر ويصب فى خليج غبة حشيش [١٥] ومثل وادى بذا ، وهو ينبع من السفوح الجنوبية للحجر الشرقية ويصب عند بلدة اشخرة على الساحل أو الى شمالها بقليل •

ومن ساحل خليج عمان تتفرع أيضا مسالك تجتاز نطاق المرتفعات الى عمان الداخلية [١٦] • منها مسلك يبدأ من صور فى غرب رأس الحد بقليل • وهو يتبع وادى فليج مجتازا الطرف الشرقى لمرتفعات الحجر الشرقى ويتصل بمسلك وادى بذا عند واحة كامل • ومسلك وادى فليج غنى بمياهه وبمراعيه كما أنه يصلح لسير الابل ، ولا يتضمن صعوبات طبيعية الا من ناحية واحدة ، وهى أن جميع الاتصالات المارة به فيما بين صور وبين كامل مضطرة أن تسلك فى الحجر الشرقية ممرا ضيقا

---

(١٤) عن هذا المسلك وتفاصيل مواقعه ، راجع (٦٢ – الجزء الثانى) ص ٣١٢ – ٣١٨ •

(١٥) عن مسلك وادى جكته (حلفين) وعن تفاصيل مواقعه ، راجع (٦٢ – الجزء الثانى) ص ٣١٦ – ٣١٨ • ، (٢٤٤) ص ١٥٠ •

(١٦) تنقسم عمان الداخلية الى قسمين يتدخل بينهما ذراع من الجبل الاخضر • والقسم الشرقى منهما يكون عمان الاصلية أما القسم الغربى فيحمل أيضا تسمية الظهيرة • راجع(٦٢ – الجزء الاول) ص٢٣٧–٢٣٨، ٢٦٧–٢٧٥ •

يسهل التحكم فيه ويعرف باسم الرفسة[١٧] • ويوجد مسلك آخر فى الحجر الشرقية يجتازها ويصل بين مسقط أو مطرة على الساحل وبين مانه فى الداخل • وهو يتبع امتداد واديين متقابلين • أحدهما وادى اسماعيل وهو يصب فى خليج عمان، والآخر وادى حلفين وهو الذى يصب فى خليج غبة حشيش كما سبقت الاشارة • ولا يتضمن هذا المسلك صعوبات مهمة ، ولا يتجاوز ارتفاعه ٥٥٠ مترا فى منطقة تقسيم المياه بين الواديين • وفضلا عن ذلك فانه غنى بمياهه وبمراعيه ويتضمن بعض الواحات والقرى الكبيرة[١٨] •

وفى مرتفعات الحجر الغربية توجد ممرات أيضا • ويخترق بعضا منها مسالك تصل بين سهل الباطنة ، وهو السهل الساحلى المقابل ، وبين منطقة الظعيرة فى الداخل • ومن أهمها مسلك يبدأ من مصنعة ، وهى بلدة تقع عند مصب وادى فرع ، أو يبدأ من سويق ، وهى بلدة أخرى تقع على مسافة قصيرة من غرب هذا المصب • ويصعد المسلك فى وادى فرع مسافة نحو ٥٠ كم الى رستاق، وهى قرية على السفوح الشمالية للمرتفعات، ثم يجتاز منطقة تقسيم المياه الى وادى غفير فينحدر معه على السفوح الجنوبية للحجر الغربية الى ضنك • وهذا المسلك غنى أيضا بمياهه ومراعيه كما أنه يتضمن أيضا بعض القرى الكبيرة والواحات • الا أنه يتضمن بعض صعوبات فى منطقة تقسيم المياه وكذلك فى منطقة التلال الوعرة عند السفوح الجنوبية لهذه المرتفعات[١٩] • ومن أسهل المسالك التى تجتاز الحجر الغربية ومن أهمها ، مسلك يصل بين صحار على الساحل وبين بريمى فى

---

(١٧) عن هذا المسلك وتفاصيل مواقعه ، راجع (٦٢ ـ الجزء الثانى) ص ٣١٣ـ٣١٨ •

(١٨) عن هذا المسلك وتفاصيل مواقعه ، راجع (٦٢ ـ الجزء الثانى) ص ٣١٩ـ٣٢٣ •

(١٩) عن هذا المسلك وعن تفاصيل مواقعه ، راجع (٦٢ ـ الجزء الثانى) ص ٣٢٦ـ٣٢٩ •

الداخل • ويصعد هذا المسلك فى وادى الجيزى الى منبعه فى النجد ، وهو هضبة يرتفع مستواها الى نحو ٦٢٠ مترا فوق مستوى سطح البحر • ثم ينزل فى وادى العين الذى ينبع أيضا من هذه الهضبة ، الى مصبه عند واحات بريمى[٢٠] • ولهذا المسلك أهمية خاصة • ذلك لانه بجانب سهولته وتضمنه ما تتضمنه المسالك الاخرى من توفر المياه والمراعى ومن وجود بعض القرى الكبيرة والواحات ، يلاحظ أنه يبدأ حيث يبدأ ساحل عمان يأخذ اتجاهه نحو الشمال الى مضيق هرمز • كما يلاحظ أن فى مقابله على الجانب الآخر لهذا الجزء من عمان ، يبدأ الخليج العربى يأخذ اتجاهه العام نحو الشمال الغربى • ومعنى هذا أن اجتياز هذا المسلك يوفر على الاتصالات صعوبات السير مسافة طويلة حول سواحل هذا الجزء من عمان والالتفاف حول رأس المسندم • وفضلا عن ذلك فان سير الاتصالات فى سهل الباطنة بين مسقط وبين صحار أسهل من سيرها فى منطقة الظهيرة فى الداخل بين مانه وبين البريمى • ومعنى هذا أن الاتصالات القادمة على الساحل العربى للخليج العربى وقاصدة مسقط يكون من الافضل لها أن تسلك مسلك البريمى ـ صحار • ومثل ذلك بالنسبة للاتصالات القادمة من هذا الميناء الى ساحل الخليج العربى • والبريمى تقع عند مدخل القسم الداخلى من عمان من جهة الخليج العربى كما أنها تعتبر نهاية للاتصالات القادمة على ساحل البحر العربى وعلى ساحل خليج عمان الى هذا الجزء من عمان • ولهذا تميزت عن غيرها من القرى الاخرى والواحات فى داخل عمان بأهمية كبيرة • وللبريمى فضلا عن ذلك بعض أهميات خاصة • منها ما هو اقتصادى ، ويقوم على كونها مركزا فى منطقة تتضمن عددا آخر من الواحات[٢١] • وهذا جعلها سوقا للقوافل بجانب

---

(٢٠) عن هذا المسلك وتفاصيل مواقعه ، راجع (٦٢ ـ الجزء الثانى) ص ٦٢ـ٦٣ ، ٣٢٩ـ٣٣٦ •

(٢١) راجع (٦٢ ـ الجزء الاول) ص ٢٨١ـ٢٨٢ • ، (٢٤٤) ص ١٦٣ والهامش رقم ١٠ •

كونها محطة له • ومنها ما هو استراتيجى يرتبط بموقعها • فانها تقع فى جنوب البروز الذى كونه الاتجاه الشمالى لساحل عمان • وهى بهذا تقع على أقصر طريق يصل بين مسقط عاصمة عمان وأهم مدينة على ساحله من جهة وبين ساحل الخليج العربى من جهة أخرى • كما أنها تسيطر على ممر للاتصالات ، وهو محدد ، يقع عند حافة صحراء الربع الخالى بين مقدمات الحجر الغربية من جهة الشرق وبين جبل حفيط من جهة الغرب ، وهذا الجبل يحميها ، كما تحميها هذه الصحراء من غارات البدو ومن غارات قراصنة الساحل الغربى لعمان • ولعل هذه الاهميات هى التى أعطت للبريمى طابعا خاصا من الناحية السياسية ، فجعلتها منطقة حياد فى داخل عمان لا يدعى عليها أى شيخ من شيوخ القبائل التى تكتنفها نفوذا خاصا[٢٢] •

والخلاصة أننا اذا استثنينا المسالك التى تحمل الى سهل العراق بعض اتصالات بلاد بنت (على جانبى مضيق باب المندب) خلال بلاد اليمن وداخل الجزيرة العربية ، فان بعضا من هذه الاتصالات يمكن أن يحمل اليه بطريق المياه الشاطئية فى البحر العربى وفى خليج عمان وفى الخليج العربى • أما البعض الآخر فانه يمكن أن يحمل اليه بواسطة القوافل على طول سواحل هذه المياه ، باستثناء منطقة عمان • فانه من الاسهل للاتصالات القادمة من ساحل البحر العربى أن تسلك مسلكا أو آخر من المسالك الجانبية الى البريمى فى القسم الداخلى من عمان • وكذلك من الاسهل للاتصالات القادمة من سواحل خليج عمان أن تجتاز مسلكا أو آخر فى مرتفعات عمان الى البريمى أيضا لكى تتحاشى صعوبات الالتفاف حول رأس المسندم •

وقد سبقت الاشارة الى أن البريمى تقع عند حافة صحراء الربع الخالى • وهذه الصحراء تمتد الى القسم المقابل من الخليج العربى والمعروف

---

(٢٢) راجع (١٩٦) ص ١٧١ •

باسم الساحل الشمالى لعمان[٢٣] • وفيما بين البريمى وبين هذا الساحل ، يجتاز الصحراء مسلكان • أحدهما قصير ، يبلغ طوله نحو ١٦٠ كم• وهو يتجه نحو الغرب مباشرة الى ثغر « أبو ظبى » على الساحل • والارض التى يجتازها سهل رملى يمكن السير عليه • ولكنه فقير بالمراعى وفى موارد المياه وعلى الاخص فى فصل الصيف • وتقع أبو ظبى فى موقع حصين عند رأس خور البطن ، وهو مدخل واسع يصلح لايواء السفن الشراعية والقوارب • وتكتنفها بعض أخوار أخرى أصغر منه• وفى وقت المد ترتفع المياه فى هذه الاخوار وتبدو أبو ظبى كجزيرة فى وسط الماء • وهناك أمام الساحل توجد جزر تحمى مياهه من الامواج العنيفة[٢٤] • ومما تقدم يستنتج أن ثغر أبو ظبى تتوفر له بعض نواحى تستدعى نوعا من الملاحة النشيطة • ولهذا فمن المتوقع أن تكون حركة الاتصال بينه وبين البريمى نشطة أيضا • واذا نظرنا الى خريطة طبيعية لحوض الخليج العربى، ونظرنا على الاخص الى القسم الواقع بين ثغر « أبو ظبى » وبين رأس التنورة الذى يحمى مدخلا لثغر القطيف ، نجد أن فى هذا القسم بعض نواحى جديرة بالاعتبار • فنجد من جهة انه يكون قوسا ينبعج نحو الجنوب ، وسواحله كثيرة التعرج تتدخل فيها خلجان وأخوار تارة ، وتبرز منها رؤس تارة أخرى • كما نجد أن رمال صحراء الربع الخالى تتقدم نحوه وتطغى عليه فى قسمه الشرقى ، وحيث بتعدعنه قليلا فى قسمه الغربى نجده يتضمن منخفضات تشغلها مستنقعات • وفى مقابل هذا نجد من جهة أخرى ، أنه يمكن تجنب كل هذه الصعوبات كما يمكن توفير جانب كبير من الوقت ومن العمل ، لو استخدمت السفن فى النقل خلال المسافة القصيرة التى تفصل بينهما من

---

(٢٣) هذه التسمية يطلقها العرب عليه ، ولكنها ليست دقيقة من الناحية الجغرافية • ولتمييزه عن القسم الاخر من ساحل عمان وهو شمالى ايضا ، يحسن ان نطلق عليه تسميته التاريخية المشهورة وهى ساحل القرصان ، او تسميته الحديثة التى اطلقها الانجليز عليه وهى « تروشيال كوست » أى الساحل المهادن • راجع (١٩٦) ص ٧ × - ٧١ × •

مياه الخليج العربى • واذا راعينا كل هذه الاعتبارات يمكن القول بأن معظم الاتصالات المنقولة من سواحل البحر العربى وخليج عمان الى ثغر «أبوظبى»، كانت تحمل بالسفن الى ثغر القطيف فى جنوب رأس التنورة • وهنا أيضا يمكن القول بأن القطيف كان لها دور هام فى النشاط التجارى الذى كان قائما على الملاحة القديمة• ولا تقتصر أهمية القطيف على هذا النشاط الملاحى فحسب بل ان لها أيضا بعض أهميات أخرى • منها غنى المناطق التى تكتنف هذا الثغر فى الاحساء ، ومنها سهولة الاتصال بينه وبين داخـل الجزيرة العربية عن طريق مسلك الهفوف ـ الرياض(٢٤) • ولعل هذا هو ما حمل بعض الباحثين على اعتبار أن ثغر القطيف قد قام فى موضع ثغر الجـرع المشهور والذى كان ينافس بنشاطه التجارى نشاط سبأ ومعين(٢٥) • عـلى أن هذا الاعتبار يمكن أن يشاركه فيه أيضا ثغر العقير ، وسنشير الى ذلـك بعد قليل •

أما باقى الاتصالات المنقولة من بريمى ، وهى التى لم تتجه الى ثغر « أبو ظبى » ، فانها تسلك طريق السهل الساحلى • وتبدو الهفوف مركز الجذب الرئيسى لها • والهفوف مركز واحة كبيرة ، وهى أهم واحـات الاحساء(٢٦) • وقد اكتسبت جانبا من أهميتها من كونها المحطة الاماميـة والرئيسية على طريق الاتصالات المتجهة الى الرياض فى داخـل الجزيرة العربية • وهذا الطريق يعتبر أهم منفذ لنقل اتصالات عمان نحـو هـذا الداخل ، وذلك بسبب اعتراض رمال صحراء الربع الخالى • على أن هـذا ليس معناه ان كل اتصالات عمان المنقولة بطريق البر من البريمى الى الهفوف تتحول عندها الى داخل الجزيرة العربية فان بعضا منها يمكن أن يستمر فى اتجاهه على طول السهل الساحلى الى العراق •

---

(٢٤) راجع (٦٢ ـ الجزء الاول) ص ٣٣٧ـ٣٣٩ ، (٦٢ ـ الجزء الثانى) ص ٦٣ ، ٣٣٥ ـ ٣٣٦ •
(٢٥) راجع (١٥٠) ص ١٤٢ • ، (١٨٤) ص ٢٨٢ •
(٢٦) راجع (٦٢ ـ الجزء الاول) ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥ •

والمسلك الساحلى بين البريمى وبين الهفوف يبلغ طوله نحو ٧٥٠ كم• وهو بجانب هذا الطول الكبير يتضمن بعض صعوبات طبيعية(٢٧) • منها أنه فى معظم امتداده يجتاز صحراء رملية مموجة بكثبان • ومنها أنه فقـير فـى موارد مياهه وفى مراعيه ، وعلى الاخص فى قسمه الواقع بين البريمى وبين سيلا ، وهى ثغر صغير يقع عند مصب وادى سحبه • وفى هذا القسم ينبغى أن تحمل القوافل معها من الماء ما يكفيها لمدة ثلاثة أيام • وتزداد مشكلة قلة الماء والمراعى حدة فى فصل الصيف• ولهذا فان الاتصالات تضطر أن تسلك مسلكا يقربها من مراكز العمران على الساحل ، الا أن هذا الاقتراب يعرضها فى بعض الاحيان لغارات القراصنة التى تساعدهم لاجونات الساحل عـلى الاحتماء بها • ولعل تعرض القوافل لغارات القراصنة كان من بين الاسباب التى أدت الى عدم وجود مسلك معين تطرقه القوافل فى جنوب هذا الجزء من ساحل الخليج العربى(٢٨) • والمسالك المتعددة التى تطرقها القوافل هناك كثيرة التعرج، وذلك لكى تتجنب ما يعترضها من كثبان من جهة ولكى تصل الى مورد للمياه من جهة أخرى • وتتصل بهذا المسلك مسالك أخرى تتجه اليه من بعض الثغور على الساحل، ومن أهمها مسلكان يلتقيان به عند الهفوف ويأتى كل منهما من ساحل خليج البحرين• واحدهما يبدأ من العقير والآخر من القطيف • ويبدو موقع العقير منافسا خطرا لموقع القطيف(٢٩) فى احتمال أن يكون هو المكان الذى قام فيه ثغر الجرع القديم(٣٠) • والعقير ثغر على خليج البحرين وعند نهاية مدخل ضيق منه ولكنه عميق • فبينما لا يتجاوز اتساعه مائة متر تقريبا فان عمقه يتجاوز ٥ أمتار • وهو يقع على أقصر طريق يصل بين جزر البحرين وبين الهفوف • فان المسافة بينه وبين الطرف الجنـوبى

---

(٢٧) عن هذا المسلك وتفاصيل مواقعه ، راجع (٦٢ ـ الجزء الثانى) ص ٦٣ ـ ٦٤ ، ٣٣٦ ـ ٣٣٩ •
(٢٨) راجع (٦٢ ـ الجزء الثانى) ص ٦٣ •
(٢٩) راجع (٦٢ ـ الجزء الاول) ص ٣٠١ ، ٣٠٤ ، ٦٠٦ ـ ٦٠٨ •
(٣٠) راجع (٤١) ص ١٤٠ •

لجزيرة البحرين تبلغ نحو ٤٠ كم ، كما أن المسافة بينه وبين الهفوف لا تتجاوز ٥٠ كم • وتبدو هذه الابعاد مميزة للعقير على القطيف اذا قورنت بالابعاد المتعلقة بها • فان المسافة بين هذا الثغر وبين جزر البحرين تبلغ نحو ٤٨ كم ، كما تبلغ المسافة بينه وبين الهفوف نحو ١٨٠ كم • ولكن هذا التميز لثغر العقير تقابله ناحية ضعف كبيرة فيه ، فانه فى الواقع لا شىء تقريبا فيما عدا الموقع • ولقد كان أثناء الحكم التركى خاليا من السكان فيما عدا أفراد الحامية التركية وموظفى الميناء وبعض التجار • ولكنه مع ذلك كان يتضمن خانا كبيرا للقادمين اليه من الماء ومن البر • أما مطالب الحياة من المأكل ومن المشرب فانها كانت تجلب اليه من خارج محيطه[٣١] • وبعبارة أخرى أن ثغر العقير يتمتع من ناحية الموقع ببعض المزايا ولكنه فقير جدا من الناحية الانتاجية وهذا يضعف من أحتمال قيام ثغر الجرع المشهور فى موضعه • أما ثغر القطيف فانه يتمتع أيضا بجانب من هذه المزايا ، ويمتاز بأن الاقليم الذى يكتنفه منتج ويستطيع أن يسد بعض مطالب النشاط التجارى فيه • ولهذا فان موقعه يبدو أكثر من موقع العقير احتمالا لقيام ثغر الجرع فيه •

على أنه لا يهم كثيرا أن نعرف على وجه محقق ان كان ثغر الجرع قد قام فى موقع العقير أم قام فى موقع القطيف ، ولكن الذى يهم هو أن نشير الى أن أى ميناء قام على هذا الجزء من ساحل الخليج العربى انما كان منافسا خطرا للموانىء العراقية على التجارة الشرقية • وعلى الاخص فى الاوقات التى كانت فيها المسالك الطبيعية لاتصالات هذه الموانىء نحو عالم شرق البحر المتوسط ، ميدان صراع •

والمسلك بين الهفوف وبين القطيف[٣٢] يجتاز أرضا سهلية تخلو من الصعوبات الطبيعية ، وتتضمن على مسافات متقاربة موارد للمياه وبعض

---

(٣١) راجع (٦٢ - الجزء الاول) ص ٣٠٨ •

(٣٢) عن هذا المسلك وتفاصيل مواقعه ، راجع (٦٢ - الجزء الثانى) ص ٣٢ - ٣٣ ، ١٠٠ •

الواحات • وامتداد المسلك بين القطيف وبين الكويت[٣٣] يبتعد عن الساحل فى بعض المناطق بسبب انخفاضها وتضمنها كثيرا من اللاجونات والاخوار وعلى الاخص فى شمال الاحساء حيث تشغل المستنقعات معظم منطقة الحياد بينها وبين الكويت • أما فى شمال هذه المستنقعات فان المسلك يقترب تدريجيا من الساحل حتى يلتقى به عند ميناء الكويت • والارض التى يجتازها هذا المسلك سهلا صخريا ويتضمن بعض مناطق تربتها مفككة وبعض مناطق أخرى تبرز عليها تلال منعزلة • ومراعيها فقيرة ولكنها تتوفر فى فصل الربيع • أما موارد المياه فيه فانها متوفرة فى كل مراحله بصفة عامة ، ولكنها لا تكفى لقيام واحات كبيرة أو قرى • وقيام مثل هذه المراكز الكبيرة للعمران فى الصحراء عامل هام فى اجتذاب القوافل اليها ، لان فيها تتوفر بعض مطالبها • ولا تختلف كثيرا ظروف المسلك الممتد بين الكويت والبصرة[٣٤] عن امتداده السابق فيما بين القطيف وبين الكويت ، سواء من ناحية السطح أم من ناحية عدم توفر المياه بالقدر اللازم لقيام القرى والواحات الكبيرة • وهو يبدأ من ميناء الكويت الواقعة على الساحل الجنوبى لخليج الكويت ويجتاز فى بادىء الامر نحو ٨ كم فى أرض صحراوية مفككة التربة ثم يجتاز بعدها نحو ٢٤ كم فى ارض صخرية وخفيفة التموج الى بلدة الجهرة ، وهى تقع عند الطرف الغربى لخليج الكويت • والجهرة واحة كبيرة ، وهى أكبر مركز زراعى فى الكويت • وقد جعلها موقعها الجغرافى عند نهاية هذا الخليج حلقة هامة من حلقات الانتقال بين اليابس وبين الماء ، ومركزا هاما تتجه نحوه الاتصالات من بعض الاتجاهات فى داخل الجزيرة العربية • كما جعلها ثراؤها الزراعى محطة هامة للقوافل وسوقا لها •

---

(٣٣) عن هذا المسلك وتفاصيل مواقعه ، راجع (٦٢ - الجزء الثانى) ص ٣٤ ، ١٠٩ •

(٣٤) عن هذا المسلك وتفاصيل مواقعه ، راجع (الجزء الثانى) ص ٣٤ ، ١١٠ - ١١٢ •

ويصل بين الجهرة وبين الزبير مسلكان رئيسيان • أولهما وهو أقصر من الآخر قد ازدادت أهميته منذ سنة ١٩٢٨ بعد أن اتفق على أن يكون الطريق الرسمى لسير السيارات بين البصرة وبين عاصمة الكويت • وهو فى معظم امتداده يجتاز ارضا حصوية رملية من سطوح الدبدبة ، تصلح لسير جميع وسائل النقل فى كل فصول السنة ، وذلك باستثناء بعض امتدادات قصيرة تتوحل ويصعب السير عليها اذا سقطت الامطار بغزارة نسبية • وهو فيما عدا ذلك لا يتضمن صعوبات تتعلق بالسطح • وأهم الصعوبات الاخرى التى يتضمنها هى ندرة المياه فى المنطقة الواقعة بين آبار الجهرة وبين بئر قشعانية ، وهى مسافة كبيرة تبلغ نحو ٧٥ كم • وهذه المسافة وان كانت لا تعتبر صعوبة أمام السيارات التى تجتازها فى الوقت الحاضر فى نحو ثلاث ساعات[٣٥] ، الا أنها كانت بلا شك صعوبة كبيرة أمام القوافل التى كانت تجتازها فى نحو خمسة أيام • والذى يستنتج من ذلك هو أن هذا المسلك وان كان فى الوقت الحاضر الطريق الرسمى لنقل الاتصالات بين العراق وبين الكويت بطريق البر ، الا أن استخدامه فى الماضى لنقل هذه الاتصالات يبدو أنه كان محدودا • كما يبدو أن المسلك الآخر ، وان كان أطول منه بنحو ٥٤ كم ، الا انه كان أكثر منه استخداما بسبب توفر المياه فى كل مراحله •

وهذا المسلك الآخر يلتف من الجهرة حول رأس خليج الكويت ثم يتبع جانبه الشمالى مارا على مسافات متقاربة ببعض مراكز ذات آبار مثل كويكب ومديره وبحره وغيرها حتى يصل الى قصر الصبية وهو قرية صغيرة تقع عند مدخل خور الصبية • وهذا الخور يقع بين ساحل الكويت وبين جزيرة بوبيان • ويعرف امتداده فى داخل أرض العراق باسم خور عبدالله • والمسلك يتبع الجانب الغربى لهذه الاخوار حتى يصل الى الزبير • وقد سبقت الاشارة الى أهمية موقع الزبير والى خور عبدالله كمصب قديم

(٣٥) راجع (٩٩) ص ٥٨٣ • ، (٦٢ - الجزء الثانى) ص ٣٤ •

لنهر الفرات[٣٦] •

والخلاصة ، أن الخليج العربى وهو ذراع من المحيط الهندى ممتد نحو سهل العراق ، يحمل فى مياهه وعلى سواحله الى هذا السهل اتصالات بعض الاقاليم التى تكتنف شواطئه ، كما يحمل اليه اتصالات بعض الاقاليم التى تكتنف شواطىء المحيط الهندى من جهة آسيا ومن جهة افريقية • وهذه الاتصالات تنتقل الى داخل سهل العراق من مصبات مياهه وعلى جوانبه وعلى الاخص الجانب الايمن وهو المجاور للبادية •

(٣٦) راجع فيما سبق ، ص ٤٩ • وراجع أيضا (٦٢ - الجزء الثانى) ص ١١٠ - ١١٢ •

٤ – منافذ العراق نحو داخل الهضاب الشمالية في الشرق الاوسط وحافاتها

مقـدمة

يرتفع سهل العراق تدريجيا نحو الشرق ونحو الشمال الشرقى ونحو الشمال • ويشرف عليه من هذه الاتجاهات حائط عال من الجبال الالتوائية الحديثة يكون جزءا من قوس زاجروس – طوروس • وهذا القوس يكون الحافة الجنوبية لثلاث هضاب عليا تمتد فى القسم الشمالى من الشرق الاوسط بين وادى السند من جهة الشرق وبين بحر ايجه ونطاق المضايق الذى يصله بالبحر الاسود من جهة الغرب • وهـذه الهضاب هى ايـران فى الشرق والاناضول فى الغرب وأرمينيا فى الوسط بينهما • وهى تتصل بالعراق خلال قوس زاجروس – طوروس ، من ثغرات فيـه تختلف أهميتها فى نقـل الاتصالات بحسب العوامل الجغرافية التى تكتنفها • وهى تتصل كذلك خلال ثغرات فى حافاتها الاخرى بجهات تجاورها وتقـع خـارج محيط الشرق الاوسط ، وهى الهند وغرب آسيا ووسطها ، وكذلك البلقان وشرق أوروبا ووسطها • وبسبب موقعها الجغرافى هذا لم تكن الاتصالات الجارية بينها وبين سهل العراق قاصرة على اتصالاتها الخاصة فحسب وانما كانت أيضا معبـرا لاتصالات الجهات الاخرى التى تكتنفها فى آسيا وفى أوروبا •

وسهول خوزستان أو عربستان ، وهما تسميتان حديثتان لما كان يعرف قديما باسم سهول سوسيانا وباسم سهول علام ، تكون حلقة اتصال بين القسم الجنوبى من سهل العراق وبين داخل هضبة ايران • وهى جزء من نطـاق اليابس حديث التكوين ، وهو الذى تكون على جانبى شط العرب • ولقـد سبقت الاشارة الى أن هذا النطاق عندما ظهر على سطح الخليج العربى حصر بينه وبين سهل العراق الاصلى ، وهو المعروف باسم سهل بابل ، بحـيرة

متخلفة[١] ، وعرف الشطر الشرقى منها ، وهو الذى يقع فى شرق نهـر دجلة والقسم الشمالى من شط العرب ، باسم أهوار سوسيانا • كما عـرف الشطر الغربى منها ، وهو الذى يمتد الى مقدمات هضبة بلاد العرب ، باسم الاهوار الكلدانية • ولا تزال لهذه الاهوار بقايا فى الوقت الحاضر • وتشتهر بقايا أهوار سوسيانا باسم هور الحويزة ، كما تشتهر بقايا الاهوار الكلدانية باسم هور الحمار •

والانتقال بين سهل العراق وبين سهول خوزستان خلال هور الحويزة يحدث فى الوقت الحاضر ببعض أنواع من القوارب • ويعرف أكثرهـا انتشارا باسم المشحوف ، وهو نوع يمتاز بأن مقدمته رفيعة ومرتفعة وكذلك مؤخرته • وفى الماضى كان الانتقال بينهما خلال أهوار سوسيانا ، يحدث أيضا ببعض أنواع من القوارب • ويبدو أن المشحوف كان كذلك أكثرهـا انتشارا ، كما يستدل من النماذج التى عثـر عليها فى مخلفات حضـارة العبيد[٢] ، وهى أقدم حضارة معروفة حتى الآن قامت فى سهل العراق فى عصر ما قبل التاريخ • وسنرى فى الجزء الثانى من المؤلف بعض أدلة تغلب احتمال أن يكون أصحاب هذه الحضارة قد هاجروا الى سهل العراق مـن هذه السهول • ومع ذلك فانه تنبغى الاشارة الى أن سير الاتصالات بينهما فى الماضى ، كما هو فى الوقت الحاضر ، لم يقتصر على اجتياز هذه الاهـوار ، وانما توجد بينهما أيضا بعض مسالك برية • وفى الماضى كانت هذه المسالك البرية قاصرة على نطاق اليابس الواقع بين هذه الاهوار وبين سفوح هضـبة ايران ، ثم على نطاق آخر يمتد بين هذه السفوح وبين مقدمات هضبة بـلاد العرب ويقع بين أهوار سوسيانا – كلديا من جهة وبين الاهوار البابلية من جهة أخرى[٣] • ومن المعروف أن الشطر الغربى من هذا النطاق يكـون

---

(١) راجع فيما سبق ص ٣٥ •
(٢) راجع فى الجزء الثانى موضوع « حضارة العبيد » •
(٣) راجع فيما سبق ص ٤٠ – ٤١ • وانظر أيضا الخريطة رقم ٣ •

الارض التى ظهرت فيها الحضارة السومرية • والذى يستنتج من ذلك هو أن سبل الاتصال بين القسم الجنوبى من سهل العراق وبين منطقة سهول خوزستان ، كانت متوفرة فى الازمنة القديمة كما هى متوفرة فى الوقت الحاضر ، فى الماء وعلى اليابس •

وسهول خوزستان أقل مساحة من سهل العراق ، ولكنها تشبهه من ناحية التكوين • فهى أيضا مكونة من رواسب غرينية حديثة • كما تشبهه فى كونها موضع اغراء وجذب بالنسبة لسكان المناطق الجبلية والفقيرة التى تكتنفها • ولكنها فى مقابل هذا التشابه تختلف عنه فى ناحية على جانب كبير من الاهمية • وتلك هى انها ليست مثله أرضا مكشوفة يصعب الدفاع عنها من معظم جهاتها، وانما هى بيئة محددة بدرجة كبيرة وتكتنفها حواجز جغرافية • وتنتقل اتصالاتها خلال ممرات فى هذه الحواجز وبين بعض منها وبين بعض آخر • وأوسع هذه الممرات وأقلها تحددا ، هى التى تنتقل خلالها الاتصالات بينها وبين القسم الجنوبى من سهل العراق • أما الممرات الاخرى فانها ضيقة ومحددة ، ومنها ما يقع فى نطاق المرتفعات التى تفصل بينها وبين داخل هضبة ايران ومنها ممر السهل الساحلى وهو الذى يقع بين هذه المرتفعات وبين الخليج العربى • والممرات الواسعة يسهل الهجوم منها ويصعب الدفاع • أما الممرات الضيقة فان سهولة الهجوم منها والدفاع عنها او صعوبتهما يرتبطان بدرجة كبيرة بحسب القوة المهاجمة لها وبحسب القوة المدافعة عنها• والذى يستنتج من ذلك هو ان سهول سوسيانا ، كانت فى الازمنة القديمة ، تكون فى بعض أوقات قوتها مصدا عن سهل العراق يحول دون وصول الهجرات البشرية والغزوات اليه عن طريقها من دواخل هضبة ايران ومن الساحل الايرانى للخليج العربى • وتكون فى بعض الاوقات الاخرى من قوتها وكذلك فى الاوقات التى تغلب فيها على أمرها تحت ضغط شعوب أخرى أقوى من شعبها ، مركزا للوثوب عليه •

وممر المسلك الساحلى للخليج العربى قد سبقت الاشارة اليه والى

الاتجاهات الاخرى التى يمكن أن تنتقل الاتصالات بينها وبين سهل العراق أو سهول سوسيانا ، عن طريقه • أما ممرات النطاق الجبلى فأهمها اثنان • أحدهما وادى نهر كارون والآخر وادى نهر كرخه • ونهر كارون يصب فى شط العرب عند خرم شهر ، وهى التسمية الايرانية للمحمرة • وله مصب آخر فى الخليج العربى مباشرة ويعرف باسم بهمان شير • والقسم الادنى من وادى الكارون كطريق لنقل الاتصالات، غير جيد سواء فى ذلك مجراه أم جانباه • ويعزى ضعف مجراه كطريق للنقل المائى الى تعرض مستوى الماء فيه فى وقت الفيضان لتغيرات عنيفة ومفاجئة ، والى تكوين شطوط رملية فيه وجزر فى وقت الانخفاض[٤] • كما يعزى ضعف جانبيه كطريقين للنقل البرى الى انخفاضهما وتعرضهما لطغيان المياه فى وقت الفيضان • وهما لتكوينهما الطينى غير صالحين كذلك للسير عليهما عقب سقوط الامطار فى فصل الشتاء[٥] • والقسم الاوسط منه وهو الذى يتضمن سهول سوسيانا ، تكون جوانبه مسالك جيدة لسير الاتصالات عليه، ولكن مجراه يتضمن بعض صعوبات أمام الملاحة فيه • منها تعرض مستوى مائه لتغيرات عنيفة فى فصل الفيضان بمثل ما يحدث فى امتداده الادنى ، ومنها تضمنه بعض المساقط المائية عند الاهواز[٦] • أما القسم الاعلى من واديه ، وهو يقع فى الاقليم الجبلى ، فانه يكون حلقة هامة من حلقات الاتصال بين بعض جهات هذا الاقليم وبعض جهات أخرى تكتنفه فى داخل هضبة ايران وبين سهول سوسيانا • ولنهر كارون عدة منابع وأهمها ثلاثة • ١ ـ أحدهما وهو المنبع الاصلى لنهر كارون ، ينبع من مرتفعات كوهى ـ كاريوش • ومن هذه المرتفعات ينبع أيضا نهر زينده رود ، الذى تقع أصفهان فى القسم الاعلى من واديه • واصفهان مدينة كبيرة ، وقد كانت

---

(٤) راجع (٦١ ـ الجزء الثانى) ص ٦١ ـ ٦٤ •
(٥) راجع (٦١ ـ الجزء الثانى) ص ٢١٠ • ، (٦٤) ص ١٣١ وما بعدها •
(٦) راجع (٥٠) ص ١٤٦ ـ ١٤٨ • ، (٦٤) ص ١٩٨ ـ ١٩٩ •

فى كل تاريخها المعروف واحدة من أهم المدن الفارسية. وفى القرن الحادى عشر وصفها الرحالة ناصرى خسرو بأنها أكبر مدينة فى كل العالم الذى يتكلم اللغة الفارسية(7) . وقد اكتسبت اصفهان بعض أهميتها من خصوبة الاراضى التى تكتنفها ، واكتسبت البعض الآخر من سهولة اتصالاتها ببعض جهات أخرى فى داخل هضبة ايران . وتصلها فى الوقت الحاضر طرق معبدة بغرب ايران عن طريق همدان ، وبشمالها عن طريق طهران ، وبوسطها وشرقها عن طريق نائين ويزد وكرمان . وكلها مدن هامة تقع على أهم طرق لنقل الاتصالات فى داخل هضبة ايران وبينها وبين العالم الخارجى عنها . ٢ - والمنبع الثانى لنهر كارون يعرف باسم خرسان . وهو ينبع من مرتفعات ديزى - كوره التى ينبع منها أيضا نهر كور متجها الى حوض شيراز وبرسبوليس . ولهذا الحوض تاريخ لامع ، فانه قد شهد مولد امبراطورية الفرس الاخمينيين كما شهد مولد امبراطورية الفرس الساسانيين . وتشبه أهميته أهمية حوض أصفهان . فقد اكتسب بعضا منها من خصوبة أراضيه واكتسب البعض الآخر من سهولة اتصالاته مع بعض جهات العالم الخارجى عنه . وقد سبقت الاشارة اليه والى المسالك التى تنتقل خلالها الاتصالات بينه وبين هذه الجهات . ٣ - أما المنبع الثالث فانه يعرف باسم ابيى - ديز . وهو يجرى من الشمال نحو الجنوب خلال ثغرة فى النطاق الجبلى تفصل بين مرتفعات البختيارى فى شرقها وبين مرتفعات لورستان فى غربها . وهو ينبع من سفوح كتلة جبلية تعرف باسم تختى شاه ، ومنها ينبع أيضا نهر قوم الذى يجرى فى امتداده الثغرة نحو الشمال ويصب فى بحيرة نمك فى جنوب طهران . ومعنى هذا أن وادى ابيى - ديز - وادى قوم يكون مسلكا طبيعيا لسير الاتصالات بين منطقة طهران فى شمال هضبة ايران وبين سهول سوسيانا عند سفوحها

(7) راجع (١٦٢) ص ١٨٦ ، ٢٠٤ .

الجنوبية(8) . وتتصل بهذا المسلك مسالك أخرى تأتى من القسم الشرقى من هضبة ايران ومن القسم الغربى منها . وسنرى أن منطقة طهران، وهى التى قامت فيها مدينة الرى المشهورة ، تتصل خلال مسالك أخرى بهضبة أرمينيا وداخل هضبة الاناضول من جهة ، وبحوض بحر قزوين وغرب آسيا ووسطها من جهة اخرى .

ووادى نهر كرخه هو المنفذ الآخر لنقل الاتصالات بين سهول سوسيانا وبين داخل هضبة ايران وهو فى الوقت الحاضر يصب فى هور الحويزه وتتوزع مياهه فيه بواسطة عدد من المصبات . ولهذا فان القسم الادنى من واديه ليس جيدا كطريق لنقل الاتصالات سواء فى ذلك مجراه أم جانبيه . أما القسم الاوسط منه فانه جيد . وهو يجتاز فى جزئه الادنى سهول سوسيانا ، ويجتاز فى جزئه الآخر واديا طوليا فى مرتفعات لورستان يقع بين سلسلة كبير كوه من جهة سهل العراق وبين السلسلة الرئيسية فى نطاق زاجروس من جهة داخل هضبة ايران . وهذا الوادى واسع نسبيا ويصلح لسير الاتصالات خلاله. ويجتازه فى الوقت الحاضر قسم من طريق رئيسى آخر يبدأ من سهول سوسيانا ، وبعد أن يجتاز القسم الرئيسى من مرتفعات لورستان يتفرع عند دولة آباد الى شعبتين ، تتجه واحدة منهما نحو همدان (اكباتانا) وتنتهى عند قزوين عند سفوح جبال البرز - أما الاخرى فانها تتجه نحو عراق وتتبع وادى قوم الى قوم ثم تسلك الحافة الغربية لبحيرة نمك الى طهران(9) . ولنهر كرخه عدة منابع ، منها ثلاثة رئيسية يمكن أن تنتقل خلال وديانها بعض اتصالات الجهات التى

(8) هذا المسلك قد حول الآن الى طريق معبد تسير السيارات عليه ، كما مد على طوله خط سكة الحديد المشهور عبر ايران ، وهو الذى مد فى عهد رضا شاه ليصل بين بندر شاهبور عند رأس خليج موسى فى شرق مصب شط العرب وبين بندر شاه عند مصب نهر جورجان فى جنوب شرق بحر قزوين .

(9) عن هذا الطريق وعن بعض خصائصه ، راجع (٥٠) ص ٢١٣ .

تكتنفها • ١ – يأتى أحدها من جهة الغرب وهو المنبع الاصلى لنهر كرخه، ويجرى فى القسم الشرقى من الوادى الطولى الذى سبقت الاشارة اليه • أما القسم الغربى من هذا الوادى فيجرى فيه نهر آخر ، وهو نهر الوند رافد نهر ديالى وتقع عليه خانقين • ويلاحظ أن وادى الوند وكذلك قسما من وادى هذا المنبع لنهر كرخه ، يكونان معا جزءا من الطريق القديم لسير الاتصالات بين بوابة خراسان وبين بوابة زاجروس ، وهو المشهور باسم طريق خراسان • ٢ – ويعرف المنبع الثانى باسم قره صو • وهو يأتى من جهة الشمال الغربى ، وتقع عليه كرمنشاه • ويمكن أن تنتقل فى واديه بعض اتصالات هذه المدينة الهامة • ولنهر قره صو بعض روافد أخرى هامة مثل نهر جمسياب ونهر كزيل • ويمكن أن تنتقل فى وديانها بعض اتصالات القسم الشمالى من هضبة ايران والقسم الغربى منها • ٣ – أما المنبع الثالث لنهر كرخه فانه يعرف باسم كاشجان رود ، وهو يأتى من جهة الشمال ويكون واديه قسما من الطريق الرئيسى الحالى الممتد بين سهول سوسيانا وبين دولت آباد •

وهور الحويزة ، وهو من بقايا أهوار سوسيانا ، يتسع كثيرا فى وقت الفيضان مما يتجمع فيه من مياه أنهار دجلة وكرخه وكارون وبعض أنهار أخرى صغيرة تنصرف اليه من سفوح هضبة ايران كنهر الطيب ونهر دويريج • وفى غرب هذا المنخفض ، يرتفع تدريجيا مستوى أرض السهل الفيضى فى شرق دجلة ويحسن صرفها ، وعلى الاخص فى المنطقة الواقعة بين بلدة على الشرقى وبين مدينة الكوت • وفى هذه المنطقة أيضا ينبعج المجرى الحالى لنهر دجلة كثيرا نحو الشمال ويبلغ أدنى اقتراب له من سفوح هضبة ايران ، ولا تتجاوز المسافة بينه عند بلدة على الغربى وبين هذه السفوح نحو ٥٠ كم[١٠] • وهذه المنطقة هى جزء من نطاق اليابس الذى تكون بين النطاق الثانى من النطاقات العرضية للمنخفضات وبين

(١٠) راجع (٦١ – الجزء الثانى) ص ٢ •

النطاق الثالث منها الذى يتضمن الاهوار الكلدانية – أهوار سوسيانا • وقد سبقت الاشارة الى أن أرض سومر كانت تكون الشطر الغربى من هذا النطاق[١١] • ولهذا كان سير الاتصالات بقوافل البر بينها وبين سهول سوسيانا ، يسلك هذا النطاق الى سفوح هضبة ايران ثم ينحرف نحو الشرق على نطاق آخر يمتد عند هذه السفوح وفى شمال أهوار سوسيانا• ولارض سومر فى القسم الجنوبى من سهل العراق ، اتصالات أخرى بمرتفعات لورستان خلال مسالك بعض آخر من الانهار المنحدرة على سفوحها نحو أرض سهل العراق • ومن أهمها آبى شنجولا ، والمسلك الذى يصعد فى واديه يعتبر من بين المسالك القليلة المعترف بها رسميا فى الوقت الحاضر كطريق للتجارة بين العراق وبين ايران[١٢] •

وفى غرب مدينة الكوت ، نحو بغداد ، تتسع المسافة كثيرا بين نهر دجلة وبين سفوح هضبة ايران • وتتضمن أرض السهل الفيضى بينهما أحواضا منخفضة تتسع مساحتها كثيرا فى وقت الفيضان ويتوقف سير الاتصالات عبرها • ويوجد منها فى الوقت الحاضر نطاق ، يشغل هور الشويكة قاعه ، ويمتد مستطيلا بين شمال مدينة الكوت على دجلة وبين جنوب مندلى بقليل ، ومندلى بلدة تقع عند سفوح هضبة ايران • ويكون هذا النطاق فى وقت الفيضان حاجزا جغرافيا • ولا شك أنه كان فى الماضى حاجزا جغرافيا أيضا فى الاوقات الاخرى من السنة • وذلك عندما كان يكون مع الاراضى التى تكتنفه بين سفوح هضبة ايران وبين سفوح هضبة بلاد العرب، النطاق الثانى من النطاقات العرضية للمنخفضات • وهو النطاق الذى كان الشطر الغربى منه فى أرض ما بين النهرين يعرف باسم الاهوار البابلية[١٣] • وفى الواقع أنه حتى الوقت الحاضر لا تتضمن المنطقة الواقعة بين الكوت وبين

(١١) راجع فيما سبق ص ٣٨ وما بعدها •
(١٢) راجع (٥٤) المادة الاولى ، فقرة (١) ، قسم ٨ – د • وراجع أيضا (٤٤) ص ٢١٧ •
(١٣) راجع فيما سبق ص ٢٩ ، ٣٣ ، ٣٩ •

بغداد من أراضى السهل الفيضى فى شرق نهر دجلة، مسالك لنقل الاتصالات بين مراكز العمران القائمة فى هذا الجزء من وادى النهر وبين المراكز الاخرى للعمران القائمة عند سفوح الجزء المقابل من هضبة ايران حتى مندلى • ولهذا يتحول سير الاتصالات المنقولة من هذه الهضبة عند سفوحها اما نحو الشرق الى بدره واما نحو الغرب الى مندلى •

وبدرة مركز قضاء (مركز) فى لواء (مديرية) الكوت • وهى تقع فى دلتا خور كبير يعرف باسم جلال بدره ، وفى منطقتها توجد بعض مراكز أخرى للعمران مثل زرباطية وجصان • وجلال بدره ينبع من السفوح الجنوبية لاحدى السلاسل فى نطاق مرتفعات كبير كوه • وفى غرب منبعه تنقطع هذه السلسلة ، وتوجد ثغرة تفصل بينها وبين سلسلة أخرى تقع على امتدادها نحو الغرب • وفى هذه الثغرة يتدخل رافد صغير لنهر كرخه • ولهذا توفر مسلك طبيعى لنقل الاتصالات خلالها ، وهو يصعد من بدره فى جلال بدره ويمر بايلام (ده بالا) عند مدخل هذه الثغرة الى وادى كرخه وينتهى عند شاه آباد (هارون آباد) على طريق خراسان [١٤] •

ومندلى تشبه بدره فى بعض النواحى • فهى مركز لقضاء يتبع لواء ديالى ، كما تقع فى دلتا خور كبير يعرف باسم آبى جنجير وفى منطقتها توجد أيضا بعض مراكز أخرى للعمران • وتشبهها كذلك فى أن سكانها قسمان ، قسم من العرب وقسم من الاكراد • ولكنها تمتاز عنها بأنها تتضمن بجانب سكانها من العرب ومن الاكراد ، جالية تركية كبيرة • وبعض الباحثين يعتبرها بدء نطاق الحاميات التركية التى أقامها الاتراك السلجوقيون أو الاتراك العثمانيون على طريق مواصلات سهل العراق المار بكركوك والموصل نحو القسم الشمالى من الهلال الخصيب ، وعلى الاخص عند منافذ

(١٤) راجع (٥٠) ص ٢١٤ •

اتصالاته باقليم الجبال ومقدماتها الجبلية [١٥] • وفى الواقع أن مندلى تقع عند منفذ هام لحد ما من هذه المنافذ • فان نهر جنجير الذى تقع هذه المدينة فى دلتاه ، ينبع من منطقة فى الامتداد الغربى لسلسلة كبير كوه ينبع منها أيضا أحد روافد نهر كرخه • وهناك توجد ثغرة تمكن من سير الاتصالات بينهما • وفى غرب هذه الثغرة تتوفر ثغرات أخرى ، لان امتداد سلسلة كبيركوه يضعف تدريجيا فى هذا الاتجاه حتى يتلاشى قبيل خانقين • وخلال بعض هذه الثغرات تتصل مندلى بوادى نهر كرخه كما تتصل بطريق خراسان عند شاه آباد (هارون آباد) • ويبدو مسلك شاه آباد – مندلى منافسا لحد ما لامتداد طريق خراسان بين شاه آباد وبين خانقين •

وطريق خراسان الذى يمتد بين بوابة خراسان وبين بوابة زاجروس خلال هضبة ايران ، هو بلا شك شريان الاتصالات بين سهل العراق وبين داخل هضبة ايران وما وراها من بلاد ا لتركستان • وهو يتضمن فى الوقت الحاضر داخل الاراضى العراقية طريقا معبدا ويصلح للسير عليه فى جميع أوقات السنة [١٦] ، كما يتضمن أيضا خطا لسكة الحديد • وهما يصعدان معا فى وادى نهر ديالى ويقتربان من ضفافه تارة ويبتعدان عنها تارة أخرى لتجنب التواءاته الكبيرة وبعض تعرجاته • ويجتازان معه نطاقات التلال التى تقع على جانبيه من ممرات فيها [١٧] • وخط سكة الحديد ينتهى عند خانقين فى داخل حدود الاراضى العراقية • أما طريق السيارات فانه يعبر هذه الحدود عند بلدة

(١٥) يمتد هذا النطاق فاصلا بين المناطق التى يسود فيها العرب من جهة وبين المناطق التى يسود فيها الاكراد من جهة أخرى • وهو يبدأ من منطقة مندلى ويمر بخانقين وقذل رباط وقره تبه وكفرى وطوزخورماتو وطاووق وتازه خورماتو وكركوك والطن كوبرى وأربيل والموصل الى تلعفر • راجع (٤٤) ص ٨٥ ، ١٠٠ – ١٠١ • وراجع أيضا فيما سبق ص ٩٠ – ٩١ • وانظر الخريطة رقم ٩ •

(١٦) راجع (٥٠) ص ١٦٦ •

(١٧) راجع فيما سبق ص ٨٨ وما بعدها وانظر أيضا الخريطة رقم ٩ •

المندرية ويجتاز الى قزوين التى تقع عند سفوح جبال البرز ، نطاق زاجروس وسفوحه الجبلية من ممرات فيه ومتتبعا أحيانا امتداد بعض الوديان[١٨] .

ومما تقدم يلاحظ أنه فيما بين سهل العراق وبين داخل هضبة ايران، يتضمن نطاق المرتفعات الذى يفصل بينهما ممرات ويمكن أن تنتقل خلالها الاتصالات بينهما بصورة مباشرة . ويتضمن وادى نهر كارون ومنابعه ولحد ما نهر كرخه ومنابعه أهم هذه الممرات من جهة الشرق ، كما أن طريق خراسان أهم ممر من جهة الغرب . وتتجه الاتصالات المنقولة فى الممرات الشرقية الى سهول سوسيانا ومنها الى القسم الجنوبى من سهل العراق وهو الذى كان يتضمن أرض سومر . كما تتجه الاتصالات المنقولة فى طريق خراسان خلال وادى ديالى الى القسم الشمالى من هذا السهل وهو الذى كان يتضمن أرض آكاد . أما فيما بين الممرات الشرقية وبين الممر الغربى، فان سفوح المرتفعات المشرفة على سهل العراق ، وهى تعرف باسم بشت كوه، تتضمن أيضا ممرات طبيعية توجد فى وديان بعض الانهر المنحدرة عليها مثل وادى آبى شنجولا ووادى جلال بدره ووادى آبى جنجير . ولكنها فى الواقع ممرات قليلة الاهمية . وذلك لما هو ملاحظ من أن نطاق زاجروس ، بينما يضعف نحو الشرق الى مرتفعات البختيارى ونحو الغرب الى مرتفعات كردستان ، يبلغ ذروة ارتفاعه فى هذا القسم الاوسط الذى تأتى منه منابع هذه الانهر . ولهذا كانت الممرات التى تجتاز هذه المرتفعات وعرة . ومع ذلك فيهمنا أن نشير الى أن ما ينقل من اتصالات هضبة ايران خلال هذه الممرات ، يتجه بعض منه الى القسم الجنوبى من سهل العراق خلال بعض الوديان وعلى الاخص وادى آبى شنجولا ووادى جلال بدره ، أما البعض الآخر فانه يتجه الى القسم الشمالى من سهل العراق خلال بعض

(١٨) راجع (٥٠) ص ١٦٦ ، ١٦٧ ، ٢١٥ – ٢١٧ . وراجع أيضا (١٦٢) ص ٩ وما بعدها .

وديان أخرى وعلى الاخص وادى آبى جنجير .

وفى غرب نهر ديالى تنتقل اتصالات سهل العراق مع بعض الجهات فى الهضاب الشمالية وحافاتها خلال مسالك أخرى توجد فى اقليم الجبال والمقدمات الجبلية[١٩] . وهذا الاقليم يقع فى شرق المجرى الاوسط لنهر دجلة والانتقال من سهل العراق اليه تدريجى ، الا أن سلسلة تلال حمرين تقف حاجزا جغرافيا وتمنع سير الاتصالات بينهما الا خلال ثغرات معينة فيها . وقد سبقت الاشارة الى ثغرتين من أهم هذه الثغرات ، يجرى نهر ديالى خلال واحدة منها ويجرى شط العظيم خلال الاخرى[٢٠] . وسطح اقليم الجبال والمقدمات الجبلية سلمى الشكل . ومعروف أن مستواه يرتفع تدريجيا لحد ما ، نحو الشمال ونحو الشرق . وكذلك ترتفع خطوط الالتواء الممتدة عليه بين الشمال الغربى وبين الجنوب الشرقى متوازية ، ولكن كل خط منها ليس كامل الاتصال اذ توجد ثغرات تفصل بين بعض أجزائه وبين البعض الآخر . ويجتاز بعض هذه الثغرات أنهار الزاب الكبير والزاب الصغير والخابور ونحوهما من الروافد الكبيرة لنهر دجلة . ولكن وديان هذه الانهر خلال هذا الاقليم ليست طرقا جيدة لنقل الاتصالات . وذلك لانها فى بعض أجزاء منها تجرى فى خوانق عميقة وتشرف المرتفعات على مجاريها بحافات حادة . وهذه المجارى ليست طرقا جيدة كذلك للنقل ، لانها فى فصل الفيضان تكون عنيفة وفى فصل الانخفاض تقل مياهها كثيرا وتجتاز خوضا من جانب الى آخر فى كثير من المناطق[٢١] .

وفى الواقع ان الظروف الجغرافية فى المناطق الجبلية من هذا الاقليم لا تلزم الاتصالات المارة خلالها بأن تسلك ضفاف هذه الانهار أو مجاريها بمثل ما تلزم الظروف الجغرافية فى أرض الجزيرة وفى الصحراء السورية

(١٩) راجع عن هذا الاقليم فيما سبق ص ٨١ وما بعدها .
(٢٠) راجع فيما سبق ص ٨٢ – ٨٤ . وانظر الخريطة رقم ٩ .
(٢١) راجع (٦١ – الجزء الثالث) ص ١٠–١٢ . (٦١ – الجزء الرابع) ص ١٤ .

استخدام وادى الفرات • فان هذا النهر يبدو مرغوبا فيه كطريق محدد وله بعض المزايا فى بيئة السهول الصحراوية التى تكتنفه • أما المناطق الجبلية فان كل جزء من منطقة فيها يتشابه بدرجة كبيرة مع الاجزاء الاخرى فى ظاهراتها الجغرافية • وكل قسم يتكون عادة من وادى ومن مرتفعات تشرف على جانبيه • وعلى سفوح المرتفعات تنمو المراعى وبعض الشجيرات والاشجار مثمرة وغير مثمرة • وفى الوادى تنمو بعض الغلات الزراعية وتتوفر موارد المياه كما توجد المدن والقرى الكبيرة • والقوافل تراعى عادة فى سيرها المرور بمثل هذه المراكز الكبيرة للعمران • لانها تكون أسواقا لها ، ولان فيها يتوفر بعض ما تحتاج اليه من خدمات • كما أن فيها توجد هيئات مسئولة ، ولمصلحتها الخاصة على الاقل ، تهتم بسلامة القوافل وتوفير مطالبها • على أن الوديان الجبلية ليست كلها مسالك للقوافل ، فان لبعض منها مزايا تعطيه تفضيلا على البعض الآخر • ومن البديهى أن تتحاشى القوافل سلوك الوديان المغلقة أو الوعرة وأن تسلك الوديان الاخرى المفتوحة والسهلة الواسعة التى يسهل السير خلالها وتكثر فيها مراكز العمران ، وأن تختار من بينها ما يقع على أقصر طريق يوصل الى أهدافها(٢٢) •

ويتضمن اقليم الجبال والمقدمات الجبلية نطاقين من الوديان الواسعة والسهول يمتدان على طوله بين الجنوب الشرقى وبين الشمال الغربى • وقد عرفنا أحدهما باسم منطقة السهول المموجة(٢٣) ، وعرفنا الآخر باسم منطقة

---

(٢٢) لاحظ بعض الباحثين أن مسالك الاتصالات فى بعض الاماكن الوعرة كالخوانق والالسنة الصخرية التى تعترض امتداد بعض الوديان ، قد مهدت بيد الانسان على هيئة سلالم منحوتة أو بنائية • كما لاحظ أن بعض المسالك يتبع أحيانا وديان أنهار أو جداول ولا يتبعها أحيانا أخرى • وأشار الى أن معظم ما يسمى بطرق المواصلات فى هذه المناطق الجبلية ان هى الا مسالك بدائية والبعض منها ضيق الى الدرجة التى يصعب على الحيوانات المحملة السير خلالها • راجع : (٦١ ـ الجزء الرابع) ص ١٥ •

(٢٣) راجع فيما سبق ص ٨٨ وما بعدها • وانظر أيضا الخريطة رقم ٩ •

السهول الجبلية(٢٤) • والنطاق الاول يمتد بين منافذ سهل العراق من سلسلة تلال حمرين وبين منطقة الموصل ، حيث قامت فى الازمنة القديمة نينوى عاصمة للاشوريين ، ويقع بين نهر دجلة من جهة وبين منطقة الهضاب المموجة من جهة أخرى(٢٥) • أما النطاق الثانى فانه يمتد من حلبجة عند النهاية الشرقية لسهل شهرزور الى جزيرة ابن عمر عند النهاية الغربية لسهل سندى ، ويقع بين منطقة السفوح الجبلية من جهة وبين منطقة الجبال من جهة أخرى(٢٦) • وهو يعتبر بين هذه المناطق الجبلية التى تكتنفه سوقا لها ، يستبدل سكانها فيه بمنتجاتهم من الحيوانات والاخشاب وبعض الثمار منتجاته من الغلات الزراعية ومن السلع المصنوعة • كما يعتبر وسيطا بينها وبين جهات الهلال الخصيب • وهذه الجهات تتضمن ممرا من أهم ممرات التجارة بين شرق العالم القديم وبين غربه • كما تتضمن بعض أجزاء منها كسهل العراق ، تعتبر أخصب جهات الشرق الاوسط وأعظمها انتاجا • وبعض هذا الانتاج يختلف عن بعض انتاج المناطق الجبلية •

ويتضمن هذان النطاقان السهليان بعض مراكز كبيرة للعمران • ويقع أهمها عند منافذ اتصالات الاقليم الذى يكتنفه مع العالم الخارجى • وأهم هذه المراكز فى نطاق السهول المموجة هى : كفرى وكركوك بين ديالى وبين الزاب الصغير • ومخمور(٢٧) بين هذا الزاب وبين الزاب الكبير • ثم الموصل

---

(٢٤) راجع فيما سبق ص١٠٤ وما بعدها • وانظر أيضا الخريطة رقم ١١ •

(٢٥) راجع فيما سبق ص ٩٢٠ وما بعدها وانظر أيضا الخريطة رقم ١٠ •

(٢٦) راجع فيما سبق ص ١١٤ وما بعدها وانظر أيضا الخريطة رقم ١١ •

(٢٧) تتفوق فى الوقت الحاضر أهمية أربيل وهى فى منطقة الهضاب المموجة ، على أهمية مخمور وتجتذب نحوها مسالك الاتصالات بسبب اتساع رقعة الاراضى الخصبة التى تكتنفها وعظم انتاجها • وربما كانت أهميتها متفوقة أيضا فى الماضى بسبب ذلك • ولكن مخمور مع ذلك ، تتمتع بموقع استراتيجى مهم عند ممر حسين غازى فى سلسلة قره شوق • فانها تتحكم فى سير الاتصالات المارة خلال هذا الممر بين سهل أربيل وبين وادى دجلة عند قلعة شرقاط ،

بين الزاب الكبير وبين نهر دجلة. أما أهمها فى نطاق السهول المموجة فهى: السليمانية بين ديالى وبين الزاب الصغير • ورانيه وراوندوز بين هذا الزاب وبين الزاب الكبير • ثم عمادية وزاخو بين الزاب الكبير وبين نهر دجلة •

وتنتقل الاتصالات بين كفرى وكركوك من جهة وبين السليمانية من جهة أخرى فى مسلكين رئيسيين ، يجتازان بعض الممرات فى القسم الشرقى من منطقة السفوح الجبلية ، وقد سبقت الاشارة اليهما[٢٨] • وأهمهما من وجهة نظر المواصلات ، هو الذى يصل بين كركوك وبين السليمانية • وهو يجتاز فى منطقة الهضاب المموجة سهل جمجمال ويجتاز فى منطقة السفوح الجبلية ممر بازيان وممر طسلوجة الى السليمانية • ومن هذه المدينة تنتقل الاتصالات الى القسم الغربى من هضبة ايران فى مسلكين[٢٩] • أحدهما وهو الاسهل ينزل مع نهر طانجرو خلال سهل شهرزور الى حلبجة ، وهو فى هذا الجزء جيد وصالح لسير السيارات[٣٠] • ومن حلبجه يعبر عند الحدود السياسية ممرا فى القسم الجنوبى من سلسلة جبال هورامان • وفى داخل الحدود الايرانية يتفرع الى عدة فروع لا يصلح السير عليها الا لبعض الحيوان كالبغال والخيل ، وأهمها مسلكان يتجه أحدهما نحو الجنوب الشرقى الى كرمنشاه ويتجه الآخر نحو الشمال الشرقى الى سمنه ، وهى مدينة تقع فى أعالى آب شيروان (المنبع الاصلى لنهر ديالى) • ومن سمنه يتفرع المسلك ثانية الى ثلاثة مسالك ، يتجه واحد منها نحو الجنوب الى كرمنشاه ويتجه الثانى نحو شرق الجنوب الشرقى الى همدان ويتجه الثالث نحو الشمال الى

وهى المكان الذى قامت فيه آشور العاصمة الاولى للاشوريين • كما تتحكم فى مسلك آخر يجتاز سهول كانديناوه ـ دبجه ـ شماملك بين سلسلة قره شوقوبين سلسلة اوانه داغ، وهو المسلك الطبيعى والمباشر بين كركوك وبين الموصل • انظر الخريطة رقم ٩ •

(٢٨) راجع فيما سبق ص ١٠٤ ومابعدها• وانظر أيضا الخريطة رقم ١١•

(٢٩) راجع فيما سبق ص ١٠٤ ومابعدها• وانظر أيضا الخريطة رقم ١١•

(٣٠) راجع (٤٤) ص ٢٠٢ •

تبريز[٣١] • أما المسلك الثانى من السليمانية الى القسم الغربى من هضبة ايران فانه كبير الوعورة • وهو يجتاز نطاق المرتفعات فى شمال السليمانية من ممر ازمر الى جوارته • ثـم يسلك أحـد روافد الزاب الصغير الى بنجوين • ولكن الاتصالات تفضل عليه مسلكا آخر يتفرع من المسلك المتجه الى حلبجة عند بلدة سيد صادق ويصعد فى وادى آق جاقان ، وهو رافد لنهر طانجرو ، ثم يجتاز منطقة تقسيم المياه وينزل منها فى وادى جامى ـ جوجاصور وهو أحد منابع الزاب الصغير ، متجها نحو بنجوين • وهوفى هذا الاقليم الجبلى يجتاز كثيرا من المناطق الوعرة والممرات • وبعد أن يجتاز الحدود السياسية من ممر فى شمال سلسلة هورامان يتفرع الى فرعين• يتجه و احد منهما نحو الشرق الى سمنه ويتجه الآخر نحو الشمال الى بانه ومنها نحو الشمال الشرقى الى سقيز • وهناك يلتقى بالفرع الاول ويتجهان معا نحو الشمال فى شرق بحيرة أورمية الى تبريز[٣٢] •

وتنتقل الاتصالات من مخمور الى رانيه من جهة والى راوندوز من جهة أخرى عن طريق سهل أربيل • ويوجد بين مخمور وبين هذا السهل ثلاثة مسالك طبيعية[٣٣] • يجتاز أحدها ممر حسين غازى فى سلسلة قره شوق ثم سهل دبجه وممرا آخر فى سلسلة أوانه داغ الى هذا السهل • ويجتاز الثانى اليه سهل كانديناوه ملتفا من جهة الجنوب الشرقى حول طرف سلسلة أوانه داغ عند التون كوبرى• أما الثالث فانه يجتاز اليه سهل شماملك ويلتف من جهة الشمال الغربى حول الطرف الغربى لهذه السلسلة عند القوير • وتجتذب مدينة أربيل فى سهل أربيل هذه المسالك الثلاثة اليها ، ثم تخرج منها متفرعة الى فرعين رئيسيين ويجتاز كل فرع منهما القسم الاوسط من منطقة السفوح الجبلية من ممرات فيه • واحدهما يتجه نحو

---

(٣١) راجع (٤٤) ص ٢٠١ـ٢٠٢ • ، (٥٠) ص (١٦٥ • ، ٦١ ـ الجزء الثالث) ص ١٦ •

(٣٢) انظر الخريطة رقم ١١ •

(٣٣) انظر الخريطة رقم ١٠ • وراجع أيضا فيما سبق ص ٩٤ ومابعدها•

الشمال الشرقى الى رانيه عن طريق كويسنجق ، والآخر يتجه نحو الشمال الى راوندوز عن طريق شقلاوة • وفرع رانيه يجتاز سهل بشدر صاعدا سفوح سلسلة جبل قنديل فى وادى وزنه[٣٤] • وبعد أن يجتاز هذه السلسلة من ممروزنه يتشعب الى شعبتين ، تصعد واحدة منها مع رافد للزاب الصغير الى بانة ثم تنزل فى وادى زرينه‌رد نحو مصبه فى بحيرة أورمية ، ومارة بسقيز ، وهى مدينة هامة تتصل خلال مسالك أخرى ببعض الاتجاهات حولها ، ويربطها فى الوقت الحاضر طريق رئيسى بتبريز • أما الشعبة الاخرى فانها تصعد فى الوادى الاعلى للزاب الصغير[٣٥] الى أحد منابعه ثم تعبر منطقة تقسيم المياه بينه وبين نهر آخر يصب فى بحيرة أورمية وتقع عليه سوج بولاق ، وهى مدينة هامة أيضا وتتجه اليها مسالك للاتصالات من بعض اتجاهات أخرى حولها ويمر بها الطريق الرئيسى المار بين سقيز وبين تبريز ، كما يصل بينها وبين مدينة أورميه طريق رئيسى آخر[٣٦] • وأما الفرع الآخر المتجه من أربيل نحو راوندوز ، فانه يتشعب من هذه المدينة الى شعبتين • شعبة تتجه نحو الشمال صاعدة فى وادى نهر بالكيان ، وهو رافد لروبار راوندوز ، الى منبعه عند بلدة مرجه سور فيتسلق منطقة تقسيم المياه وينزل فى بعض الوديان الى روبار حاجى بك فيعبر معه نطاق الجبال الذى تمتد عليه الحدود السياسية ، الى الاراضى التركية وينتهى عند ديزه

---

(٣٤) انظر الخريطة رقم ١١ وراجع أيضا فيما سبق ص ١١٠-١١١ •

(٣٥) دلت أعمال المساحة التى أجريت قبل الحرب العالمية الاولى على أن أحسن مسلك يصلح لطريق حربى أو لخط سكة حديد يصل بين وادى دجلة وبين حوض بحيرة أورمية وشمال غرب فارس ، هو الذى يمتد فى وادى الزاب الصغير من الطن كوبرى ويمر بكويسنجق الى رانية ثم يتبع وادى وزنه ويعبر سلسلة جبل قنديل من ممر وزنه • وفى شرق هذا الممر يتبع الوادى الاعلى للزاب الصغير مارا بسهل لاهيمان وسهل أوشنية الى أورمية • راجع (٦١ - الجزء الثالث) ص ١٦ ، ٢٥٧ وما بعدها •

(٣٦) انظر الخريطة رقم ١١ • وراجع أيضا (٦١ - الجزء الرابع) ص ١٥ ، ٧٠ - ٧٢ •

كاور ، وهى مدينة تلتقى عندها مسالك أخرى للاتصالات يأتى بعض منها من مدينة أورميه ويأتى البعض الآخر من مدينة باش قلعة فى الوادى الاعلى للزاب الكبير • أما الشعبة الاخرى وهى الاهم فانها تصعد فى وادى روبار راوندوز الى رايات وتعبر سلسلة جبل قنديل التى تمتد عليها الحدود السياسية من ممر رايات ، ثم تنزل على جانبها الآخر مع أحد منابع الزاب الصغير الى سهل لاهيجان • ومن هذا السهل تتفرع الى فرعين رئيسيين • يتجه أحدهما نحو الشمال الى أوشنيه ومدينة أورميه ، ويتجه الآخر نحو الشرق الى سوج بولاق ومنها الى تبريز • وقد سلكت هذا الفرع الاخير ، أثناء الحرب العالمية الاولى ، القوات الروسية الى راوندوز[٣٧] •

وتنتقل الاتصالات من الموصل الى عمادية من جهة والى زاخو من جهة أخرى فى ثلاثة مسالك رئيسية تجتاز القسم الغربى من منطقة السفوح الجبلية من ممرات فيها • ويتجه اثنان منها نحو عمادية • يمر أحدهما بعقره ويجتاز هذه السفوح من ممر عقره الى بيره‌كبره (زيبار) ومنها الى عمادية • ويمر الآخر اليها بدهوك ويجتاز ممر سواره توكه[٣٨] • ومن عمادية تنتقل الاتصالات الى كردستان الوسطى ، وهى وعرة ومرتفعاتها شاهقة ، خلال ثلاثة مسالك سبقت الاشارة اليها[٣٩] • واحدهما يجتاز ممر سرعمادية ويصعد فى الوادى الاعلى للزاب الكبير مارا بجلمرك (حكارى) الى باش قلعة ، وهى مركز هام ، وتتجه منها الاتصالات نحو بعض الجهات التى تكتنفها وعلى الاخص نحو مدينة وان عن طريق وادى خشب صو • والثانى يتفرع من الاول عند جلمرك ويتجه مباشرة الى مدينة وان • أما الثالث فانه بعد أن يجتاز ممر سرعمادية يتجه نحو الغرب ويصعد فى وادى

---

(٣٧) انظر الخريطة رقم ١١ • وراجع فيما سبق ص ١١٠-١١١ • وراجع أيضا (٤٤) ص ١٩٩-٢٠٠ • ، (٥٠) ص ١٥٨-١٦٠ • ، (١٣٦) ص ٢٨ - ٢٩ • ، (٦١ - الجزء الرابع) ص ٨٢-٨٤ •

(٣٨) انظر الخريطة رقم ١١ • وراجع فيما سبق ص ١١٠-١١٢ •

(٣٩) انظر الخريطة رقم ١١ • وراجع فيما سبق ص ١١١-١١٢ •

اسراروه رافد الخابور وينتهى كذلك عند مدينة وان • أما المسلك الرئيسى الثالث ، وهو المتجه من الموصل نحو زاخو فانه يجتاز اليها منطقة السفوح الجبلية من ممر حسناوه (٤٠) • وتنتقل الاتصالات منها فى وادى الخابور الاعلى وكذلك فى وادى الهيزل الى حوض بحيرة وان • وطريق وادى الهيزل ، وهو يقع فى غرب وادى الخابور ، هو الاهم لحد ما • ذلك لان اقليم كردستان يقل ارتفاعه تدريجيا كما تقل وعورته نحو الغرب فى جنوب بحيرة وان • ولهذا يبدو أن سير الاتصالات الهامة بين الموصل وبين حوض هذه البحيرة كان يسلك ممرا أو آخر فى الاقليم التلى فى جنوب هذه البحيرة وفى جنوبها الغربى الى وادى دجلة عند جزيرة ابن عمر أو عند ديار بكر ، ومنهما تنتقل خلال المسالك المعروفة بينهما وبين الموصل (٤١) •

ومن أهم الممرات هناك ممران : أحدهما هو الوادى الاصلى لنهر بهتان صو (وهو أهم رافد لنهر دجلة خارج حدود العراق) والآخر وادى رافده بتليس • والاول ينبع من جنوب شرق بحيرة وان ويكون مسلكا للاتصالات نحو مدينة وان ، والآخر ينبع من جنوبها الغربى ويكون مسلكا للاتصالات نحو هذا الجانب من حوض البحيرة • ومسلك هذا الوادى الاخير هو الاهم (٤٢) ، لانه يتصل خلال وادى موش الذى يطلق عليه بعض الباحثين اسم بوابة أرمينية (٤٣) ، وخلال وادى مراد صو ، وهو منبع رئيسى لنهر الفرات ، بهضبة أرمينية • والاتصالات المنقولة فى هذين الواديين تتوزع قبيل مصبهما فى وادى دجلة ، فيتجه بعض منها نحو جزيرة ابن عمر ويتجه البعض الآخر نحو ديار بكر •

---

(٤٠) يعرف هذا الممر أيضا باسم ممر زاخو وباسم كلى سبى • راجع فيما سبق ص ١١٢ •

(٤١) راجع فيما سبق ص ١٢٧ وما بعدها وانظر أيضا الخريطة رقم ١٥ •

(٤٢) ترى سمبل أن طريق وادى بتليس هو الذى سلكه اكسينيفون وعشرة آلاف اغريقى فى عودتهم من سهل العراق بعد موقعة كوناكسه • راجع (٢٢٤) ص ١٩٧ •

(٤٣) راجع (٦٧) ص ٧٩ •

وفى شمال ديار بكر وفى شمالها الغربى يضعف قليلا القسم المقابل من نطاق طوروس ويقل ارتفاعه عن أقسامه الاخرى من جهة الشرق ومن جهة الغرب • وقد توفرت بسبب ذلك ممرات فيه ، ويسهل اجتيازه من بعضها الى داخل هضبة الاناضول ، وعلى الاخص من الممر الذى يصل بين ملطية وبين سيفاس • ويلاحظ أيضا ان هناك ينحرف نطاق طوروس من الاتجاه نحو الشرق الى الاتجاه نحو الشمال الشرقى • ولقد ترتب على هذا الانحراف أن انحرف منبعا الفرات من هضبة أرمينيا وهما مراد صو وفرات صو ، من الاتجاه نحو الغرب الى الاتجاه نحو الجنوب الغربى • وهما يلتقيان فى شمال ملطية بقليل • والذى يستنتج من ذلك هو أن ديار بكر تعتبر مركزا تلتقى فيه بعض الاتصالات المنقولة من داخل هضبة الاناضول خلال ممرات فى نطاق طوروس مع بعض آخر من الاتصالات منقول من شرق هذه الهضبة ومن داخل هضبة أرمينية خلال وديان مراد صو وفرات صو (٤٤) •

وفى غرب وادى الفرات تعتبر حلب فى الحوض الشمالى من الصحراء السورية ، المركز الرئيسى الذى تتجه نحوه الاتصالات الاخرى المنقولة من داخل هضبة الاناضول • ويتضمن قسم نطاق طوروس الواقع فى شمالها وفى شمالها الغربى بعض ممرات يمكن اجتيازه منها • الا أن أهم ممر فيه ، وهو الذى شهد سير معظم الحوادث التاريخية الكبيرة التى جرت بين داخل هضبة الاناضول والعالم الاغريقى – الرومانى من جهة وبين سهول الشرق الاوسط من جهة أخرى ، هو الذى يجتازه الى سهول كيليكية (سهول أضنة) ، ويعرف باسم بوابات كيليكية • وقد سبقت الاشارة الى ممر مرعش والى الممرات الاخرى فى سلسلة أمانوس وهى التى تنتقل خلالها الاتصالات بين هذه السهول وبين حلب (٤٥) •

---

(٤٤) انظر الخريطة رقم ١٤ • وراجع أيضا فيما سبق ص ١٣٠–١٣١ •

(٤٥) انظر الخريطة رقم ١٢ • وراجع أيضا فيما سبق ص ١٤٠ ومابعدها •

والخلاصة انه فى غرب طريق خراسان تنتقل اتصالات سهل العراق مع داخل الهضاب الشمالية وحافاته الجبلية خلال مسالك الحوض الاوسط لنهر دجلة وامتداداتها بالقسم الشمالى من نطاق الهلال الخصيب ، وعلى الاخص المسلك الذى يجتاز واحدا من منافذ سلسلة تلال حمرين ويمر بكركوك ومخمور والموصل وجزيرة ابن عمر وديار بكر الى حلب • وكل مدينة من هذه المدن تقع عند منفذ من المنافذ الرئيسية التى تحمل اتصالات سهل العراق مع بعض الجهات فى داخل الهضاب الشمالية وحافاتها •

فكركوك تحمل بعض هذه الاتصالات عن طريق السليمانية وخلال ممرين فى سلسلة هورامان ، تقع حلبجه عند واحد منهما وتقع بنجوين عند الآخر ، الى القسم الغربى من هضبة ايران والى حوض بحيرة أورمية • وتعتبر سمنه وبانه وسقيز وسوج بولاق أهم محطات لها فى خارج حدود العراق • كما تعتبر تبريز نهاية لها وبدء مرحلة أخرى لنقلها الى داخل هضبة أرمينية ومنافذها نحو اتجاهات أخرى •

ومخمور تحمل كذلك بعض هذه الاتصالات الى الجهات التى تحملها كركوك ، وذلك عن طريق رانيه وعن طريق راوندوز وخلال ممرين فى سلسلة جبل قنديل ، أحدهما وهو ممر وزنه يحمل اتصالات رانيه، والآخر ممر رايات ويحمل اتصالات راوندوز • وتعتبر بانه وسقيز وسوج بولاق أهم محطات لها كذلك فى القسم الغربى من هضبة ايران كما تعتبر أيضا تبريز نهاية لها وبدء مرحلة جديدة نحو هضبة أرمينية ومنافذها الاخرى• وهذه الطرق الاربعة التى تحمل اتصالات سهل العراق مع القسم الغربى من هضبة ايران ومع حوض بحيرة اورمية، اذا قارنا بين البعض منها وبين البعض الآخر من وجهة نظر المواصلات نجد من جهة أن طريق حلبجه هو الاهم فى نقل الاتصالات بين كركوك وبين تبريز ، كما نجد من جهة أخرى أن طريق راوندوز هو الاهم فى نقل الاتصالات بين مخمور وبين تبريز • ولمخمور اتصالات أخرى عن طريق راوندوز وخلال ممر كانى رش فى

جبل رش روان ، مع ديزه كاور وهى تقع على أحد المنابع الرئيسية للزاب الكبير فى القسم الشرقى من كردستان الوسطى ، وتتصل خلال مسالك أخرى نحو الشرق بمدينة أورمية ونحو الغرب بمدينة وان(٤٦) •

أما الموصل فانها تحمل بعض اتصالات العراق عن طريق عمادية من جهة وعن طريق زاخو من جهة أخرى وخلال الاقسام العليا من وديان الزاب الكبير والخابور والهيزل ، الى كردستان الوسطى والى حوض بحيرة وان • الا أنه بسبب عظم ارتفاع هذا القسم من كردستان وشدة وعورة المسالك التى تجتازه ، يبدو أن اتصالات سهل العراق معه عن طريق الموصل لم تكن هامة ، وانها كانت تفضل أن تتجه اليه من جهته الشرقية خلال المسالك الموصلة الى حوض بحيرة أورمية ، ومن جهتــه الغربية خلال المسالك الاخرى الموصلة الى حوض بحيرة وان • ولقد سبقت الاشارة الى أهم المسالك التى تجتازها اتصالات سهل العراق مع حوض بحيرة اورمية • أما أهم المسالك التى تجتازها هذه الاتصالات مع حوض بحيرة وان فانها وادى بهتان ووادى رافده بتليس ، وهى تنتقل اليهما عن طريق الموصل وجزيرة ابن عمر • وهذان الواديان كما سبقت الاشارة ، يمكن أن يحمل عن طريقهما أيضا بعض هذه الاتصالات الى القسم الشرقى من هضبة الاناضول والى داخل هضبة أرمينية عن طريق وادى موش ووادى فرات صو(٤٧) •

وأما ديار بكر فمن طريقها يمكن أن تحمل بعض اتصالات سهل العراق الى القسم الشرقى من هضبة الاناضول والى داخل هضبة أرمينيا عن طريق وادى بتليس وكذلك عن طريق وادى مراد صو ووادى فرات صو • كما يمكن أن يحمل أيضا عن طريقها بعض هــذه الاتصالات الى داخل هضبة الاناضول خلال ممرات نطاق طوروس وأهمها ما يصل

(٤٦) انظر الخريطة رقم ١١ •
(٤٧) انظر الخريطة رقم ١٤ •

بين ملطية وبين سيفاس [٤٨] .

وحلب وهى تقع على آخر هذه المنافذ ، فانها تحمل بعض اتصالات سهل العراق الى داخل هضبة الاناضول . وذلك خلال منافذها فى سلسلة أمانوس الى سهول كيليكية ، ثم خلال بوابات كيلكية وهى منفذ لهذه السهول نحو داخل هضبة الاناضول .

ما سبق ذكره هو دراسة لمنافذ سهل العراق نحو داخل الهضاب الشمالية خلال نطاق زاجروس - طوروس . وفيما يلى سندرس جغرافية سطح هذه الهضاب وحافاتها لتعرف اتجاهات هذه المنافذ فيها ونحو الجهات الاخرى التى تكتنفها من آسيا ومن أوروبا خارج محيط الشرق الاوسط .

أ - هضبة ايران

تتكون هضبة ايران من صخور رسوبية . وقد تأثرت بالحركات الارضية التى تنسب الى الزمن الثالث فالتوت حافاتها فى الجنوب وفى الشمال مكونة سلاسل جبلية شاهقة الارتفاع ، هى جزء من الالتواءات الممتدة بين الغرب وبين الشرق فى جنوب أوروبا وفى جنوب آسيا . أما داخلها فقد التوت بعض أجزاء منه مكونة سلاسل أخرى أقل ارتفاعا . وهى تأخذ نفس اتجاه سلاسل الحافتين ، فيما عدا نطاق مرتفعات خراسان فانه يأخذ اتجاها مخالفا لذلك ، وهو بين الشمال وبين الجنوب . ويتضمن أيضا هذا الداخل مناطق هابطة ، والى بعض منها تنصرف مياه المرتفعات من حولها فتتكون فى قيعانها بحيرات أو مستنقعات . والقسم الغربى من هضبة ايران ضيق الاتساع وفيه تزدحم خطوط المرتفعات ولهذا تغلب عليه ظاهرات الاقاليم الجبلية . وتغلب هذه الظاهرات أيضا على القسم الشرقى منها وهو الذى يتضمن أفغانستان وبلوخستان . وبهذا تبدو هضبة ايران كحوض مستطيل الشكل لحد ما تحيط به حافات مرتفعة . وهذه الحافات وان كانت حواجز جغرافية الا أنها ليست حواجز بشرية . ذلك لانها تتضمن ممرات ويمكن أن تنتقل

(٤٨) انظر الخريطة رقم ١٦ .

خلالها اتصالات داخل هذه الهضبة مع الجهات التى تقع وراء حافاتها .

وتنتقل اتصالات سهل العراق مع داخل هضبة ايران خلال حافتها الجنوبية ، وهى مرتفعات زاجروس . ثم تنتقل من هذا الداخل الى العالم الخارجى من حوله خلال ممرات فى حافاتها الاخرى . ولهذا ينبغى لتعرف اتجاهات اتصالات سهل العراق فى داخل هضبة ايران وفى خارجها أن ندرس فيها الاقسام الآتية :

١ - الحافة الجنوبية .
٢ - الوسط الداخلى .
٣ - مرتفعات أفغانستان وبلوخستان .
٤ - الحافة الشمالية .

١ - الحافة الجنوبية

يطلق على هذه الحافة اطلاقا عاما تسمية جبال زاجروس أو نطاق زاجروس . وذلك نسبة الى سلسلة هامة فيها تقع فى القسم الواقع منها فى شمال سهل العراق . وبجانب هذه التسمية العامة لها ، تعرف تسميات خاصة لاجزائها . فتطلق تسمية كردستان على الجزء الواقع منها فى غرب نهر آب شروان ، وهو المجرى الاعلى لنهر ديالى . وتطلق تسمية لورستان على القسم الواقع منها فى شمال سهل العراق وبين هذا النهر وبين نهر آبى ديز ، وهو أحد منابع نهر كارون . كما تطلق تسمية البختيارى على القسم الواقع بين هذا النهر الاخير وبين منابع نهر جراحى ، وهو نهر صغير نسبيا يصب فى خليج موسى عند رأس الخليج العربى . أما القسم الواقع فى شمال هذا الخليج وبين هذا النهر وبين مضيق هرمز فتطلق عليه تسمية الفارس . وأما القسم الواقع فى شرق هذا المضيق حتى وادى السند فانه يعرف باسم مكران ، وهو يقع فى شمال خليج عمان والبحر العربى .

ومنطقة كردستان قد سبقت الاشارة الى القسم الواقع منها بين منخفض بحيرة أورميا وبين منخفض بحيرة وان ، والى المسالك التى تجتازه وتحمل

بعض اتصالات سهل العراق اليه • وهو اقليم وعر وشاهق الارتفاع • ولا تأخذ خطوط الارتفاع فيه الاتجاه العام بين الشرق وبين الغرب ، وانمـــا يغلب عليها الاتجاه بين الشمال وبين الجنوب[٤٩] • وهذا حسن لحد ما من وجهة نظر الاتصالات مع سهل العراق ، لانها أصبحت تتضمن وديانا بـين هذين الاتجاهين ، وفى بعض منها تجرى منابع لبعض روافد نهر دجلـة كالزاب الكبير والزاب الصغير والخابور والهيزل • وعن طريق هذه الروافد يمكن أن تنتقل بعض اتصالاتها الى المسالك المعروفة التى يتضمنها الحوض الاوسط لهذا النهر[٥٠] • ولكنها مع ذلك محدودة القيمة من هذه الناحية ، بسبب وعورتها • وأهم خطوط الالتواء فى هذا القسم من كردستان ، هـو الذى يمتد مع قممه خط الحدود السياسية بين ايران وبين تركيا • وهو يقع فى القسم الشرقى منها ويمتـد بـين شمال الشـمال الشرقى وبـين جنوب الجنوب الغربى ، ويكـون خطـا لتقسيم المياه بين بعض منابـع الزاب الكبـير وأنهـار أخـرى تصب فى الشـطر الشـمالى من بحيرة وان من جهة وبين بعض منابع الزا ب الصغير وأنهر أخرى تصب فـى بحيرة أورمية من جهة أخرى • وعدا هذا الخط الرئيسى من خطوط تقسيم المياه ، توجد بعض خطوط أخرى • ومن أهمها خط يكتنف الجانب الآخر وهو الغربى ، للوادى الاعلى للزاب الكبير • وهو يكون خطا آخر لتقسيم المياه بينه وبين نهر بهتان صو ، وهو رافد لنهر دجلة ، وكذلك بعض أنهـار أخرى تصب فى الشطر الجنوبى من بحيرة وان ومن أهمها خشب صـو • ومن الاجزاء الشمالية لهذا الخط وللخط الآخر ، وهـو الرئيسى السابق ذكره ، تنبع أنهار أخرى • وأهمها بعض روافد لنهر آراس ، وهو يجرى خلال هضبة أرمينيا ويصب فى بحر قزوين[٥١] •

(٤٩) انظر الخريطة رقم ١١ .
(٥٠) انظرالخريطةرقم ١١ ، وراجع أيضا فيماسبق صحيفة ٨١ ومابعدها .
(٥١) انظر الخريطة رقم ١٤ .

والذى يستنتج مما تقدم ذكره عن وصف سطح هـذا القسـم من كردستان أن اتصالات سهل العراق معه يمكن أن تنتقل خلال الوديان العليا لانهار الزاب الكبير والخابور والهيزل الى الجزء الاوسط منه • وخلال وادى بهتان صو الى القسم الغربى منه ، ثم خلال منابع الزاب الصغير الى القسـم الشرقى • وبجانب ذلك فانه يكون معبرا لبعض هذه الاتصالات نحو هضبة أرمينية وبحر قزوين عن طريق وادى نهر آراس وحوض بحيرة أورمية ، وهو منخفض كبير الاتساع ، يمتد بين الشمال وبين الجنوب معترضا امتداد هـذا القسم من كردستان نحو الشرق[٥٢] • وبسبب هذا ينقطع امتداده فى هذا الاتجاه وتتحول الخطوط الرئيسية لمرتفعاته الى شمال هـذا المنخفض والى جنوبه مكونة نطاق البرز من جهة ونطاق زاجروس من جهة أخرى • أمـا فى شرقه فلا يوجد الا بعض من الكتل الجبلية وبعض من خطوط المرتفعات الثانوية • ونطاق زاجروس فى جنوب منخفض بحيرة أورمية وفى جنوبه الشرقى حتى الوادى الاعلى لنهر ديالى ، يأخذ اتجاها بين شمال الشمال الغربى وبين جنوب الجنوب الشرقى • وهو فى هذا الجـزء يبدو قليل الاتسـاع نسبيا وكذلك قليل الارتفاع • وتكون مرتفعاته مناطق لتقسيم المياه بين منابع الزاب الصغير وبعض منابع نهر ديالى من جهة وبين منابع أنهار أخرى تجرى فـى القسم الغربى من هضبة ايران ومن أهمها نهـران • أحـدهما زرينه رد (جاغاتى) وهو يصب فى جنوب بحيرة أورميه • وقـد سبقت الاشارة اليه والى بعض أجزائه التى تستخدم فى نقل اتصالات سهل العراق مع القسـم الغربى من هضبة ايران ومع حوض بحيرة أورمية عن طريق بنجوين وعـن طريق حلبجه • أما النهر الآخر فهو قزل أوزون ، وهو المنبع الرئيسى لنهر سفدرد الذى يجتاز نطاق البرز ويصب فى جنوب بحر قزوين • ووادى هذا النهر واسع ، ويمكن أن يحمل بعض اتصالات سهل العراق الى القسم الغربى من هضبة ايران والى القسم الشمالى الغربى منها عن طريق حلبجه

(٥٢) انظر الخريطة رقم ١٤ .

وسمنه ، وعن طريق منابع نهر ديالى ، وكذلك عن طريق كرمنشاه وهمدان وهما محطتان رئيسيتان على طريق خراسان • وعن طريق وادى قزل أوزون ، ومن ميانه الواقعة عليه وهى مركز هام للمواصلات ، يمكن أن تحمل بعض هذه الاتصالات الى تبريز وحوض نهر آراس •

أما فى شرق الوادى الاعلى لنهر ديالى وفى شرق واديه الاوسط ، وفيما بينهما من جهة وبين آبى ديز من جهة أخرى فان اتجاه نطاق زاجروس فى اقليم لورستان ينحرف قليلا نحو الشرق ويصبح بين الشمال الغربى وبين الجنوب الشرقى • ويبدو أنه قد حدث بسبب هذا التحول فى اتجاه محور الالتواء ، انكسار كون بين خانقين وبين قزوين قسما من طريق خراسان المشهور •

وطريق خراسان معبد فى الوقت الحاضر ، وقبل ذلك كان معروفا بأنه الشريان الذى حمل اتصالات الخلافة العباسية فى بغداد الى ولاياتها فى داخل هضبة ايران وفى أرمينية وكذلك الى بلاد ما وراء النهر • ويبلغ طوله فيما بين خانقين وبين قزوين نحو ٦٢٠ كم • وهو يتجه من خانقين خلال أرض مموجة الى قصر شيرين فيدخل عندها الاقليم الجبلى فى وادى طولى يمتد بين الشمال الغربى وبين الجنوب الشرقى نحو شاه آباد (هارون آباد) • ويجرى فى القسم الغربى منه آبى ديره وهو أحد منابع الوند • ويجرى فى القسم الشرقى أحد منابع نهر كرخه • وهو يمر بالقسم الاعلى من وادى آبى ديره بمضيق باى طاق ، وهو من أهم الصعوبات التى تعترضه فى كل امتداده • وفيما بين شاه آباد وبين كرمنشاه يتحول اتجاهه نحو الشمال الشرقى ، وهو لا يمتد فى هذا الجزء خلال وادى معين ، وانما يجتاز بعضا منها كما يجتاز بعضا من المضايق قليلة الاهمية • ويستمر فى اتجاهه نحو الشمال الشرقى فيما بين كرمنشاه وبين همدان ، وهى مسافة تبلغ نحو ٢٠٠ كم ، ويمر ببهستان وصحنه وكنجفار ، كما يتبع أجزاء من وادى جمسياب وهو أحد منابع نهر كرخه • وحتى كنجفار لا يتضمن صعوبات مهمة • ولكنه فى شمالها بنحو

٤٠ كم وعند بلدة أسدآباد أو « أسعدآباد » توجد أهم صعوبة تعترضه فى كل امتداده • فهناك يجتاز جبل كوهى – الوائد من ممر بين قمتيه يعلو الى مستوى نحو ٢٤٠٠ متر فوق سطح البحر ، كما يعلو اليه المسلك نحو ٦١٤ مترا خلال مسافة تبلغ نحو ١١ كم أما فيما بين همدان وبين قزوين وهى مسافة تبلغ نحو ٢٤٠ كم ، فانها أسهل مراحله • وهو خلالها يجتاز أرضا هضبية المظهر ويتبع امتداد وديان بعض الانهار المنحدرة نحو الشمال الى قزوين • وقد سبقت الاشارة الى همدان وكرمنشاه وشاه آباد كمحطات للقوافل على مسالك أخرى يتجه بعض منها نحو القسم الشرقى من هضبة ايران ، ويتجه البعض الآخر نحو القسم الغربى منها • أما قزوين وهى محطة رئيسية للقوافل على مسالك تتجه نحو اتجاهات أخرى فسنشير اليها فيما بعد •

ونطاق المرتفعات فى اقليم لورستان يتسع كثيرا ويشغل كل داخل هضبة ايران الا من ممر ضيق تقع عند رأسه طهران • وهو يفصل بين خطوط الالتواء فيه وبين خطوط الالتواء فى نطاق البرز • ونحو سهل العراق ، يتولد فيما بين الوادى الاوسط لنهر ديالى وبين الوادى الاوسط لنهر كارون عدد آخر من خطوط الالتواء • وبذلك تزداد صعوبات الانتقال بين هذا السهل وبين منطقة طهران • ومرتفعات لورستان تتضمن سلسلة زاجروس الرئيسية ، وهى تقع فى القسم الاوسط منها • ومن الملاحظ أن هذا القسم يتضمن أيضا أعلى القمم وأضخم السلاسل بالنسبة لما تتضمنه الاقسام الاخرى لهذه المرتفعات نحو الشرق ونحو الغرب • وهذه الصعوبات الطبيعية يبدو أنها كانت السبب المباشر الذى وجه سير معظم اتصالات سهل العراق مع منطقة طهران نحو طريق خراسان من جهة ، ونحو طريق آبى ديز – قوم من جهة أخرى • ومع ذلك تنبغى الاشارة الى أن هذا القسم الاوسط ليس حاجزا بشريا • ذلك لانه قد صاحب اتساع نطاق المرتفعات هناك بين سهل العراق وبين شمال هضبة ايران ، زيادة فى اتساع الوديان

الجبلية التى تفصل بين بعض سلاسله وبين البعض الآخر • واتساع الوديان الجبلية يترتب عليه اتساع النشاط العمرانى فيها واجتذاب لسير الاتصالات نحوها خلال وديان ألانهار الذى تنبع من حافاتها • ومن أشهر وديان هذا الاقليم وادى سيدمرا (صيمره) وهو يقع بين سلسلة زاجروس الرئيسية وبين سلسلة كبيركوه ، ويجرى فيه نهر كرخه • ولقد سبقت الاشارة الى هذا النهر والى منابعه التى يمكن أن تنتقل خلالها بعض اتصالات هذا الاقليم الجبلى وحافاته نحو منطقة طهران فى القسم الشمالى من هضبة ايران وكذلك نحو القسم الغربى من هذه الهضبة • كما سبقت الاشارة أيضا الى نطاق سلسلة كبيركوه والى الثغرات التى يمكن أن تنتقل خلالها بعض هذه الاتصالات من وادى كرخه الى القسم الجنوبى من سهل العراق والى القسم الشمالى منه خلال وديان بعض الانهار المنحدرة على سفوحها الجنوبية نحو سهل العراق ، وعلى الاخص نهر آبى شنجولا وجلال بدره من جهة ونهر آبى جنجير من جهة أخرى •

ولاقليم البختيارى فى شرق آبى ديز بعض ظاهرات أخرى • فعنده يضيق ثانية اتساع نطاق المرتفعات ، ويتسع فى شماله بسبب ذلك الممر الذى يفصل بينه وبين نطاق البرز • كما توجد فرجة فى جنوبه تقع بين سلسلة كبيركوه فى اقليم لورستان ومقدماتها نحو سهل العراق من جهة وبين مقدمات السلاسل الجبلية الرئيسية فى اقليم الفارس نحو ساحل الخليج العربى من جهة أخرى • وهذه الفرجة هى التى تكون سهول خوزستان أو ما كان يعرف قديما باسم سهول سوسيانا أو سهول علام • ومن الظاهرات الخاصة باقليم البختيارى ، انه يتضمن عددا كبيرا من أعلى القمم التى يتضمنها نطاق زاجروس فى كل امتداده من اقليم كردستان الى وادى السند • كما أن فيه تزدحم خطوط الالتواء ويضيق كثيرا اتساع الوديان الجبلية التى تفصل بين البعض منها وبين البعض الآخر • وقد سبقت الاشارة الى أن هذه الوديان يجرى فى بعض منها منابع لنهر كارون كما تجرى فى بعض ثان منها

منابع لنهر زينده‌رد وفى بعض ثالث منابع لنهر كور • وخلال هذه الوديان يمكن أن تنتقل بعض اتصالات سهل العراق عن طريق سهول سوسيانا الى حوض اصفهان فى القسم الاعلى من وادى زينده‌رد من جهة والى حوض برسبوليس فى وادى كور من جهة أخرى • الى انه بسبب وعورة اقليم البختيارى يبدو أن سير الاتصالات كان يتحاشاه ويتحول الى المسالك الاخرى المعروفة التى تصل بين سهول سوسيانا وبينها وقد سبقت الاشارة الى الاهمية التاريخية لحوض برسبوليس والى المسالك التى تصل بينه وبين هذه السهول • كما سبقت الاشارة الى أهمية حوض اصفهان والى أن بعض اتصالاته يمكن أن تنتقل خلال المسالك الاخرى التى تصل بين وادى زينده‌رد وبين الخليج العربى عبر النطاق الجبلى ، الا أن أسهل المسالك لنقل هذه الاتصالات نحو سهل العراق مسلكان • أحدهما مسلك آبى ديز الى سهول سوسيانا والآخر مسلك طريق خراسان الى القسم الشمالى من سهل العراق • ذلك لان وادى زينده‌رد ، وهو يقع بين السلاسل الرئيسية فى اقليم البختيارى وفى اقليم الفارس وبين مقدماتها الجبلية نحو داخل هضبة ايران ، يمتد واضحا بعض الوضوح نحو الشمال الغربى فى اقليم لورستان • وفى هذا الامتداد يجرى فيه من جهة الجنوب الشرقى رافد لنهر آبى ديز وفى مقابله يجرى من جهة الشمال الغربى رافد آخر له ، وهو الذى تقع عليه بروجرد • ومن منطقة تقسيم المياه لهذا الرافد ، وهى ضيقة وقليلة الارتفاع ، ينبع نهر جمسياب • ولقد سبقت الاشارة الى أن طريق خراسان فيما بين كرمنشاه وبين همدان يتبع بعض امتدادات وادى هذا النهر •

أما اقليم الفارس وهو المشرف على ساحل الخليج العربى ، فانه يشبه من بعض النواحى اقليم لورستان • فهناك يلاحظ أيضا أن النطاق الجبلى يتسع كثيرا • وفى شماله تتوغل منه بعض مقدمات فى داخل هضبة ايران ، كما أن فى جنوبه تتولد سلاسل أخرى وتطغى على الخليج العربى فينبعج نحو الجنوب ويأخذ شكل القوس • وبسبب هذا الاتساع تزداد الصعوبات فى

اجتيازه بين الساحل وبين الداخل . وهو يبلغ أقصى اتساعه فى القسم الاوسط منه ، وعلى الاخص فيما بين منطقة بلدة الطاهرى على الساحل وهى المنطقة التى يرى بعض الباحثين أن ثغر سيراف المشهور قد قام فيها ، وبين شمال يزد بقليل فى الداخل . ومن الملاحظ أن هذا القسم يتضمن أيضا أعلى القمم فى اقليم الفارس وأضخم سلاسله . وهذا يدعو الى الشك فيما يقال حول قيام ثغر سيراف فى موضع بلدة الطاهرى أو بالقرب منها . وفى الواقع أن موقع هذه البلدة ليست له مميزات خاصة ، بل ربما كانت له بعض المساوىء . ذلك لان فى شماله تشرف على الساحل مباشرة سلسلة حادة الانحدار وترتفع ذراها الى ٢١٥٢ مترا وهى بهذا الامتداد تقفل منافذ اتصالاته نحو الداخل . والخرائط[٥٣] التى تهتم بتوضيح الطرق الحديثة ومسالك القوافل لا تشير الى طرق أو مسالك تتجه اليه فيما عدا مسلك السهل الساحلى المار به .

ولا يهم أن نحدد موقع سيراف فهو ثغر اشتهر فى العصور الوسطى . ولكن الذى تنبغى الاشارة اليه هو أنه بالرغم من عظم اتساع نطاق المرتفعات فى اقليم الفارس ، الا أن خطوط المرتفعات فيه ليست مزدحمة . اذ توجد وديان واسعة وأحواض تفصل بين بعض منها وبين بعض آخر . والوديان الطولية منها وهى تأخذ اتجاه الالتواء بين الشمال الغربى وبين الجنوب الشرقى ، تتضمن أهم مسالك الاتصالات فى داخل هذا الاقليم . كما أن فيها تجرى أنهار تنبع من حافاتها الجبلية . وبعض هذه الانهر قد كون فى هذه الحافات ممرات يمكن أن تنتقل خلالها بعض الاتصالات بين وادى وبين آخر . كما توجد وديان أنهار أخرى تنبع من السلاسل الرئيسية وتجتاز مقدماتها الجبلية نحو الجنوب ونحو الشمال . وبهذا تتوفر فى بعض أجزاء هذا الاقليم مسالك مختلفة فى طولها ويمكن أن يجتاز منها بين ساحل الخليج العربى وبين داخل هضبة ايران . ومن أهمها مسلكان سبقت الاشارة اليهما . وهما يتحاشيان القسم الاوسط من اقليم مرتفعات الفارس ويمر أحدهما فى غربه

(٥٣) راجع (١٥) .

وهو يصل بين يزد وبين بوشير على ساحل الخليج العربى . ويمر الآخر فى شرقه ، وهو يصل بين كرمان وبين بندر عباس على مضيق هرمز .

ومضيق هرمز يصل بين الخليج العربى وبين خليج عمان . ويتجه اليه ساحل عمان عند رأس مسندم كسيف مصلت . ويبدو أن لهذا علاقة فى انبعاجه نحو الشمال . وهو انبعاج يخالف به اتجاه انبعاج الخليج العربى نحو الجنوب . ولقد ترتب على ذلك أن انقطع عند ساحله الغربى ، امتداد عدد من السلاسل التى كانت تكون أجزاء فى القسم الجنوبى من اقليم الفارس . ومن الملاحظ أن فى شماله ينقطع أيضا امتداد عدد آخر من سلاسل القسم الشمالى فى هذا الاقليم . ولا يعرف سبب ذلك على وجه محقق ، وان كان يبدو أن سببه انكسار . ذلك لان الاقليم هناك يتضمن بعض أحواض تكتونية[٥٤] . مثل حوض هامونى جاز موريان . كما يتضمن بعض البراكين مثل بركان كوهى بازمان ومثل بركان كوهى تفتان[٥٥] . ونطاق المرتفعات فى شمال مضيق هرمز وفى شماله الشرقى ، يمتاز بجانب ضيق اتساعه بنقص واضح فى ارتفاعه . واذا استثنينا قممه العالية فانه يتضمن فيما بين شمال شرق مضيق هرمز وبين حوض هامونى جاز موريان ، بعض ممرات لا يتجاوز ارتفاعها ٥٠٠ متر . وهو لهذا السبب يعتبر باب القسم الشرقى من هضبة ايران نحو الخليج العربى . ولقد سبقت الاشارة الى مسالك الاتصالات التى تجتاز هذا الباب وتصل بين منطقة ميناء بندر عباس على مضيق هرمز وبين بعض الاتجاهات فى هذا القسم الشرقى من هضبة ايـــران .

واقليم مكران متطرف المناخ . وهو أشد أجزاء الحافة الجنوبية حرارة ومن أقلها أمطارا . ويمتد فى شرق مضيق هرمز نحو وادى السند ، ويأخذ اتجاها عاما بين الغرب وبين الشرق وهو اتجاه مخالف لاتجاهات الاقسام

(٥٤) راجع (٨٧) ص ٤٦٧ .
(٥٥) راجع (١٢٦) ص ٤٤ .

الأخرى لهذه الحافة • وهذه المخالفة يمكن اتخاذها أيضا دليلا آخر على حدوث انكسار فى منطقة مضيق هرمز • والقسم الغربى منه ، وهو الواقع فى جنوب منخفض هامونى جاز موريان ، ضيق ويأخذ اتجاها واضحا بين الشرق وبين الغرب • أما فى جنوب شرق هذا المنخفض فانه يزداد اتساعا حيث ينضم اليه امتداد حافة خراسان • وهناك ينحرف اتجاه الحافتين نحو الشمال الشرقى بتأثير مقاومة كتلة الدكن القديمة • وفيما بين امتداد حافة خراسان وهى تعرف فى بلوخستان باسم سلسلة سياحان وبين نطاق مكران، يوجد وادى طولى واسع ويجرى فى القسم الشرقى منه نهر راخشان ويجرى فى القسم الغربى نهر بمبور • ومن الممكن أن يتخذ هذا الوادى طريقا تنتقل خلاله بعض الاتصالات من الوادى الادنى لنهر السند ، الا آن استخدامه يبدو محدودا بسبب فقر البيئات التى تكتنفه وبسبب وجود طريق آخر يقع الى الشمال منه ويفضله من بعض النواحى الطبيعية والاقتصادية ، وهو الذى مد على طوله خط سكة الحديد من وادى السند خلال ممر بولان الى لاريس فى ايران(٥٦) •

٢ ـ الوسط الداخلى

هذا الاقليم عبارة عن هضبة يبلغ متوسط ارتفاعها نحو ١٠٠٠ متر • وتتضمن عددا من الاحواض التكتونية ينخفض مستواها عن هذا القدر كما تتضمن عددا من الحافات ترتفع ذراها عنه • ومن أهم هذه الحافات حافة خراسان ، وقد سبقت الاشارة اليها كظاهرة جغرافية شاذة فى هضبة ايران• ذلك لانها تمتد بين الشمال وبين الجنوب مخالفة بذلك الاتجاه بين الشرق وبين الغرب وهو الاتجاه العام لخطوط المرتفعات الاخرى فى داخل هذه الهضبة وفى حافاتها •

ومن الملاحظ أن هذا الاقليم رباعى الشكل • ويحيط بأضلاعه أجزاء من الحافات المرتفعة لهضبة ايران • فيحيط بضلعه الشمالى القسم الشرقى من

(٥٦) راجع (٢٣٢) ص ٢٨٦ • ، (٧٩) ص ١٩٤ـ١٩٥ •

نطاق مرتفعات البرز • ويحيط بضلعه الشرقى مرتفعات أفغانستان وبلوخستان• أما ضلعه الجنوبى فيحيط به الشطر الغربى من مرتفعات مكران الى رأس خليج هرمز ، وقد سبقت الاشارة الى منافذ اتصالات سهل العراق خلال هذه المرتفعات الى داخل هضبة ايران • وأما ضلعه الاخير ، وهو يمتد بين الشمال الغربى وبين الجنوب الشرقى ، فيحيط به الشطر الاوسط من نطاق مرتفعات زاجروس الواقع بين اقليم لورستان وبين رأس خليج هرمز• وقد سبقت الاشارة كذلك الى منافذ اتصالات سهل العراق خلاله الى هذا الداخل •

ومن هذه الحافات الخارجية التى تكتنف جوانب هذا الاقليم وكذلك من حافاته الداخلية تنحدر أخوار • وتصل مياه بعض منها الى قيعان أحواض فتكون فيها بحيرات أو مستنقعات • وتنكمش مساحة البحيرات كثيرا فى فصل الصيف ، أما المستنقعات فانها تجف وتتخلف فى أماكنها سطوح ملحية هشة • والاخوار مؤقتة الجريان ومياهها قليلة بصفة عامة • وقد برع الايرانيون منذ أزمنة قديمة غير محقق تاريخها فى حفر الكهاريز(٥٧) ، وهى وسيلة اقتصادية تؤدى الى الحصول على أكبر كمية ممكنة من المياه الباطنية من بعض سفوح المرتفعات • وقد قام بسبب ذلك عند هذه السفوح عدد من الواحات والقرى وكذلك عدد من المدن فى بعض المواقع ذات مميزات

(٥٧)الكهاريز مفرد كهريز وهو عبارة عن نفق محفور بانحدار خاص لحمل بعض المياه الباطنية الى مكان معين على سطح الارض • ويتراوح طول الكهريز عادة من ١ ـ ٨ كم تقريبا • ولعمل كهريز يحفر فى أرض منحدرة بئر الى مستوى الماء الباطنى ومنه يحفر النفق بحيث يكون انحداره أقل من انحدار سطح الارض ومن انحدار مستوى الماء الباطنى • وفى بعض الاحيان يكون للكهريز الرئيسى روافد تغذيه • وفيما بين النفق وبين سطح الارض تحفر آبار على مسافات والغرض منها تطهير مجرى الكهريز وصيانته • وبعض الباحثين يرى أن معرفة الكهاريز قديمة فى هضبة ايران وانها كانت واسعة الانتشار فى عهد الفارثيين • راجع ١٧٣
Macfadyen, W.A.; Water Supplies in Iraq ... oP. cit. pp. 2-4.

خاصة • ومن المدن التى قامت عند سفوح نطاق زاجروس ، كرمان ويزد ونائين وكاشان وقوم • وقد سبقت الاشارة اليها كمداخل لاتصالات سهل العراق الجارية خلال هذا النطاق مع داخل هضبة ايران[58] • وكذلك سبقت الاشارة الى بندر عباس عند رأس مضيق هرمز • وذكر أن نطاق المرتفعات هناك يتضمن بابا لاتصالات سهل العراق المنقولة فى الخليج العربى أو على ساحله الشمالى مع هذا الداخل • أما المدن الهامة التى قامت عند سفوح المرتفعات التى تكتنف الجانبين الاخرين لهذا الاقليم فسوف نشير اليها فى مواضعها •

والاحواض الداخلية كثيرة ولكن أهمها ثمانية • وتفصل حافة خراسان بين خمسة منها تقع فى غربها وبين الثلاثة الاخرى التى تقع فى شرقها • كما تفصل أذرع منها ومن الحافات الجبلية الاخرى التى تكتنف جوانب هذا الاقليم ، بين البعض منها والبعض الآخر • والخمسة الغربية هى داريايى نمك ، ودشتى كفير وكفيرى نمك ، وتقع فى الشمال ممتدة بين شرق الاقليم وبين غربه • ودشت لوط ، وهى تقع فى الوسط وتمتد بين الشمال الغربى وبين الجنوب الشرقى • ثم هامونى جاز موريان وتقع فى الجنوب وتمتد بين الغرب وبين الشرق • أما ثلاثة الاحواض الشرقية ، وهى تقع بين حافة خراسان وبين مرتفعات أفغانستان وبلوخستان ، فهى نمك سار فى الشمال وهامونى هلماند فى الوسط وهامونى مشكل فى الجنوب •

وهذه الاحواض صحارى قاحلة ، كما أنها شديدة التطرف فى درجات حرارتها بسبب انخفاضها وموقعها الداخلى • وهى لهذا تكون حواجز جغرافية بين جوانب هضبة ايران ، ولكنها مع ذلك لا تكون حواجز بشرية الا فى بعض أجزائها التى تغطيها التكوينات الملحية حيث تبدو خالية من كل

(٥٨) راجع فيما سبق موضوع « منافذ العراق نحو عالم الخليج العربى وما وراءه » صحيفة ٢٥٠ وما بعدها .
(٥٩) راجع (١٢٦) ص ٤٥ .

مظهر للحياة[59] • واذا استثنيت هذه الاجزاء فان الاقليم يتضمن كثيرا من مسالك الاتصالات • وبعض منها يجتاز داخل الاحواض حيث توجد بعض الواحات[60] • ولكنه فى الواقع اجتياز مؤقت وقاصر على فصل المطر[61] • أما أهم مسالك الاتصالات فيه فهى التى تمتد على طول سفوح المرتفعات التى تفصل بين بعض هذه الاحواض وبين البعض الآخر •

وتنتقل اتصالات سهل العراق الجارية فى ممرات نطاق زاجروس ، خلال هذا الاقليم وعند حافاته على النحو الآتى : من طهران ، وهى النهاية الطبيعية للاتصالات المنقولة خلال اقليم لورستان وعلى الطريقين الرئيسيين اللذين يكتنفانه من جهة الغرب ومن جهة الشرق وهما طريق خانقين - قزوين وطريق آبى ديز - قوم ، تنتقل هذه الاتصالات نحو الشرق على طول ممر يقع بين شمال هذا الاقليم وبين السفوح الجنوبية للامتداد الشرقى لنطاق البرز الى غرب آسيا ووسطها[62] • ومن كاشان ونائين ويزد وكرمان وهى النهايات الطبيعية للاتصالات المنقولة خلال اقليم البختيارى واقليم الفارس حتى رأس مضيق هرمز ، فانها تنتقل كما يلى : من كاشان الى طهران فى مسلك ممتد على طول السفوح الغربية لسياه كوه ، وهى نطاق من التلال يمتد بين الشمال الغربى وبين الجنوب الشرقى ، فى شرق حوض داريايى نمك ويفصل بينه وبين حوض دشت كفير • وهذا المسلك تستخدمه السيارات فى الوقت الحاضر بين المدينتين • ومن نائين يمتد مسلكان من مسالك القوافل ، يتجه أحدهما الى دمغان مجتازا القسم الغربى من حوض دشت كفير • ويبدو أنه من المسالك التى يقتصر استخدامها على فصل المطر • أما المسلك الآخر وهو الاهم فانه يتجه الى نيسابور متبعا خط الواحات عند سفوح التلال التى تفصل

(٦٠) راجع (٢٣٦) ص ٣٧٢ - ٣٧٣ .
(٦١) راجع (١٦٢) ص ٦ - ٧ .
(٦٢) راجع فيما يلى موضوع «أفغانستان وبلوخستان ، ٤ - الحافة الشمالية » .

بين هذا الدشت وبين دشت لوط فى جنوبه وكفيرى نمك فى شرقه • ومن يزد تنتقل الاتصالات خلال هذا المسلك أيضا الى نيسابور • أما كرمان فان معظم الاتصالات المنقولة اليها تتجه نحو الشرق خلال مسالك تمر فى مناطق العمران الهامة فى نطاق التلال الذى يفصل بين دشت لوط وبين هامونى جاز موريان • وهذه المسالك تلتقى فى مناطق معينة بطريق رئيسى يمتد بين الشمال وبين الجنوب مارا بمراكز العمران الهامة عند سفوح حافة خراسان وبعض هذه الاتصالات يتحول عن هذا الطريق عند لاريس متجها الى وادى السند عن طريق ممر بولان[٦٣] • وبعض ثان يتحول عنه عند حوض هامونى هلماند ويصعد فى وادى هلماند الى كابل عن طريق قندهار • وبعض ثالث يتحول عنه عند حوض نمك سار ويصعد فى وادى هارى رد الى كابل مارا بهرات • أما البعض الاخير فانه يستمر نحو الشمال مارا خلال بوابة خراسان الى اقليم التركستان •

٣ ـ مرتفعات أفغانستان وبلوخستان •

يكون هذا الاقليم القسم الشرقى من هضبة ايران • وتحيط به فى شرقه وفى شماله حافات مرتفعة تفصل بينه وبين الهند من جهة وبينه وبين وسط آسيا وغربها من جهة أخرى • وتلتقى هذه الحافات عند عقدة بامير ، وهناك يبلغ الاقليم ذروة ارتفاعه • ومن هذا الركن الشمالى الشرقى ينحدر سطحه نحو الجنوب ونحو الغرب الا أن انحداره الرئيسى يتجه نحو الجنوب الغربى الى حوض سستان (سجستان) حيث تصب مجموعة نهر هلماند •

والحافة الشرقية لهذا الاقليم وهى التى تفصل بينه وبين الهند ، تتكون من مرتفعات كرثار فى القسم الجنوبى منها ومن مرتفعات سليمان فى القسم الشمالى • وهى فى الواقع امتداد لنطاق مرتفعات مكران • وقد تحول اتجاهها نحو الشمال تحت تأثير مقاومة هضبة الدكن القديمة • وبسبب هذه

(٦٣) راجع فيماسبق موضوع « منافذ العراق نحو عالم الخليج العربى وما وراءه » صحيفة ٢٥٠ وما بعدها •

المقاومة يبدو أن انكسارات قد حدثت هناك فتكونت بعض ممرات يمكن أن تجتازها الاتصالات بين داخل هذا الاقليم وبين وادى السند • ومن أهم هذه الممرات ممران : أحدهما ممر بولان والآخر ممر خيبر • وممر بولان وهو يقع الى الجنوب ، تنتقل خلاله الاتصالات المارة فى القسم الشمالى من بلوخستان بين لاريس فى ايران وبين الوادى الادنى لنهر السند • أما ممر خيبر وهو يقع الى الشمال ، فان خلاله تنتقل الاتصالات المارة على الاخص فى وادى هلماند وخلال كابل ستان الى القسم الاوسط من وادى السند • وممر خيبر أعظم شهرة فى التاريخ من ممر بولان كما أنه أكثر منه استعمالا • ولذلك أسباب من بينها أن الاقاليم التى تقع عند منافذه غنية ، فثراء اقليم البنجاب معروف ، ومن المعروف أيضا أن منطقة كابل ستان هى أغنى مناطق أفغانستان وأكثفها سكانا[٦٤] • ومن بينها أنه يقع حيث تلتقى أسهل الممرات فى مرتفعات هضبة أفغانستان لنقل اتصالات داخل هضبة ايران مع أسهل المنافذ فى نطاق جبال هندوكوش لنقل اتصالات وسط آسيا وغربها ، فى طريقها نحو الهند •

ونطاق هندكوش يمتد من بوابة خراسان ، وهى الثغرة التى تفصل بينه وبين الامتداد الشرقى لنطاق البرز ، الى هضبة بامير • وتسمية هندكوش عامة ، ولكنها تطلق بصفة خاصة على القسم الشرقى منه أما القسم الاوسط فتطلق عليه تسمية كوهى بابا كما تطلق على القسم الغربى تسمية كوهى سفد • وهو أكثر ارتفاعا من نطاق كرثار ـ سليمان • ويتضمن عددا كبيرا من القمم يتجاوز ارتفاعها ٦٠٠٠ متر وتغطيها الثلوج الدائمة[٦٥] ، الا أن معظم هذه القمم يقع فى القسم الشرقى منه • ولهذا كان اجتيازه من ممرات هذا القسم يتضمن صعوبات كبيرة • وتقع أسهل الممرات لاجتيازه فى قسميه الاوسط والغربى • وعلى الاخص فى القسم الاول ، لانه على ما يبدو قد

(٦٤) راجع (٢٣٢) ص ١٦٢ •
(٦٥) راجع (١٨٠) ص ١٧ ـ ١٨ •

تأثر أكثر من غيره من الاقسام الاخرى بحالات انكسار • ويوجد هناك عدد من الممرات ، ومن أشهرها باميان (٢٧٠٠ متر) ودندان شيكان (٢٨٦٥ مترا) وآق روباط (٣١٠٠ مترا) • وتصل هذه الممرات بين كابل ستان وبين التركستان الافغانية التى تتضمن بلخ مدينة القوافل المشهورة • وقد سلكت الهجرات البشرية بعض هذه الممرات منذ أقدم العصور كما سلكتها أيضا القوافل التى كانت تنقل التجارة بين الصين وبين الهند خلال ممرات وسط آسيا • وكذلك سلكتها بعض قوات الاسكندر[٦٦] وتيمورلنك وغيرهما من بعض غزاة الهند • ويعتبر ممر باميان أهم هذه الممرات سواء فى الماضى أم فى الحاضر • فمن المعروف أن مدينة باميان الواقعة عليه كانت فى الماضى أهم محطة بعد بلخ على طريق الحرير بين الصين وبين الهند • كما أن قوات الاسكندر قد عسكرت فيها بعض الوقت وكذلك عسكرت قوات جنكيزخان • وفى الوقت الحاضر ، وجهت اليه الحكومات الافغانية عنايتها ومهدت عبره طريقا تسلكه السيارات بين كابل وبين مزارى شريف ، وهى مدينة مقدسة وعاصمة التركستان الافغانية[٦٧] •

أما القسم الداخلى من أفغانستان فانه عبارة عن هضبة يبلغ متوسط ارتفاعها فى منطقة كابل حول ١٧٨٠ مترا[٦٨] • وتمتد على سطحها سلاسل جبلية ، هى فى القسم الشمالى مقدمات لخط الالتواء الرئيسى فى نطاق هندكوش • وتمتد مزدحمة بين الشرق وبين الغرب • وتنصرف بعض مياهها فى أخوار ، من أشهرها هارى رد الذى تقع عليه هرات • وهى فى القسم الشرقى مقدمات نطاق كرثار – سليمان • وهى مزدحمة أيضا ويغلب

(٦٦) لم يسلك الاسكندر بنفسه طريق ممر خيبر وانما سلكه قسم من جيشه ، أما القسم الآخر فقد قاده خلال ممرات أخرى لاخضاع بعض الحصون فى أعالى نهر سوات (رافد نهر كابل) ثم نزل فى وادى هذا النهر مجتازا ممر ملقند الى حيث كان ينتظره القسم الاول من جيشه عند بشاور • راجع (٧٩) ص ١٩٧ – ١٩٨ •

(٦٧) راجع (١١١) ص ٨٠ – ٨١ ، ٨٥ •

(٦٨) راجع (٢٣٨) ص ١٧٩ •

عليها الاتجاه بين الشمال وبين الجنوب • وتنصرف بعض مياهها فى أخوار أو أنهار تتجه نحو صحراء بلوخستان • أما فيما بين هذين الاتجاهين من أراضى أفغانستان ، فان تأثير النطاقين الجبليين يضعف تدريجيا فيقل ارتفاع بعض السلاسل كما يضمحل امتداد البعض الآخر • وتنفرج كذلك الثغرات التى تفصل بين البعض منها وبين البعض الآخر وتكون وديانا واسعة بعض الاتساع • وفيها تجرى أكبر مجموعة نهرية فى أفغانستان ، وهى مجموعة نهر هلماند التى تنصرف مياهها الى حوض هامونى – هلماند • والذى يستنتج من هذا التكوين الطبوغرافى لهضبة أفغانستان أن أسهل مسالك الاتصالات فيها هى التى تصعد فى وادى أو آخر من وديان مجموعة هلماند الى كابل • وفى الواقع أن أسهل طريق لنقل الاتصالات بين داخل هضبة ايران وبين كابل حيث يبدأ على مقربة منها ممر خيبر ، هو الطريق الذى يسلك وديان هذه المجموعة وقد اشتهرت عليه مدن قندهار وغزنة •

والخلاصة أن الاتصالات العراقية المنقولة الى داخل هضبة ايران وعلى الاخص الى منطقة كرمان ، يمكنها أن تصل الى الهند فى طريقين رئيسيين : أحدهما يتجه الى منطقة لاريس ويجتاز القسم الشمالى من هضبة بلوخستان الى ممر بولان • والآخر يصعد فى وادى هلماند الى كابل وممر خيبر • ويمكن لبعض هذه الاتصالات أن تتحول من كابل وتجتاز ممرا أو آخر فى نطاق هندكوش الى وسط آسيا • وغربها •

٤ – الحافة الشمالية •

تمتد هذه الحافة فى شمال هضبة ايران ، بين الوادى الاوسط لنهر آراس وبين الوادى الاوسط لنهر هارى رد الذى يجرى خلال ثغرة خراسان الى سهول التركستان حيث يعرف واديه الادنى هناك باسم نهر تجند • ومن المعروف أن هذه الحافة هى جزء من خط التواء يتضمن جبال هندكوش أيضا • ولهذا يبدو أن ثغرة خراسان قد حدثت نتيجة انكسار فيه • اذ أنه يلاحظ أن عندها يحدث تغير واضح فى الاتجاه العام لمحور

الالتواء فى هذا الخط • ففى شرقها تأخذ سلاسل هندكوش اتجاها يميل نحو الشمال الشرقى بينما فى غربها تأخذ سلسلة كوبت داغ وغيرها من سلاسل القسم الشرقى لهذه الحافة ، اتجاها نحو الشمال الغربى • ومن الملاحظ أيضا أن فى جنوبها تمتد أذرع من بعض هذه السلاسل ومن بعض سلاسل هندكوش وتتجه نحو الجنوب فى وسط هضبة ايران مكونة حافة خراسان •

والقسم الشرقى من هذه الحافة وهو الواقع بين ثغرة خراسان وبين جنوب شرق بحر قزوين ، يتكون من ثلاثة خطوط من خطوط الارتفاع • الخط الاول وهو الشمالى ، يبدأ غرب ثغرة خراسان فى شكل هضبة مموجة ويمكن اجتيازها بين الشمال وبين الجنوب فى أكثر من موقع ، الا أن أهم موقع لاجتيازها هو الذى يصل بين عشق أباد فى داخل حدود الاتحاد السوفييتى وبين قوشان فى داخل حدود ايران • وفى غرب هذا الممر يتحدد التكوين الهضبى ويأخذ شكل سلسلة جبلية تمتد نحو الشمال الغربى وهى المشهورة باسم كوبت داغ • الا ان اطلاق هذه التسمية عام فى الواقع ، وهى تطلق اطلاقا خاصا على القسم الغربى منها ، أما القسم الشرقى فانه يعرف أيضا باسم جلول داغ • واعطاء تسمية خاصة لكل من هاتين السلسلتين له أساس من ناحية البنية ، فهناك يوجد اختلاف ملحوظ فى اتجاه محور الالتواء فى كل منهما • ولقد ترتب على ذلك على ما يبدو ، انكسار كون ثغرة بينهما ويمكن أن تنتقل خلالها الاتصالات بين الجانب الروسى وبين الجانب الايرانى • وسلسلة كوبت داغ تضمحل فى القسم الغربى منها وتأخذ شكل هضبة مموجة ويجرى خلالها بعض منابع نهر سومبار وهو الرافد الشمالى لنهر اترك • ووادى هذا النهر ومنبعه يكون طريقا آخر لسير الاتصالات بين الجانب السوفييتى عند كزل ارفات وبين الجانب الايرانى •

والخط الثانى من خطوط الارتفاع وهو الاوسط ، يأخذ أيضا اتجاها عاما بين الجنوب الشرقى وبين الشمال الغربى موازيا للنطاق الاول • ويوجد

فيما بينهما وادى طولى واسع ، ويزداد اتساعا فى قسمه الشرقى وفى قسمه الغربى • ويجرى فى القسم الاول منه نهر كشف الذى يعرف أيضا باسم نهر مشهد ، وهو رافد لنهر هارى رد ويتصل به فى ثغرة خراسان • أما فى القسم الآخر فيجرى نهر اترك الى بحر قزوين • والقسم الادنى من وادى هذا النهر ليس طريقا جيدا لسير الاتصالات بسبب تضمنه مناطق مستنقعات واسعة •

ويتكون هذا الخط من سلسلتين • تعرف الشرقية منهما باسم كوهى بنالود • وهى تبدأ عند شريف اباد فى جنوب مشهد شاهقة الارتفاع وترتفع ذرى بعض قممها الى ٣٤١٤ مترا • ثم يضمحل ارتفاعها فى غرب هذه القمة وتتحول الى هضبة مموجة يمكن اجتيازها من بعض الاماكن ، وأهمها ما يقع على امتداد ممر عشق آباد ـ قوشان (فى الخط الاول) الى غرب نيسابور بقليل • أما السلسلة الغربية منه فانها تعرف باسم آله داغ • وهى تتضمن كذلك بعض القمم المرتفعة فى القسم الشرقى منها وفى القسم الاوسط ، أما فى القسم الغربى فانها تضمحل وتكون هضبة مموجة يهبط مستواها تدريجيا نحو بحر قزوين • وخلال هذا التكوين الهضبى يجرى نهر جورجان ، وهو نهر صغير ، الا أن واديه جيد كطريق للمواصلات من منبعه الى مصبه • ولهذا فان الاتصالات المارة من بوابة خراسان نحو بحر قزوين فى الوادى الطولى الذى يفصل بين هذا الخط من خطوط الارتفاع وبين الخط الاول ، تتحول اليه من وادى اترك • ولقد تفوقت كثيرا أهمية نهر جورجان أخيرا ، وذلك بعد أن أصبحت ميناء بندرشاه الواقعة عند مصبه نهاية لخط سكة الحديد عبر ايران • وهو الخط الذى يبدأ من ميناء بندر شاهبور عند رأس الخليج العربى •

أما الخط الثالث ، وهو الجنوبى فانه يتكون من سلسلة جبلية واحدة تعرف باسم جاغطاى • والاراضى التى تكتنفها سهول مكشوفة يسهل السير عليها • ففى شرقها يوجد ممر واسع يفصل بينها وبين سلسلة كوهى بنالود

وتجرى خلاله بعض الاخوار • وفى شمالها يوجد وادى واسع يفصل بينها وبين سلسلة آله داغ ويجرى فيه نهر جوفين ، وهو المجرى الاعلى لنهر قالهى مورا الذى يصب فى حوض دشتى كفير • ويوجد فى غربها ممر واسع أيضا يفصل بينها وبين جبال البرز الاصلية ، وفيه يجرى الوادى الاوسط لهذا النهر • أما فى جنوبها فان السطح يهبط سريعا الى منخفض ملحى يعرف باسم بيار جمند كفير • وقد حدد وجود هذا المنخفض سير الاتصالات على طريق خراسان عند سفوحها مباشرة فيما بين شهرود وبين سبزوار •

والخلاصة أن الاتصالات العراقية المنقولة خلال هضبة ايران نحو غرب آسيا ووسطها لها عدة منافذ خلال خطوط المرتفعات التى تكون الامتداد الشرقى لنطاق البرز بين جنوب شرق بحر قزوين وبين ثغرة خراسان ، ولكن هذه الثغرة هى أهم منفذ لها •

أما نطاق البرز فانه يتكون من سلسلتين ويمتد شاهق الارتفاع بين جنوب شرق بحر قزوين وبين جنوبه الغربى • أى أنه يكون قوسا يحيط بالقسم الجنوبى من هذا البحر • وهو بهذا الشكل يختلف اتجاه محور الالتواء فى بعض أجزائه عن اتجاهه فى البعض الآخر • ويصاحب مثل هذا الاختلاف عادة حدوث انكسارات • وفى الواقع انه فى المواضع التى يبدو فيها تغير اتجاه المحور واضحا توجد ثغرات ، ويمكن أن يجتاز منها بين داخل هضبة ايران وبين ساحل بحر قزوين •

ويبدأ نطاق البرز فى شمال شهرود مزدحما ومتخذا اتجاها بين الشمال الشرقى وبين الجنوب الغربى حتى شرق طهران بقليل ، ثم يتغير اتجاهه • وعند مركز هذا التغير توجد ثغرة هامة تربط بين أوسع جزء سهلى فى مقاطعة مازندران على بحر قزوين وبين داخل هضبة ايران • وقد قامت عند رأس هذه الثغرة على الساحل مدينة آمل ، كما قامت عند رأسها فى الداخل مدينة الرى المشهورة • وفى الماضى كانت القوافل تسلك كثيرا طريق هذه

الثغرة • أما فى الوقت الحاضر فقد عبد خلالها طريق رئيسى للسيارات • كما مد خط لسكة الحديد ، هو امتداد لخط سكة الحديد عبر ايران نحو بندرشاه •

وفى شمال طهران ، يأخذ محور الالتواء اتجاها بين الشرق وبين الغرب • ويتضمن فى هذا الجزء منطقة بركانية تبلغ ذروة ارتفاعها فى بركان ديماقند (٥٦٥٤ مترا) • وفى شمال غرب طهران يتغير ثانية اتجاه المحور • وتوجد عند مركز التغير ثغرة أيضا ويخترقها طريق آخر للمواصلات يصل بين كراج فى الداخل وبين شالوس على الساحل • وفى غرب هذه الثغرة يتسع قليلا الوادى الطولى بين سلسلتى البرز • ويجرى فيه نهر طويل نسبيا يعرف باسم شاهرد ، وهو أحد المنابع الرئيسية لنهر سفدرد ويصب فيه عند بلدة منجيل • ويأخذ هذا الجزء من نطاق البرز الواقع بين كراج وبين منجيل اتجاها بين شرق الجنوب الشرقى وبين غرب الشمال الغربى • أما فى غرب منجيل ، فانه يتحول فجأة نحو شمال الشمال الغربى • وقد أدى هذا التغير الكبير فى اتجاه محور الالتواء الى حدوث انكسار تأثرت به السلسلة الشمالية وتكونت فيها ثغرة واسعة اتجاهها بين جنوب الجنوب الغربى وبين شمال الشمال الشرقى وقد جرى فيها الوادى الادنى لنهر سفدرد • وتأثرت به السلسلة الجنوبية أيضا ولكن بحالة مختلفة بعض الاختلاف • ذلك لان القسم الغربى منها قد تزحزح قليلا عن موضعه الطبيعى وزحف نحو الجنوب وكذلك نحو الجنوب الشرقى حتى أصبح طرفه فى هذا الاتجاه الاخير يقع جنوب قسم من الطرف الغربى للامتداد الشرقى منها • ولقد ترتب على هذا ، أن الثغرة التى حدثت بين قسمى هذه السلسلة الجنوبية لم تمتد نحو الجنوب الغربى على طول امتداد الثغرة التى حدثت فى السلسلة الشمالية ، وانما أخذت اتجاها آخر بين الشمال الغربى وبين الجنوب الشرقى • وهذا فى مصلحة مدينة قزوين ، لانها تقع عند منفذها فى هذا الاتجاه الاخير • ومعنى هذا من وجهة نظر الاتصالات العراقية ، ان قزوين وهى منفذ ما ينقل منها فى طريق خراسان خلال نطاق زاجروس ، تعتبر

مركز توزيع لها نحو الجنوب الشرقى من جهة الى طهران ومنافذها نحو داخل هضبة ايران ونحو غرب آسيا ووسطها ، ونحو الشمال الغربى من جهة أخرى الى الوادى الادنى لنهر سفدرود ومنافذه فى القسم الجنوبى من حوض بحر قزوين • وهى كذلك مركز توزيع لها نحو اتجاه هضبة أرمينية عن طريق تبريز وعن طريق أردبيل •

وفى غرب قزوين تأخذ السلسلة الجنوبية من سلاسل البرز اتجاهها نحو الشمال الغربى ، وهى تضمحل تدريجيا فى هذا الاتجاه حتى تتلاشى قبيل ميانه • أما السلسلة الشمالية فانها فى غرب الوادى الادنى لنهر سفدرود تأخذ اتجاها نحو شمال الشمال الغربى كما سبقت الاشارة ، وتستمر كذلك حتى قبيل أردبيل فتتشعب الى شعبتين ، شعبة تتجه نحو الشمال مشرفة على ساحل بحر قزوين ثم تتلاشى تدريجيا قبيل دلتا نهر آراس • أما الشعبة الاخرى فانها تتجه نحو الغرب شاهقة فى القسم الشرقى منها وفى القسم الغربى • فهى فى القسم الشرقى ترتفع ذروتها فى قمة جبل ميدان داغ الى نحو ٣٠٠٠ متر • كما ترتفع ذروتها فى القسم الغربى فى قمة جبل كوهى ساهاند الى نحو ٣٧٠٠ متر • أما فى القسم الاوسط فانها تضمحل وتتحول الى هضبة تقطعها أنهار ، وبعض منها روافد لنهر طلخة الذى تقع تبريز فى واديه الادنى • أما البعض الآخر فانها روافد لنهر قزل اوزون ، ومن أهمها رافد يتصل به عند ميانه ويكون واديه قسما من طريق رئيسى يجتاز هذا القسم الهضبى ويصل بين هذه المدينة وبين تبريز •

والتفرع الذى حدث فى السلسلة الشمالية من سلاسل البرز فى جنوب أردبيل ، يبدو أنه قد نتج تحت تأثير تدخل من هضبة أرمينية • كما يبدو أن هذا التدخل قد أدى الى انكسارات فيها فحدثت ثغرة فى منطقة التفرع أوصلت اردبيل بقزوين عن طريق وادى قزل اوزون • كما ارتفعت بعض أجزاء من سطح الارض وانخفضت أخرى تكتنفها • ومن أوضح أمثلة ذلك منطقة جبل كوهى سفلان • فان هذا الجبل الذى ترتفع ذروته الى ٤٨٢٠

مترا ، يقف منعزلا بدرجة كبيرة وتكتنفه نطاقات منخفضة لا يتجاوز مستواها ١٠٠٠ متر عن سطح البحر • والنطاق الذى يكتنفه من جهة الجنوب يجرى فيه نهر طلخه رد الذى يكون واديه قسما من طريق رئيسى فى هذا النطاق يصل بين تبريز وبين أردبيل • أما النطاقات الاخرى التى تكتنفه من جهة الشرق ومن جهة الغرب وكذلك من جهة الشمال ، فان فيها يجرى المنبعان الرئيسيان لنهر قرهصو ، وهو رافد لنهر آراس يجرى نحو الشمال ويتصل به فى القسم الادنى من واديه ، ويحمل اليه عن طريق منبعه الشرقى اتصالات أردبيل كما يحمل اليه عن طريق منبعه الغربى اتصالات تبريز • وتبريز سبق أن تعرفنا عليها كمنفذ لبعض الاتصالات العراقية مع أرمينية خلال بعض ممرات فى القسم الشرقى من اقليم كردستان • وهى كذلك منفذ لبعض آخر منها عن طريق قزوين •

وقزوين ، كما هو معروف ، تقع عند منفذ الوادى الذى يفصل بين القسم الواقع من السلسلة الشمالية من سلاسل البرز فى غرب الوادى الادنى لنهر سفدرود وبين القسم الواقع فى جنوبه من السلسلة الجنوبية • وفى هذا الوادى يجرى القسم الاوسط من نهر سفدرود والمعروف باسم قزل اوزون ، وخلاله يمكن أن تنتقل الاتصالات بين قزوين وبين أردبيل عن طريق ثغرة فى المنطقة التى حدثت فيها تشعب سلسلة البرز الشمالية نحو الشمال ونحو الغرب • ولنهر قزل اوزون أربعة منابع رئيسية تلتقى عند ميانه • يأتى واحد منها من جهة الغرب ويكون واديه القسم الاكبر من طريق رئيسى يصل بين ميانه وبين مراغه ، وهى مدينة هامة تقع على الطريق الرئيسى للاتصالات بين سقيز وبين تبريز • ويأتى الثانى من جهة الجنوب وهو الذى يحمل تسمية قزل اوزون • وقد سبقت الاشارة الى أن واديه يمكن أن يحمل بعض الاتصالات العراقية من سنه ومن كرمنشاه وغيرهما من بعض المواقع الاخرى • والمنبع الثالث يأتى من جهة الشمال الغربى ، وقد سبقت الاشارة الى أن واديه يكون قسما من طريق رئيسى يصل بين تبريز

وبين ميانه • أما المنبع الرابع فانه يأتى من جهة الجنوب الشرقى ويعرف باسم نهر زنجان• وهو يجرى فى القسم الغربى من وادى طولى يقع بين السلسلة الجنوبية من سلاسل البرز وبين سلسلة أخرى من السلاسل الثانوية فى القسم الغربى من هضبة ايران • أما فى القسم الشرقى منه فيجرى خور تنصرف مياهه الى منخفض فى جنوب قزوين • وهذا الوادى هام من وجهة نظر المواصلات الحالية ، لانه يتضمن خطا لسكة الحديد وطريقا رئيسيا للسيارات كما يكون جزءا من الخطوط الرئيسية للاتصالات بين طهران وبين استامبول عن طريق تبريز •

والخلاصة أن الحافة الشمالية لهضبة ايران ، والمقصود بها نطاق البرز وامتداده الشرقى الى بوابة خراسان ، تؤدى للاتصالات العراقية المنقولة اليها خلال ممرات الحافة الجنوبية لهذه الهضبة عملين • أحدهما أنها تعترض طريقها وتوجه سيرها على طول سفوحها الجنوبية ، اما نحو الشرق الى غرب آسيا ووسطها عن طريق بوابة خراسان واما نحو الغرب الى هضبة أرمينية عن طريق تبريز ولحد ما عن طريق أردبيل • وثانيهما أنها تحملها خلال ممرات فيها الى سواحل القسم الجنوبى من بحر قزوين وكذلك الى غرب آسيا ووسطها أيضا • وتعتبر مشهد ونيسابور وسبزوار منافذ لها نحو هذه الجهات من آسيا • وتعتبر طهران وقزوين وشهرود منافذ لها نحو سواحل القسم الجنوبى من بحر قزوين • كما تعتبر قزوين وميانه وتبريز منافذ لها نحو هضبة أرمينية •

ب – هضبة أرمينية وحافاتها(٦٩)

هذا الجزء من الشرق الاوسط ينبعج نحو الشمال ويتدخل بين بحر قزوين وبين البحر الاسود ولا يفصله عن سهوب شرق أوروبا الا جبال

(٦٩) راجع(١٢٠) ص ٥٧ – ٥٨ ، ٤٧١ وما بعدها ٠ ، (٧٩) ص ١٧٤ – ١٧٨ ٠ وانظر الخريطتين رقم ١٤ ، ١٥ ٠

القوقاز • وهذه الجبال وان كونت جزءا من الحواجز الجغرافية التى تكتنف الشرق الاوسط من جميع جهاته ، الا أنها مثل باقى أجزاء هذه الحواجز ليست حاجزا بشريا • ذلك لانها تتضمن بعض ممرات ويمكن أن تنتقل خلالها اتصالات هضبة أرمينية مع سهوب شرق أوروبا • ومن المعروف أن لسهل العراق اتصالات مع هضبة أرمينية خلال عدة اتجاهات • وتعتبر أردبيل وتبريز وباشن قلعة وموش محطات لها عند بعض أبواب هذه الهضبة، كما يعتبر نهر الفرات طريقا لها أيضا •

وهو يتكون من عدد من الوحدات الطبيعية هى : هضبة أرمينية ، منخفض نهر آراس ، القوقاز الصغرى ، منخفض كورا – ريون ، القوقاز الكبرى ، ثم القسم الواقع من شرق هضبة الاناضول بين هضبة أرمينية وبين خط طول ملطية تقريبا ولا يهم هنا أن تدرس هذه الوحدات من اتجاهات الدراسة الاقليمية ، وانما المهم هو توضيح الصلات الطبيعية التى تربط بين البعض منها وبين البعض الآخر لتعرف اتجاهات المسالك التى يمكن أن تنتقل خلالها الاتصالات العراقية الى بعض الجهات فيها وخلالها الى العالم الخارجى الذى يكتنفها •

ومن المعروف أن هضبة أرمينية تكون الجزء الشرقى من هضبة الاناضول • الا أنه ليس من السهل تحديدها الا من جهة الشرق ، حيث يعتبر المنخفض الذى يجرى فيه القسم الاوسط لنهر آراس حدا لها • وكذلك يعتبر الاقليم المرتفع الذى يكتنف سهل أرضروم مركزها • ومن الملاحظ أن هذا الاقليم يكون منطقة لتقسيم المياه بين عدد من أنهار هامة • فمنه ينبع نهر آراس ونهر كورا وهما يصبان فى بحر قزوين ، ونهر تشورك ويصب فى البحر الاسود ، ثم نهر فرات صو ونهر مراد صو وهما المنبعان الرئيسيان لنهر الفرات • ومن حسن حظ المواصلات أن هذا الاقليم لا يمثل كتلة جبلية مندمجة ، وانما يتضمن أيضا ثغرات ويمكن أن يجتاز

منها بين وديان بعض هذه الانهار من جهة وبين وديان البعض الآخر من جهة أخـــرى •

وهضبة أرمينية مكونة من صخور رسوبية • وقد تأثرت بالحـــركات الارضية التى تنسب الى الزمن الثالث ويبدو أن موقعها بـين كتلة الرصيف الروسى من جهة وبين الكتل القديمة فى بلاد العرب وفى هضبة الاناضـول من جهات أخرى قد أدى الى ازدحام خطوط الالتواء فيها وتعقيدها ، كمـا أدى الى حدوث انكسار فارتفعت بعض أجزاء منها وهبطت أخرى كما انبثق فيها بعض البراكين • وقد سد البازلت وألسنة من بعض المرتفعات منافـذ بعض الوديان وبعض الاحواض فتجمعت فيها المياه وتكونت بحيرات •

ولقد حدد هذا التكوين المعقـد بعض الشيء لهضبة أرمينية ســير الاتصالات فيها تحديدا دقيقا بدرجة كبيرة • ومن أهم المسالك الطبيعية التى يمكن أن تتخذها الاتصالات طـريقا لهـا بـين شرق الهضبة وبين غربها ، واديان • يقع أحدهما بين نطاق مرتفعات طوروس الداخلية وبين نطـاق مرتفعات طوروس الخارجية • ويقع الثانى بين هذا النطاق الاخير وبين نطاق آخر يقع فى جنوبه • والوادى الاول يبلغ ذروة ارتفاعه فى منطقة أرضروم التى تكون منطقة تقسيم مياه بين نهر آراس الذى يجرى شرقا فى القســم الشرقى من الوادى وبين نهر فرات‌صو الذى يجرى غربا فى القسم الغربى منه • أما الوادى الاخر فانه يبلغ ذروة ارتفاعه فى منطقة ديادين • وهـى تكون أيضا منطقة أخرى لتقسيم المياه • ينبع منها نهر تشرنافك ، وهو رافد هـام لنهـر آراس ويجرى فى القسم الشرقى من الـوادى • كمــا ينبع منها نهر مراد صو ويجرى غربا من القسم الغربى منه• والاتصالات العراقية تنتقل اليهما خلال منافذها المعروفة نحو هضبة أرمينية والتى من أهمها نهـر الفرات نفسه • ووادى بتليس – وادى موش فى غرب بحيرة وان • ووادى الزاب الكبير – وادى قطور وهو رافد لنهر آراس ينبع من منطقة تقسيم المياه بينه وبين الزاب الكبير • ثم عن طريق تبريز وعن طريق أردبيل ، وقـد

سبقت الاشارة الى اتصالاتهما بوادى قره صو خلال نطاقات المنخفضات التى تكتنف جوانب جبل كوهى سفلان[٧٠] •

وكل من الواديين صالح من الناحية الطبيعية لسير الاتصالات ، الا أن الوادى الاول يعتبر أكثر أهمية اذا نظرنا اليه من وجهة الاتصالات الدولية• فمن المعروف أن قسما كبيرا من نهر آراس يكون أجزاء من الحدود السياسية التى تفصل بين الاتحاد السوفيتى من جهة وبين ايران وتركيا من جهـة أخرى • وهـــو من الناحيـة الاقليمية يتصـل بهضبة الاناضول عن طريق فرات صو ويتصل بهضبة ايران وبحر قزوين عن طريق نهر آراس وبعض منابعه ، كما يتصل ، خلال منابع الانهار التى تنبع من منطقة تقسيم الميـاه حول أرضروم وأيضا خلال بعض ممرات جبلية ، باقليم القوقاز والسواحل الجنوبية الشرقية للبحر الاسود • وللعلاقات السياسية والطبيعية التى يرتبط بها هذا الوادى ، اتجهت اليه عناية الحكومات صاحبة الشأن فمهدت خلالـه طريقا رئيسيا للسيارات كما مدت خطا لسكة الحديد يصل أراضى الواحـدة منها بأراضى الاخرى • وتنتقل اتصالات نهر آراس مع بحر قزوين عـن طريق مصبه فيه • أما اتصالاته مع اقليم القوقاز فلها منفذان أحدهما عـن طريق وادى نهر كورا الذى يتصل به فى واديه الادنى قبيل مصبه فى بحر قزوين • أما المنفذ الآخر فانه ممر يجتاز القوقاز الصغرى •

والقوقاز الصغرى تقع بين المنخفض الذى يجرى فيه نهر آراس وبين منخفض آخر يجرى فيه نهر كورا[٧١] • وتأخذ اتجاها عامـا بـين الجنوب الشرقى وبين الشمال الغربى فيما بين الوادى الادنى لنهر آراس وبين الركن الجنوبى الشرقى للبحر الاسود • ويمكن تقسيمها الى ثلاثة أقسام • القســم الاول منها وهو الجنوبى الشرقى يبدأ من وادى نهر آراس بسلسلتين مـن

(٧٠) أنظر الخريطة رقم ١٤ •
(٧١) انظر الخريطة رقم ١٥ •

موضعين متباعدين فيه • ثم تضيق المسافة بينهما تدريجيا نحو الشمال الغربي حتى تلتقيان وتحصران بينهما في هذا الاتجاه حوضا تشغله بحيرة سيفان التي تعرف أيضا باسم جوكش جولو • ويتضمن هذا القسم بعض ممرات يمكن اجتيازها منها بين وادي نهر آراس وبين وادي نهر كورا • الا أن أهم ممر هناك هو ممر جومرو الذي يفصل بين هذا القسم من القوقاز الصغرى وبين القسم الاوسط منها • وقد عبد خلاله طريق رئيسي كما مدخط لسكة الحديد يصل تفليس على نهر كورا بخط سكة الحديد عبر أرمينية بين طهران وبين استانبول • أما القسم الاوسط فانه يتكون من قوس جبلي منبعج نحو الجنوب ويصعب اجتيازه • الا أن فيما بينه وبين القسم الاخير من هذه المرتفعات ، توجد ثغرة واسعة وتشغل بحيرة تشلدير القسم الاوسط منها • ومن هذه البحيرة ينبع رافد لنهر آراس ويتجه نحو الجنوب في القسم الجنوبي من الثغرة ، أما القسم الشمالي منها فانه يكون منفذا الى القسم الاعلى من وادي نهر كورا • والقسم الاخير من هذه المرتفعات وهو الشمالي الغربي ، معقد التكوين بعض الشيء • وهو يتصل من جهة الجنوب بسلسلة الله أكبر ، وهي التي يحدد امتدادها نحو الجنوب الغربي سهل أرضروم من جهة الشمال • وهو يتصل أيضا من جهة الشمال بسلسلة آكارا داغ لارى التي تعرف أيضا باسم سورام • وهي تفصل بين القسم الاعلى من وادي نهر كورا وبين القسم الادنى من وادي نهر ريون • وهذا القسم من القوقاز الصغرى يتضمن ممرا في وسطه كما يتضمن ممرين آخرين عند جانبيه (٧٢) •

والممر الاول يصل عن طريق أردهان ، بين حوض بحيرة تشالدير وبين الوادي الادنى لنهر تشوروخ الذي تقوم باطوم بالقرب من مصبه • والممر الثاني وهو الذي يقع بينها وبين سلسلة الله اكبر ، يصل بين القسم الاعلى من نهر كورا وبين القسم الاوسط من نهر تشوروخ • وهذا القسم من

---

(٧٢) انظر الخريطتين ١٤ ، ١٥ •

نهر تشوروخ يجري في الامتداد الشرقي لوادي طولي يفصل بين نطاق بنطس المشرف على البحر الاسود وبين مرتفعات هضبة أرمينية وطوروس في الداخل • أما امتداده الغربي فيجري فيه نهر يشيل ارمك الى سهل شرشمبة الخصب والى سمسون التي تقع على مسافة قصيرة في غرب مصبه • وهذا الوادي الطولي صالح لسير الاتصالات خلاله • وكذلك يتضمن نطاق بنطس بعض ممرات يمكن اجتيازه منها الى الساحل • ومن أهمها ممر زيجانا الى طرابيزون ، وممر وادي نهر كارشوط الى تريبولي • أما الممر الثالث وهو الذي يقع بين القسم الشمالي الغربي من القوقاز الصغرى وبين سلسلة آكارد اغلارى فانه أسهل اجتيازا من الناحية الطبيعية • وهو يصل بين الوادي الاوسط لنهر كورا وبين ساحل البحر الاسود عند بوتي وعند باطوم •

ومنخفض كورا ـ ريون الذي يقع بين القوقاز الصغرى وبين القوقاز العظمى يعتبر من الناحية الطبيعية أسهل ممر لنقل الاتصالات بين القسم المقابل من ساحل بحر قزوين وبين القسم المقابل له من ساحل البحر الاسود • وفيه يمتد في الوقت الحاضر طريق معبد وخط لسكة الحديد بين باكو على بحر قزوين وبين باطوم على البحر الاسود •

أما القوقاز العظمى فانها تتكون من عدد من السلاسل وتمتد بين الشمال الغربي وبين الجنوب الشرقي متوازية وعلى الاخص في القسم الغربي منها • وهي في هذا الاتجاه الاخير تمتد مسافة طويلة مشرفة على الساحل الجنوبي الشرقي للبحر الاسود حتى قبيل مصب نهر كوبان • أما اتجاهها نحو الجنوب الشرقي فانه متعامد على بحر قزوين (٧٣) • والسلاسل الرئيسية فيها شاهقة الارتفاع ، ويتراوح متوسط ارتفاعها بين ٢٧٠٠ متر وبين ٣٦٠٠ متر ، وعدا ذلك فانها تتضمن بعض قمم يتجاوز ارتفاعها ٤٥٠٠ متر • وهي بهذا الامتداد وهذا الارتفاع تقف حاجزا في وجه

---

(٧٣) انظر الخريطة رقم ١٥ •

الاتصال المباشر بين هضبة أرمينية وبين سهول شرق أوروبا الا من ممرين. يعرف أحدهما باسم دربند ، ويقع بين بحر قزوين وبين السفوح الشرقية للقسم الجنوبى الشرقى من هذه المرتفعات . وقد كونته رواسب الانهار المنصرفة الى هذا البحر . أما الممر الثانى فانه يعرف باسم داربيل ويقع فى القسم الاوسط منها . ويبدو أن سببه انكسار حدث فيها ونتج عن مقاومة القسم الغربى منها المكون من صخور اركية لحركة الالتواء فى القسم الشرقى المكون من صخور رسوبية ترجع الى الزمنين الاول والثانى[74] . ومما يؤيد هذا الاحتمال ، انه يلاحظ ان محور الالتواء فى بعض سلاسل القسم الشرقى يتحول اتجاهه قبيل هذا الممر، نحو الشمال[75] . ومما زاد فى اتساع هذه الثغرة انصراف بعض مياه المرتفعات التى تكتنفها اليها . فجرى فيها نحو الشمال رافد لنهر سولاك كما جرى فيها نحو الجنوب نهر تيريك رافد نهر كورا . وهذان الممران قد استخدما فى الماضى كما يستخدمان فى الوقت الحاضر لنقل الاتصالات بين جانبى القوقاز فى الشرق الاوسط من جهة وبين سهوب شرق أوروبا من جهة أخرى[76] .

والقسم الشرقى من هضبة الاناضول بين هضبة أرمينيا وبين خط طول ملطية تقريبا ، أكثر اتصالا بهضبة أرمينية منه بداخل هضبة الاناضول . فهو مثلها يغلب عليه التكوين الجبلى . وبينما امتداد مرتفعاته نحو الشرق هو الذى كون هذه الهضبة ، فان امتدادها نحو الغرب يكون حاجزا جغرافيا يفصل بينه وبين داخل هضبة الاناضول . وهذا الحاجز هو الذى أرغم منبعى الفرات ، فرات صو ومراد صو ، على تحويل اتجاههما من الغرب الى الجنوب ، نحو سهول الشرق الاوسط .

ويتكون هذا الاقليم من عدد من خطوط الالتواء . ويمكن أن يميز

---

(٧٤) انظر صحيفة ٢٢ من (٢٧) .
(٧٥) انظر الخريطة رقم ١٤ أو رقم ١٥ .
(٧٦) راجع (٢٥٤) ص ١٣١ . ، (٨٥) ص ١١٨ وما بعدها .

خمسة منها تمتد متوازية بدرجة كبيرة وتأخذ اتجاها عاما بين الشرق وبين الغرب . الا أن اتجاهها فى القسم الشرقى منها وفى القسم الغربى يختلف قليلا عنه فى قسمها الاوسط . ففى هذا الاتجاه الاخير ، تأخذ اتجاها بين الغرب وبين الشرق . أما فى القسم الشرقى فانها تتجه نحو الشمال الشرقى، واما فى القسم الغربى فانها تتجه نحو الجنوب الغربى . ويبدو أنه قد نتج عن هذا التغير فى محور التوائها انكسار على جانبى القسم الاوسط منها وسبب انبثاقات بركانية هناك[77] . كما سبب وجود ثغرات فيها يمكن اجتيازها من بعضها بين شمالها وبين جنوبها . ومن أهم الثغرات فى الجانب الشرقى ، هى التى تصل بين مصب نهر كارشوط فى البحر الاسود وبين مصب نهر بتليس فى نهر دجلة ، ويكون وادى كل من هذين النهرين وكذلك وادى نهر موش أجزاء منها . كما يكون سهل أرضروم وبعض ممرات فى النطاقات الجبلية التى تكتنفه حلقات تصل بين ما يتجه من هذه الوديان نحو البحر الاسود وبين ما يتجه منها نحو نهر دجلة . وأما أهم الثغرات فى الجانب الغربى فهى التى تصل بين ملطية وبين سيفاس .

ومن الملاحظ أن هذا الاقليم مستطيل الشكل وان انحداره العام يتبع شكله الطولى من الشرق نحو الغرب - ومن الملاحظ أيضا أن خطوط مرتفعاته تتجه نحو الشمال الشرقى وهناك تزدحم وتكون عقدة أرمينية . ومعنى هذا أن مراكز الارتفاع العظمى فيه تقع فى قسمه الشرقى وفى قسمه الشمالى . ومما ترتب على ذلك ان كان انحداره سريعا نحو الشمال ومعتدلا لحد ما نحو الجنوب ومعتدلا نحو الغرب وبطيئا نحو الجنوب الغربى . أى أن وديان الانهار المنحدرة منه نحو الشمال الي البحر الاسود مثل نهر كارشوط تكون أقل صلاحية لنقل الاتصالات من وديان الانهار الاخرى المتجهة نحو الجنوب الغربى مثل فرات صو ومراد صو ، والمتجهة نحو الغرب مثل نهر يشيل وكذلك المتجهة نحو الجنوب مثل نهر بتليس .

---

(٧٧) انظر الصحيفة رقم ٢ فى (٢٦) .

ونهر يشيل وان كان فى النهاية يصب فى البحر الاسود كما يصب نهر كارشوط الا أن مصبه يقع فى الغرب وراء هذا الجزء شاهق الارتفاع من مرتفعات بنطس • ولهذا كان الجزء الادنى من واديه وكذلك الجزء الاوسط يكون مسلكا جيدا للاتصالات بين البحر الاسود وبين هذا القسم الشرقى من هضبة الاناضول ثم خلال ممرات فيه الى نهر الفرات• ولا شك أن مسلك وادى هذا النهر يعتبر تعويضا كبيرا عن الصعوبات التى يتضمنها وادى نهر كارشوط • وربما كان هذا من بين الاسباب التى جعلت سمسون وهى فى مكان اميسوس القديمة، احدى الموانىء الكبرى على البحر الاسود للتجارة الشرقية(٧٨) •

جـ - هضبة الاناضول

تشبه هذه الهضبة هضبة ايران بدرجة كبيرة من بعض النواحى ، وعلى الاخص فيما يتعلق بظاهرات السطح • فهى أيضا هضبة متوسطة الارتفاع ، وقد التوت فى الزمن الثالث حافاتها منجهة الشمال ومن جهةالجنوب مكونة سلاسل جبلية شاهقة • كما التوت بعض أجزاء من داخلها وتكونت سلاسل أقل ارتفاعا • بينما هبطت بعض أجزاء أخرى منها وكونت أحواضا تشغل بحيرات ومستنقعات قيعان بعض منها• وتشبهها كذلك فى أن الاقليم الشرقى منها جبلى • وكما توجد أوجه شبه بينهما فى بعض النواحى ، توجد أيضا بعض أوجه للاختلاف• وأهم وجه للاختلاف بينهما، هو أنه بينما تبدو هضبة ايران كحوض مغلق من جميع جهاته ومنفصل عن العالم الخارجى الا من خلال ثغرات فى حافاته، فان هضبة الاناضول تبدو مفتوحة من جهتها الغربية وهى الجهة التى ينحدر سطحها اليها• وقد جعلها تفتحها نحو الغرب معبرا بين آسيا وبين أوروبا كما جعلها ميدانا يتصارع فيه نفوذ الشرق مع نفوذ الغرب•

وتنتقل الاتصالات الشرقية بصفة عامة مع داخل هضبة الاناضول خلال ممرات فى نطاق طوروس • أما الاتصالات العراقية فانها تتركز فى ممرات

(٧٨) راجع (٢١٠) ص ٢٧ •

معينة ، وعلى الاخص فى ممرين • يصل أحدهما بين ملطية وبين سيفاس ، وتعتبر ديار بكر المركز الرئيسى لتجمع الاتصالات العراقية الجارية خلاله • ويصل الثانى بين أضنة وبين أولوقشلة ، وتعتبر حلب المركز الرئيسى أيضا لتجمع الاتصالات العراقية الاخرى الجارية خلاله • أما الاتصالات الغربية فانها بعد أن تتجمع من وسط أوروبا ومن شرقها خلال ممرات شبه جزيرة البلقان تنتقل عبر المضايق أو نطاقات الجزر فى بحر ايجه ، وهما أهم حلقات للاتصال بين الساحل الاوروبى وبين الساحل الآسيوى • ويمكن أيضا أن تنتقل بعض هذه الاتصالات عبر البحر الاسود وعلى سواحله ثم خلال بعض ممرات فى الحافة الشمالية لهذه الهضبة الى داخلها •

وداخل هضبة الاناضول(٧٩) يبدو بين المرتفعات التى تكتنفه منخفضا ومموج السطح • اذ تتدخل فيه أشرطة من المرتفعات فصلت بين بعض أجزائه وبين بعض آخر منها فتكونت أحواض منعزلة انصرفت اليها المياه وتكونت فى قيعان بعض منها بحيرات أو مستنقعات • ومن أوسع هذه الاحواض وأكثرها انخفاضا ، الحوض الذى تشغل قاعه بحيرة طوزجولو ، وهى مالحة كما أنها قليلة العمق(٨٠)• وتتسع مساحتها كثيرا فى فصل المطر، وعندما تنكمش فى فصل الجفاف تخلف على جوانبها سطوحا ملحية يصعب السير خلالها أو قيام عمران فيها • وبسبب الموقع الداخلى لهذا الجزء من هضبة الاناضول واحاطته بحافات مرتفعة ، كان مناخه متطرفا وجافا ، ويبدو فى فصل الصيف اقليما صحراويا بين الجهات التى تكتنفه • ففى شماله كما فى جنوبه وفى شرقه تغطى المراعى كما تغطى بعض الغابات سفوح مرتفعات بنطس وطوروس ، بينما فى غربه يوجدأعظمأجزاء تركيا خصوبة ونشاطا•

وبالرغم من ظاهرة الانخفاض التى يبدو بها هذا الاقليم بين الجهات التى تكتنفه ، فان سطحه ينحدر فى الواقع انحدارا عاما نحو الشمال ونحو

(٧٩) راجع (١١٠) ص ٣٠٢ - ٣٠٣ •
(٨٠) راجع (٢٣٢) ص ٧٥ •

الشمال الغربى • ويبدو هذا ملموسا فى تصريف بعض مياهه نحو الشمال فى نهر كزل أرمك وبعض روافد نهر يشيل ، ونحو الشمال الغربى فى نهر سقاريا • وهذه الانهار هى أطول المجارى المائية فى داخل هضبة الاناضول وأعظمها أهمية ، ولذلك فان وديانها وكذلك وديان بعض روافدها تعتبر مسالك جيدة لنقل الاتصالات خلال بعض أجزاء هذا الاقليم الجاف • وقد شقت هذه الانهار طريقها خلال نطاق بنطس الى البحر الاسود •

ومع أن وديان هذه الانهار تعتبر أيضا مسالك جيدة لنقل الاتصالات بين داخل هضبة الاناضول وبين ساحل البحر الاسود ، الا أنها فى الواقع ليست أفضل المسالك بسبب طول وديانها فى نطاق بنطس • ذلك لانها وان سلكت أسهل السبل فيها الا أنها تجرى متعرجة تعرجات طويلة فى الوديان الطولية التى تفصل بين بعض سلاسل هذا النطاق وبين البعض الآخر •

ونطاق بنطس مكون من عدد من السلاسل تمتد متوازية بين الشرق وبين الغرب ويعلو مستواها متدرجا من داخل هضبة الاناضول الى السلسلة الرئيسية فيها ثم يهبط ثانية متدرجا أيضا الى ساحل البحر الاسود • ومن أهم ما يتميز به هذا الجزء من نطاق بنطس انه قليل الارتفاع ، وتصل أعلى قممه الى ٢٥٦٥ مترا • وهو أقل ارتفاعا فى القسم الشرقى منه وفى القسم الغربى عنه فى القسم الاوسط • كما يتميز بأن خطوط مرتفعاته ليست كاملة الاتصال وتوجد ثغرات تفصل بين بعض أجزاء الواحد منها وبين البعض الآخر (٨١) • وهو بهذا التكوين يتضمن ممرات ، ويقع بعض منها على اتصال مباشر بين بعض المناطق فى داخل هضبة الاناضول وبين بعض مناطق أخرى على ساحل البحر الاسود • ومثل هذه الممرات تفضل الاتصالات المنتظمة سلوكها بين الداخل وبين الساحل •

وفى جنوب داخل هضبة الاناضول يعلو السطح سريعا الى نطاق

---

(٨١) راجع (٢٣٢) ص ٧٥ • وانظر الخريطة رقم ١٦ •

طوروس • وهذا النطاق يختلف بعض الاختلاف عن القسم المقابل له فى نطاق بنطس • فهو أكثر منه ارتفاعا ، كما أن محور التوائه لا يمتد بين الشرق وبين الغرب وانما يأخذ فى القسم الشرقى منه اتجاها بين الجنوب الغربى وبين الشمال الشرقى بينما يأخذ فى قسمه الغربى اتجاها بين الجنوب الشرقى وبين الشمال الغربى • ويبدو أن هذا التحول فى اتجاه محور الالتواء قد أدى الى حدوث انكسارات فى بعض أجزائه وتكوين ثغرات خلاله • والقسم الشرقى منه ضيق ، وتبدو ظاهرات الانكسار فيه أكثر وضوحا • فهناك ، عند سفوحه الشمالية هبط جزء من سطح هضبة الاناضول وتكونت فى قاعه بحيرة آق كما انبثقت بعض براكين ، ومن أشهرها بركان ارجلى وهو هامد (٨٢) • أما هو نفسه فقد تكونت فيه ثلاث ثغرات هامة • يجرى فى الغربية منها نهر جوك صو • ويجرى فى الشرقية نهر تشكت ، وهو رافد لنهر سيحان، وقد اختيرت لان يمد خلالها خط سكة حديد الشرق (طوروس) • أما الثغرة الوسطى وهى تجاور الثغرة السابقة فان فيها يجرى نهر بزيلولك، وهو رافد لنهر طرسوس • واجتياز هذه الثغرة الاخيرة أسهل من اجتياز الثغرتين الاخريتين • وقد اشتهرت فى التاريخ باسم بوابات كيليكية (٨٣)، كما اشتهرت بأنها أحد المداخل الرئيسية الى سهول الشرق الاوسط •

وأما القسم الغربى من نطاق طوروس وهو الواقع غرب نهر جوك ، فانه عظيم الاتساع ، ويتضمن بين سلاسله الداخلية وبين سلاسله الساحلية واديا طوليا يصلح لسير الاتصالات خلاله ، وتوجد فى قاعه بعض منخفضات تشغلها بحيرات • والسلاسل الساحلية فى الجزء الغربى منه غير منتظمة الالتواء وعلى الاخص فى منطقة اسبرطة • فعلى جانبها الشرقى يأخذ اتجاها نحو الجنوب وعلى جانبها الغربى تأخذ اتجاها نحو الجنوب الغربى ، وفيما بين هذين الاتجاهين يوجد منخفض واسع

---

(٨٢) راجع (١٤٣) ص ٣٥ •
(٨٣) راجع (١١٠) ص ٢٩٩ – ٣٠٠ •

لحد ما وقد جرى فيه نهر آق صو وملأه برواسبه مكونا سهول انطالية وهى ثانى منطقة سهلية واسعة بعد سهول كيليكية على ساحل هضبة الاناضول المشرف على البحر المتوسط • أما السلاسل الداخلية فانها منتظمة الامتداد وهى تستمر نحو الشمال الغربى وتكون لحد ما حاجزا جغرافيا يفصل بين داخل هضبة الاناضول وبين القسم الجنوبى الغربى منها وكذلك مناطق السهول الفيضية والاحواض الواقعة بين حافتها الغربية وبين بحر ايجه •

والحافة الغربية لهضبة الاناضول ، فيما عدا القسم الشمالى الغربى منها ، ترتفع فوق مستوى السهول الفيضية والاحواض الواقعة فى غربها بنحو ٣٠٠ متر • وهى ترتفع فوق ذلك فى المناطق التى تعلوها كتل جبلية • ولذلك فان الانتقال بين ساحل بحر ايجه وبين داخل هذه الهضبة ليس سهلا • الا أنه من حسن حظ المواصلات أن هناك عاملان قد تدخلا وسهلا سبل هذا الاتصال • واحدهما اذرع من هضبة الاناضول ومن حافاتها الجبلية ممتدة الى ساحل بحر ايجه(٨٤) • والآخر وديان طولية ممتدة بين بعض هذه الاذرع وبين البعض الآخر وقد جرت فيها أنهار تنبع من الحافة الغربية للهضبة ومرتفعاتها وتصب فى بحر ايجه • وقد كونت سفوح هذه الاذرع وكذلك وديان بعض الانهار الجارية بينها أهم حلقات للاتصال بين داخل هذه الهضبة وبين ساحل بحر ايجه •

أما فى شرق داخل هضبة الاناضول(٨٥) فان نطاق طوروس يتسع كثيرا بما يضاف اليه من خطوط التواء أخرى • ويبدو أن لبعضها علاقة بخطى التواء كارباس وترودس فى جزيرة قبرص • والقسم الجنوبى منه ، وهو الواقع فى شمال سهول كيليكية يبدو منتظم الالتواء • وفيما بين بعض خطوط الالتواء فيه وبين البعض الآخر توجد وديان طولية وتجرى فيها مجموعة نهر سيحان ونهر جيحان وروافدهما ، وهى المجموعة النهرية التى كونت

(٨٤) راجع (١٤٣) ص ٣٢ـ٣٤ ، (٢٣٢) ص ٧٧ـ٧٨ •
(٨٥) راجع (١١٠) ص ٣٠١ – ٣٠٢ •

برواسبها سهول كيليكية • ويتصل وادى نهر زامانتى صو ، وهو المنبع الرئيسى لنهر سيحان ، خلال منافذ فى طوروس الداخلية ببعض المناطق عند سفوحها وعلى الاخص بمنطقة قيصرية(٨٦) • أما القسم الشمالى من هذا الجزء من نطاق طوروس فانه يتحول نحو الشرق تحت تأثير مقاومة مرتفعات بنطس • ويبدو أن هذه المقاومة قد سببت انكسارا فيه • فتكونت خلاله ثغرات جرت فيها أنهار انصرف بعض منها نحو نهر الفرات وانصرف البعض الآخر نحو نهر كزل أرمك ، وهو المعروف فى التاريخ القديم باسم نهر هالس • ويمكن أن تتخذ الاتصالات بعض هذه الثغرات مسالك لها فى الانتقال بين وادى الفرات وبين داخل هضبة الاناضول ، ومن أهمها الثغرة التى تصل بين ملطية وبين سيفاس وقد مد خلالها خط لسكة الحديد يصل بين هاتين المدينتين •

ومما تقدم ذكره عن معالم سطح هضبة الاناضول وحافاتها ، يمكن القول بأن الطبيعة قد جددت مسالك الاتصالات فيها بدرجة كبيرة • وربما لا تختلف فيها كثيرا امتدادات الطرق الحديثة عن خطوط المسالك القديمة • فالثغرات فى الحافات الجبلية والمرتفعات الاخرى ، ومجارى الانهار الكبيرة والصغيرة خلالها هى المسالك الطبيعية لاتصالات هذه الهضبة مع سواحل البحار التى تكتنفها ومع سهول الشرق الاوسط • والوسط الصحراوى فيها وان كان يتضمن بعض صعوبات أمام سير الاتصالات خلاله الا أن وديان الانهار الجارية فيه تكون مسالك جيدة لها • واذا راعينا أن الوسائل القديمة للنقل والمواصلات كانت الحيوانات وان توفر المراعى أمر ضرورى لها ، فانه يمكن القول بأن أهم المسالك لنقل الاتصالات بين غرب هضبة الاناضول وبين شرقها تتكون من مجموعتين • تقع احداهما شمال الوسط الصحراوى ، عند السفوح الجنوبية لمرتفعات بنطس • وتقع الاخرى فى جنوبه ، عند السفوح الشمالية لمرتفعات طوروس •

(٨٦) انظر الخريطة رقم ١٦ •

والمجموعة الشمالية أكثر أهمية • وعلى الاخص لان منطقة المضايق وهى تتضمن أضيق المعابر لنقل الاتصالات بين الشاطىء الاوروبى وبين الشاطىء الآسيوى ، تعتبر البدء الطبيعى لها • وذلك لما هو معروف من أن سطح داخل هضبة الاناضول متفتح نحوها • والمسلك الرئيسى فى هذه المجموعة له من منطقة المضايق مدخلان طبيعيان الى هذا الداخل • والمدخل الاول هو الوادى الاوسط لنهر سقاريا ثم وادى رافده أنقرة صو الى أنقرة• والمدخل الثانى هو وادى نهر بورساق ، وهو رافد آخر لنهر سقاريا ثم وادى أنقرة صو أيضا الى أنقرة • وهذا المدخل الاخير تتبعه وسائل النقل والمواصلات الحديثة • ويبدو أن استخدامه كان كبيرا فى الماضى أيضا بسبب كونه مدخلا كذلك للقسم الشمالى من ساحل بحر ايجه فى جنوب منطقة المضايق ، عن طريق كوتاهية • وتعتبر اسكى شهر أهم مركز للاتصالات على هذا المدخل[87] •

ومن أنقرة الى سيفاس أو الى قيصرية تشير معالم السطح باتخاذ واحد من مسلكين • يصعد أحدهما فى وادى نهر كزل أرمك وهو ينبعج كثيرا نحو الغرب ويقترب من أنقره ، الى سيفاس التى تقع فى القسم الاعلى من واديه ، أو الى قيصرية متحولا اليها من المنطقة المقابلة لها من هذا الوادى • أما الآخر فانه يعبر نهر كزل متجها نحو الشرق الى وادى رافده نهر دليس فيصعد معه الى مقابل قيصرية فيتحول اليها • وبين قيصرية وبين سيفاس تنتقل الاتصالات على الجانب الغربى لوادى نهر كزل • وهذا المسلك الاخير تتبعه الاتصالات الحديثة • ويبدو أن حركة الاتصالات عليه كانت كبيرة أيضا فى الماضى• وذلك لانه أقصر من المسلك الاول كما أن فيه تتوفر مطالب القوافل بدرجة أكبر •

وبجانب هذين المسلكين الطبيعيين يسمح سطح داخل هضبة الاناضول

(٨٧) راجع (٢١٠) ص ٢٧ وما بعدها • وانظر أيضا الخريطة رقم ١٦ •

بوجود بعض مسالك أخرى ويمكن أن تسلكها الاتصالات أيضا بين أنقره من جهة وبين سيفاس وقيصرية من جهة أخرى • ولعل أقدمها وأهمها من الناحية الاقتصادية هو الذى كان يمتد من انكيرا القديمة الى حتوشاش عاصمة الحيثيين وهى موضع بتريا عاصمة كبادوكيا[88] والذى يعطى له هذه الاهمية الاقتصادية ان الاراضى التى تكتنفه غنية كما أنه يتصل خلال منافذ طبيعية فى مرتفعات بنطس بسمسون وسينوب، وهما من أقدم الموانىء على ساحل البحر الاسود وأشهرها اتصالا بالتجارة الشرقية[89] • ومن حتوشاش يمكن للاتصالات أن تسلك نحو سيفاس ونحو قيصرية مسالك مباشرة وطبيعية بدرجة كبيرة[90] •

أما مسالك المجموعة الجنوبية ، فان ظاهرات السطح تسمح بوجود مسلكين رئيسيين فيها • واحدهما يمتد على طول الشريط الانتقالى بين الحافة الجنوبية للوسط الصحراوى وبين نطاق طوروس • والآخر يكونه الوادى الطولى الواقع بين خط السلاسل الداخلية من هذا النطاق وبين خط سلاسله الساحلية • وتعتبر منطقة افيون قره حصار لظروفها الجغرافية الخاصة مدخلا الى المسلك الاول من ساحل بحر ايجة وعلى الاخص من منطقة ازمير الحالية والمناطق التى تكتنفها وهى التى قامت فيها قديما سرديس وافسوس ، وذلك عن طريق وادى نهر جديز • كما تعتبر منطقة دينار أولوبورلو لظروفها الجغرافية الخاصة أيضا مدخلا الى المسلك الآخر من ساحل بحر ايجه وعلى الاخص عن طريق وادى نهر ميندريس • والمسلك الاول فى هذه المجموعة هو الاهم ، لانه أسهل استخداما ولانه يتصل بداخل هضبة الاناضول وخلال ممرات فيه بمجموعة المسالك الشمالية • وهو يمتد من افيون قره حصار فى اتجاه نحو الجنوب الشرقى ويمر بآق شهر وقونية وكرامان • وعند كرامان يلتقى بالمسلك الآخر ، ومنها يمكن للاتصالات المتجهة الى سهول كيليكية

(٨٨) راجع (٢٢٤) ص ١٧٤ • وانظر أيضا الخريطة رقم ١٦ •
(٨٩) راجع (٢١٠) ص ٢٧ وما بعدها •
(٩٠) انظر الخريطة رقم ١٦ •

أن تستمر فى اتجاهها الى أولو قشله وتجتاز نطاق طوروس من بوابات كيليكية ، أو انها تتجه نحو الجنوب نازلة فى وادى نهر جوك الى القسم الادنى منه ثم تسلك طريق الساحل الى هذه السهول[91] .

والخلاصة أن للاتصالات العراقية مع داخل هضبة الاناضول وحافاتها الشمالية والغربية ، عدة منافذ فى نطاق طوروس . وما يتجه منها نحو ديار بكر يجتاز معظمه ممرا فى هذا النطاق يصل بين مالطية وبين سيفاس . أما ما يتجه منها نحو حلب فانه بعد أن يجتاز ممرا أو آخر فى مرتفعات أمانوس الى سهول كيليكية ، يجتاز معظمه نطاق طوروس فى بوابات كيليكية الى أولوقشله . والاتصالات المنقولة الى سيفاس يمكن لبعض منها أن يتجه الى سمسون أو الى سينوب على ساحل البحر الاسود خلال ممرات فى نطاق بنطس . كما يمكن للبعض الآخر أن يسلك طريقا أو آخر فى مجموعة المسالك الشمالية وعن طريق أنقره الى القسم الشمالى الغربى من الاناضول وعلى الاخص منطقة المضايق. أما الاتصالات المنقولة الى أولوقشله فقد حددت لها الطبيعة مسلكين الى القسم الغربى والجنوبى الغربى من الاناضول وعلى الاخص منطقة أزمير وماحولها.

---

(٩١) انظر الخريطة رقم ١٦ .

ثبت المراجـــع

ثبت الخرائـــط

آ ـ خرائط موضحة باللغة العربية :

١ ـ خارطة العراق الشمالى ، مقياس ١/٠٠٠ر٧٥٠ ، مديرية المساحة العامة فى بغداد ، ١٩٣١ .

٢ ـ خارطة بلاد ايران ، مقياس ١/٠٠٠ر٢٠٠ر٤ (غير موضح مكان الطبع وتاريخه) .

٣ـ خارطة جبال العراق ، مقياس ١/٠٠٠ر٥٠٠ر١ ، مديرية المساحة العامة ببغداد ، ١٩٢٩ .

٤ ـ خريطة البادية مقياس ١/٠٠٠ر٠٠٠ر٣ . وهى ملحقة بكتاب البادية تأليف عبدالجبار الراوى وعمل مديرية المساحة العامة ببغداد .

٥ ـ خريطة العراق الاثرية مقياس ١/٠٠٠ر٠٠٠ر١ ، نشر مديرية الآثار العامة ببغداد وعمل مديرية المساحة العامة بها .

٦ ـ خريطة لبنان ، مقياس ١/٠٠٠ر٢٠٠ . منشورات الدليل الاخضر . بيروت ، ١٩٤٨ .

٧ ـ خريطة لبنان للسياحة والطرقات مقياس ١/٠٠٠ر٢٠٠ ، باريس، ١٩٤٨ .

٨ ـ خريطة طرق العراق مقياس ١/٠٠٠ر٠٠٠ر١ مديرية الاشغال العامة، ١٩٤٨ .

٩ ـ ١٤ خريطةعامة لالوية العراق، بعضها بمقياس ١/٠٠٠ر٢٥٠ وبعضها الآخر بمقياس ١/٠٠٠ر٥٠٠ . وهى طبع مديرية المساحة العامة ببغداد .

١٠ ـ خرائط أخرى ملحقة ببعض الكتب العربية ومن أهمها ما هو ملحق بكتاب مفصل جغرافية العراق تأليف الفريق طه الهاشمى ، وكتاب الاسس الطبيعية لجغرافية العراق تأليف كوردن هستد وتعريب محمد جاسم الخلف .

ب ـ خرائط وأطالس موضحة بلغات أجنبية :

١١ ـ Carte du Leavant, 6 files, 1/500,000, Dressè, Dessiné et Publié par le Bureau Topographique des Troupes du Levant, Imprime á l'Institute Geographique National, édition d'Avril 1939.

١٢ _ Carte Géologique du Moyen Orient, 1 á 2/0000,000, Dressè par L. Dubertret, 1942.

١٣ _ Folded Maps accompaying some books specially those of a handbook of Arabia, vol. 2 (Admiralty War Staff, 1917); of Loyalties, Mesopotamia, 2 vols., 1914-20. by Sir A. T. Willson, Oxford University Press, 1936. and of Mesopotamia as a Country of Future Development, by A. B. Buckley, Cairo Government Press, 1919.

١٤ _ Map of Africa, 1/1000,000, "Cairo" sheet in. H-36. Reproduved by 17 map reporduction Section R.E. 1945. from Survey of Egypt Kadalines, 2nd. edition 1944. With revision from 1/1,000,000 South Levant sheets and 1/250,000 Palestine sheet 2.

١٥ _ Map of Asia, 1/1,000,000 "Persian Gulf" sheet 32, Reproduced by 512 (A. Fd. Svy.) Coy., R.E., 1941, form Black Pulls from the War Office. Communications revised and printed by 512 Fd. Survey Coy., R.E., M.E. 1942. Reprinted by 512 Fd. Survey Coy. R. E. 1942.

١٦ _ Map of Asia, 1/1,000,000, "Resht" North, J-39. Reproduced by 512 A. Fd. Svy. Coy., R. E. 1940, from Survey of India Black Pulls of 1941 edition. Reprinted by 512 Fd. Survey Coy., R.H., M.E. 1942.

١٧ _ Map of Asia, 1/1,000,000 "Riyadh" North G-38. Drawn and printed at the War Office, 1922.

١٨ _ Map of Asia, 1/1,000,000 "Tehran" in 1-39, Geograhical Section, General Staff, 2nd. edition, 1944.

١٩ _ Map of Bible Lands and the Craddle of Western Civilization, Complied and drawn in the Geographic Section if the National Geographic Society for the National Geogarphic Magazine, 1/3,000,000 (editor, G. Grosvenor).

٢٠ _ Map of International map of the World, 1/1,000,000 "Iraq", 5 sheets (Place of Printing & Date are not indicated).

٢١ _ Map of Iraq, 1/1,000,000, Heliozincographed at the Directorate of Survey Affairs, Baghdad (date is not indicated).

٢٢ _ Mape of the Middle East and Near East, Persia, Arabia, Turkey, Egypt. Printed and Published in Great Britain by J. Bartholomey and Son. Ltd. "Edinburgh".

٢٣ _ Provisional Geological Map of Iraq, 1/2,000,000. The Iraq Geological Department. 1937.

٢٤ _ Sketch map of Desert S.W. of Nasiriyah, 1/1000,000 Heliozincographed at The Survey Directorat, Baghdad.

٢٥ _ Map of Turkiye, 1/2,000,000, Tertib eden: Ahmet Halit Yasaroglu.

٢٦ _ The Library Atlas, by Goodall and Darby, London, 1947.

٢٧ _ The Oxford Advanced Atlas, by J. Bartholomew, Oxford University Press, 1936.

٢٨ _ The Regional Atlas of the World, by J. Bartholomew, Edinburgh, The Geographical Institute, 1948.

٢٩ _ The Times Survey Atlas of the World, Prepared at the "Edinburgh Geographical Institute" Under the Direction of J. G. Bartholomew, London, 1922.

ثبت الكتب .

آ _ الكتب العربيـة :

٣٠ _ ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، نشر نعمان الاعظمى ، بغداد ، ١٩٣٧ .

٣١ _ ابراهيم أحمد رزقانة (الدكتور) ، الحضارة المصرية فى فجر التاريخ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

٣٢ _ أحمد سوسه (الدكتور) ، تطور الرى فى العراق ، بغداد ، ١٩٤٦ .

٣٣ _ أحمد سوسه (الدكتور) ، رى سامراء فى عهد الخلافة العباسـية ، الجزء الثانى ، بغداد ١٩٤٩ .

٣٤ _ أحمد سوسه (الدكتور) فى رى العراق « نهر الفرات » الجزء الاول ، بغـداد ١٩٤٥ .

٣٥ ـ أحمد سوسه (الدكتور) ، وادى الفرات ومشروع سدة الهندية ، الجزء الثانى ، بغداد ، ١٩٤٥ .

٣٦ ـ بسام كرد على واخرين ، سوريا ولبنان جغرافيا ، دمشق ، ١٩٤٩ .

٣٧ ـ حافظ وهبه ، جزيرة العرب فى القرن العشرين ، القاهرة ، ١٩٤٦ .

٣٨ ـ حامد محمد البلقينى ، زراعة المحاصيل المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٣ .

٣٩ ـ حسن ابراهيم حسن (الدكتور) ، تاريخ الاسلام السياسى ، الجزء الاول ، القاهرة ١٩٣٥ .

٤٠ ـ جورجى زيدان ، كتاب العرب قبل الاسلام ، الجزء الاول ، القاهرة ، ١٩٣٩ .

٤١ ـ جواد على (الدكتور) ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، الجزء الاول ، القسم السياسى ، بغداد ١٩٥١ .

٤٢ ـ سعيد حماده ، النظام الاقتصادى فى العراق ، بيروت ، ١٩٣٨ .

٤٣ ـ سليم حسن ، مصر القديمة ، الجزء الرابع ، عهد الهكسوس وتأسيس الامبراطورية ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

٤٤ ـ طه الهاشمى (الفريق) ، مفصل جغرافية العراق ، بغداد ، ١٩٣٠ .

٤٥ ـ طه باقر ، مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة القسم الاول ، تاريخ العراق القديم ، بغداد ١٩٥٥ .

٤٦ ـ عباس العزاوى ، عشائر العراق ، ١ ، القديمة ـ البدوية الحاضرة ، بغداد ، ١٩٣٧ .

٤٧ ـ عبدالجبار الراوى ، البادية ، بغداد ، ١٩٤٧ .

٤٨ ـ عبدالرحمن الرافعى بك ، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر « عصر محمد على » الجزء الثالث ، القاهرة ، ١٩٣٠ .

٤٩ ـ عبدالعزيز الدورى (الدكتور) ، تاريخ العراق الاقتصادى فى القرن الرابع الهجرى ، بغداد ، ١٩٤٨ .

٥٠ ـ عبدالمطلب أمين (العقيد الركن) ، مبادىء السوق وجغرافية العراق العسكرية ، بغداد ، ١٩٤٦ .

٥١ ـ عبدالوهاب عزام (الدكتور) ، مهد العرب (سلسلة اقرأ) مارس ١٩٤٦ .

٥٢ ـ كوردن هستد ، الاسس الطبيعية لجغرافية العراق ، تعريب جاسم محمد الخلف ، بغداد ، ١٩٤٨ .

٥٣ ـ محمد أمين زكى بك ، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان من أقدم العصور التاريخية الى الآن ، القاهرة ، ١٩٣٩ .

٥٤ ـ مديرية الجمارك والمكوس (العراق) ، بيان الجمارك رقم ٣ لسنة ١٩٣٥ بتاريخ ٢ آذار ١٩٣٥ .

٥٥ ـ ول ديورانت ، قصة الحضارة ، الجزء الثانى ، الشرق الادنى ، ترجمة محمد بدران ، القاهرة ، ١٩٥٠ .

٥٦ ـ ول ديورانت ، قصة الحضارة الفارسية . ترجمها الى العربية الدكتور ابراهيم أمين الشورابى ، القاهرة ، ١٩٤٧ .

٥٧ ـ وليام ويلكوكس ، بين عدن والاردن ، نقله الى العربية الدكتور أحمد سوسه ومحمد الهاشمى ، بغداد ، ١٩٤٣ .

٥٨ ـ يوسف رزق‌الله غنيمة ، الحيرة ، المدينة والمملكة العربية ، بغداد ، ١٩٣٦ .

٥٩ ـ يوسف رزق‌الله غنيمة ، نزهة المشتاق فى تاريخ يهود العراق ، بغداد ١٩٢٤ .

ثبت الكتب غير العربية

توضيحات خاصة باختصارات لبعض المراجع :ـ

١ ـ Bull. de la Soc. Ray. de Geog. d'Eg. = Bulletin de la Société Royale de Gèographie d'Egypte.

ب ـ C. A. H. = Cambridge Ancient History.

ج ـ H's U. H. W. = Harmsworth's Universal History of the World, "Edited by J. A. Hammerton".

٦٠ ـ Admiralty Naval Staff, Geographical Hand book, Syria, London, 1943.

٦١ ـ Admiralty Naval Staff, Geology of Mesopotamia and its Border Lands, London, 1916.

٦٢ ـ Admiralty War Staff; A Hand book of Arabia, 2 vols., London, 1916-1917.

٦٣ ـ Admiralty War Staff; A Hand book of Mesopotamia, 4 vols., London, 1916-1917.

٦٤ ـ Ainsworth, W. F.; Researches in Assyria, Babylonia and Chaldaea, London, 1838.

Aldabbagh, A. H.; A Geographical Analysis of the Date-palm Industry of Iraq" Thesis presented for the Degree of M.A. at Birmingham University" (Unpublished). — ٦٥

Alföldi, A.; The Crisis of the Empire (A. B. 249-270) in the C. A. H. vol. XII. — ٦٦

Andersom, J. G. C.; The Estern Frontier under Augustus. In the C. A. H., vol. X. — ٦٧

Anderson, J. G. C.; The Estern Forntier From Tiberius to Nero, in the C. A. H., vol. X. — ٦٨

Barton, G. A.; Semitic and Hamitic Origins, Social and Religious. Philadelphia, 1934. — ٦٩

Beokinsale, R. B.; Land Air and Ocean, London 1946. — ٧٠

Bonomi, J.; Nineveh and its Palaces, London, 1852. — ٧١

Bourgoin, M. A et Autres; Notes et Memoirs, Tome IV, Etudes Gèologiques et Géographiques sur Le Liban, la Syrie et le Moyen Orient, Beyruth, 1945-1948. — ٧٢

Breasted, J. H.; Ancient Times, A History of the Early World. An Introduction to the Study of Ancient History and the Career of Early Man, Boston, 1944. — ٧٣

Brown, Sir A.; Irrigation. Its Principles and Practice as a Branch of Engineering, London, 1907. — ٧٤

Buchanan, Sir G.; The Tragedy of Mesopotamia, London, 1938. — ٧٥

Burkitt, F.C.; The Christain Church in the East, in the C. A. H., vol. XII. — ٧٦

Bury, J.B.; History of the Later Roman Empire, 2 vols. London, 1923. — ٧٧

Byford, C.; The Port of Basra, Iraq, London, 1935. — ٧٨

Cary, M.; The Geographic Background of Greek and Roman History, Oxford, at the Clarendon Press, 1949. ٧٩

Cary, M.; The History of the Greek World from 323 to 146 B. C. London, 1932. ٨٠

Casson, S.; Greece on the Eve of the Greatest Glory, in H's U. H. W.; 9. ٨١

Carlesworth, M. P.; Trade-Routes and Commerce of the Roman Empire. Cambridge Unversity Press, 1924. ٨٢

Childe, V. G.; New Light on the most Ancient East, The Oriental Prelude to European Prehistory, London, 1935. ٨٣

Child, V. G.; The Growth of Culture in Barbaric Europe, in H's U. H. W.; 8. ٨٤

Child, V.G.; The Aryans, London, 1926. ٨٥

Chesney, Lt-Col. F. R.; The Expedition for the Survey of the Rivers Euphrates and Tigris in the Years 1835, 1936 and 1937, 2 vols., London, 1868. ٨٦

Cressey, G. B.; Asia's Lands and People, A Geography of one third the Earth and two thirds its People, New-York, 1944. ٨٧

Chirstensen, A.; Sassanid Persia, in the C.A.H., vol. XII. ٨٨

Cook, S. A.; Chronology, in the C. A. H., vol. I. ٨٩

Cook, S. A.; The Gods of the Twilight, in H's U.H.W., 6. ٩٠

Cook, S. A.; The Fall and Rise of Judah, in the C. A. H. vol. III. ٩١

Cook, S.A., The Inauguration of Judaism, in the C. A. H. vol. VI. ٩٢

Cook, S. A.; The Semites, in the C. A. H., vol. I. ٩٣

Cumont, F.; The Frontier Provinces of the East, in the C. A. H., vol. XI. ٩٤

Delaporte, L.; Les Peuples de l'Orient Mèditerranéen, 1, le proche-Orient Asiatique, Paris, 1948. ٩٥

Delaporte, L.; Mesopotamia, The Babylonian and Assyrian Civilization, (translated by V.G. Childe), London, 1925. ٩٦

De Morgan, J.; Prehistoric Man, A General Outline of Prehistory, London, 1924. ٩٧

٩٨ De Vaumas, E.; Le Structure du Proche-Orient, Bull. de la Soc. Roy. de Géog. d'Eg., Tome XXIII, June, 1950.

٩٩ Dickson, H.R.P.; The Arab of the Desert, A Glimpes into Badawin Life in Kuwait and Saudi Arabia, London, 1949.

١٠٠ Dowson, Sir E.; An Enquiry into Land Tenure and Related Questions. Letchworth (England), 1931.

١٠١ Drioton, E. et Vandier, J.; Les Peuples de l'Orient Méditerranèen, II, l'Egypte, Paris, 1946.

١٠٢ Dubertret, L.; Apercu de Gèographie Physique. Notes et Memoires, Tome IV, Etudes Gèologiques et Gèographiques, Beyrouth, 1945-1948.

١٠٣ Dubertret, L. et autres; Notes et Memoires, Tome 1, Contribution à l'Etude Gèologique de la Syrie Septentrionale, le Miocène en Syrie et au Liban, Paris, 1933.

١٠٤ Dubertret, L. et Weulersse, J.; Manuel de Gèographie Syrie, Liban et Proche Orient, lere. partie, la Pèninsule Arabique, Beyrouth, 1940.

١٠٥ Earle, E.N.; Turkey, The Great Powers and The Baghdad Railway, New-York, 1935.

١٠٦ East, G.; The Geography Behind History, London, 1945.

١٠٧ Eldridge, F. B.; The Background of Eastern Sea Power, London, 1948.

١٠٨ Fedden, R.; Syria, An Historical Appreciation, London, 1947.

١٠٩ Field, H.; The Anthropology of Iraq; Upper Euphrates Anthropolgical series, Chicago, 1950.

١١٠ Fisher, W.B.; The Middle East, A Physical, Social and Regional Geography, London, 1950.

١١١ Forbes, R.; Russian Road to India by Kubul and Samarkand, in Penguin Books, 1940.

١١٢ Fulanain; Hági Rikkan, Marsh Arab, London, 1927.

١١٣ Garstang, J.; The Empire of the Hittites, in H's U. H. W., 7.

١١٤ Geological Department (Baghdad); Geology of Iraq, Extract from Geology of British Empire, Dominios, Colonies, Mandated Territories. (Report unpublished and without date).

١١٥ Gibbon, E.; The History of the Decline and Fall of the Roman Empire, vol. 1, London, 1930.

١١٦ Glover, T.R.; The Ancient World. in Pilican Books, London, 1948.

١١٧ Glood-Adams, R.; Middle East Journey, London, 1947.

١١٨ Grant, C. P.; The Syrian Desert: Caravans, Travel and Exploration, London, 1937.

١١٩ Gregory, J.W.; The Structure of Asia, London, 1929.

١٢٠ Gregory, J. S. and Shave, D. W.; The U. S. S. R. A Geographical Study, London, 1945.

١٢١ Griffith, F. L.; The Egyptian Empire: Its Splendour and Decline, in H's U. H. W., 6.

١٢٢ Groffith, F. L.; The Religious Revolution in Egypt, in H's U. H. W., 7.

١٢٣ Gray, G. B. and Cary, M.; The Reign of Darius, in the C. A. H. vol. IV.

١٢٤ Gray, G. B.; The foundation and Extension of the Persian Empire, in the C. A. H. vol. IV

١٢٥ Grundy, G. B.; The Persians and the Empire of the Great King, in H's U. H. W.; 10.

١٢٦ Haas, W. S.; Iran, New York, Columbia University Press., 1946.

١٢٧ Haddon, A.C.; The Races of Man, Cambridge, 1929.

١٢٨ Hall, H. R., Egypt in the Brilliance of Decay, in H's. U. H. W., vol. 9.

١٢٩ Hall, H.R.; Egypt to the Coming of Alexander. In the C. A. H., vol. VI.

١٣٠ Hall, H. R.; The Art of Early Egypt and Babylonia, in the C. A. H., vol 1.

١٣١ Hall, H. R.; The Contemporary Art of Egypt and the Near East, in the C. A. H.. vol. 1.

١٣٢ Hall, H.R.; The Middle Kingdom and the Hyksos Conquest, in the C. A. H., vol. 1.

١٣٣ Hall, H. R.; The Union of Egypt and the Old Kingdom, in the C.A.H. vol. 1.

١٣٤ Halliday, W.R.; The Dorian Invasion and Ionian Migrations, in H's U.H.W., 9.

١٣٥ Halliday, W.R.; The Greek City States at the Time of the Persian War, in H's. U.H.W., 10.

١٣٦ Hay, W.R.; Two Years in Kurdistan; Experiences of a Political Officer, 1918-1920, London, 1921.

١٣٧ Hayes, C. J. H. and Moon, P. T.; Ancient History, New-York, 1946.

١٣٨ Helphen, L.; The Barbarian Background, in the C.A.H. vol. XII.

١٣٩ Herzfeld, E.; Zoroaster and his World, 2 vols., Princeton, 1947.

١٤٠ Hitchen, C.S.; Geology of the Tharthar Depression, Iraq, with a special reference to its use as a reservior for flood Control on the River Tigris, Nov. 1948. (Report unpublished).

١٤١ Hogarth, D. G.; The Ancient East, in the Home University Library of Modern Knowledge, London. 1939.

١٤٢ Hogarth, D.G.; The Hittitis of Asia Minor, in the C. A. H. vol. II.

١٤٣ Hogarth, D. G.; The Nearer East, in H. J. Mackinder's series on the Regions of the World, London, 1902.

١٤٤ Holmes, A.; Principles of Physical Geography, London, 1949.

١٤٥ H's. U.H.W., 4, Chronicle 1, Twilight : 4000-1580 B.C.

١٤٦ H's. U.H.W., 6, Chronicle 2, Dawn : 1580-900 B.C.

١٤٧ H's. U.H.W., 8, Chronicle 3, Day Light : 900-500 B.C.

١٤٨ H's. U.H.W., 10, Chronicle 4, Persia and Greece in Collision : 550-478 B.C.

١٤٩ Huxley, T. H. and Gregory, R. A.; Physiography; An Introduction to the Study of Nature, London, 1912.

١٥٠ Huzayyin, S.A.; Arabia and the Far East. Their Commercial and Cultural Relations in Graeco-Roman and Irano-Arabian Times, Cairo 1942.

١٥١ Jenkins, J.T.; A Text Book of Oceanography, London, 1921.

١٥٢ Johns, C.H.W.; Ancient Babylonia, Cambridge University Press, 1913.

١٥٣ Keith, Sir A.; A New Theory of Human Evolution, London, 1950.

١٥٤ Kellaway, G.P.; A Background of Physical Ceography, London, 1947.

١٥٥ King, L.W.; A History of Babylonia from the Foundation of the Monarchy to the Persian Conquest, London, 1919.

١٥٦ King, L.W.; A History of Sumer and Akkad, An Account of the Early Races of Babylonia from Prehistoric Times to the Foundation of Babylonian Monarchy London, 1923.

١٥٧ Lake, P.; Physical Geography, Cambridge, 1922.

١٥٨ Landone, B.; (Editor in Chief), Prehistoric Man and the Ancient World, in Civilization and Art Series, vol. 1, New York, 1942.

١٥٩ Langdon, S.H.; The Dynasties of Akkad and Lagash, in the C.A.H.; vol. 1.

Langdon, S.H.; Early Bablonia and its Cities, in the C.A.H., vol. 1. ١٦٠

Langdon, S.H.; The Sumerian Rerival : The Empire of Ur, in the C.A.H., vol. 1. ١٦١

Le Strange, G. The Lands of the Estern Caliphate; Mesopotamia, Persia and Central Asia from the Moslem Conquest to the Time of Timur, Cambridge, 1930. ١٦٢

Lloyd, S., Foundation in the Dust, A Study of Mesopotamian Exploration, Oxford University Press, 1943. ١٦٣

Lloyd, S., Ruined Cities of Iraq, Oxford University Press, 1945. ١٦٤

Lloyd, S., Twin Rivers; A Brief History of Iraq from the Earliest Times to the Present Day, Oxford University, 1943. ١٦٥

Longrigg, S.M.; Four Centuries of Modern Iraq, Oxford. Clarendon Press, 1945. ١٦٦

Lowie, R.H. "Editor"; an Introduction to Cultural anthropology, New York, 1947. ١٦٧

Luke, H.C.; Mosul and its Minorities, London, 1935. ١٦٨

Macalisler, R.A.S.; Exploration and Excavation, in the C.A.H., vol. 1. ١٦٩

Macalister, R.A.S.; Survey of Early Mediterranian Culture, in H's. U.H.W., 5 & 6. ١٧٠

Macalister, R.A.S.; The New Peoples : A Study of Race Movements, in H's, U.H.W., 7. ١٧١

Macalister, R.A.S.; The Topography of Jurasalem, in the C.A.H., vol. III. ١٧٢

Macfadyen, W.A.; Water Supplies in Iraq, Baghdad, 1938. ١٧٣

Main, R.; Iraq from mandate to Independence, London, 1935. ١٧٤

Marriott, Sir J.; The Conception of Empire : How it has Moulded History, in H's. U.H.W., 4. ١٧٥

Mattingly, H.; The Imperial Recovery, in the C.A.H., vol XII. ١٧٦

Meteorological Service; Climatological Atlas for Iraq, Baghdad, 1945. ١٧٧

Meteorological Service, Climatological Means for Iraq, Baghdad, 1950. ١٧٨

Miller, S.N.; The Army and the Imperial House, in the C.A.H., vol. XII. ١٧٩

Middle East, 1948, Aden, Afghanistan, Anglo Egyption Sudan, Cyprus, Egypt, Iran, Iraq, Syria and the Lebanon, Palestine Saudi Arabia, Transjordan, Turkey, with a section on the League of Arab States, Europa Publications Limited. ١٨٠

Minns, E.H.; The Alphabet : Its Origins and Improtance for Civilization, in H's. U.H.W., X. ١٨١

Money, R.I.; The Hindiya Barrage, Mesopotamia, in the Geographical Journal, September 1917. ١٨٢

Moret, A. and Davy, G.; From Tribes to Empire, Social Organisation Among Primitives and in the Ancient East, London, 1926. (translated by V.G. Childe). ١٨٣

Musil, A.; The Middle Euphrates, A Topographical Itinerary, New York, 1927. ١٨٤

Myres, J.L.; The Dawn of History, in Home University Library, London, 1924. ١٨٥

Myres, J.L.; Neolithic and Bronze Age Cultures, in the C.A.H., vol. I. ١٨٦

Myres, J.L.; Primitive Man in Geological Times, in the C.A.H., vol. I. ١٨٧

Myres, J.L.; The Minoans and Mycenae : Civilization Comes to Europe, in H's. U.H.W., 7. ١٨٨

Myres, J.L.; The Rise of Ordered Civliizations, in H's. U.H.W., 4. ١٨٩

١٩٠ Newbigin, M.I.; The Mediterranian Lands, An Introductory Study in Human and Historical Geography, London, 1925.

١٩١ Noble, A.H.; The Subsurface Water Resources of Iraq, Baghdad, 1927.

١٩٢ O'Leary, De L.; Arabia Before Muhammad, London, 1927.

١٩٣ O'Leary, De L.; How Greek Science Passed to the Arabs, London, 1948.

١٩٤ Olmstead, A.T.; History of the Persian Impire (Achaemenid Period) Chicago. Chicago University Press., 1948.

١٩٥ Ormerod, A.A. and Cary; M.; Rome and the East, in the C.A.H., vol. IX.

١٩٦ O'shia, R.; The Sand Kings of Oman, London, 1947.

١٩٧ Pascoe, E.H.; Geological Notes on Mesopotamia with Special Reference to the Occurrence of Petroleum, in Memoirs of the Geological Survey of India, vol. XLVIII, Calcutta, 1922.

١٩٨ Peake, H. and Fleure, H.J.; Peasants and Potters; Oxford at the Clarendon Press, 1927., in the Corridors of Time, III.

١٩٩ Peake, H. and Fleure, H.,J.; Priests and Kings, Oxford at Clarendon Press, 1927, in the Corridors of Time, IV.

٢٠٠ Peake, H. and Fleure, H.J.; The Horse and the Sword, Oxford at the Clarendon Press, 1933, in the Corridors of Time, VIII.

٢٠١ Peake, H. and Fleure, H.J.; The Steppe and Sown, Oxford at the Clarendon Press, 1928, in the Corridors of Time V.

٢٠٢ Peake, H. and Fleure, H.J.; The Way of the Sea, Oxford at the Clarendon Press, 1927, in the Corridors of Time, VI.

٢٠٣ Peet, T.E.; Early Eygptain Life and Culture, in H's. U.H.W., 5.

٢٠٤ Peet, T.E.; Egypt : The Predynastic Period, in the C.A.H., vol. 1.

٢٠٥ Peet, T.E.; Life in Egypt During the Middle Kingdom, in H's U.H.W., 6.

٢٠٦ Philby, H. St. J.B.; Arabian Days; An Autobiography, London, 1948.

٢٠٧ Procopius; Persian Wars. Eng. tr By H.B. Dewing, London, 1914.

٢٠٨ Rawlinson, J.; The Five Creat Monarchies of the Ancient Eastern World, 2 vols, London, 1870.

٢٠٩ Ragozin, Z.A.; Chaldea from the Earlies Times to the Rise of Assyria, London, 1900.

٢١٠ Ramsay, W.M.; The Historical Geography of Asia Minor, in Royal Geographical Society, Supplementary Papers, vol. IV, London, 1890.

٢١١ Robinson, T.H.; Israel in the Light of History, in H's. U.H.W., 7 & 8.

٢١٢ Rostovtzeff, M.; A History of Ancient World, vol. 1 (The Orient and Greece, translated from Russian by J.D. Duff) Oxford, at the Clarendon Press, 1936.

٢١٣ Rostontzeff, M.; The Social and Economic History of the Hellenistic World, 3 vols. Oxford, 1941.

٢١٤ Rostovtzeff, M.; Rhodes, Delos and Hellenistic Commerce, in the C.A.H., vol. VIII.

٢١٥ Rostovzeff, M.; The Sarmatae and Parthians, in the C.A.H., vol. XI.

٢١٦ Safrastian, A.; Kurds and Kurdistan, London, 1948.

٢١٧ Salisbury, R.D.; Physiography, London, 1909.

٢١٨ Salisbury,, R.D.; Physiography for High Schools, London, 1930.

٢١٩ Sayce, A.H.; The Kingdom of Van (Urartu) in the C.A.H., vol. III.

Schneider, H.; The History of World Civilzation from Prehistoric Times to the Middle Ages, 2 vols. (translated from the German original of 1927 by M. Green) London, 1931. ٢٢٠

Searson, V.F.; The Physical Basis of Geography, London, 1937. ٢٢١

Seeman, A.L.; Physical Geography, New York, 1942. ٢٢٢

Scott, H.; In the High Yemen, London, 1947. ٢٢٣

Semple, E.C.; The Geography of the Mediterranian Region, Its Relation to Ancient History, London, 1932. ٢٢٤

Smith, S.; Ashurbanipal and the Fall of Assyria, in the C.A.H., vol. III. ٢٢٥

Smith, S.; Early History of Assyria to 1000 B.C., London, 1928. ٢٢٦

Smith, S.; The Age of Ashurbanipal, in the C.A.H., vol. III. ٢٢٧

Smith, S.; Sennacherib and Esarhaddon, in the C.A.H.; vol. III. ٢٢٨

Smith, S.; The Foundation of the Assyrian Empire, in the C.A.H.; vol. III. ٢٢٩

Smith, S.; The Supermacy of Assyria, in the C.A.H.; vol. III. ٢٣٠

Spilhaus, M.W.; The Background of Geography,, London, 1935. ٢٣١

Stamp, L.D.; Asia, London, 1946. ٢٣٢

Stark, F.; The Southern Gates of Arabia, A Journey in the Hadhramaut, London, 1944. ٢٣٣

Stevenson, G.H.; The Army and Navy, in the C.A.H., vol. X. ٢٣٤

Suess, E.; The Face of the Earth, vol. I (translated by H.R.C. Sollas.), Oxford, at the Clarendon Press, 1904. ٢٣٥

Sykes, Sir P.; A History of Exploration from the Earliest Times to the Present Day, London, 1949. ٢٣٦

Swanton, J.R.; The Primary Centers of Civilization, Smith Sonian Institution, Washington, 1948. ٢٣٧

Sykes, Brigader General Sir P.; Afghanistan, in Islam today, edited by A.J. Arberry and Rum Landau, London, 1942. ٢٣٨

Tarn, W.W.; Alexander : The conquest of the far East in the C.A.H.; vol. VI. ٢٣٩

Tarn, W.W.; Alexander : The Conquest of Persia, in the C.A.H., vol. VI. ٢٤٠

Tarn, W.W.; Parthia, in the C.A.H.; vol. IX. ٢٤١

Tarn, W.W.; Persia from Xerxes to Alexander, in the C.A.H., vol. VI. ٢٤٢

Tarn, W.W.; The Triumvirs, in the C.A.H., vol. X: ٢٤٣

Thesiger, W.; Desert Border Lands of Oman, in the Geographical Journal, vol. CXVI, No. 4-6 Oct. - Dec., 1950. ٢٤٤

Thomson, R.C.; Assyria, in the C.A.H; vol. II. ٢٤٥

Thamson, R.C.; Babylonia in the Days of Hammurabi, in H's. U.H.W., 5. ٢٤٦

Thomson, R.C.; Isin, Larsa and Babylon, in the C.A.H.; vol. I. ٢٤٧

Thomson, R.C.; The Golden Age of Hammurabi, in the C.A.H., vol. I. ٢٤٨

Thomson, R.C.; The Influence of Babylonia, in the C.A.H., vol. III. ٢٤٩

Thomson, R.C.; The Kassite Conquest, in the C.A.H., vol. I. ٢٥٠

Thomson, R.C.; The Life of Imprial Nineveh and Babylon, in H's. U.H.W., 9. ٢٥١

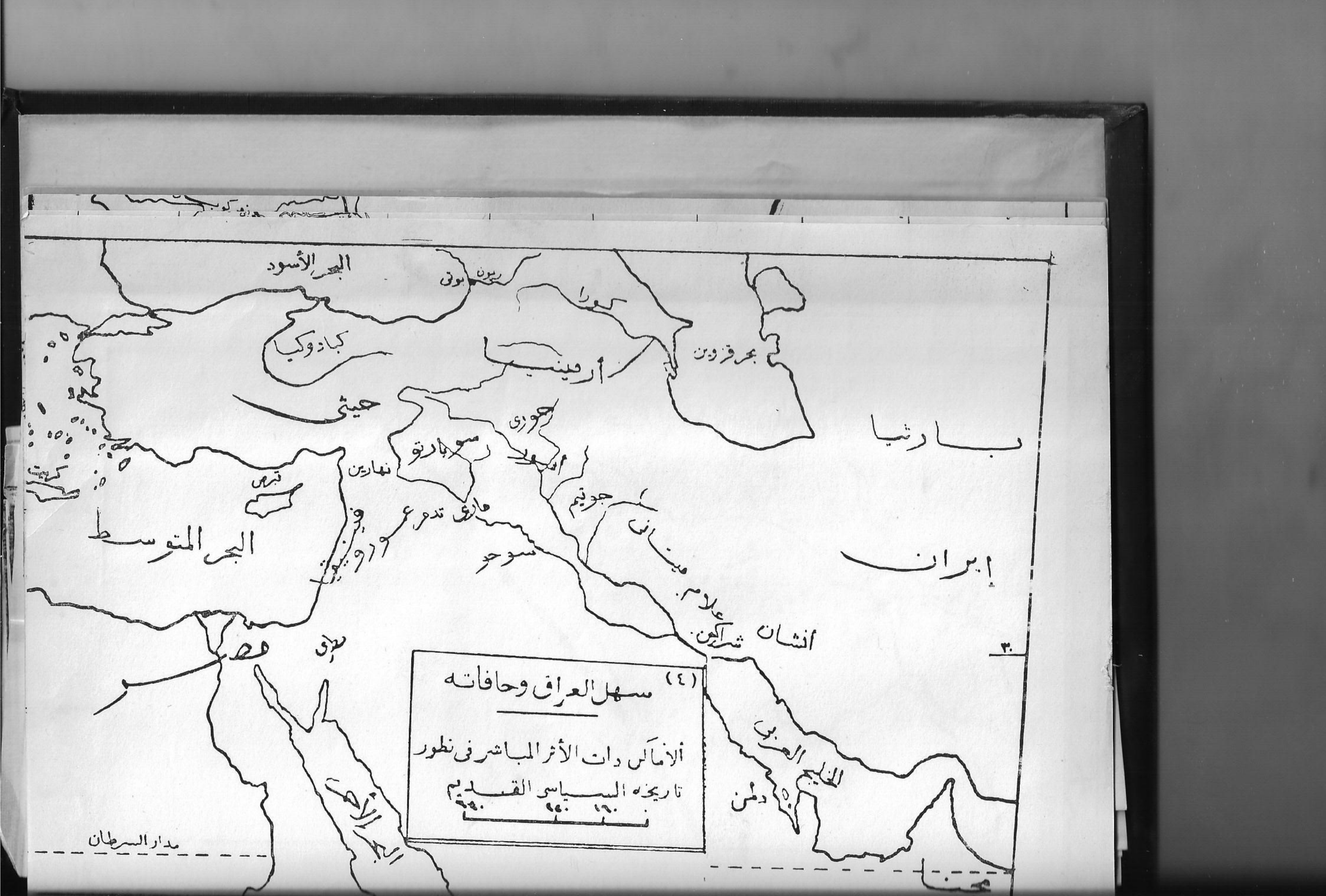
Thomson, R.C.; The New Babylonian Empire, in the C.A.H., vol. III. ٢٥٢

Turner, R.; The Great Culture Traditions, vol. I, New York, 1941. ٢٥٣

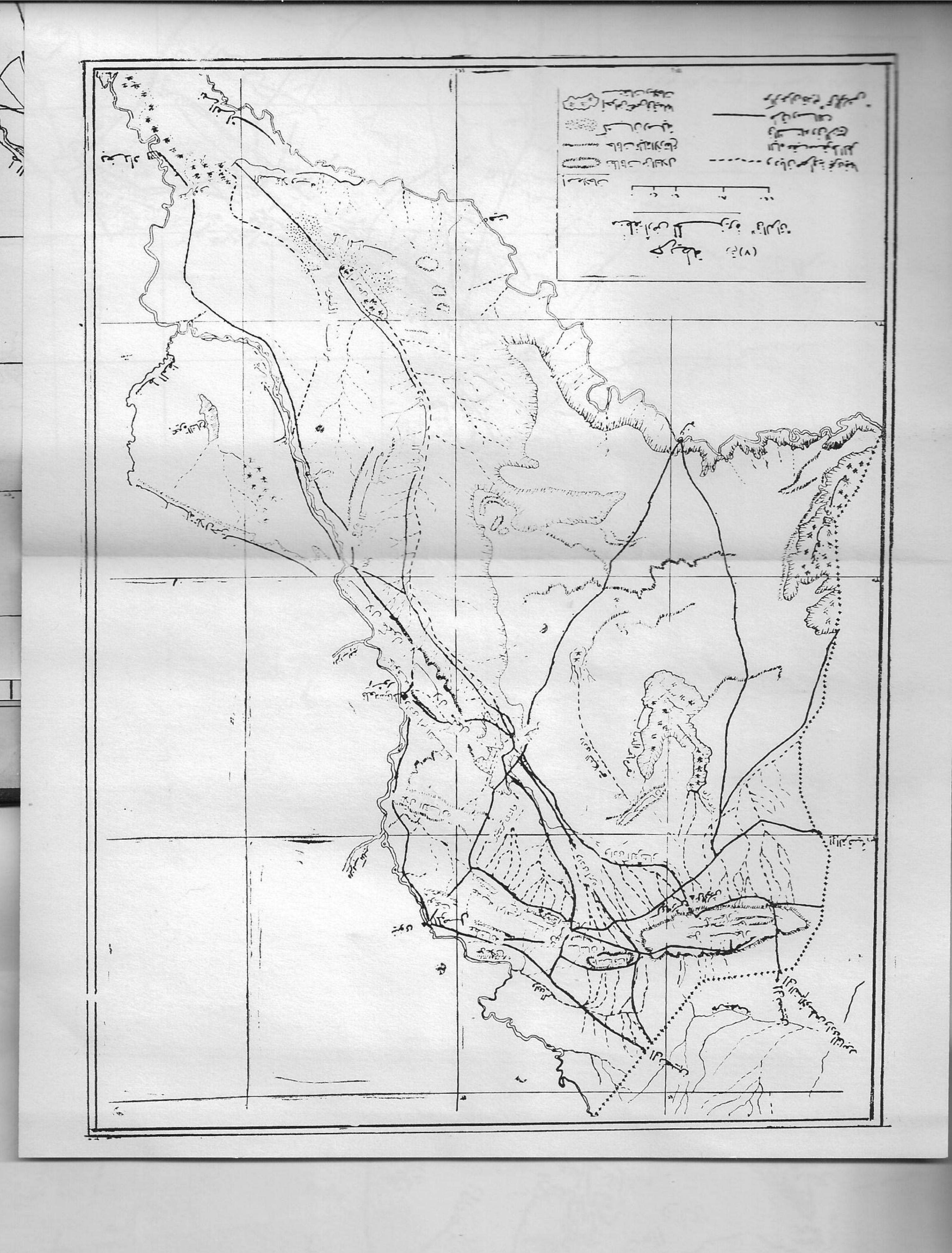


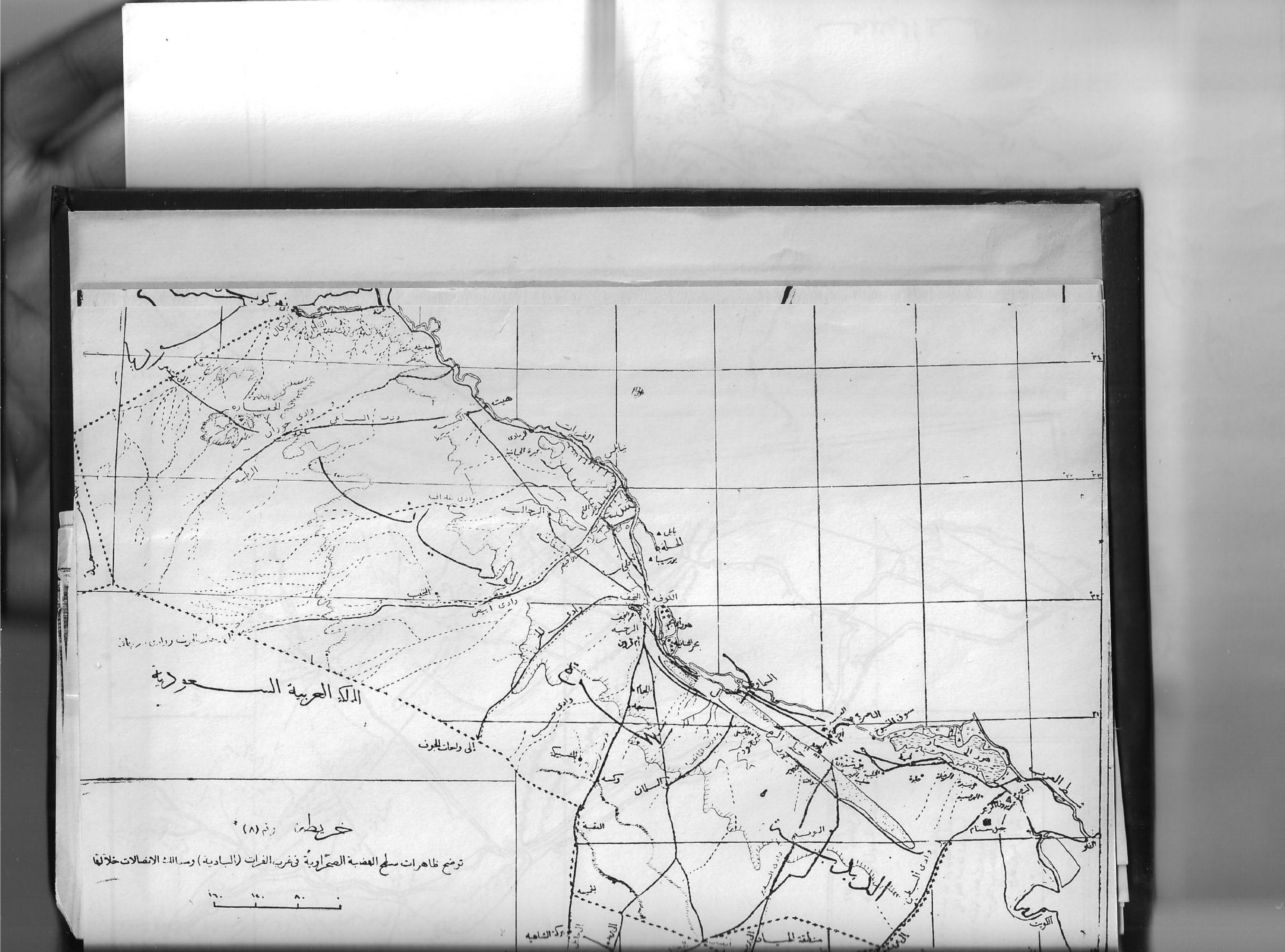
٢٠٤	Valkenburg, S.D.; Elements of Political Geography, New York, 1946.
٢٠٥	Wace, A.J.B.; Tory : Its place in literature and History, in H's. U.H.W., 8.
٢٠٦	Weech, W.N. (Editor); History of the World, London, Adam's Press (date is not indicated).
٢٠٧	Wigram, W.A. and Sir E.T.A.; The Craddle of Mankind, Life in Eastern Kurdistan, London, 1936.
٢٠٨	Willcocks, Sir W.; The Irrigation of Mesopotamia, London, 1917 (with 46 plates in portfolio).
٢٠٩	Williams, H.S.; (Editor), The Historian's History of the World, vols. 2-8. London, 1926.
٢٦٠	Wilson, Lt. Col., Sir A.T.; The Persian Gulf, An Historical Sketch from at the Earliest Times to the Beginning of the 20th. Century, Oxford at the Clarendon Press, 1928.
٢٦١	Wilson, Lt. Col. Sir A.T.; The Suez Canal, Its Past, Present and Future, Oxford University Press, 1939.
٢٦٢	Windle, Sir B.; Europe in the Ages of Stone and Bronze, in H's. U.H.W., 6.
٢٦٣	Woolley, C.L.; Mesopotamia's City States Before the Rise of Babylon, in H's. U.H.W., 5.
٢٦٤	Woolley, C. L; The Summerians, Oxford University Press, 1930
٢٦٥	Woolley, Sir L.; Ur of the Chaldees, A Record of Seven Years of Excavation, (in Penguin Books) 1950.
٢٦٦	Woolley, Sir L.; A Forgotten Ringdom. In a Pellican Book, A 261, 1953.


(٣)
أقاليم العراق ومنافذها المحتملة
محمصات غالبها برك وأهوار
اتجاهات أنهار قديمة
جزر كانت موجودة في الخليج البلايوستيني
كثبان رملية
وديان صحراوية كانت أنهاراً في العصر المطير
ممرات جبلية
توصيلات تربط بين طرق الوديان النهرية
الحدود السياسية
الحدود الأقليمية
حد تقريبي لرأس الخليج عند بدء تعمير العراق بالسكان
إلى واحات الجوف ووادي سرحان
أرض الجزيرة
إقليم الجبال
بغداد
البصرة

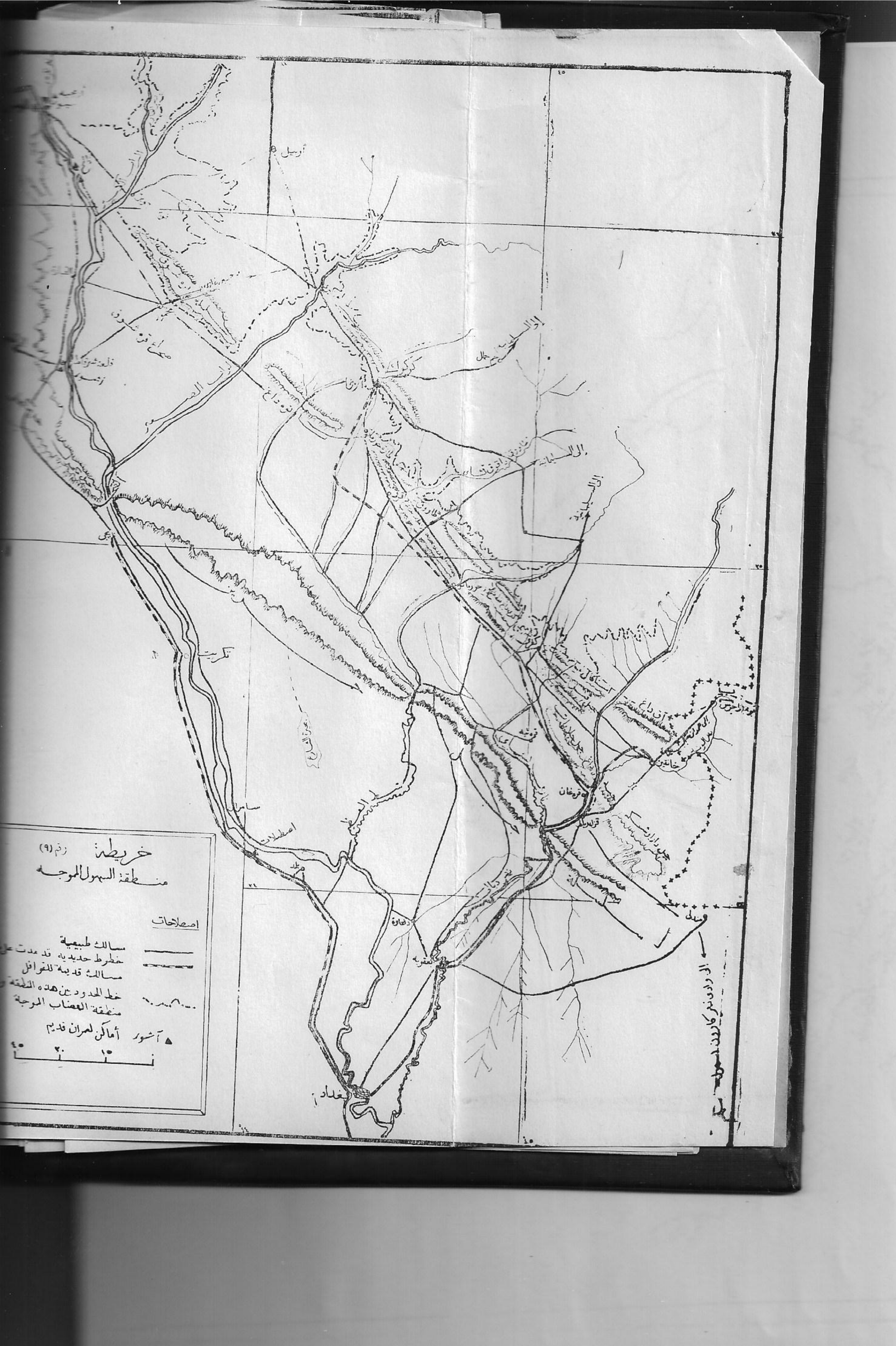

(٤)
سهل العراق وحافاته
الأماكن ذات الأثر المباشر فى تطور
تاريخه السياسى القديم
البحر الأسود
سينوب
بونتى
كبادوكيا
كورا
أرمينيا
بحر قزوين
حيثى
حورى
سوبارتو
نهارين
قبرص
البحر المتوسط
وادى تدمر
سوحو
جوتيم
بارثيا
ميتانى
إيران
علام
أنشان
شراكين
مصر
سيناء
الخليج العربى
دلمن
البحر الأحمر
مدار السرطان
٣٠

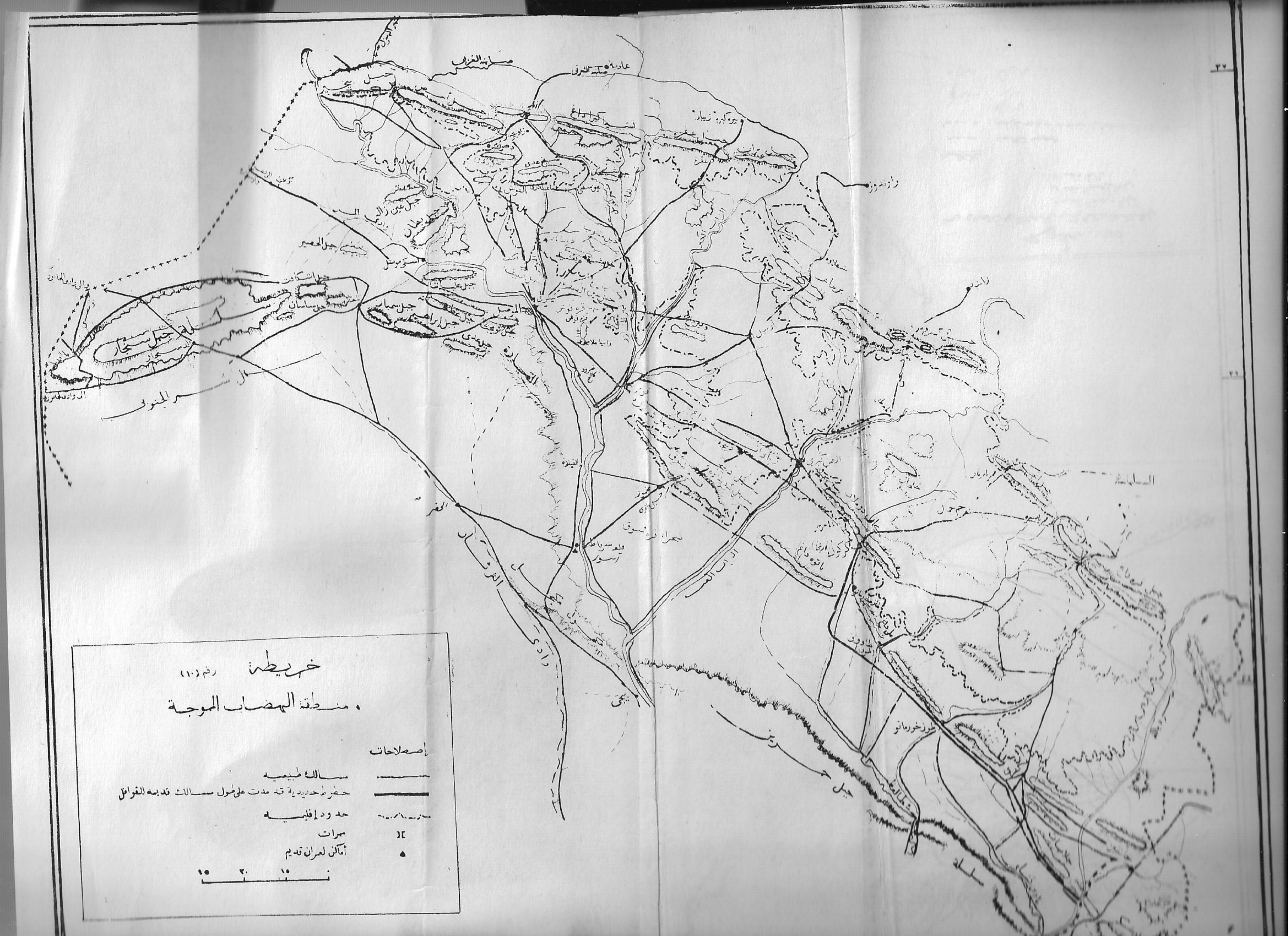




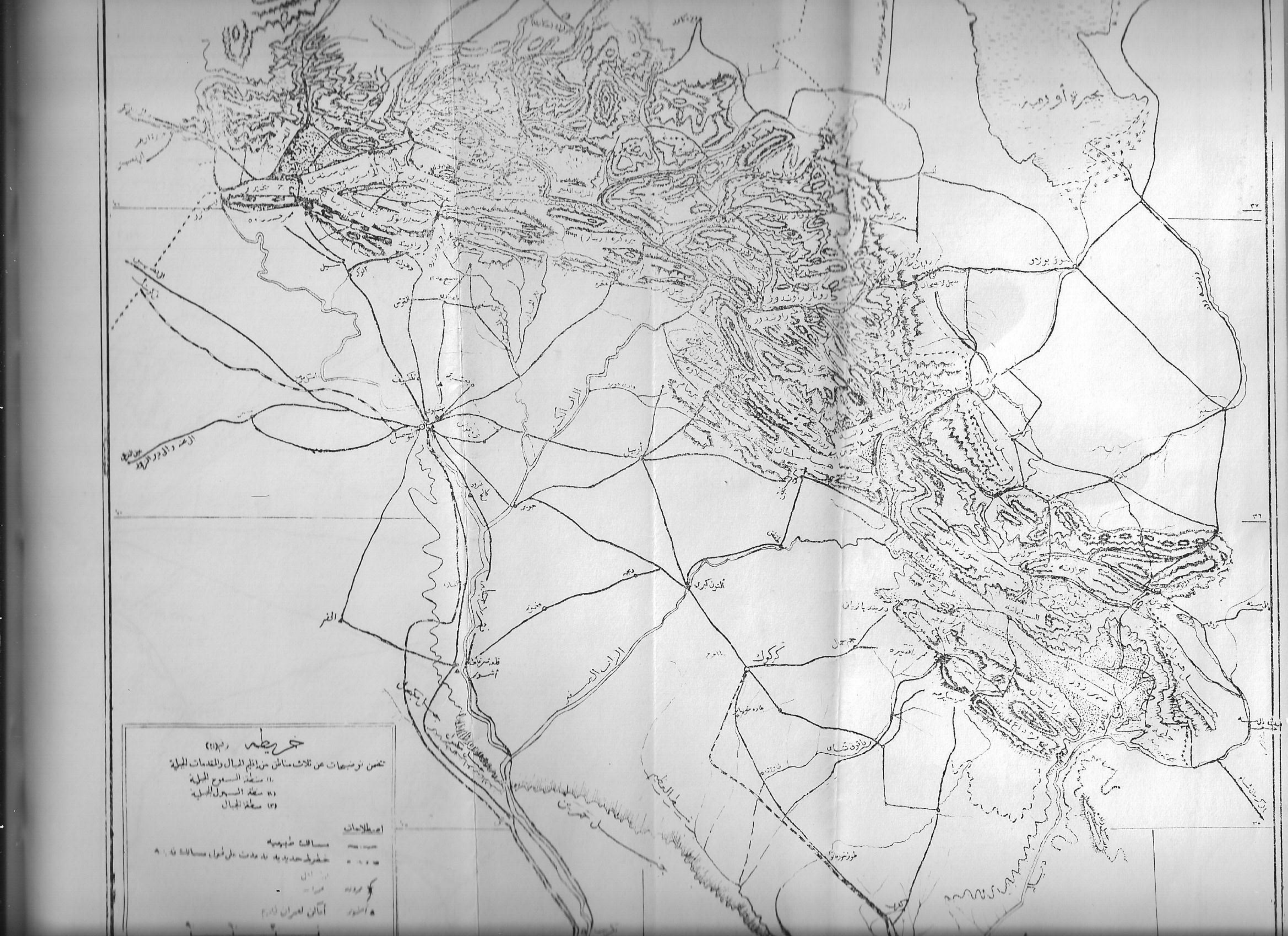


خريطة رقم (٨)
توضح ظاهرات سطح الهضبة الصحراوية في غرب الفرات (البادية) ومسالك الاتصالات خلالها
المملكة العربية السعودية
الكوفة
النجف
هيت
الرمادي
الفرات
الحيرة
بابل
إلى واحات الجوف
وادي أبيض
السلمان


خريطة رقم (٩)
منطقة السهول المموجة
اصطلاحات
مسالك طبيعية
خطوط حديديه قد مدت على
مسالك قديمة للقوافل
خط الحدود بين هذه المنطقة
منطقة الهضاب الموجة
آشور أماكن لعمران قديم
أربيل
كركوك
تكريت
بغداد

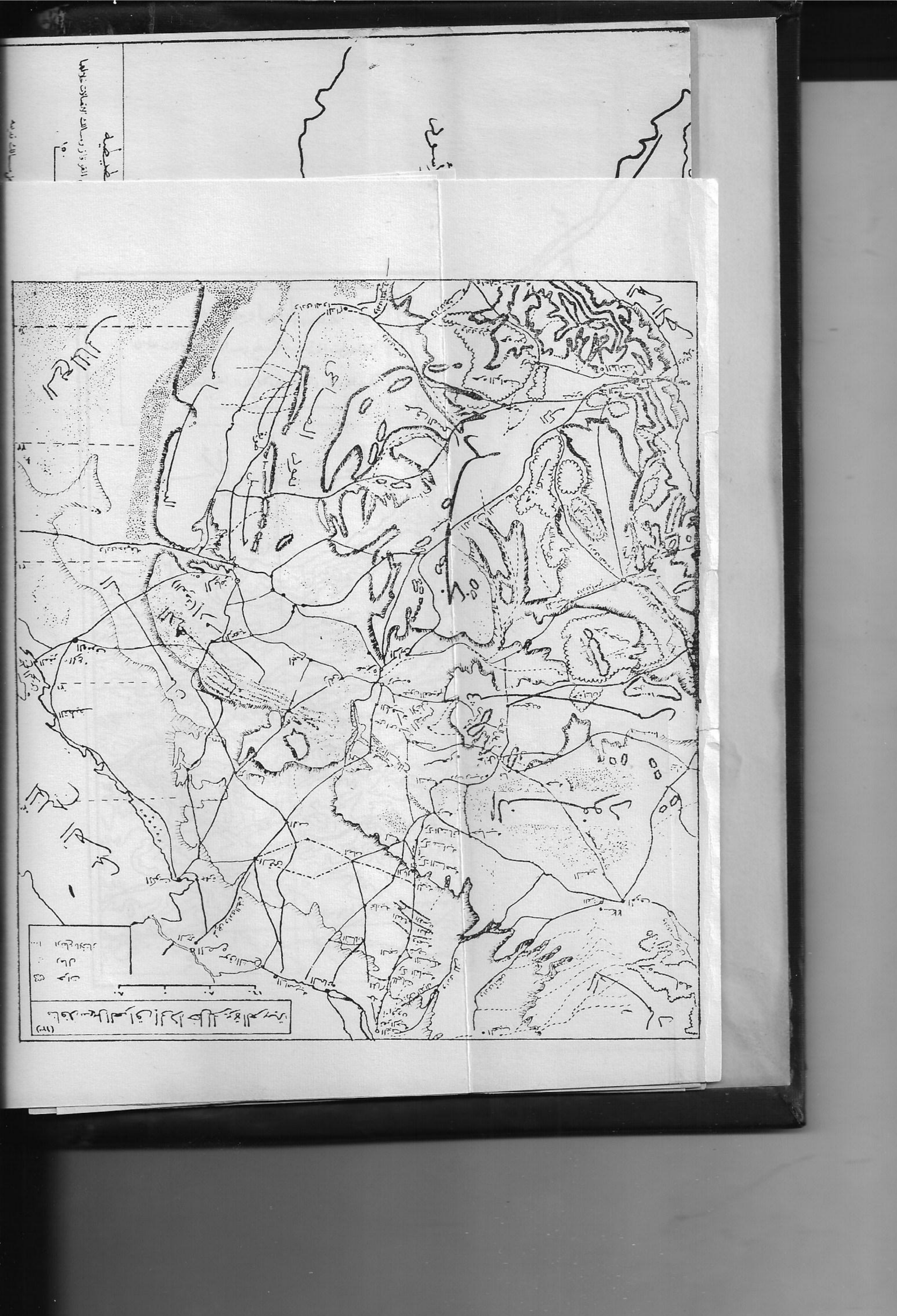


خريطة رقم (١٠)
منطقة الهضاب المموجة
إصطلاحات
مسالك طبيعيه
خطوط حديدية قد مدت على طول مسالك قديمه القوافل
حدود إقليميه
ممرات
أماكن لعمران قديم
١٥ ٢٠ ١٥
جبل سنجار
الحضر
وادي الثرثار


خريطة رقم (١١)
تتضمن توضيحات عن ثلاث مناطق من اقليم الجبال والمقدمات الجبلية
(١) منطقة السهوح الجلية
(٢) منطقة السهول الجبلية
(٣) منطقة الجبال
اصطلاحات
الموصل
اربيل
كركوك
التون كوبري
بحيرة اورمية
الزاب الكبير
الزاب الصغير



(١٣)
العالم السوري
مسالك اتصالات الغزاة مع العالم السوري
البحر المتوسط
خليج السويدية (سلوكيا)
رأس البسيط
رأس ابن هاني
اللاذقية
بانياس
طرطوس
خليج عكار
طرابلس
جبيل
بيروت
صيدا
صور
عكا
إدلب
حماه
حمص
فرقلس
حسية
القريتين
دمشق
الضمير
الرصافة
الرقة
مسكنة
دير الزور
البصيرة
الصالحية
حويط الراس
درب الساعي
الحمادة
جبل حوران
السويداء
جبل الدروز
القنيطرة
هضبة جبل عنزة




(١٤)
هضبة أرمينيا وحافاتها
الظاهرات الرئيسية للسطح ومسالك الاتصالات خلالها
تكون الوديان والممرات بين كتل الجبال أهم المسالك
البحر الأسود
بحر قزوين
باكو
دربند
طرابزون
أرضروم
بحيرة وان
وان
ديار بكر
ارزنجان
اردهان
اريفان
نهر آراس
بوتى
باطوم
تفليس



البحر الأسود
البحر المتوسط
(١٦)
هضبة الأناضول وحافاتها
الظاهرات الرئيسية للسطح ومسالك الاتصالات خلالها
تكون الوديان والممرات بين كتل الجبال أهم المسالك
سكك حديديه ودمدت على طول مسالك قديمه
٢٠ ٤٠ ٨٠ ١٢٠
حلب
اللاذقية